



جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي

# موسوعة الأنبا غريغوريوس ٣٠

مقالات وموضوعات متنوعة – الجزء الثاني  
موضوعات عامة



للمتبح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمي

جمعية

الأنبا غريغوريوس

أسقف البحث العلمى

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٣٠

مقالات وموضوعات متنوعة

الجزء الثانى

موضوعات عامة

للمنتيج الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراستات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

اسم الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ٣٠ - الجزء الثاني موضوعات عامة.

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد: الإكليركي منير عطية.

الجمع: شركة فاين للطباعة وفصل الألوان.

ت: ٢٤٨٢٤١١٣ - ٢٤٨٢٠٩٠٣

E-mail: finestaff@fineprint86.com

الناشر: جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي.

٢١٦ ش رمسيس بالعباسية.

ت: ٢٦٧٤٩٢٥٠ - ٢٤٨٢٣٣٦٣

الموقع على الإنترنت : [www.Anba-Gregories.com](http://www.Anba-Gregories.com)

المطبعة : شركة الطباعة المصرية - العبور. ت: ٢٤٦١٠٠٥٨٩

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٩ / ١٥٣٠٥٢

مجلس المطابع

حقوق الطبع محفوظة لجمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي

المشهرة برقم ٥٩٤٦ لسنة ٢٠٠٥م القاهرة





قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث





نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

## مقدمة

هذا هو الجزء التاسع والعشرين من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وقد سبقه ثمانية وعشرين جزءاً، كان الأول في اللاهوت المقارن، والثاني في اللاهوت الأدبي، والثالث في الرهبنة، والرابع في الدراسات الفلسفية، والخامس في اللاهوت الطقسي، والسادس في لاهوت السيد المسيح، والسابع في سرّ التجسد والفداء والثامن في الجزء الأول من أسرار الكنيسة السبعة ويشمل المعمودية والميرون والقربان والتوبة وسر مسحة المرضى، والتاسع في الجزء الثاني من الأسرار ويشمل سرّ الزيجة والكهنوت، والعاشر في الكنيسة الأرثوذكسية وعقائدها. والحادي عشر في الحياة بعد الموت والمجيء الثاني، والثاني عشر في الكتاب المقدس وطرق دراسته، والثالث عشر مقالات في الكتاب المقدس وإجابات على أسئلة، والرابع عشر في تفسير إنجيل متى ومرقس، والخامس عشر في تفسير إنجيل القديس لوقا، والسادس عشر في تفسير إنجيل القديس يوحنا، والسابع عشر تأملات وتعليقات على سفر أعمال الرسل وبعض رسائل القديس بولس الرسول، والثامن عشر عن الشهادة والإستشهاد وشخصيات كتاب مقدس وقديسون، والتاسع عشر عن الله والوجود والكون وطبيعة الملائكة، والعشرون عن العذراء مريم، حياتها ورموزها وألقابها، وفضائلها وتكريمها وظهورها ومعجزاتها، والحادي والعشرين في اللاهوت الأدبي - الجزء الثاني - في الوصايا العشر، من الوصية الثانية إلى الوصية الخامسة، والثاني والعشرين في اللاهوت الأدبي - الجزء الثالث - في الوصايا العشر من الوصية السادسة إلى الوصية العاشرة، والثالث والعشرين في الأعياد المسيحية، والرابع والعشرين هو الجزء الأول من الدراسات التاريخية عن الأديرة والمزارات - مصر وأحداث كنسية. والجزء الخامس والعشرين فهو الجزء الثاني من الدراسات التاريخية عن الوحدة الوطنية ودور الكنيسة في تدعيمها. والجزء السادس والعشرين وهو الجزء الثالث من الدراسات التاريخية عن القدس وفلسطين ودور الكنيسة من أجل تحريرها، والجزء السابع والعشرين عن الخدمة والخدام، المفاهيم والمجالات والمؤهلات والمعوقات، والجزء الثامن والعشرين عن الشباب والأسرة في المجتمع، والجزء التاسع والعشرين فهو الجزء الأول من مقالات وموضوعات متنوعة ويشمل الموضوعات الروحية وصلوات وتأملات وكلمات عزاء.

أما هذا الجزء الثلاثون فهو الجزء الثاني من مقالات وموضوعات متنوعة ويشمل الموضوعات العامة.

هذه هي الثمرة الثلاثون وهي من نتاج العالم والمعلم والخبير الجليل المنتج  
الأبنا غريغوريوس، الذي قال عنه قداسة البابا شنودة الثالث:

«حياة الأبنا غريغوريوس تتلخص في كلمتين «التكريس والعلم» ... وكان العلم يشغل  
كل وقته ... بهذا التكريس للخدمة، وبهذا العلم كان باستمرار معتكفاً في مسكنه، يقابله  
الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة ...

«كان الأبنا غريغوريوس يتميز بالشمولية في العلم .. كان في أساتذة الإكليريكية من  
هو متخصص بالكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون.  
أو في الطقس إلى آخره .. ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معاً .. وفي الواقع كان معلماً  
قديراً .. له معلومات كثيرة .. هو موسوعة من المعلومات .. كان مثلاً من الأمثلة التي لا  
تتكرر كثيراً في العلم الكبير ..».

وسنفرد الأجزاء الباقية من هذه الموسوعة لتشمل الموضوعات الدينية والكنسية،  
والموضوعات العامة، وكذلك عن الإكليريكية والمعاهد الدينية ومدارس التربية الكنسية،  
وكتاباتاته عن القوانين والأحوال الشخصية، وأقوال الآباء القديسين والعلماء، وسنفرد  
أجزاء تشمل أعمال الأبنا غريغوريوس واقتراحاته والمؤتمرات التي اشترك فيها، لكي  
تتكمّل سيرته. بحيث تشمل أجزاء الموسوعة حياة الأبنا غريغوريوس وجميع كتاباته وكل  
نشاطاته.

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة  
والقداسة البابا المعظم الأبنا شنودة الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، وامتعنا الرب  
برئاسته للكنيسة ولنا أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة  
والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكي منير عطية



## إهداء

### إلى القديس والفيلسوف والعالم الأب بنتينوس الإسكندري

بين يديّ الله مخلصنا ومخلص الناس جميعاً، وإحياءً لذكراك أيها القديس والعالم والفيلسوف، نضع، بكل اتضاع واحترام هذه السلسلة من المحاضرات والمواعظ تعبداً لله، وخدمة لإسمه القدوس، في جيلنا وللأجيال الآتية.

أنت الرجل الأمين، والمعلم الفذ، الذي أخلص لرسالته، وعاش للإكليزيكية والعلم وفسر الكتاب المقدس كله، من أوله إلى آخره تفسيراً شاملاً، روحياً وعقائدياً وتعليمياً، حتى عرفت بين آباء الكنيسة جميعاً في العصور الأولى المسيحية أنك «مفسر كلمة الله». ولقد وصفك تلميذك العظيم اكليمينضس بأنك «موعب من روح الكتاب المقدس». ومع بالغ الأسف لم يبق من كتاباتك الثمينة شيء، إلا شذرات قليلة وردت في كتابات بعض الآباء من بعدك ممن أشاروا إليك، واقتبسوا منك. ولابد أنه قد احترقت جميع كتبك في الحريق الهائل الذي دمر مكتبة الإسكندرية العريقة، وأتلف تراثها الأدبي والروحي.

لكن تلميذك النابغة الفيلسوف والقديس اكليمينضس الإسكندري كان معجباً كل الإعجاب ووصفك بأنك «من أعظم الأساتذة وأكملهم» فكشف لنا عن شخصيتك وأبان أنك لم تكن مُعلِّماً كأى معلّم، بل كان تعليمك مصاحباً كمال سيرتك، ونابعاً من فضيلتك. ولقد وصف صدق تعليمك وأمانته ودقته، بأن قال بأن قولك دائماً كان «لسان القفل في أقواله وكتاباته»، وهو تعبير يدل على مبلغ احترامه لتعليمك، وإنه في كل ما قال وعلم كان تابعاً لك، وإنه كان يجد في أقوالك الختم الدامغ، والقول الفصل في كل ما علم به وكتب. بل زاد قائلاً بأن مقابلته الأولى لك كانت آخر مقابلة لعدد كبير من المعلمين في زمانه، لكنها كانت الأولى من حيث قوتها وعمق أثرها في نفسه، وإنه كان يجد فيك دائماً راحة لأفكاره وجواباً شافياً لكل أسئلته.

ولئن برهن اكليمينضس بقوله هذا على وفائه لمعلمه وإخلاصه التام للرجل الذي درس عليه، ووجد فيه إشباعاً لعقله وروحه.. بل لقد ألغى نفسه ونسب الفضل كله لمعلمه.. إلا أنه فيما قال، جعلنا نقف على إستقامة سيرتك وجمال فضيلتك وسعة علمك،

وخصوبة فكرك، ورجاحة عقلك، وأصالة روحك، بل وعلى سلامة تعليمك وتفسيرك للكتب المقدسة.

يا معلم الإكليريكية الأول، إننا نحبيك ونحمد سيرتك ونقرر أننا - والكنيسة كلها - مدينون لك بالكثير..

إننا نترحم عليك. ونسألك أن تعين الإكليريكيين وخدام الكلمة، بصلواتك ونفحاتك، ليفسروا كلمة الحق بالإستقامة. فكلمة الله نور، ولكن حامل النور يجب أن يقف ويمشى بحيث لا يحجب النور عن السالكون في طريق النور وبحيث لا يكون لشخصه شيء من الظل يعوق سبيل النور، أو ينقص من جماله وبهائه..

«ولا يوقد سراج ثم يوضع تحت مكيال، وإنما على منارة فيضيء لكل من في البيت»  
(متى ٥: ١٥).

من ابنك

غريغوريوس

باخوم المحرقى - وهيب عطاالله

## نداء .. ورجاء

نداء لمحبي المسيح والأنبا غريغوريوس الذين بدافع المحبة يضعون موسوعته على «النت» مما يؤثر في المبيعات، وبالتالي في عدم تكميل طباعة باقى الموسوعة فرجاء عدم فعل ذلك، لمساعدتنا في طباعة باقى هذا التراث الذى سيكون سبب فائدة كبيرة للأجيال القادمة.. ورجاء محبة من لديه الإمكانية المالية مساعدتنا في طبع باقى الأجزاء، عن طريق مقر الجمعية (العنوان والتليفونات ص٢) وذلك نظير إيصالات علماء بأن الجمعية هى المكان الوحيد المسئول عن كل ما يمت للمتنيح الأنبا غريغوريوس.

والله يعوض الجميع خيرًا..

## الآثار الروحية والنفسية لحرب أكتوبر<sup>(١)</sup>

- \* لقد انبثق بالنصر فجر جديد، واسترد الناس إيمانهم بالقيم الروحية والإيمانية.
- \* إننا نحى في ذكرى العبور بطل العبور وقواتنا المسلحة وقادة جيوشنا.
- \* لقد كانت الكنيسة دائماً تُصلى من أجل سلام مصر ومن أجل خلاصنا من أعدائنا المتربصين بنا.

إنَّ لحرب ٦ أكتوبر نتائج طيبة كثيرة تحدث عنها العسكريون، وأدباء هذا البلد، وتحدث أيضاً عنها المفكرون في كلِّ العالم. على أنَّ من أهم هذه النتائج العظيمة التي حققها هذه الحرب المجيدة التي خاضتها بحماسة وحرارة قواتنا المسلَّحة ومعها شعبنا كله، هي الآثار النفسية التي صاحبتهامازلنا نعيش في جوِّها الروحي إلى اليوم، وأحسب أننا سنعيش فيها زمناً آخر في المستقبل.

ولا يستطيع كاتب أن يُصوِّر في دقة وصدق هذه الآثار النفسية وقوتها، ما لم يعد بشعوره حياً كاملاً إلى الأيام الأخيرة من السنوات الست التي أعقبت هزيمة ١٩٦٧ فقد بلغ السيل الزبى، وكانت معنويات شعبنا كلِّه قد وصلت إلى الحضيض، فكلُّ النَّاس نفوسهم مرة ذليلة حزينة بائسة بل ويائسة، ومن مرارة نفوسهم أمست وجوههم واجمة، وصاروا ساخطين على كلِّ شيء، حتى لقد بدا أنَّ ثقتهم قد ضاعت في قادتهم، وغدوا يتندَّرون بالوعود التي يسمعونها من الحُكَّام مُعَبِّرين بذلك عن اليأس والقنوط الذى اجتاح المصريين عموماً.

فلما صارت الحرب واقعاً، وتم بها نصرٌ غيرُ مرتقب، تبدَّل الحال غير الحال، وبدلاً من اليأس الذى بلغ حدَّ الموت انبثق فجر جديد، وتمخَّض الفجر عن صبح مشرق مضى سطر على الجميع بالأمل والرجاء واستردَّ النَّاس إيمانهم بالقيم الروحية والإيمانية، بل نما فصار إيماناً صوفياً عميقاً، وتحوَّل اليأس فصارَ قيامة من الموت.

وترك هذا التحوُّل المفاجئ أثره على مشاعر شعبنا نحو قائده الأعلى، فارتفع السيِّد

(١) نشر المقال بجريدة (وطنى) في عددها الصادر في صباح الأحد ٦ من أكتوبر - تشرين أول لسنة ١٩٧٤م -

٢٦ من توت لسنة ١٦٩١ش.

ونشر بجريدة (الجمهورية) في عددها الصادر ٧ من أكتوبر - تشرين أول لسنة ١٩٩١م - ٦ من توت لسنة ١٧٠٨ش.



الرئيس في نظر شعبه - بل وفي نظر العالم كله - إلى قمة الإجلال والتقدير والاحترام والحب بل والإعجاب، وازداد إيمانهم به وبحكيمته وشجاعته وحسن قيادته، وثقتهم في أصالة تفكيره، وإخلاصه التام لقوميته ووطنيته، فالرئيس السادات يتمتع بثقة شعبه ثقة لا حدود لها، وأصبح من أعظم أبطال التاريخ القديم والمعاصر، يوصف بكل عبارات الإجلال والإعجاب والحب والثقة التامة.

نحن إلى اليوم نعيش في نشوة حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣، ولم ينطفئ شعور شعبنا كله بعد مرور عام كامل، فما زال الناس في أفراح وأعياد متواصلة بقدر ما احتملوا من ألم مُمض وما طووا نفوسهم عليه من مرارة ويأس في السنوات الست التي أعقبت حرب ١٩٦٧.

إننا في هذا اليوم نُحيي من الأعماق كل من ساهموا في تحقيق النصر لشعبنا إبتداءً من بطل العبور الرئيس السادات، الذي صنع القرار التاريخي، إلى قواتنا المسلحة وقائدها العام، وقادة جيوشها البرية والجوية والبحرية، وكل جنودها في مختلف درجاتهم العسكرية إلى الحكومة والشعب بكافة هيئاته.

على أننا ونحن نذكر أمجاد حرب أكتوبر وما خلفته في شعبنا من آثار نفسية طيبة وسعيدة لا نريد أن ننسى أنّ حربنا مع إسرائيل قائمة فعلاً وستظل قائمة إلى سنوات قادمة، ولربما تتصاعد. إننا نخطئ لو ظننا أنّ حربنا مع إسرائيل قد انتهت.. إنّ إسرائيل لن تقنع بهذه النتيجة المحزنة لها، بل ستتحرك في كل الإتجاهات. وستحاول أن تمحو العار عن نفسها، وتعمل من جديد على تحقيق نواياها التوسعية. لست أتنبأ لكنني أتوقع وأنا على يقين كامل، أنّ حربنا مع إسرائيل لن تتوقف... لذلك وجب علينا أن نكون أشدّ ما نكون حذراً وتنبهاً وتوقعاً لمتاعب جديدة.

وإنني واثق من أنّ قيادتنا مقدره لهذا كل التقدير واضعة في تقديرها وحساباتها كل التوقعات المنتظرة. بيد أنّ شعبنا يجب أن يكون متنبهاً، واضعاً في تقديره إستعداده التام لكل التضحيات التي قد يتطلبها حرصنا على ما حققناه من مكاسب، وصمودنا، ومحافظتنا على أن نحقق للمنطقة سلاماً حقيقياً، قائماً على العدل والحق.

لقد كانت الكنيسة دائماً تُصلى من أجل سلام هذا البلد، ومن أجل خلاصنا من أعدائنا المتربصين بنا والمعتدين على حدودنا وعلى حرية شعبنا، واشتدت حرارة الصلاة أثناء حربنا مع عدونا في أكتوبر إلى أن استجاب الله صلاتنا وحقق لنا النصر، ونحن إلى اليوم وغداً نصليّ وسنصليّ شاكرين الله تعالى الذي ألهم قياداتنا السداد والرشاد ودفع في قلوب جنودنا روح الاستبسال والجهاد، فكانوا أبطالاً بل كانوا أكثر من أبطال، كانوا شهداء بذلوا حياتهم عن رضى وعن حماسة روحية دينية رفعتهم إلى شهداء الإيمان، وسنظل دائماً نصليّ بغير توقف نطلب أن يُتممَ الرَّبُّ نعمته علينا بالخلاص التام والنصر النهائى، وأن يُبارك من السماء كل الجهود البناءة للتعمير ولرفاهية شعبنا، ولسلام حقيقى يرفرف على كل المنطقة يحيا فيه أطفالنا لمستقبل مشرق بالسعادة والعزة والكرامة.

## برقية

فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك.

القاهرة

نهنى سيادتكم ونهنئ أنفسنا ومصر كلها بعيد تحرير سيناء بقيادتكم الحكيمة ونسأل الله أن يوفقكم فى كل ما يحقق لبلدنا مصر كل أسباب العزة والإستقرار والوحدة الوطنية.

الأبنا غريغوريوس

أسقف الثقافة القبطية

والبحث العلمى

العباسية

٢٥/أبريل ١٩٩١م.

## الثورة الإدارية<sup>(١)</sup>

الثورة الإدارية التي دعا إليها الرئيس السادات ورؤية الكنيسة في بناء الإنسان الجديد بإعتباره حجر الزاوية في الثورة الإدارية.

الشكوى صارخة من الروتين، ومن سوء الإدارة بسبب القوانين المختلفة المتعارضة والتي ترجع إلى أزمنة قديمة، ومع كثير من التغييرات التي أحدثتها الثورة، ومع ما أصاب وجه مصر من تحول وتغيّر وتطوّر بمرور الزمن، إلا أنّ كثيراً من تلك القوانين مازال باقياً يعوق عجلة التقدم، وفيها فيما بينها تعارض، وتشابك، واختلاف، بحيث يصير من المتعذر السير بالإدارة المصرية بما يواكب حركة التقدم التي تناسب عصر الفضاء والذرة الذي نعيشه.

لذلك كان قرار الرئيس السادات ومناذاته بالثورة الإدارية ونسف الروتين قراراً جاء في وقته، وكان خطوة لابدّ منها لمسايرة العصر بكل متطلباته الحيوية، خصوصاً بالنسبة لمصر كدولة نامية.

إنّ للروتين مساوئه التي عانى منها كلّ مصري والتي كان لا مفرّ من أن يصطدم به كل من له مصلحة في مرفق من مرفق الدولة. ولكن يجب أن يُقال إنّ لهذا الروتين أسبابه ومبرراته، فهو نتيجة لتراكمات القوانين والقرارات السابقة وتداخلات الأجهزة المختلفة في إختصاصات بعضها البعض، ثمّ هو في نظر البعض شر لابدّ منه لوقف التصرفات المبتسرة التي قد تصدر من بعض موظفي الدولة من دون ترو أو تبصر بأثر تلك التصرفات على صوالم كثير من الناس أو بعضهم على الأقل. فقد يندفع موظف لمحاباة شخص تربطه به صلة قرابة أو معرفة بغضّ النظر عن كفاءته واستحقاقه، أو قد يندفع للإضرار بشخص بناء على بواعث شخصية من حقد وكرهية. فالروتين إجراء تحفظي يحدّ من التصرفات الفردية الطائشة التي تمليها الرغبات والشهوات والأطماع أو تحكمها الأحقاد وشهوة التحكم في مصائر الأفراد بالعدر والإنتقام.

ولذلك فإنّ المفهوم من طلب الرئيس السادات بنسف الروتين هو تحويله لأن يكون

(١) نشر هذا المقال في جريدة (وطني) في عددها الصادر الأحد ٣ من يوليو (تموز) لسنة ١٩٧٧ م - ٢٦ من بؤونه لسنة ١٦٩٣ ش.



أداة خير وتقدم، فلا يكون تبريراً لتعطيل التقدم والحركة إلى الأمام. ولذلك فإن النصف للروتين لكي يحقق الغرض الجميل والنافع من ورائه ينبغي أن يُحاط بالضمانات التي تجعل منه أداة خير وبركة للدولة بعامة، ولكل مواطن بخاصة.

والخير هو أن نحفظ للروتين بما فيه من قيود النظام وتحديد المسؤولية الفردية لتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص لجميع الناس بغير إستثناء، ولكن مع تبسيط الإجراءات، وتقليل العمليات وإبعادها عن التعدد والتعقيد.

وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر قصة شاب عاد إلى مصر بعد فترة بضع سنوات قضاها في بلد أجنبي حصل فيها على الدكتوراه، وكان أن أرسل كتبه في صناديق بطريق البحر، فلما ذهب ليتسلمها من الجمارك بالسببية كان عليه أن يمرّ بالأوراق التي تكفل له تسلم كتبه على ٢٩ موظفاً يحصل على توقيعاتهم الواحد بعد الآخر. فتقدم إليه رجل يدعى (مُستخلص) يقوم معه بالحصول على هذه التوقيعات في مقابل مبلغ من المال يتقاسمه معه آخرون في مقابل تحمل المسؤولية للحصول على تلك التوقيعات الكثيرة. وبعد كل هذه الإجراءات السريعة التي استغرقت يوماً كاملاً تركه (المُستخلص) ليواجه بنفسه بعض المعروفين (بالمُتمنين) فوقف الشاب الدكتور أمام واحد منهم يرجوه أن يسهل مهمته فإذا به يعقدها ويرفض أن يسلمه الكتب إلا بعد فتح الصناديق. وفي هذه الأثناء جاء لزيارة هذا المثلث صديق له، فأكرم وفادته وطلب له مشروباً مرتباً وظل يتسامر معه مسامرات لا علاقة لها بالعمل، والشاب الدكتور واقف أمام الموظف بضع ساعات يرجوه أن يسهل مهمته فرفض بغضب، وقال له: تعال غداً، فجاءه الدكتور في الغد في الساعة الثامنة صباحاً، فرفض المثلث أن يقوم معه لإنهاء مهمته وعطله إلى نهاية اليوم، وأخيراً نزل وهو غاضب ونظر إلى الكتب بعد أن فتح الصناديق وكتب يطلب إحالتها على الرقابة، فأفهمه بعض الموظفين أنها كتب علمية، ولكن صاحبنا المثلث أصر على إحالتها على رقابة الكتب. ولكن الشاب الدكتور أمكنه أن يتوصل إلى موظف آخر أرشده إليه بعض الناس، فإذا به ينسف هذا الروتين بجرة قلم ويُصرّح بإخراج الكتب. وقد استغرقت هذه الإجراءات ثلاثة أيام تعطل فيها الشاب الدكتور عن العمل وأوقف كل هذا الوقت من أجل تسلم الكتب في رحلة عذاب وإذلال.

في مقابل هذا الذي يجده المواطن في بلده من صروف الإيذاء والتعطيل وضروب الإهانة

والإذلال في سبيل عملية تسلّم كتب علمية، يجد هذا المواطن نفسه تسهيلات في غير بلده، بحيث لا يقف هو أو غيره من مواطني تلك الدولة أكثر من ثلاث دقائق ليصرف حوالة بريدية أو يرسل طرداً إلى الخارج أو يصرف شيكاً، بسبب تبسيط الإجراءات، وإستبعاد التعقيدات في كل أجهزة العمل التي تتصل بمصالح الجمهور.....

إن للروتين قيمته في تنظيم الإجراءات، وإحترام حقوق الناس وتكافؤ الفرص أمام الجميع بغير فارق، ولكن ما نحتاجه بالفعل هو تبسيط إجراءات الروتين، كما أننا نحتاج كذلك إلى مراجعة عامة شاملة لقوانين الدولة، لإسقاط ما لم يعد صالحاً منها للعمل في عصر التقدم والإزدهار، ولإعادة صياغتها لإزالة ما بينها من تعارض وإختلاف وتداخل، بحيث تصير عوناً للمواطن لا قيداً لحركته في عصر الذرّة والفضاء.

## تهانى

فخامة الرئيس المحبوب محمد حسنى مبارك.

بمناسبة مرور عشر سنين على توليكم مقاليد السلطة أرى أن نهني أنفسنا ومصر كلها قبل أن نهنئكم على إنجازاتكم العظيمة في خدمة السلام والتنمية والوحدة الوطنية، ونسأل الله أن يحفظكم متمتعاً بموفور الصحة والتوفيق والعمر الطويل.

الأنبا غريغوريوس

١٩٩١/١٠/١٥ م

أسقف البحث العلمى والثقافة القبطية

## الخدمات الثقافية في الريف والأقاليم (١)

على الرغم مما للعاصمة وللمدن الكبرى من بريق خاطف يجذب إنتباه الكثيرين، خصوصاً ممن لديهم هذا الإستعداد لأن يخطف إنتباههم بريق العاصمة بما لها من جمال أخاذ ومصطنع بنفوذ السلطة الحاكمة وحرص القيادات على تجميل العاصمة بإعتبارها واجهة الوطن، ولأغراض السياحة.

فإن للريف جماله الطبيعي، وهو ذلك الجمال المهمل على سجيته غالباً. ومع ذلك فعند أصحاب الذوق الطبيعي والوجدان الصوفي يبدو أنه أكثر جمالاً من جمال العاصمة على ما فيها من جهد مقصود لتجميلها.

ومن مزايا الريف على العاصمة ذلك الهدوء الجميل الذي يفتقده سكان العاصمة المكودون بصخبها وضجيجها وزعيقها وصراخها ونعيق آلات التنبيه في السيارات والحافلات وما إليها من أصوات عالية أو رتيبة مما يثير أعصاب الناس، فيحملهم على أن يكونوا على الغالب متبرمين ساخطين، ثائرين لا صبر لهم ولا طول أناة ولا إحتمال، أعصابهم مهزوزة متوترة، وصدورهم ضيقة ومهتاجة، وقلوبهم مثقلة ومهمومة، وأذنانهم مرهقة ومشدودة.

ولما كان إنسان العاصمة وخصوصاً في الربع الأخير من القرن العشرين، تتنازعه إهتمامات كثيرة وهموم متنوعة، يواجه في كل يوم قائمة بأمور ينبغي عليه أن ينهض بها، بعضها شخصي وبعضها عائلي، وبعضها يتعلق بعمله المنوط به في خدمة الدولة وعن طريقه يكتسب معاشه ومعاش أسرته، وبعضها يتصل بوضعه الإجتماعي بصفته عضواً في المجتمع أو الوطن، ينتمي إلى هيئة سياسية أو إجتماعية أو ثقافية أو دينية، إلى غير ذلك من نشاطات عامة أو خاصة- كل هذه تفرض عليه واجبات وإلتزامات، وتتنازع وقته، فيأتى المساء وأحياناً المساء المتأخر فيراجع قائمة واجباته اليومية، فيرى أنه لضيق الوقت قد أهمل أكثرها أو بعضها، فيتولاه القلق على مافاته منها فيحزم أمره

---

(١) بتاريخ ٧ من أكتوبر - تشرين ثان لسنة ١٩٨٢م، ونشر بجريدة الجمهورية في عددها الصادر في يوم ٧ من يوليو- تموز لسنة ١٩٩١م، ثم ١٤ من يوليو لسنة ١٩٩١م - ٣٠ من بؤونه لسنة ١٧٠٧ش و٧ من أبيب لسنة ١٧٠٧ش.

على إرجائها إلى اليوم التالي، لكنه عند إشراقة الصبح الجديد يجد أمامه قائمة أخرى من واجبات تفرض نفسها عليه وقد يكون أكثرها أو بعضها على الأقل مرجاً من يوم سابق أو يكون من الأمور التي لا يستطيع لسبب أو لآخر أن يرجئها إلى يوم تال وإلا أصابه ضرر في حاضره أو مستقبله.. فماذا يصنع ، إلا أن يضطر مقهوراً أن يرجىء ما يمكن إرجاؤه إلى يوم آخر، وهو يوم أُرجئت إليه بالفعل أعمال أخرى من يوم أو أيام سابقة.. فيتولاه بعد كل هذا ضيق وإحباط وإحساس عميق بالعجز عن مواجهة مقتضيات الزمن ومتطلبات الحياة الناجحة في المجتمع الكبير.

أما إنسان الريف فهو أقل هماً وأقدر نسبياً على القيام بأكثر واجباته اليومية أهمية، خصوصاً وأن مشكلة المواصلات بالنسبة له أقل ضغطاً مما هي عليه بالنسبة لإنسان العاصمة، فالوقت بالنسبة لإنسان الريف أوسع نسبياً.

فإذا كان إنسان الريف شواغله أقل من إنسان العاصمة والمدن الكبرى، ووقته بالتالي أوسع وأصعبه أهدأ، فهو أقدر على أن يقرأ وأن يستوعب ما يقرأ وأن يستمتع بالخدمات الثقافية التي تقدم له. ومادام الأمر كذلك فهو أولى وأجدر بإهتمام الدولة والمرافق الثقافية ومراكزها منفردة ومجمعة.. وإلى إنسان الريف ينبغي أن تتجه الخدمات الثقافية، فهو أحوج من إنسان المدينة إليها بسبب طول إهماله وقلة نصيبه منها، أو بسبب زيادة الإهتمام بالعاصمة وأهلها، بطبيعة كونها العاصمة وأنها ينبغي أن تستأثر بنصيب الأسد في كل شيء. ففيها دور الصحافة والإذاعة والبرث أو الإرسال التليفزيوني، وفيها كبرى المسارح الراقية والهيئات الثقافية والجمعيات العلمية والندوات والمحاضرات والمناظرات والجامعات وسائر المراكز العلمية والثقافية.

وإذ نقارن اليوم بين نصيب العاصمة وبين نصيب الريف من الخدمات الثقافية فنحن لانضع الفرق بينهما كالفرق بين الكل والعدم، وكالفرق بين النعم واللا.. فنحن لانريد أن نبالغ في تصوير هذا الفارق، خصوصاً بعد إمتداد الحكم المحلى وبعد مشاهدتنا للأمر الملحوظ الذى أحدثته تجربة الحكم المحلى فى بلدنا وأثمرت به ثماراً طيبة، أثبتت شرعيته وصلاحيته وقيمه وأكدت على أهميته وضرورته وفوائده الجلى التى تبرر وجوب إستمراره وأن تمنح لقياداته ومجالسه وهيئاته المزيد من السلطة، والمزيد من حرية الحركة، والمزيد من الإمكانيات والإمكانات حتى يسير فى طريق صاعد وإلى الأمام بغير معوقات، بعد أن

تبيننا أنه من حيث المبدأ يسير في الطريق السليم الذى يكفل مع الزمن التنمية والرفاهية لكل الوطن.

وعلى ذلك ففيما يلي بعض مانراه ممكناً للريف والأقاليم من خدمات ثقافية:

١- أليس جديراً بالريف أن تعمم فيه المكتبات العامة بحيث تمتد إلى كل مدينة وإلى كل قرية وأن تزود هذه المكتبات بجميع ما فى المكتبات الكبرى فى القاهرة من كتب حديثة. أما الكتب التى نفذت طبعتها أو المخطوطات فيمكن تصويرها بآلات التصوير الحديثة، وحفظ نسخة منها على الأقل فى كل مكتبة لكى تكون فى متناول كل قارئ وباحث وراغب فى القراءة دون أن يحتاج للسفر إلى القاهرة للإطلاع عليها، فنوفر له بذلك الوقت والجهد.

والواجب أن يكون لكل مكتبة من هذه المكتبات الريفية أمين مختص وكفاء ومؤهل لهذه المهمة، لىكون مع معاونيه قائداً فى هذا الفن له جدارته وكفاءته لتطوير المكتبة والنهوض بها، وتزويدها بكل ماتحتاج إليه من كتب ومخطوطات وأجهزة وأدوات، ولى عمل على تشجيع القراء وتسهيل أسباب القراءة الممتعة بإستيفاء المكتبة للمكان الهادىء المريح النظيف المكيف الهواء صيفاً وشتاءً، والمضاء إضاءة كافية نهاراً وليلاً، وأن يشيع النظام الحديث فى المكتبة الريفية من حيث تصنيف الكتب والتعريف بمحتوياتها فى دليل موضوعى وافٍ، ودليل آخر بالأسماء، وتمكين الراغبين من إستعارة الكتاب خارج المكتبة إذا كانت بالمكتبة منه أكثر من نسخة على أن يتخذ من الضمانات ما يكفل إعادة الكتاب إلى المكتبة فى الوقت المرسوم. ذلك أن بعض الناس يرغب فى أن يحمل الكتاب إلى بيته حتى يمكنه أن يواصل القراءة فى بيته فى غير الأوقات المحدودة التى تفرضها المكتبة العامة. وهذه خدمة يمكن أن تسدى لمثل هذا القارئ الذى قد لاتسمح له ظروفه الشخصية أو العامة أن يحضر إلى مقر المكتبة فى الأوقات المرسومة المحددة بمواعيد عامة تصلح للبعض دون البعض الأخر.

٢- ينبغى أن تكون هناك فى المدينة والقرية مكتبة شرائية تفى بكل الميول والأذواق للكبار والصغار، وباللغات العربية والأجنبية. فإذا لم يتوافر أن تكون لكل مكتبة كبيرة مثل دار المعارف أو النهضة بالقاهرة فرع لها بكل مدينة وقرية، فلا أقل من أن يخصص

في المكتبة العامة الإستعارية قسم للمبيعات يجب أن يزود بجميع ما تنتجه دور النشر من كتب، وتشجيعاً للراغبين في إقتناء الكتب لأنفسهم، وتكوين مكتبات منزلية خاصة.

٣- إلى جانب الصحف العامة التي تصدر بالقاهرة يمكن تشجيع الصحافة الإقليمية التي تنشر أخبار الإقليم من مدينة وقرية والأنشطة المحلية، وأن تكون مجالاً لتنمية قدرات الناشئين من الكتاب والأدباء وصقل مواهبهم، ثم لكي تنشر هذه الصحف المحلية مقالات وأبحاثاً لها دورها في تنمية الريف وعلاج مشكلاته وإحتياجاته وإقتراح وسائل العلاج والتنمية المناسبة. فلا شك أن أهل الريف هم أقدر على فهم إحتياجاتهم ومعالجة مشاكلهم وإقتراح وسائل العلاج ممن يكتبون في العاصمة عن أمور عامة يعالجون فيها وسائل الوطن بصفة عامة شاملة.

٤- كذلك يلزم الإهتمام بأسباب الثقافة الأخرى ومنها المسارح الراقية التي تعرض بها الروايات ذات الأهداف الثقافية العالية، والسيمفونيات والحفلات الموسيقية الكلاسيكية والحديثة لأنها جميعاً ترفع المستوى الثقافي لأهل المدينة والقرية، والمفروض أنها أيضاً تعالج مشاكل الريف، وتبث القيم الروحية والوطنية وتعمل على ضم الصفوف ونبذ التفرقة وإحترام حقوق الإنسان، وتدعو إلى المحبة بين جميع المواطنين، وتُعَلِّي قيمة الصدق، والأمانة، وإحترام الوالدين، والرابطة الزوجية، والجد في العمل والمحافظة على قواعد الأدب والإحتشام والتعفف، وإحترام المرأة، ومراعاة الصحة والنظافة، والتضامن الأسرى، والتكافل الإجتماعي، ونظافة اليد واللسان والعمل معاً بروح الفريق، ونبذ الكسل والتراخي والتواكل، ومبدأ الأخذ بالتأثر، ومقاومة الإسفاف باللفظ واللسان والشتم والسب، وسائر العادات الرديئة ومنها التدخين وشرب الخمر وسائر المكيفات الضارة بصحة الإنسان..

٥- ترتيب موسم محاضرات ومناظرات وندوات تعالج مشاكل الريف بصفة خاصة وتضيف الجديد إلى معارف إنسان الريف من النواحي العَلْمية والصحية والتربوية والأسرية والإجتماعية فضلاً عن المعلومات العامة اللازمة للإنسان في عصر الفضاء والذرة ومن بينها :

- اللين أو الشدة في تربية الناشئة.



- الحرية أو التشدد في معاملة الشباب.
- التدخين وأثره على صحة الإنسان.
- تحديد النسل أو تنظيمه ووسائله.
- الصحة النفسية والبدنية .
- النظافة من الإيمان.
- القلق وأسبابه ومضاره وعلاجه.
- الدين وأهميته للفرد والمجتمع.
- الزواج من الوجوه الروحية والبيولوجية والسيكولوجية والتربوية والإجتماعية.
- ٦- تشجيع إنشاء الجمعيات لترقية الذوق الفنى، والرياضة البدنية، والموسيقى، وفنون الرسم والتصوير والنحت وغيرها من الهوايات الإنسانية التى يملأ بها الريفى وقت الفراغ بما يفيد ويبنى شخصيته روحياً وأدبياً وفنياً، ويشغل ذهنه بما هو رفيع وسام ونبيل ونافع، ويربى وجدانه وشعوره وإحساسه الإنسانى العام.
- ٧- إحياء الأعياد والإحتفالات والمناسبات الدينية ثم القومية ببرامج ثقافية تبنى الروح والذهن والقلب، للإفادة بما لهذه المناسبات من معانى روحية وأدبية وفنية وإجتماعية لتنمية الفرد والمجتمع.

# تعليق على وثيقة العلماء في وقف التسلح النووي<sup>(١)</sup>

\* ليس هناك جديد يمكن إضافته إلى هذه الوثيقة العلمية.

\* إننا نؤيد كل ما جاء بها.

\* نؤيد الدعوة إلى خطر الأسلحة النووية، وأنها مدمرة لكل البشر، بحيث أنها لو أستخدمت لغرض الدفاع أو للتوسع في النفوذ أو للتهديد فإنها تدمر الجميع، ولن يكون هناك غالب أو مغلوب، لأنها بكل بساطة تمحق وتبيد وتفنى الجميع بغير إستثناء.

نؤيد الدعوة إلى وقف التسلح النووي أو إستخدامه بأى صورة، محافظة على الإنسانية التى تتعرض لإمتحان قاس، يترتب عليه وجودها أو عدم وجودها.

نؤيد الدعوة إلى وقف التسلح النووي الذى يستهدف الحضارة الإنسانية بأسرها. فلو أستخدمت الأسلحة النووية لن تبقى فى الوجود حضارة، وإنما يعود الإنسان، إذا كان له بعد ذلك ثمة وجود، إلى الهمجية بل إلى الجنون المطبق.. وسيفقد الإنسان خصائصه الإنسانية ويتحول الباقي من الناس الذين يتخلفون إلى كائنات أخرى بفضل ما تحدثه الأسلحة النووية من تغييرات بيولوجية فى البنية، وفى الجينات بحيث تفنى خصائصه ويتحول إلى شئ آخر غير الإنسان الحاضر.

نؤيد الدعوة إلى وقف التسلح النووي من أجل الأطفال الذين سوف يضارون ويتأذون ويشقون، وهم لا ذنب لهم، من أجل مطامع الكبار، وإرضاءً لغرورهم ولروح التسلط والسيادة والإستعلاء فيهم.

نؤيد الدعوة إلى نزع السلاح النووي فإن الحرب حتى ولو كانت بالأسلحة التقليدية فإنها ليست شرعة الإنسانية الراقية، وإنما هى شرعة الوحوش الكاسرة.

---

(١) الكلمة ألقيت بالإنجليزية فى مؤتمر(نزع التسلح النووي)الذى انعقد فى فيينا فى قاعة فندق Hotel-Inter- Continental فى نهار الجمعة ١٤ من يناير-كانون ثان لسنة ١٩٨٣م -٦ من طوبه لسنة ١٦٩٩ش.

فإن الإنسان يتميز عن الوحوش والحيوانات العجاوات بالفكر والعقل، ولذلك يجب أن يستخدم العقل.. وبالحجة والتفاهم يمكنه أن يتغلب على غيره. والإقناع يكون بالحجة والبرهان وبالمنطق والتفاهم. أما الاستناد إلى العنف والقوة فهو ليس منهج الإنسان الذي يستحق اسم إنسان.

نؤيد الدعوة إلى وقف التسلح النووي إشفاقاً على مستقبل البشرية.

نؤيد الدعوة إلى وقف التسلح النووي لأن الكسب العارض والتافه الذي يطمع فيه الذين يتسلحون بهذا السلاح من الزعماء وقادة الأمم لا يقاس إلى حجم الخسائر التي تعود على نفس الدولة التي تلجأ إلى هذا الأسلوب، فضلاً عن الخسائر التي تعود على الإنسانية بأسرها.

لقد مضى إلى غير رجعة الزمن الذي كانت فيه الحرب بين دولة وأخرى تنتشب بأمر يصدره الملك أو الرئيس رداً لإهانة وجهت إلى شخصه، أو طمعاً في الحصول على ثروات بلد مجاور أو بعيد، إن الزعيم أو رئيس الدولة في مفهومنا الحديث صار مجرد ممثل لأمتة أو دولته. وعلى ذلك ينبغي أن لا يقدم على حرب إلا إذا كان بهذا القرار ممثلاً للدولة كلها. واليوم لا يوجد أحد من الشعب يقبل فض المنازعات أو الحصول على مغانم بوسيلة الحرب، خصوصاً هذه الحرب النووية التي يشقى بها الشعب الهاديء الساكن بعيداً عن ساحات القتال.

نؤيد الدعوة إلى نزع التسلح النووي لأنه ليس من حق الإنسان أن يقتل أخاه الإنسان. لقد أمر الله في الوصية السادسة قائلاً: «لاتقتل» (الخروج ٢٠:١٣) وقال المسيح له المجد: «قد سمعتم أنه قيل للأولين لاتقتل، ومن قتل يستوجب حكم القضاء. أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه من غير سبب يستوجب حكم القضاء. ومن قال لأخيه رقا، يستوجب حكم المجلس. أما من قال يا أحمق فيستوجب نار جهنم» (متى ٥: ٢١، ٢٢).

إن من يقتل أخاه بسكين أو ما إليه، يعد قاتل نفس، ومصيره جهنم، فكم يكون مصير من بالسلاح النووي لا يقتل فقط، وإنما يشقى ويعذب ويمحق لا إنساناً واحداً، وإنما ألوفاً وملايين من الخلق؟! .

نؤيد الدعوة إلى نزع التسلح النووي لأن الحرب تهدم، أما السلام فيبني. إذا نظرنا إلى

ما صنعه الإنسان بالسلام من خير وبناء وإلى الأبنية والمؤسسات وناطحات السحاب، فإذا نشبت الحرب، ودمرت كل هذا البناء الذي بنته حضارة الإنسان من جمال وفن وعمارة في مئات وألوف السنين، كم يتولانا الحزن والأسف والأسى، بل الغيظ والحنق على البواعث الشريرة التي تتولد عند بعض القادة، فإذا بهم يشعلونها حربا شعواء، تشعل النار والدمار وتقضى على كل شيء..ماذا سيتخلف عن الحرب إلا الخراب والدمار والفناء؟!.

وبعد، فمن يستطيع أن يصحح الأخطاء والكوارث الناجمة عن الحرب؟ فمن الأخطار جرائم لا يمكن تصحيحها أو رتقها أو إصلاحها، لأنه بعد الموت والفناء والدمار، ماذا يبقى من وسيلة لإصلاح ما أفسدته الحرب..لا يستطيع الأطباء مجتمعين ولا العلماء ولا القادة السياسيون والإجتماعيون أن يوقفوا نتائج الحرب أو يردوها إلى الخلف، أو يعيدوا أحوال العالم إلى ماكانت عليه قبل الحرب..

إن ما يمكن عمله يجب أن يكون الآن، وقبل نشوب الحرب، وذلك بمنعها..إنما لو أنها نشبت الحرب فمن هذا الذي في مقدوره أن يبطل نتائجها أو يرد الإنسانية إلى حالتها التي كانت عليها قبل الحرب.

إن على القيادات السياسية والإجتماعية والدينية أن يتكاتفوا جميعا بالدعوة الحارة إلى وقف التسليح النووي، وأن يبصروا الشعوب والأفراد بأخطار الحرب ونتائجها المدمرة والفتاكة على أشخاصهم وعلی أطفالهم وعلى مستقبل البشرية، وأن يثيروهم لمطالبة الرؤساء بأن يستبعدوا تماما اللجوء إلى الحرب وأن يوقفوا التسليح، ولاسيما الأسلحة النووية، وأن يصرخوا في وجوههم بأن يوقفوها.

والله ولي التوفيق.

# بيان القيادات الدينية الصادر في فيينا عاصمة النمسا في ١٥ من يناير لسنة ١٩٨٣

في سبتمبر ١٩٨٢ كان رؤساء أو نواب ست وثلاثين أكاديمية علمية عالمية من مختلف بلاد العالم قد اجتمعوا في روما بدعوة من الأكاديمية البابوية، وأصدروا وثيقة بعنوان «بيان عن منع الحرب النووية» حدثونا فيه عن النتائج المأسوية للحرب النووية على الإنسانية، ونبهونا إلي أنه ليس هناك وسيلة ناجعة لمقاومة خطر الأسلحة المودعة في خزائن القوة النووية، وقد أبانوا أن العالم متجه إلى الإعتقاد أنه لا مفر من الصراع النووي. وقالوا أن هذا الموضوع لا يعالج بالعقل وحده، وليست المشكلة مجرد مشكلة بالتحليل الواقعي، لكنها تتطلب فحصاً من وجهة النظر الدينية ثم من وجهة القيم الأخلاقية.

ونحن بوصفنا أشخاصاً نمثل تقاليد دينية مختلفة، قد اقتنعنا بالبيان الذي أصدره هؤلاء العلماء البارزون. ونؤكد بالإجماع أن الإنسانية لأول مرة في تاريخها، تقدر على أن تدمر ذاتها، ونؤمن أنه ليس هناك سبب أخلاقي يبرر الموت والدمار بهذا الحريق النووي، ونعتقد أن الحرب النووية لن تكون من صالح أي فريق. وكمؤمنين فإن واجبنا الأول أن نُسبِّح خالقنا وأن نحترم الحياة التي وهبنا إياها. والحق، أن الرغبة في السلام عميقة في صدور الناس جميعاً. إن السلام هو عطية من الخالق، لكنه أيضاً من صنعنا نحن. والسلام الحقيقي لا يمكن أن يقوم على الدمار لكل من الجانبين، فإن الرعب النووي المتوازن يسخر من رسالة الحب التي تدعو إليها جميع الأديان. إنما السلام الدائم هو الذي يبني على العدل الشامل، والإحترام لكرامة كل إنسان، وهدى العقل والقلب بإزاء الحرب والسلام، وأخيراً على دعوة الخالق إلى المصالحة بين الشعوب المتنافرة.

ونحن نضيف إلى بيان العلماء بياننا نحن القائم على إقتناعنا الأخلاقي والديني. إنه يجب أن نبدأ الآن بخفض عدد الأسلحة النووية المخترنة والممنتشرة. ويجب أن نوقف سباق التسلح الذي ينتج أكثر من أي وقت آخر أدوات معقدة للإبادة بنفقات باهظة. ويستغل الثروات التي كان يمكن أن تستخدم لإطعام وكساء، وإسكان وعلاج ملايين من الناس ممن هم في عوز شديد إلى ذلك. نعم يجب أن نضع حداً لتكاثر الأسلحة النووية. ويجب أن نرفض استخدام القوة المدمرة كوسيلة لإنهاء النزاعات بين الدول، الأمر الذي لا يمكننا أن نقدر

نتائج. ونحن نعتقد أنه يجب على الأمم أن لاتهدد بالفناء وجود خصومها ورفاهيتهم، بل يلزم أن تدخل في حوار وجهود مشتركة متعاونة لتحسين الأوضاع الإجتماعية والحضارية لجميع الأمم في كل العالم. ويجب أن نؤكد باستمرار على الهدف النهائي وهو استبعاد الأسلحة النووية استبعاداً تاماً، متذكرين أن مايمكن للبشر أن يصنعوه يمكنهم أيضاً أن لا يصنعوه. إن الإيمان بالقدرية.ينبغي أن يدع للرجاء طريقاً.

إن ما يفرضه علينا الإيمان هنا في فيينا يجب أن يتدعم بالرجاء في أنه من الممكن أن نبني عالماً يعكس محبة الخالق ويحترم الحياة التي منحها الله للإنسان، وهى الحياة التي لاشك أنها لاتستهدف أن تدمر ذاتها. إن الإنسانية اليوم في أخرج فترة من تاريخها، وذلك بسبب تدهور الجو السياسى الدولى، والخطر الكبير الناجم عن التقدم فى التكنولوجيا العسكرية. إننا نؤيد العلماء فى دعوتهم إلى عمل سريع لإنجاز إتفاقيات عملية لنزع السلاح بما يؤدى إلى إبعاد الأسلحة النووية، وليس هناك شىء أهم من مستقبل الإنسانية بما تنطوى عليه من حضارات غنية ومتنوعة وتقاليد دينية.

## رأى الكنيسة ودورها فى سبيل منع الحرب النووية<sup>(١)</sup>

حديث أجراه :

نبيل نجيب سلامة

\* مليون دولار ينفقها العالم كل دقيقة من أجل تطوير التسليح النووى..بينما المئات من البشر فى مختلف أنحاء العالم يموتون جوعاً كل دقيقة!!.

\* ٥٠,٠٠٠ سلاح نووى حديث تمتلكها اليوم العديد من الدول العظمى..بعضها أقوى ١٠٠٠ مرة من القنبلة الذرية التى دمرت هورشيما!!.

\* العلماء يجتمعون..يطالبون بوقف الحرب النووية..الرؤساء فى مختلف أنحاء العالم..يبحثون ويطالبون بالحد من إستخدام الأسلحة النووية..العالم كله ينظر اليوم بشىء من الخوف والقلق إلى المستقبل فى ظل جو يسوده التطور الهائل فى إستخدام الأسلحة النووية..أسئلة وأسئلة كثيرة تبحث عن جواب!!.

(١)نشر بجريدة (لميساجى) فى عددها الصادر يوم الأحد ١٩ ديسمبر - كانون أول لسنة ١٩٨٢م.



لكن السؤال الذى نطرحه اليوم للمناقشة هو: رأى الكنيسة ودورها فى سبيل منع الحرب النووية.

\*\* الزمان : ١٣ إلى ١٥ يناير ١٩٨٣.

\*\* المكان : العاصمة النمساوية..فيينا.

\*\* المناسبة : دعوة وجهها الكاردينال النمساوى فرانز كوينج والقس تيودور هسورو رئيس جامعة نوتردام الأمريكية لـ ٣٠ شخصاً يمثلون بعض القيادات الدينية فى مختلف أنحاء العالم..لدراسة «وثيقة العلماء الخاصة بوقف التسليح النووى» الصادرة فى سبتمبر ١٩٨٢.

واليوم يسعد جريدة «لميساجى» أن تلتقى بنيافة الأنبا غريغوريوس عضو اللجنة البابوية وأسقف عام الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، والذى مثل مصر فى هذه الندوة. حيث كان لنا هذا اللقاء الذى أجاب فيه عن سؤال اليوم..والذى نطرحه للمناقشة!!

\* سألت نيافة الأنبا غريغوريوس عن «وثيقة العلماء الخاصة بوقف التسليح النووى» فقال:

فى سبتمبر الماضى اجتمع فى روما رؤساء ونواب رؤساء ست وثلاثين أكاديمية علمية عالمية فى مختلف بلدان العالم، اجتمعوا بدعوة من الأكاديمية البابوية.. لدراسة سبل منع الحرب النووية.. فى نهاية إجتماعهم أصدروا وثيقة بعنوان «بيان عن منع الحرب النووية»، تحدثوا فيه عن النتائج المأسوية للحرب النووية على الإنسانية، ونبهوا فيه إلى أنه ليس هناك وسيلة ناجحة لمقاومة خطر الأسلحة المودعة فى خزائن القوى النووية!!

وقد أوضحوا أن هذا الموضوع لايعالج بالعقل وحده، وليست المشكلة مجرد مشكلة تحل بالتحليل الواقعى فقط..لكنها تتطلب فحصا من وجهة النظر الدينية من ناحية، ووجهة القيم الأخلاقية من ناحية أخرى.

وبناء على هذا البيان، وما جاء فيه، كانت تلك الدعوة التى وجهها الكاردينال كوينج رئيس أساقفة فيينا وكل النمسا إلى العديد من القيادات الدينية والذين يمثلون أديان العالم المختلفة، بالإضافة إلى عدد من العلماء الذين شاركوا فى إعداد وثيقة سبتمبر، إلى

الاجتماع في فيينا خلال الفترة من ١٣-١٥ يناير ١٩٨٣ وذلك لمناقشة سبل منع الحرب النووية.

\* وعن رأى الكنيسة..ودورها في سبيل منع الحرب النووية!! أجاب نيافة الأنا غريغوريوس قائلاً: ليس هناك جديد يمكن إضافته إلى ماجاء بوثيقة سبتمبر العلمية، وإننا ككنيسة نؤيد كل ماجاء فيها..نؤيد الدعوة إلى خطر الأسلحة النووية، وأنها مدمرة لكل البشر، بحيث أنها لو أستخدمت لغرض الدفاع أو التوسع في النفوذ أو لمجرد التهديد، فإنها بلا شك ستدمر الجميع، ولن يكون هناك غالب أو مغلوب. أيضا فإننا نؤيد الدعوة إلى وقف التسلح النووى أو إستخدامه بأى صورة، محافظة على الإنسانية التى تتعرض لإمتحان قاس، يترتب عليه وجودها أو عدم وجودها.

كما أننا نؤيد الدعوة إلى وقف التسلح النووى الذى يستهدف الحضارة الإنسانية، فإستخدام الأسلحة النووية يؤدى إلى دمار الحضارة البشرية، كما أنه يؤدى إلى أن تفقد الإنسانية العديد من خصائصها..ويتحول كل من تبقى على الأرض إلى كائنات أخرى. فمن المعلوم أن الإشعاعات الذرية تؤدى إلى حدوث تغيرات بيولوجية في البيئة، كذلك تؤدى إلى تغير كبير في الجينات بحيث تفنى العديد من خصائصها ويتحول الإنسان إلى كائن آخر.

كما نؤيد الدعوة إلى وقف التسلح النووى من أجل الأطفال الذين سيضارون ويشقون بدون ذنب ارتكوبه، لكن من أجل مطامع الكبار وإرضاء لغرورهم.

نؤيد الدعوة إلى نزع التسلح النووى لأنه ليس من حق الإنسان أن يقتل أخاه الإنسان.. فلقد أمر الله في الوصية السادسة قائلاً: «لاتقتل» (الخروج ٢٠:١٣) كما قال السيد المسيح له المجد: قد سمعتم أنه قيل للأولين لاتقتل، ومن قتل يستوجب حكم القضاء، أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه من غير سبب يستوجب حكم القضاء..ومن قال لأخيه رقا، يستوجب حكم المجلس، أما من قال يا أحمق فيستوجب نار جهنم» (متى ٢١:٥-٢٢).

إن من يقتل أخاه بسكين أو ماشبه ذلك، يعد قاتل نفس، ومصيره جهنم، فكم يكون مصير من بالسلاح النووى لايقتل فقط، وإنما يُشقى ويعذب لا إنساناً واحداً، إنما ألوفاً وملايين من البشر!!؟

أنا نؤيد الدعوة إلى نزع التسليح النووي لأن الحرب تهدم، أما السلام فيبنى. إننا لو نظرنا إلى مايصنعه الإنسان بالسلام من خير وبناء وإلى أبنية متعددة الاستخدامات.. مؤسسات...ناطحات سحاب..ثم ننظر إلى الحرب وهى تدمر البناء الرائع الذى بنته حضارة الإنسان، ومافيه من جمال وفن وعمارة..هى خلاصة حضارة ممتدة من مئات بل وآلاف السنين.. كم يتولانا الحزن والأسى والأسف.. بل الغيظ من تلك البواعث الشريرة التى تتولد عند بعض القادة، فإذا بهم يشعلونها حرباً شعواء تشعل النار والدمار وتقضى على كل شىء صنعه الله.

إننا ندعو القيادات السياسية والإجتماعية والدينية لأن يتكاتفوا جميعا من أجل الدعوة الحارة إلى وقف التسليح النووي، وأن يُبصروا الشعوب والأفراد بأخطار الحرب ونتائجها المدمرة والفتاكة بأشخاصهم وأطفالهم ومستقبل البشرية جمعاء.

### \* وعن نتائج ندوة فيينا قال نيافته :

لقد أجمع الحاضرون بعد مناقشات ودراسات طويلة بين رجال الدين والعلماء، على تأييدنا المطلق لبيان العلماء الذى صدر فى سبتمبر، وأكدنا بالإجماع على أن الإنسانية لأول مرة فى تاريخها تقدر على أن تدمر ذاتها، وإننا نؤمن بأنه ليس هناك أى سبب أخلاقى يبرر الموت والدمار بهذا الحريق النووي.

ونحن كمؤمنين فإنّ واجبنا الأول أن نُسبِّح خالقنا وأن نحترم الحياة التى وهبنا الله إياها. والحق أن الرغبة فى السلام عميقة فى صدور الناس جميعا، فالسلام هو عطية من الخالق لكنه أيضا من صنعنا نحن.

ونحن نضيف إلى بيان العلماء بياننا نحن القائم على إقتناعنا الأخلاقى والدينى.. أنه يجب أن نبدأ الآن بخفض عدد من الأسلحة النووية المخترنة والمنتشرة. ويجب أن نوقف سباق التسليح الذى ينتج الآن أكثر من أى وقت سابق أدوات معقدة للإبادة البشرية بنفقات باهظة. ويستغل الثروات التى كان يمكن أن تستخدم لإطعام وكساء وإسكان وعلاج ملايين من الناس ممن هم فى عوز شديد إلى ذلك.

## فكرة لمصر

### (١) الشائعات والإشاعات

هل يدرك الذين يطلقون الشائعات والإشاعات أو الذين يصدقونها أو الذين يروجونها وينشرونها أنهم يخطئون ضد الحق أولاً، والحق هو الله، كما أنهم يخطئون ضد الحقيقة ذاتها لأنهم لا يلتزمون بها. وهذا إنحراف أخلاقي ضد الضمير؟.

وهل يعلم الذين يطلقون الشائعات والذين يصدقونها والذين يروجونها وينشرونها أنهم يظلمون غيرهم من الناس؟ فالشائعات تظلم الأبرياء، والظلم خطيئة وخطأ، وفعل حرام وهو جريمة قتل أدبي وربما تؤدي أيضاً إلى قتل جسداني ومادى!.

هل يعلم الذين يطلقون الشائعات والذين يصدقونها والذين يروجونها وينشرونها أنهم بالشائعات يظلمون أيضاً الذين يسمعونهم ويصدقونهم لأنهم يفسدون أذهانهم بالكذب، ويحملونهم على أن يسيئوا الظن بالغير، ويوغرون صدورهم ضد هذا الغير، وبهذا يدعونهم إلى الإثم والظلم والشر فيظلمون أنفسهم بعد أن يكونوا قد ظلموا الأغيار؟.

هل يعلم الذين يطلقون الشائعات والذين يصدقونها والذين يروجونها وينشرونها أنهم بذلك يفسدون ضمير الأمة والشعوب والمجتمع، لأن الشائعات مثلها مثل ميكروبات الأمراض يحملها الرذاذ فلا تلبث أن تنفذ إلى أنوف الناس وحلوقهم وقلوبهم وأكبادهم وعقولهم، فتنتشر بذلك الشائعات كما تنتشر الأمراض بالعدوى، فإذا الذين سقطوا بالشائعات كالذين يسقطون مرضى بالأوبئة، تبدأ بواحد أو بعدد محدود لايزيد عن أصابع اليد الواحدة، فلا يلبث أن يغطي مساحة كبيرة من الناس يُعدّون أولاً بالعشرات، ثم بالمئات، ثم بعد ذلك بالألوف، وأخيراً بالملايين، وبذلك تدمر الإشاعات والشائعات أعداداً غفيرة في المجتمع الواحد وبعده في المجتمع الإنساني على الصعيد العالمي؟.

هل يعلم الذين يطلقون الإشاعات والشائعات والذين يصدقونها والذين يروجونها

(١) نشر بجريدة (الأخبار) في عددها الصادر بتاريخ ٥ من مارس - آذار لسنة ١٩٨٦م - ٢٥ من أُمشير لسنة

وينشرونها أنهم يظلمون أنفسهم، ويظلمون غيرهم، ويظلمون بلادهم وأوطانهم، ويظلمون المجتمع الإنساني برمته؟.

هل يعلم كل أولئك بأنهم يرتكبون بذلك كبيرة ضارة، في حق الله أولاً، وفي حق أنفسهم، وفي حق الأغيار، وفي حق الكون بأسره؟.

أما الذى يتحرى الحقيقة أولاً، ولا ينساق وراء الشائعات والإشاعات فإنه يأبى على نفسه أن يكون واسطة جيدة لنقل الأمراض للناس أفراداً وجماعات، ويحصن ذاته ضد سموم الإشاعات والشائعات، ويحقق فكره وقلبه بمصل واق يقيه ويقى غيره ويقى جميع الناس في بلده وفي المجتمع البشرى كله من شرور الشائعات والإشاعات بما تنطوى عليه من شرور الكذب، والمبالغات، والظنون الرديئة، والأحكام المتبصرة الظالمة، وماتودى إليه من جرائم القتل الأدبى والنفسى والمادى.

لقد أراد أحد المعلمين أن يلقي درساً على أولاده في شرور الشائعات والإشاعات فقال: سأبين لكم ذلك بوسيلة إيضاح سهلة. فأخذ واحداً منهم على إنفراد وروى له قصة صغيرة، واقعة- وبعد أن رواها له على حدة طلب إليه أن يكتبها بقلمه على ورقة، ففعل التلميذ ذلك: كتب القصة بعد أن سمعها من المعلم وفهمها. وأخذ المعلم الورقة ورقمها برقم (١) واحتفظ بها- ثم أمر تلميذه أن يأخذ زميلاً له في الفرقة الدراسية، ويروى له على إنفراد ذات القصة التى سمعها من معلمه وبعد أن سمع التلميذ الثانى القصة طلب إليه المعلم أن يكتب القصة على ورقة، وبعد أن كتبها التلميذ تسلّم منه المعلم الورقة بعد أن رقمها برقم ٢- وبعد ذلك أمر المعلم تلميذه الثانى أن يأخذ رفيقاً له على حدة ويروى له فيما بينهما ذات القصة التى كتبها بقلمه، وبعد أن سمعها ووعاها كتبها التلميذ الثالث- وهكذا فعل التلميذ الثالث مع زميل له رابع، والرابع مع تلميذ خامس والخامس مع زميل له سادس إلى آخر تلميذ في الفرقة الدراسية.

عندئذ جمع المعلم جميع الأوراق بعد أن رَقَّمَ كل ورقة منها برقم متتابع- وهنا قال المعلم لجميع تلاميذه: لاجابة لى أن أقرأ عليكم جميع الأوراق لتدركوا الفرق بين ورقة وأخرى. إنما يكفينى للتدليل على الحقيقة العلمىة الأخلاقىة التى أريدكم أن تعرفوها، أن

أقرأ عليكم الورقة الأولى ثم الورقة الأخيرة. ولقد نهل التلاميذ عندما تبينوا من هذه المقابلة والمقارنة بين الورقتين الأولى والأخيرة، أن الخلاف بين الروائيتين بلغ سبعين في المائة!.

قال المعلم: إذا كان الخلاف بين الروائيتين الأولى والأخيرة في قصة- والقصة لها حيكتهما أكثر من أي كلام آخر مرسل- قد بلغ سبعين من المائة، ونحن لم نخرج بعد إلى الشارع، فكم يبلغ هذا الفارق، بعد أن تخرجوا إلى الناس في البيوت والأسواق والشوارع؟- وكم يبلغ هذا الفارق بعد مضي يوم ثم يومين ثم ثلاثة أيام؟ قصدت بهذا أن أعطيكم درساً في الشائعات والإشاعات وأنها تفسد الحقيقة، وتظلم الحقيقة كما تظلم الناس!.

إننا من أجل مصر وخيرها وخير جميع المواطنين ندعو الناس إلى أن يتبينوا بالبحث والتقصي وجه الحقيقة، ولا ينساقون وراء الشائعات والإشاعات ولا يصدقونها ولا يروجونها ولا ينشرونها وإنما يقاومون عدوى إنتشارها بالدعوة إلى تحرى الحقيقة، عبادة الله وتقوى، ومحبة للقريب، وخدمة للخير العام، والصالح العام.

## برقية

فخامة الرئيس المحبوب محمد حسنى مبارك.

(رئيس الجمهورية)

شكراً وشكراً وشكراً على خطابكم الأكثر من رائع في الإجتماع المشترك لمجلسي الشعب والشورى. إنه خطاب جامع شامل للأمال التي تحقق بعضها، ولخطة الإصلاح المنشودة في السنوات القادمة. إنه خطاب من القلب والعقل وقد حوى كل القيم الروحية والإجتماعية نحو السلام والتنمية والإستقرار والطموحات الشامخة والوحدة الوطنية، أطال الله حياتكم وسدد بالتوفيق خطاكم.

الأنبا غريغوريوس

١٩٩١/١١/١٤م

أسقف البحث العلمى والثقافة القبطية

١٧٠٨/٣/٤ش.



## الأصالة والمعاصرة<sup>(١)</sup>

الموضوع يجمع بين كلمتين، كل منهما كلمة ثمينة وغالية، ولها في القلب والعقل والشعور، ثقلها، ولها في العين جمالها، وفي الأذن وقعها الموسيقى ورنينها الحلو..

الأصالة ومعها التراث، أو فيها التراث، هي الماضى بكل ما يحمل من تراث يعتز به الإنسان، وهو حصيلة القيم الدينية والإجتماعية والخبرات الطويلة المتوارثة عبر الأجيال، وصلت للأبناء عن الآباء، وللأحفاد عن الأجداد، وللخلف عن السلف وهي مهما قيل في نقدها من وجهة نظر المحدثين، وإتهامهم إياها بعدم صلاحية إستمرارها لأجيالنا المعاصرة، فيها كنوز ثمينة يكون من حماقة أن نرفضها كلها أو نركلها بأقدامنا كما لو أنها تحولت مع الزمن إلى أنية صدئت ثم تلفت..

كلا، يجب أن نعترف بما لهذا التراث من قيمة ليس للماضى فقط بل للحاضر والمستقبل. والحق أننا مهما زعمنا بأننا نحن أبناء القرن العشرين، أو بالأحرى أبناء الربع الأخير من القرن العشرين، قد قفزنا في سلم الحضارة والمدنية، ورسما في حاضرنا صورة بعيدة وشديدة البعد عن الصورة القديمة التي رسمتها الأجيال الغابرة، فإنه يلزمنا أن نعترف أن الفرق بين المحدثين والقدماء هو في النتائج لا في الأصول. فمن منا يمكنه أن يزعم بجد أننا نحن المحدثين أفضل أو أذكى أو أرجح عقلاً أو أقدر جهداً أو أكثر صبراً وعملاً وكفاحاً من القدامى. حقا لم تكن لهم الإمكانيات والإمكانات التي توافرت لدينا اليوم، ولم تكن الإنسانية قد وصلت إلى النتائج التي ترامت إلينا اليوم، ولم يكن لديهم من الكتب والإنتاج العلمى والثقافى الذى تذخر به مكتباتنا الحديثة ومراكز العلم التي توافرت لنا اليوم. ومع ذلك كان لعلماء الأمس من العمق والجهد والنظر العقلى والتأمل البصير، والحكمة، والفهم، ما لا يقل عما لعلماء اليوم إن لم يزد. فإن لم تكن لهم الإمكانيات والإمكانيات والأدوات والآلات، لكن كان لديهم العزم والهمة والإهتمام، كما لم يكن لديهم من الشواغل التي تشغل وقت علماء اليوم، وهي التي تزايدت بتعقد الحياة العصرية، فكان وقتهم للبحث والإنتاج أوسع من وقت علماء اليوم، وبعبارة أخرى يمكن أن يقال

(١) نشرت بجريدة (وطنى) في عددها الصادر صباح الأحد الموافق ٢٨ من أكتوبر - تشرين أول لسنة ١٩٩٠م - ١٨ من بابه لسنة ١٧٠٧ش.

إن الفرق بين علماء اليوم وعلماء الأمس هو فرق في النتائج التي وصلت إلينا أو توصلنا إليها، لكنه ليس فرقاً في العقل والذهن والذكاء والجهد والكفاح.

وعلى ذلك، يجب على الرغم مما وصلنا إليه في الوقت الحاضر من أسباب الحضارة والمدنية، أن ننظر بإحترام وتقدير للتراث الذي خلفه لنا الماضي، ومع ذلك نتعامل معه على أنه تراث حي، وحياته متجددة، لأنه في كل يوم يضاف إليه جديد. فليس هذا التراث قد تحجر أو تقوقع على القديم البالي، لكنه بمثابة كائن حي، يتغذى بالجديد ويتنفس بالحياة وينمو ثم يتكاثر، شأنه شأن الجسم الحي، تتلف بعض خلاياه فتسقط، وتتغير بخلايا أخرى. ومع أنه يمكن أن يقال إن جميع الخلايا تتغير تغيراً تاماً متتابعاً في مدى سبعة أعوام، لكن على الرغم من التغير والتجدد فالشخصية الإنسانية باقية كما هي، وثابتة بل وخالدة، والتغير فيها هو فرصتها الثمينة لتقبل الجديد حتى تتمثله للبناء والتقدم والإزدهار. والدليل على ذلك أن ذهن الإنسان على الرغم من التغير يذكر جيداً كل حدث وكل خبرة وكل علم وكل معرفة إنطبعت عليه، فيزداد بها ثراءً وغنى، بما يبني الشخصية الإنسانية في طريق صاعد وإلى الأمام. ومن هنا فإن الإنسان ليس كالحوانات العجماوات. فالحيوان الأعجم كلما تقدم في السن ضعف جسمه وبالتالي قل نفعه، ورخص ثمنه. أما الإنسان فكلما تقدمت به السن ضعف بدنه ولكنه يزداد مع الأيام حكمة وخبرة، وتعلو بالتالي قيمته ويصير الشيخ مثله مثل عمارة عالية شامخة بنيت على أساس ثم وضع فوق الأساس مدماكاً فوق مدماك حتى أصبحت العمارة سامقة وهكذا.

الإنسان كلما تقدمت به السن إزداد حكمة وخبرة بحيث يمكنه في بعض مراحل عمره أن يقدم خبرته وعلمه إلى الشباب الناشئ، فينتفعوا بخبرته بما يغنيهم عن أن يبدأوا الرحلة من أولها، وإنما يمكنهم بالتعلم والتلمذة والتقبل أن يبدأوا من حيث إنتهى الكبار، فتتقدم بهم الإنسانية خطوات وخطوات. وبهذا يكون الماضي قد خدم الحاضر والمستقبل، والماضي قد قدم للحاضر والمستقبل حجراً أو أحجاراً يستند إليها ويقوم عليها، فيعلو على الماضي عزة وشموخاً، ولكنه فيما يعلو لا يغير بإرتفاعه، إذ هو مستند إلى أساس وهو العتب الذي يقوم عليه الدرج الذي عرج عليه الذين صعدوا من المحدثين، فبلغوا ما بلغوا من العلو والتقدم والإزدهار.

وإذن وجب على جيلنا نحن أبناء العصر أن نحترم التراث الذي وصل إلينا عبر الأجيال.

وحتى لو كانت لنا نظرة مغايرة إلى مضمون التراث وتفصيلاته على ضوء العلم الحديث، مع ذلك يجب أن لا نتنكر لهذا التراث.

ونحن في الشرق لنا تراث ضخم، أكبر مما لأهل الغرب من تراث. ليس فقط لأن الشرق منبع الأديان، وإنما أيضا هو منبع الحضارات. والعلماء من أهل الغرب يرددون اليوم هذه المقولات ويشيدون بحضارة الشرق ويُعلمون أبناءهم في المدارس والجامعات أنهم مدينون للشرق بالكثير، والكثير جدا، خصوصا بالأصول الحضارية، التي أخذوها عن الشرق. وفي تاريخ الفلسفة إذا وجد مؤرخو الفلسفة في إحدى الفلسفات عناصر روحية يقررون أنها مسروقة أو مأخوذة من الشرق. وهذا ينسحب على الفلسفة اليونانية بعامة كما ينسحب على الفلسفة الحديثة.

وهكذا قل عن الحكمة القديمة هي أيضا أصولها شرقية سواء في بلاد الشرق الأوسط، ومنها على الخصوص مصر وسوريا والعراق وإيران وفلسطين، أو بلاد الشرق الأقصى، ومنها على الخصوص الهند والصين.. وإلى اليوم نجد علماء الغرب وأدباء الغرب يتتلمذون على الحكمة القديمة، ويشيدون بها، وينقلون عنها لشعوبهم ويترجمون عنها إلى اللغات الحديثة.

ولذلك وجدنا من الغربيين مستشرقين جذبتهم وأثارتهم علوم الشرق وحضارة الشرق القديم، ومنهم من وهبها حياته.. ومنهم من ترك تخصصه العلمي والفني وانجذب نحو علوم الشرق ومن شدة ولعه بها أطلق لحيته وشاربه على الطريقة الشرقية تعبيراً عن حبه للشرق وشغفه بالحضارة الشرقية.

ورأينا بعض الغربيين يسعى إلى الشرق، ويرحل إليه في سياحة علمية أو روحية بترده على الشرق مرات ومرات، وبعضهم ممن تسمح له ظروفه هاجر إلى الشرق هجرة كاملة أو هجرة جزئية لأنه أحب الشرق وعشقه، وصار يدافع عن الشرق بحماسة كبيرة أكثر من حماسة الشرقيين للشرق.

وبعضهم تحمل في سبيل الدراسات والعلوم الشرقية ما تحمله الأنبياء في سبيل دعوتهم، فنال من التحقير والإزدراء والإستهجان من مواطنيهم ما ناله الأنبياء، فضلا عن أنه لم يجد من الجامعات الغربية في مبدأ الأمر أو من الحكومات ما يشجعه على دراساته في

الشرقيات، فكان ينفق على شراء المخطوطات الشرقية والعلوم الشرقية من دخله الخاص. وفي سبيل رسالته التي لم يفهمها أهل بلده عاش فقيراً.. وقنع بملابس بالية في حياة قاسية شبيهة بحياة الرهبان حتى نعتهم بعض علمائنا الشرقيين بالزهد في سبيل العلم، وقالوا عنهم: إنهم رهبان العلم.

فالدراسات المصرية القديمة اهتم بها الغربيون قبل أن يتنبه لأهميتها المصريون المحدثون. أما المصريون فغلب عليهم الإعتقاد أن هذه الحضارة المصرية القديمة وثنية، ولذلك يجب أن تُستبعد وأن تُطمس معالمها، ولم يتنبه لها المحدثون من المصريين إلا بعد أن سبقهم إليها الألمان والإنجليز والفرنسيون، والطيان والروس، والأمريكان، وغيرهم من علماء الغرب - وصار المولعون بالدراسات المصرية القديمة من المصريين، يذهبون لدراساتها في بلاد الغرب ويدرسونها على علماء الغرب.

وهكذا صنع الغربيون بالدراسات الشرقية الأخرى، وما خلفه الأدب السرياني القديم، والأدب العربي، والأدب الفارسي وغير ذلك من الدراسات الشرقية.

وهكذا صنع أهل الغرب في دراسة العلوم الروحية والحكمة القديمة في الهند والصين وغيرهما من شعوب الشرق الأقصى التي كُتبت بهما أصلاً تلك العلوم وتلك الحكمة.

\* \* \*

### لماذا إذن نتردد بين الأصالة والمعاصرة؟

إن لنا تراثاً في الشرق مجيداً. وهذا التراث المجيد يجب أن نعتز به وأن نحبيه، وفي سبيل إحيائه لا نتردد عن أخذه من علماء الغرب إذا لم يكن ميسوراً لنا أن نأخذه من ينابيعه الأصيلة بسبب جهلنا باللغات القديمة التي كتب بها. ونحن لا ننسى في هذا ما كتب على مدى التاريخ في اللغة العربية القديمة والأصيلة، حتى بات علماء الغرب أكثر علماً بعلوم الشرق وحكمة الشرق، وأدب الشرق من أهل الشرق أنفسهم. وصار أهل الشرق يدرسون فلسفة اليوجا في اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية بدلا من أن يدرسوها بالسانسكريتية وما إليها من اللغات الهندية التي كتبت بها أصلاً.

هكذا تبين أن الغرب تتلمذ على الشرق، وقدم للشرقيين علومهم وحكمتهم بلغة الغرب التي صار الشرقيون يفهمونها أكثر مما يفهمون اللغات الشرقية الأصلية.

وهنا يجيء دور الترجمة، وأهميتها في حياتنا المعاصرة. إننا نحن أبناء الشرق العربي صرنا في إفتقار شديد إلى معرفة تراثنا الشرقي وخصوصا التراث القديم الذي كتب أصلاً بلغات قديمة أو لهجات أو خطوط قديمة غير مستخدمة الآن، وصار أيسر علينا أن نقرأها بالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية من اللغات الحديثة، لأن علماء الغرب نقلوها إلى لغاتهم، فإذا قرأناها نحن باللغات الأجنبية الحديثة، فهذا الإنفتاح على الغرب، يفيدنا لأننا نجد فيه بضاعتنا القديمة وقد ردت إلينا. ولكي نفيد نحن منها وتفيد منها شعوبنا الشرقية بعامة والعربية بخاصة، صارت تلزمنا حركة ترجمة واسعة من كتب الغرب إلى لغتنا العربية، وهذا فيه إثراء لأدبنا العربي، سواء بنقل النصوص ذاتها المدون بها تراثنا الشرقي والعربي، أو التعليق عليها ومناقشتها ونقدها ودراستها من جانب المستشرقين من أهل الغرب.

\* \* \*

إذا كان ذلك فلم يعد صحيحاً ما كان يقال قديماً: إن الشرق شرق، والغرب غرب ولا يلتقيان..

فالواقع اليوم أن الشرق والغرب صارا يلتقيان على صعيد العلم والمعرفة والثقافة، فإن الغرب أخذ من الشرق الكثير ومازال يأخذ، وعلماء الغرب يعترفون بغنى الشرق في التراث الديني والروحي والحضارى.

حقاً إن الغرب تقدم كثيراً في أسباب المدنية، وحقق للبشرية خيراً كبيراً بالإكتشافات للنظريات العلمية والقوانين الكونية، وبنى على تلك النظريات والقوانين أدوات وآلات وأجهزة في كافة الميادين، في الهندسة، والطب، والفلك، وعلوم الفضاء، فضلاً عن الطبيعيات والكيميائيات ثم الألكترونيات.. وصار الإنسان المعاصر يتمتع بإمتميازات وقدرات سهلت عليه الحياة، وأزالت من طريقه العقبات، فتغلب على الصعوبات والمعوقات التي كانت تعوق حركته في الماضى، فأخضع الحيوان والنبات والطبيعة أيضاً لسيادته، وصار في مقدوره أن يقطع المسافات البعيدة براً أو بحراً أو جواً في ساعات بعد أن كان في الماضى يبقى قعيداً في بلده لا يكاد أن يفارقها. وإن قصد المفارقة إلى بلد قريب قضى في السفر شهوراً أو أياماً.. وصار في إمكانه أن يضغط على زر فيصعد إلى علو شاهق بمصعد كهربائى، أو ينزل الدرج الكهربائى دون أن يستخدم قدميه في النزول - وصار في قدرته

أن يضغط على زر أو أزرار فتقدم له الآلة وجبة شهية كاملة أو تقدم له شراباً بارداً أو ساخناً كما يشاء.

هذه الكشوف العلمية والمخترعات الحديثة والأجهزة الحاسبة أو التسجيلية في كل ميدان من ميادين الحياة صارت في متناول الإنسان الشرقي كما هي في متناول الغربي. ومن حماقة والجهل أن يرفض الإنسان الشرقي الإنتفاع بما حققه الإنسان في الغرب من كشوف ومخترعات. لأن ما تحقق في الغرب صار ملكاً للإنسانية كلها في الغرب والشرق على السواء.

فمن خطل الرأي أن يقنع الإنسان بما في الشرق وحده ويرفض مدنية الغرب بحجة أنها لا تخصه.

لقد صار العالم موصولاً بعضه ببعض وذلك بفضل وسائل المواصلات الحديثة من جهة، وبفضل إتساع نطاق وسائل الإعلام : من صحافة إلى إذاعة إلى الإرسال السلكي واللاسلكي والبث التلفزيوني، وصار الناس تجمعهم وحدة فكرية لا هي شرقية ولا هي غربية، وإنما صارت تضمهم وحدة إنسانية جامعة.

نعم، كلنا في الشرق والغرب نسير خطوات حثيثة وسريعة نحو المذهب الإنساني Humanism الذي يجمعنا شرقيين وغربيين، وصار الشرق والغرب يلتقيان، في مؤتمرات يدور فيها حوار تزول فيه شيئاً فشيئاً عصبية الشرق للشرق، وعصبية الغرب للغرب. وصار الحوار في كل هذه اللقاءات قادراً على كسر حدة الفوارق بعد أن أصبح كل إنسان في كل لقاء يجمعه بغيره يأخذ منه ويعطى له، حتى صار من الصعب أن يحدد الباحث مدى ما يأخذه الإنسان بالنسبة إلى ما يعطيه، أو ما يعطيه بالنسبة إلى ما يأخذه.. وبذلك تصالح الشرق والغرب، ولم يعودا مفترقين متباعدين متخاصمين، وإنما شيئاً فشيئاً ذابت الفروق، واقتربت الروح إلى الروح، والعقل إلى العقل، والقلب إلى القلب. ويكاد أن ينصهر الجميع في بوتقة واحدة ليصير الإثنين كلاً واحداً، هو الإنسان.. الإنسان كله وهو بعينه الإنسان سواء كانت جذوره من الشرق أو جذوره من الغرب..

وإذن فنحن نرى بوضوح إتجاه الناس في زماننا إلى عصر الإنسانية الواحدة، وفي أكثر من مجال إتجهت الأمم والشعوب إلى الحكومة الواحدة، سياسياً، وثقافياً - أما سياسياً، فالحكومة الواحدة تتمثل في المنظمة العالمية، هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن.. وأما ثقافياً، فالحكومة الواحدة تتمثل في اليونسكو والهيئات العالمية الأخرى التي تضم أعضاء

من أمم وأجناس مختلفة تجمع بينهم وحدة العلم والثقافة والفن والأدب والإقتصاد والصحة العالمية.. وأعضاء هذه المنظمات هم من الشرق ومن الغرب، ولا يتميز أحدهم عن الآخر بإنتماء إقليمي أو عرقى - وإنما كل إنتمائه هو إلى العلم والفن والأدب والحكمة وصنع الخير للإنسان، من حيث هو إنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه.. ولكنهم يتكلمون لغة واحدة هى لغة العلم والخير والفن والجمال، وهى القيم الإنسانية العامة المجردة من كل ما يخصها للشرق أو للغرب.

هذا الإتجاه الأخير الذى يسير نحوه الباحثون والدارسون والعلماء والخبراء وقادة الشعوب هو الإتجاه الصحيح الذى ينبغى أن نغذيه وننميه وهو الكفيل بأن يقضى على كل الخلافات والمنازعات التى تفرق بين الناس..

وملاك القول، أننا نحن فى بلاد الشرق العربى، علينا أن نتأمل ماضينا لا لكى نرجع به إلى الوراء، ولا لكى نتفوق ونعزل عن العالم الذى يجرى نحو التقدم والإزدهار، وإنما لنأخذ منه حصيلة حضارية، نعتز بها، ورصيذاً لمسيرتنا إلى الأمام..

فإذا استهوتنا مدينة الغرب، فلا يغرينا ما بلغه الغرب إلى إحترار تراثنا العريض العريق، أو إهماله أو نسيانه، ففيه غنى لا ينضب..

ومع ذلك، ومع رجوعنا إلى الماضى وتقليبنا فى تراثنا المجيد وإستجلائه، لانطلق الأبواب والمنافذ دوننا، خوفاً على أنفسنا من غزو الغرب الثقافى والفكرى والعلمى.

إن خوفنا من غزو الغرب الفكرى والثقافى والعلمى لم يعد له ما يبرره.. وإنما لقد صرنا جميعاً بفضل ما نعرفه من تراثنا التليد نتمتع بمناعة تقينا شر ما نظنه من عدوى ضارة تجيئنا من صلتنا بالغرب.

إن الإنتقال المتبادل بين الشرق والغرب حقيقة، وهو ضرورة تقتضيها حقيقة الواقع، أبينا أو قبلنا.. ولكن لماذا نأباها أو نخشاها، وهى خير وبركة ونفع، يضيف إلى تراثنا ولا ينقصه، وينميه ولا يفسده، لاسيما بالنسبة إلى العلماء وقادة الفكر الذين يقتحمون كل الميادين فى الشرق والغرب، من دون خوف من عدوى ضارة، وهم يضيفون إلى حكمة الشرق، أفضل ما استطاع الغرب أن يحققه ويتحقق به من خير لتقدم الإنسانية وإزدهارها ونموها ورخائها.

## علم اللاهوت الشرقى (١)

علم اللاهوت هو العلم الباحث في الله، والمعروف عند علماء المسلمين بعلم الكلام، والكلام هنا هو الكلام في الله والكلام عن الله.

فمنذ بدء الوجود آمن الإنسان بأنه موجود ومخلوق، وأن له خالقاً أوجده، وإن كان الإنسان لا يراه كما يرى سائر الموجودات. وبدأ الإنسان يتأمل الوجود، وعلاقته بالكون وبسائر الموجودات، ويتفكر في نسبته هو إلى الوجود.. وأخذ يتأمل الشمس والقمر والنجوم، وجعل يرقب حركتها، وأهميتها بالنسبة له، فالشمس عندما تكون مشرقة تمنحه النور، والدفع، والحرارة، وعندما تغيب يسود الظلام والسكون، ومع الظلام والسكون يغلبه النوم، فيجد في النوم راحة لجسده المكدود، ينهض بعد ذلك سليماً معافى، فيعود إلى الحياة والحركة والعمل، ومع راحة جسده وصحة بدنه يجد ذهنه يرى ويفكر ويكتشف بالفكر والتأمل أسرار الوجود، وعندما يصطدم بالصعوبات والعوائق التى تعوق مسيرة حياته الهادئة بفعل الزوابع والأعاصير، وحركة الهواء وشدة الحر في الصيف أو البرد في الشتاء، ومطاردة الحيوانات والوحوش لها، فيجده مدفوعاً لأن يعمل شيئاً لتذليل العقبات التى تقف في طريقه، ويجد ذهنه يتفتق عن حيل ذكية، ويجده قادراً على أن يبتكر وسائل جديدة، لتسهيل حياته وإزالة العوائق من طريقه.. وشيئاً فشيئاً يلاحظ بالتأمل أن هناك ثوابت في الطبيعة، هذه الثوابت يراها في حركة الشمس والقمر والنجوم، فالشمس تشرق وتتحرك في السماء حركة محسوبة حتى تغيب في الغروب، وبعد فترة من الزمن تعود إلى الشروق من جديد، وتعمل في اليوم التالى ما فعلته بالأمس، ومن ثبات هذه الحركة، صار يتوقع في المساء شروق الشمس بعد غيابها، وغيابها بعد شروقها.. وهكذا القمر والنجوم أيضاً تتحرك بنظام ثابت، لها شروق ولها مغيب.. هذه الملاحظة المستمرة للشروق والغروب في النهار والليل وفي فصول السنة، فصول الحر والبرد، وما بين الحر والبرد، وهو ما يسمى بالربيع والخريف، وتعود حركة هذا الوجود بانتظام. هذه الثوابت في حركة الشمس والقمر والنجوم جعلت الإنسان يتبين أن الطبيعة لها قوانين ثابتة.

وغير الشمس والقمر والنجوم أخذ يتأمل حركة الهواء، والرياح وسقوط الأمطار،

---

(١) الندوة الفلسفية الثالثة ١٩٩٠ - ١٩٩١م، ١٥ - ١٧ يونيه - حزيران لسنة ١٩٩١م (نحو علم كلام جديد)، كلية أصول الدين - القاهرة - جامعة الأزهر والجمعية الفلسفية المصرية بالإشتراك مع أقسام الفلسفة في الجامعات المصرية.



وتكوين البحيرات والأنهار والبحار، وحركة المد والجزر على شواطئ البحار، ثم أخذ الإنسان يلاحظ أثر الحر والبرد على الأجسام، فوجد أنها تتمدد بالحرارة، وتتقلص بالبرودة، وبالتأمل أيضا اكتشف قانون الجاذبية. فكل شيء مادي مهما علا، مصيره أن يسقط على الأرض حتى الطيور ذوات الأجنحة، التي تصعد إلى فوق، إذا أوقفت حركة أجنحتها لا بد أن تهبط إلى أسفل.

وهكذا بالتأمل في الوجود، تبين للإنسان أن الطبيعة من حوله لها قوانينها الثابتة.. ولما أخذ شيئا فشيئا يكتشف هذه القوانين ويتعرف عليها، بدأ يستغلها في تيسير حياته.. وتحقيق رغباته.. انتهى أن يعبر الأنهار والبحار، إلى الشواطئ البعيدة، لكنه وجد ذاته غير قادر على أن يصل إلى رغبته، فتأمل السمكة وهي تعبر المسافات، رأى أن لها زعانف تستعملها لتشق في الماء طريقها، فصنع لنفسه القارب، وبدلاً من الزعانف عمل المجاذيف، وبدلاً من الزعنفة العليا في ظهر السمكة صنع القلح، وبدلاً من ذيل السمكة الذي يساعدها في سهولة الحركة صنع للقارب الدفة.. كذلك رأى الحمامة تطير في الهواء وتنتقل بسهولة إلى الأماكن البعيدة، فإشتهى أن يكون كالحمامة يطير، فبتأمله للحمامة صنع الطائرة شبيهة في كل شيء بالحمامة.. صنع لها المحركات بدلاً من الرفرفة. فإذا أراد أن يهبط إلى الأرض أوقف حركة المحركات كما توقف الحمامة أو الطائرة حركة الرفرفة.

وهكذا اكتشف الإنسان أن الطبيعة تسير على قوانين ثابتة، ثم بعد أن اكتشف الإنسان هذه القوانين أخذ يستغلها في تذليل العقبات أو تحقيق الرغبات.

إذن ليس هناك عبث في الطبيعة، وليس هناك صدفة أو إتفاق. وما يسمى بالصدفة والإتفاق هو التعبير عن جهل الإنسان بالحقيقة التي لم يكتشفها بعد.

وإذن فكل شيء في الوجود له علة وسبب، ولكل معلول علة، ولكل شيء سبب.

وهنا تبين للإنسان أن لا بد أن يكون للوجود علة، هكذا قاد الإنسان فكره إلى وجود العلة الأولى لهذا الوجود، فأمن بالله وإن كان لا يراه، وإذا كان لكل معلول علة، ولكل علة (لمعلول) علة تسبقها في الوجود وفي العمل، وإذن فالوجود كله قائم على مبدأ العلية، لأن العلية قانون طبيعي، وإذا تعددت العلل، لكن مرد الكثرة إلى علة واحدة أولى، هي أصل كل علة أخرى ثانوية، وهكذا العلل بمثابة عربات القطار الطويل، كل عربة تسبقها

عربة تجرها وتقطرها، فكل عربة هي جارة ومجرورة، جارة لغيرها ومجرورة بغيرها. ولكن لابد في نهاية الأمر من عربة أولى تجر غيرها ولا يجرها غيرها، وهي القاطرة التي تقطر غيرها ولا يقطرها غيرها. وهكذا تبين الإنسان أن هناك علة أولى لكل الوجود، هي الأصل، هي الله وهو وحده علة جميع العلل، وهكذا تبين الإنسان أن الله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون إله واحد، هو الذى خلق الوجود، وهو الذى وضع للوجود هذه الثوابت التى تسير عليها الموجودات وكل الوجود، وهي قوانين الطبيعة، والله ليس هو العلة الأولى فقط، لكنه أيضا هو الذى يفسر معنى الوجود - وعلى قول فولتير - لو لم يكن الله موجوداً، لكان يجب أن يوجد ليفسر الوجود.

وعلى هذا النحو استدل الإنسان على وجود الله وإن كان لا يراه. إذن هو العقل الذى قاد الإنسان إلى الإيمان بوجود الله الواحد.

ونشاط العقل فى الوجود، واكتشاف خالق الوجود هو نقطة البدء فى الفلسفة.

وإذا كانت الفلسفة فى مفهومها اللغوى والإشتقاقى هي محبة الحكمة  $\phi\iota\lambda\omicron\sigma\sigma\phi\iota\alpha$ ، فهي تبتغى رأياً صحيحاً فى الكون ومبدع الكون، وتتشدد أن تتعرف إلى حقيقة الوجود، ومركز الإنسان فى الكون، أو هى إعمال العقل لفهم الوجود، وعلة الوجود، ونسبة الإنسان إلى الوجود، ثم إلى إكتشاف أغوار النفس البشرية. فإن النفس البشرية عالم لوحده، والوصول إلى خصائص الإنسان الفاضل أو المثالى فى أخلاقياته، وإلى نظام المجتمع الصالح.

ولئن كانت الفلسفة هي محبة الحكمة، وهى سعى الإنسان للبلوغ إلى الحقيقة فى كل شىء، فى حقيقة الوجود بعامة وحقيقة وجوده بخاصة، وإكتشاف المعايير والقيم الروحية والأخلاقية والمثالية التى تبلغ بالإنسان إلى السعادة الحقيقية القائمة على الفهم الصحيح لغائية وجوده، لكن الفلسفة لا تزعم أنها - مع بحثها الدائب والمتواصل، قد أدركت الحقيقة الكاملة فى ذاتها، أو أنها أمسكت بناصية اليقين. وليس هذا معناه أن لا سبيل إلى إدراك الحقيقة وبلوغ اليقين، أو أن الحقيقة وهم أو خيال.. وإنما معنى ذلك أن الوصول إلى الحقيقة الكاملة صعب المنال، وأنه مهما سعى الإنسان ومهما أدرك من جزئيات المعرفة، فستظل الحقيقة العليا الكاملة فى ذاتها بعيدة عن منسوب الإنسان وعالية عن إدراكه ومناله.

ثم إن الفلسفة إعمال للعقل في فهم الوجود والحياة، ولما كان العقل قاصراً ومحدوداً، فلا يستطيع بسبب قصوره ومحدوديته أن يدرك الحقيقة كاملة، ولا يمكنه أن يحيط بها من جميع نواحيها، هذا إلى أن الناس ليسوا على درجة واحدة من الذكاء الفطرى، والقدرات العقلية من تفكير وملاحظة وتخيل وتذكر وتعليل وإبتكار، فضلاً عن عوامل الوراثة والبيئة المنزلية والتربية والثقافة والروح الإجتماعية السائدة في العصر، وهى تختلف في الزمان والمكان، إلى آخر تلك العوامل التى لا بد أن يكون لها أثرها في تكوين شخصية الإنسان ونظرته إلى الحياة، ولا ننسى تأثير التجارب الإنفعالية التى مر بها المفكر والصددمات النفسية التى أصابته من بيئته أو من الأشخاص المتصلين به أو مدى التشجيع الذى لقيه، أو الإضطهاد الذى عاناه في حياته مما لا بد أن يكون له أثره على تفكيره.

من هنا نتبين أسباب الخلاف بين الناس في نظرتهم إلى الحياة ولماذا اختلفت الفلاسفة أنفسهم فيما بينهم وإن اتفقوا في قوانين الفكر الضرورية، ذلك لأن نقطة البدء عند الفلاسفة ليست واحدة، ونقطة البدء قد عملت على تكوينها عوامل مختلفة، منها المواهب الطبيعية والقدرات الخلقية، ومنها البيئة عائلية كانت أو ثقافية أو إجتماعية، ومنها العوامل النفسية والتجارب الإنفعالية، والأمزجة والميول إلى غير ذلك.

وإذن يحق لنا أن ننبه إلى أن الفيلسوف ليس عقلاً محضاً أو فكراً بحتاً وإنما هو إنسان يخضع لما يخضع له كل الناس ويتأثر بما يتأثرون به في الحياة من خير وشر - أى أن للعوامل النفسية والوجدانات والعادات أثراً أو آثاراً في توجيه فكره وقيادة ذهنه مهما قيل من أن إعمال الفكر عند الفيلسوف أقوى من أثر العوامل الأخرى من نفسية وعاطفية وإجتماعية..

فإذا كان منهج الفلسفة هو الإعتماد على العقل، والعقل الإنسانى محدود ولا يمكنه مهما كان ذكياً وجباراً أن يحيط بجميع مناحى الحقيقة، والناس جميعاً، والفلاسفة من بينهم، يختلفون في مكونات أنظارهم العقلية بتأثير العوامل النفسية والإنفعالية والإجتماعية والتربوية، فلا سبيل إذن للوصول إلى الحقيقة المطلقة، والكاملة من خلال العقل وحده، وبالتالي لا أمل للإنسان طالما هو هذا الإنسان بإمكاناته وقدراته أن يتوصل إلى الحقيقة ذاتها وفي ذاتها. ومن هنا ينبغى أن لا نتشدد في قبول وجه واحد للحقيقة،

بل إن من أحب الحكمة يجب عليه أن يتسع قلبه وفكره لأن يسمع لكل قول وأن يدرس كل رأى، فربما وجد في هذا الفكر جانباً من الحقيقة، ووجد في الفكر الآخر جانباً آخر من الحقيقة، وبالإصغاء وعدم التعصب، مع الفحص والدرس والنقد المنصف يصل إلى الرأى الصائب الذى يقترّب به إلى الحقيقة الكاملة بإستيعابه للمشكلة من جميع جوانبها، على أن لا يغلط على نفسه الأبواب، وإنما قد يتضح له فيما بعد شيء جديد، يمكن أن يعدل من نظرتة، وبهذا يتقدم فكر الإنسان ويتطور ذهنه في فهمه للحقيقة الكاملة، والحقيقة في ذاتها.

من هنا، وبعد إدراك ما في العقل الإنسانى من قصور ومن عجز ومن تأثير بعوامل أخرى خارج العقل وهى العوامل النفسية والعاطفية والبيئية والتربوية - من هنا حاجة الإنسان إلى الوحي وإلى الدين، الذى يكمل نقص العقل بما يضيفه إليه من حقائق تنقصه، وذلك بإعلانات إلهية يقدمها له الله عن طريق الأنبياء والكتب المقدسة.

وهنا نقطة الالتقاء بين العقل والنقل. هما لا يتعارضان ولا يتناقضان، ولكنهما معاً يأخذان بيد الإنسان ويرفعانه إلى اليقين وإلى الحق.

وهذا هو المدخل إلى ما يعرف بعلم اللاهوت المسيحى.

فهو العلم الذى يجمع بين الدين وإستخدام العقل منهجاً فيما يتصل بالحقيقة التى يمكن أن يتوصل إليها الإنسان بإعمال العقل. فبالعقل يمكن أن يتوصل الإنسان إلى وجود الله، بوصفه الخالق، والواجب الوجود، والعلة الأولى للوجود.

وبالعقل يمكن للإنسان أن يتوصل إلى أن الله واحد ولا يمكن أن يكون غيره علة أولى للوجود، وأن هذا الإله الواحد هو العقل الأعظم، المدبر، الحكيم، الكلى الصلاح والجودة، والكلى العلم والكلى الحكمة، وهو النور الأعظم، أبو الأرواح، وهو أيضاً الكلى العدل، وهو الحق كله، والخير كله، وهو الأزلى الأبدى، والسرمديّ الذى ليس له بدء وليس له نهاية.

هذا ما يمكن للعقل أن يتوصل إليه بالتأمل في الوجود، الله الواجب الوجود، والحيّ والقيوم والأزلى الأبدى، والواحد الأحد.

أما طبيعة الله ذاته، فهى فوق إدراك العقل البشرى، وأعلى من مناله.. لذلك فمعرفة

الله في ذاته وطبيعته، وما يتصل بتدبير الله وحكمته وعمله، هذه كلها يقدمها له الدين أو النقل عن الكتب المقدسة، والوحي الإلهي.

والمعروف أن علماء مدرسة الإسكندرية اللاهوتية هم أول من وضع أساس علم اللاهوت المسيحي، العلم الذي يجمع بين العقل والنقل، بين الفلسفة والوحي، من غير تعارض أو تناقض.

لقد رحبوا بالفلسفة لأنها أعمال للعقل، وإعمال العقل مطلوب في الدين المسيحي، وقد ذكر الإنجيل أن المسيح له المجد أثنى على الكاتب الذي أعمل عقله وأجاب بفتنة على السؤال الذي وجهه المسيح إليه ليشحذ به ذهنه. قال الإنجيل : (فلما رأى يسوع أنه أجاب بفتنة قال له : «لست بعيداً عن ملكوت الله») (مرقس ١٢ : ٣٤). وكان المسيح دائماً يوبخ تلاميذه حين لا يستخدمون عقولهم في فهم أقواله، ويقول لهم موبخاً (كيف لا تفهمون؟) (متى ١٦ : ١١) بل إن الكتاب المقدس كثيراً ما يوصي المؤمنين بالله «امتحنوا كل شيء، وتمسكوا بالحسن» (١.١ تسالونيكي ٥ : ٢١)، (١.١ يوحنا ٤ : ١).

ويقول القديس توما الأكويني : «لو لم ير العقل أنه يجب عليه أن يؤمن لما كان يؤمن».

ويقول القديس أوغسطينوس : «إني لا أؤمن إن لم أر ما يحملني على الإيمان»، ويقول أيضاً : «معاذ الله أن يكون خضوعنا لما يُعلمه الإيمان حائلاً دون إلتماس علة الإيمان، لأننا لولا العقل لما استطعنا أن نؤمن» (رسالة ١٢ : ٣).

حقاً أن العقل لا يستطيع أن يدرك الله إلا ابتداءً من المحسوس، والحس لا يستطيع أن يدرك ماهية المعقول الصرف وهو الله. إن العقل يستطيع فقط أن يقول بوجود الله، ولكنه لا يدرك الله ولا يحيط بطبيعته. إنه يستطيع إثبات وجود الله، ولكنه عند هذا الحد يجب أن يتوقف، ولا يستطيع أن يمتد إلى ما هو أعمق من ذلك في فهم الله وطبيعته، وعندئذ يجب على العقل أن يسلم القيادة للوحي أو النقل، لأن الوحي هو وحده الذي يُعرفنا الحقائق التي يعجز العقل عن تبيانها. وإذن فنحن لاغنى لنا عن العقل، ولا عن النقل. وكل ما في الأمر أنه يجب تحديد ميدان كل منهما : فللعقل ميدانه، وللنقل ميدانه. وكل منهما يستفيد من الآخر ويفيده. أما النقل فيكمل عمل العقل، ويقدم للعقل مالا يستطيع أن يدركه بذاته.

فإذا كان النقل يأخذ بيد العقل ليدخل به إلى أعماق الحقيقة الدينية، فما هو عمل العقل؟ العقل هو الذى يقنع المرء بوجود التسليم بالدين، وهذا معناه أن عمل العقل يسبق الإيمان.

يقول القديس أوغسطينوس «العقل يسبق الإيمان، والإيمان يسبق العقل، وإنى أؤمن لأتفكر أو لكى أفهم». فالعقل يسبق الإيمان، لأن الإنسان يحتاج إلى أعمال العقل ليقنع بوجود الإيمان. ثم بعد أن يؤمن بالحقيقة التى يعلنها له الدين، عليه أن يتفكر مضمون الإيمان. فالإنسان إذن يؤمن لكى يفهم ويتفكر ويصبح موضوع إيمانه مقنعاً لعقله مقنعاً مشبعاً لفكره، وليس ذلك فقط هو كل ما يعمل العقل للإيمان، وإنما العقل يتولى الدفاع عن حقائق الإيمان، ويرد سهام المرتدين والمبتدعين وغير المؤمنين والجاحدين والملحدين.

والخلاصة إن العقل والنقل يرتدان إلى مصدر واحد هو الله، فلا تناقض بينهما، بل لكل منهما ميدانه الخاص، وكلُّ منهما يكمل عمل الآخر. وعلى هذا الأساس قامت الفلسفة المسيحية، واللاهوت المسيحي.

وأما علماء مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ومن أبرزهم أثيناغوراس وبنطينوس واكليمنضس الإسكندري وأوريجينوس وغيرهم وهم الذين وضعوا الأساس الذى قام عليه علم اللاهوت الإسكندري والشرقي، كانوا يتميزون أولاً - بأنهم كانوا دارسين للفلسفة اليونانية دراسة شاملة وتعلموا على الفلاسفة الأقدمين، تتلمذوا على سقراط وأفلاطون وأرسطو، وعرفوا الرواقين والأبيقوريين كما عرفوا الأفلاطونية الجديدة وعرفوا الفيلسوف الإسكندري أمونيوس السقاص الذى ولد في أواسط القرن الثانى للميلاد ومات سنة ٢٤١ م وغير أمونيوس السقاص ممن كانوا أصحاب مدارس فلسفية في الإسكندرية ودخلوا في حوار معهم وقرأوا كتبهم، ومنهم كلوديوس بطليموس مؤلف كتاب المجسطى واشيستوس مؤلف كتاب (المحادثات الفلسفية) وكثيرون الذين كتب عن تاريخ ملوك القبط وكهنتهم، والفيلسوف كلسوس الأبيقورى، ولكن علماء مدرسة الإسكندرية اللاهوتية لم يخلطوا بين اللاهوت المسيحي والفلسفة. فقد حفظوا للاهوت المسيحي خصائصه ووضعوا له قواعد التى تتلمذ عليها كثيرون من علماء البلاد الأخرى الذين بعد أن أتموا دراساتهم الدينية في بلادهم جاءوا إلى الإسكندرية وتعلموا على علماء مدرستها اللاهوتية، ثم نقلوا إلى بلادهم ما أخذوه عنهم. ومن هؤلاء القديس باسيليوس الكبير، والقديس غريغوريوس

الثيولوجوس، ويوحنا ذهبى الفم وغيرهم من أساطين المسيحية الأوائل. ونظراً لتضلع علماء مدرسة الإسكندرية في علم اللاهوت، وما إنشعب إليه من علوم أخرى فرعية ومنها اللاهوت النظرى واللاهوت الأدبى واللاهوت المقارن واللاهوت الطقسى واللاهوت الروحى، صار بابا الإسكندرية - وكان يؤخذ عادة من تلامذة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية - يتمتع بمركز علمى مرموق في كل العالم المسيحى، وكان علماء الشرق والغرب يحتكمون إليه في ما يشكل عليهم من أمور ومعضلات لاهوتية، ولهذا صار يلقب بابا الإسكندرية في القرون الخمسة الأولى حيث كانت المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية مزدهرة بفضل علمائها، بلقب (قاضى المسكونة).

هنا يجب أن نشير إلى أن علماء مدرسة الإسكندرية اللاهوتية قد درسوا الفلسفة اليونانية وأدخلوا عليها النزعة الإستشراقية الروحية، ومع ذلك لم يخلطوا بين الفلسفة وبين اللاهوت، ولم يخضعوا اللاهوت للفلسفة كما فعل علماء مدرسة أنطاكية مما عاب هؤلاء الأخيرين، فسقطوا في أخطاء إذ أخضعوا الإلهيات للمنطق الأرسططاليسى. أما علماء المدرسة اللاهوتية الإسكندرية، وإن تأثروا بمنهج الفلسفة في البرهنة لكنهم كانوا دائماً يعترفون بأن الحقائق الإلهية أعلى وأعمق من أن يحيطها الإنسان بالفكر، ولذلك عبّروا عن الله بأنه (لا يدرك ولا يحاط به ولا يسبر غوره incomprehensible وقالوا إنَّ الله لا يُعبَّرُ عنه ولا يوصف ولا ينطق به ineffable وهذا هو التحوط المطلوب في الكلام عن الله والإلهيات، وهو ما عضم علماء مدرسة الإسكندرية اللاهوتية من الخطأ، فقد اعترفوا أن الحقيقة الإلهية لا يمكن أن تصاغ في قوالب لغوية محدودة، وقالوا إن الحقيقة الإلهية لم تتناولها اللغة البشرية من أى جانب من الجوانب إلا وجرحتها، لذلك عندما تكلموا عن التوحيد وقالوا إن الله أَحَدٌ الذات مثلث الأقانيم والخاصيات، قالوا مهما تكلمنا بلغة الناس فلن نصيب الحقيقة الكاملة لأن الله أعلى من أن يحاط به أو يُعبَّرَ عنه، لذلك أدخلوا تعبير (سر التوحيد والتثليث) بإضافة كلمة (سر) للدلالة على أن الحقيقة الكاملة فيها خفاء وسر يعلو على عقل الإنسان وتعبيره.

وكذلك قالوا عن التجسد - سر التجسد - وعن الفداء سر الفداء، وذلك إقراراً منهم بأن الحقيقة الكاملة أعلى من منال الإنسان، وفيها جانب خفى، فهى سر.

هذا المنهج في دراسة اللاهوت، هو الذى عصم علماء مدرسة الإسكندرية

اللاهوتية من الخطأ الذي تُردى فيه علماء وتلاميذ مدرسة أنطاكية والذين ظهر منهم هراطقة وأصحاب مدارس لاهوتية إنحرفت عن التعليم اللاهوتي السليم، والأرثوذكسي، ومن هؤلاء الهراطقة كان أريوس الذي وإن ظهر في الإسكندرية لكنه تتلمذ في الأصل على لوسيانوس Lucianus رئيس المدرسة الإنطاكية، ومن هؤلاء الهراطقة أيضا نسطور وأوطاخي وغيرهم.

ولكن جاء القديس ساويرس الأنطاكي في القرن السادس وهو الذي له الفضل في تحويل مجرى المدرسة الإنطاكية لتسير في اتجاه مدرسة الإسكندرية اللاهوتية.

وأما نحن في مصر، فعلى الرغم مما عانتها كنيسة الإسكندرية من ضغوط وإضطهاد عبر التاريخ، فقد حافظنا وإلى اليوم على تراث مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ونفخر بأن اللاهوت الذي نعلم به هو اللاهوت الأرثوذكسي الذي تسلمناه من علماء مدرسة الإسكندرية كما هو واضح في كتبهم ومقالاتهم وأبحاثهم.

وفي المؤتمرات العالمية والمسكونية حين نتقابل مع علماء اللاهوت في الغرب والشرق، يبرق واضحاً صحة التعليم الذي نعلم به اليوم، وأنه بعينه التعليم الذي تسلمناه، وحافظنا عليه بكل الأمانة والدقة والروحانية الأصيلة.



## الدين والأخلاق

### في بناء الثقافة في مصر المعاصرة<sup>(١)</sup>

هل يمكن أن تقوم ثقافة حقيقية بغير دين؟

يمكن أن يقال من دون تهويل أو تهوين إن الدين ثقافة، وإن الثقافة دين.

**نعم إن الدين ثقافة.**

فالإنسان منذ وجوده على هذا الكوكب مخلوق يدين بفضل وجوده لخالقه، وإليه يدنو بالعبادات. والعبادة تسبيح وتمجيد وحمد وترتيل بنعماء الخالق وآلائه على الكون بعامه وعلى الإنسان بخاصة.

ومنذ أن كان الإنسان وهو وثيق الصلة بخالقه وسيده. الله يوحى إليه ويعلمه ويكلمه، والإنسان يقبل ويتقبل من خالقه ما يوحى به إليه بصوت مسموع حيناً، وبالإلهام العقل فيه حيناً وأحياناً ودائماً. وفي قوانين الطبيعة ونظامها المحكم وقوانينها الناطقة بحكمة سيد الطبيعة وقدرته وتدبيره، وجد الإنسان منذ الإبتداء نبعاً لا ينضب للعلم والمعرفة والحكمة.

**في البدء كان الكلمة.**

منذ الأزل كان الله هو الكلمة. والكلمة تجسيد للعقل الأزل الأبدي. الله تكلم، وكلمته هو الوجود وهو الكون، وهو قوانين الطبيعة والوجود، وهو الوحي. والوحي لعقل الإنسان هو بالكلمة المسموعة أو المقروءة أو التي تنبثق في القلب مباشرة ومن غير واسطة، وهو ما يسمى بالحدس أو الإلهام.

والإلهام لعقل الإنسان وقلبه علم ومعرفة، كما أنه مُحَرِّك ومُوَلِّد ومُثْبِر ومُنْبِه لكل معرفة روحية أو كونية.

الله هو المعلم الأول وهو المتكلم الأول.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) في عددها الصادر بتاريخ ٣ من فبراير - شباط لسنة ١٩٩١م - ٢٦ من طوبه لسنة ١٧٠٧ش.

والإنسان خلق على صورة الله ومثاله في روحه العاقلة الحرة المريدة. فمن الله يقبل العلم ويتقبله، وبالتأمل والنظر.

وبالعقل يتواصل الإنسان مع الله، وبإعمال العقل والنظر في الكون وقوانين الطبيعة ونظام الخالق في الوجود يتعلم ويفهم، ويمتد في الفهم بالتأمل والنظر، فتنساب إليه روافد العلم والمعرفة، وتنصب في عقله وقلبه وروحه، قطرة قطرة، ومع مزيد من التأمل والنظر وتسكين الحواس، وتوظيف القدرات العقلية وتمكينها من العمل والإنتاج، تنهمر المعرفة في القلب والروح من كل اتجاه، وبمزيد من التأمل والنظر والعمل تقوى الروافد وتتسع لمزيد من العلم والإلهام، فيتحول العلم إلى غمر يزداد مع الزمن قوة وإتساعاً في مسيرة الإنسان لحياة الأبد، حياة بلا نهاية، مع الله وفي الله إلى أبد الأبد.

### والثقافة علم وعمل :

والعلم الحقيقي هو عصبه من المعارف وفنون للمعرفة. وكمال العلم هو في شموله لجميع الفنون، وتكاملها معاً في كل واحد. ويقدر تنوع هذه الفنون في المعرفة يكون مدى ما يحصل عليه الإنسان من ثقافة صحيحة.

لكن الثقافة ليست مجرد علم. إنها علم هادف إلى فهم الوجود، وهو لذلك علم متحرك إلى الأمام. والحركة عمل. والعمل يولد العلم كما يولد - التقدم والحضارة. والتقدم والتوليد يتحققان بالنظر والعمل معاً، وبهما يتضاعف التقدم كأنهما الضارب والمضروب فيه.

### الثقافة دين، والدين ثقافة :

الدين ثقافة لأنه من الدين تعلم الإنسان. فعرف من هو، وعرف خالقه، وعرف نسبه إلى الوجود، وعرف أن يتعامل مع سائر الموجودات والكائنات، وأن يستغل قوانين الطبيعة فيفهم الظواهر الكونية، وفي فهم نفسه، وفي تذليل العقبات التي تعترض حياته ووجوده، وعرف أيضاً أن يستغل قدراته الحسية والعقلية والروحية، ويحكم الطبيعة بما وهبه الله من قدرات خلقة - وهذه القدرات الطبيعية فيه من عقل وحواس ولدت فيه وله فنوناً جديدة من المعرفة وأنواعاً جديدة من الخلق، اكتشفها أو ابتكرها أو أوجدها بإعمال العقل وتوظيف قدراته في الكفاح والنضال والصراع مع العقبات والصعوبات.

فالعلم في عالم الإنسان نوعان : علم لُدُنِّي، من لدن الله مباشرة لقلب الإنسان وعقله وروحه..

ثم علم متولّد في حياة الإنسان بإعمال عقله وقدراته وإمكاناته.. وهو علم ممتد بغير توقف، علم نام ببقاء الحياة وإستمراريتها وخلودها إلى ما لا نهاية..

فعلم الإنسان إذن هو محصلة عمل الله مع الإنسان، وعمل الإنسان نفسه بما وهبه الله من قدرات.

وأما أن الثقافة دين، فلأن كل ما وصل إليه الإنسان من علم وعمل قد صار له ديناً بمعنى أنه صار له عقيدة إنعقدت عليه روحه، وإرتبط به كيانه ووجوده.

والثقافة دين بهذا المعنى لأنه بها يحيا الإنسان، ويتقرب إلى الله ويتجنب ما يبغضه، وبها أيضا يعيش سعيداً لنفسه ولغيره من القريبين إليه ومن البعيدين عنه.

ومن دونها يفقد الإنسان معناه ومعنى وجوده، ويصير شقيماً بعيداً عن نفسه، وبعيداً عن سائر الكائنات والموجودات البشرية وغير البشرية، الحية والجامدة.

والدين الذي نعنيه هو أصول الدين. هو المبادئ الأصلية عن الله.. هو العبادة الصادقة بالعقل والقلب والروح، والإيمان بالحياة الدائمة بعد الموت إلى ما لا نهاية، والإيمان بأن الإنسان مرسل من الله لمهمة يجب أن يؤديها في حياته على الأرض. ورسالته هي أن يصنع الخير كخالقه، وأن يعمل في دنياه على أن يخدم الحق والخير والجمال. فإذا أتم رحلته ورسالته على النحو الذي تتحقق به غائيته في وجوده، علم أن نجاحه في رسالته في الأرض يزيكه ويرشحه لرسالة أخرى ممتدة بعد الموت، إلى ما لانهاية.. هي أن يكون مع الله عاملاً للخير والحق والجمال في أدوار أبدية للحياة، إلى غير نهاية.

الدين إذن رسالته لهذه الدنيا قبل الآخرة، رسالته أن نحيا به هنا سعداء، ولكي تكون به حياتنا أفضل مما تكون من دونه.

وعلى ذلك، فمن لا يكون سعيداً بالدين هنا، ومن لا يُسعد غيره بدينه هنا على الأرض هو مسكين وضال لم يفهم رسالة الدين على حقيقتها.

وعقائد الدين هي أيضا لخير الإنسان وليكون بها أفضل مما يكون بدونها.

**والدين واحد.** أما الأديان بالجمع فهي من خلق الناس.. الدين في جوهره هو ديانة آدم الإنسان الأول، وأما الأنبياء المرسلون من الله فلم يزعم أحد منهم أنه أتى بدين جديد. أما ما يسمونه بالأديان فهي نظرة تاريخية ينظر بها المؤرخون، وعلماء الإجتماع إلى حقب

تاريخية متعاقبة، تميزت بظواهر إقتضتها ظروف الناس في الزمان والمكان، فإعتبرها المؤرخون معالم لدين جديد، وخلصوا عليها أسماء متميزة. أما الدين فمضمونه ومحتواه واحد. لكن الناس بضيق أفقهم خلصوا على حقب التاريخ أسماء لأديان. وهذه الأسماء المتميزة هي التي حملها أصحاب الآفاق الضيقة، وجعلوها أسباباً لحروب بين الناس زاعمين أنهم مدفوعون فيها بروح الدين. والحق أنهم هم الذين خلقوا الخلاف بين الناس وأثاروا الحروب، وجعلوا الدين شراً على الناس بدلا من أن يكون رحمة وخيراً بالعباد.

ونحن في مصر، لا يمكن أن نتجاهل الدين في بناء الثقافة، فلا بناء للثقافة من غير دين.

### لكن ما هو الدين؟

الدين هو في أصوله ومحتواه.. الدين في روحانيته وصدقه.. الدين الذي يبني روح الإنسان وعقله وذهنه وقلبه إلى كمال الشخصية الإنسانية في أعلى وأرقى صورة للإنسان، المرسل من السماء على صورة الله ومثاله ليصنع الخير والحق والجمال، في عالم الله والإنسان.

## التوصيات

أولاً: إننا ندعو الآباء والأمهات، والكتاب والأدباء، ودعاة الدين والمصلحين الاجتماعيين إلى فهم لروح الدين بعيداً عن الخلافات المذهبية، والتركيز على جوهر الدين وأصوله بإعتبره أنه منزل من الله لإسعاد الناس وليجعل حياتهم رسالة للخير العام والخاص.

ثانياً: إننا ندعو إلى وقف كل أنواع الصراعات بين الناس على أساس الدين، منبهين إلى أن كل هذه الصراعات يمكن رد أسبابها لا إلى الدين في حقيقته بل إلى اختلاف في الفهم بين الناس، وإلى اختلافات عرقية أو جنسية، أو اختلافات على المطامع والأهواء البشرية.

ثالثاً: يجب أن نستثمر مواهبنا في الإيجابيات لا في السلبيات، وأن نركز على ما يجمعنا لا على ما يفرق بيننا حتى لا تتعطل مسيرتنا نحو التقدم في صراعات تستنزف قوانا، وتذهب بريحنا..

رابعاً: إننا ندعو العلماء بعامة وعلماء الدين بخاصة، لا إلى إهمال العقائد وإنما إلى شرح عقائد الدين بما يبني نفوس الناس وأذهانهم ويقربهم إلى الله، وإلى ممارسة رسالة

الدين عملياً، بالدعوة إلى الحب والإحترام المتبادل، وعمل الخير وتخفيف آلام المبلولين والمتعبين والمعوقين، وتقديم العون لكل من يحتاج إلى العون من كل جنس ولون ودين.

**خامساً :** إننا ندعو إلى تخصيص حصة في الجدول الدراسي لدرس في الأخلاق، في جميع مراحل الدراسة، ولجميع الفرق الدراسية من أدناها إلى أعلاها لحض التلاميذ على الأخلاقيات العامة التي يدعو إليها الدين، وممارستها، وهي هذه الأخلاقيات المستقاة من الكتب المقدسة ومن التراث الإنساني بعامة، التراث الواصل إلينا من منابعه القديمة والحديثة ومنها فضائل الصدق، والأمانة، والصراحة، والإخلاص، والنزاهة، والحرية، وإحترام آدمية الإنسان، والشجاعة، والوفاء، والصبر، والإحتمال، والتسامح، والمروءة، والشهامة، والخيرية، والغيرية، والكرم، والإحسان، والرحمة، والحكمة، والعدل، والإنصاف، والإعتدال، والعفة، وضبط النفس، والإحتشام وأدب اللسان ومحبة الله والناس، والوطن، وإكرام الوالدين، وإحترام الصغير للكبير، والتكافل الإجتماعي، والرفق بالحيوان.. إلخ مع تقديم أمثلة عملية وقصص تاريخية لتوكيد تلك القيم الأخلاقية وترسيخها.

**سادساً :** أن يشمل درس الأخلاق أيضاً التربية الإجتماعية وما يُعرف بالآداب العامة وقواعد الإتيكيت في الشارع والبيت، وآداب المائدة، ومخاطبة الناس ومخالطتهم ومعاملتهم، وآداب الإجتماعات والأماكن العامة، والجيران والأجانب، وكل ما ينبغي أن يتعلمه ويمارسه الإنسان المعاصر المهذب.

**سابعاً :** أخيراً وليس آخراً، لا نهمل التنبيه إلى أهمية التربية الرياضية والفنية. فالرياضة البدنية، خصوصاً الألعاب التي تنمي روح الفريق أى العمل الجماعي وتغذي روح الإنتماء، للنظام الإجتماعي، تخدم الثقافة في مصر المعاصرة لأنها تدعو إلى الإنفتاح والأخذ والعطاء. وأما الفنون بأنواعها من موسيقى، وتصوير ونحت وغيرها.. فهي هامة وضرورية في تربية الذوق وترقية الحس، وتهذيب الإحساس.. ولكنها عناصر أساسية في تكميل ثقافة الإنسان المصري. ونموه الحضارى.

## التربية الدينية ودورها في الثقافة (١)

من علماء النفس من يسلك الدين في حياة الناس من بين الغرائز الأساسية التي ترتد جذورها إلى الإنسان الأول، ولذلك يصدق على الإنسان أن يعرّف بأنه (حيوان متدين). والدين في لغة العرب يمكن أن يفسر بأنه من الفعل (دنا يدنو) بمعنى قرب منه وإليه، فبالعبادات يقترب ويتقرب المظوق إلى خالقه لينال رضاه عنه ويتقى غضبه. ويمكن أن يفسر الدين بأنه من الفعل (دان يدين) بمعنى خضع وأطاع، فيقال دان له بالولاء، أى استعبد ذاته له - ويمكن أن يفسر (الدين) أيضاً بأنه من (دان يدين) بمعنى (حكم عليه وجازاه)، فالله تعالى هو الديان وهو القاضى للإنسان، والإنسان بفعل التدين يحكم تصرفه وسلوكه الإعتقاد في الله.

وأما في اللغات الأوروبية الحديثة فيكنى عنه بالكلمة Religion وهى ترتد في الأصل اللاتينى إلى ما يفيد أنه (الربط) فالدين بهذا المعنى هو الرباط أو الرابطة التى تربط الإنسان بخالقه، كما أنه الربط والرابطة التى تربط الناس بعضهم ببعض من خلال القيم الروحية الثابتة والطقوس المشتركة التى يلتزم ويرتبط بها الناس، ومن دونها تنحل الرابطة الإجتماعية اللازمة لقيام المجتمع الإنسانى وتماسكه.

ومهما يكن من أمر، فالدين يشمل الإيمان بالخالق والإعتقاد بأنه السيد والرب والمهيمن على كل الوجود، كما يشمل سائر العقائد المنزلة، والقيم الروحية والسلوكية نحو الخالق ونحو الناس، ثم العبادات بطقوسها ومراسمها وإحتفالاتها العامة والخاصة التى يُعَبَّر بها الإنسان المتدين كما يعبر بها المجتمع المتدين عن خضوعه للخالق وتسبيحه على عظمته وجلاله وتمجيده وشكره على آلائه ونعمائه.

ومنذ أن وجد الإنسان كانت معه عقيدته الدينية في الله خالقه، وقد عبّر عن تدينه بالصلاة إليه، والصراخ نحوه، والإستغاثة به من شر يحيط به ويتهدده. ولم يوجد فرد أو شعب في كل تاريخ البشرية عاش بلا إله، وبلا دين. فالإلحاد لا وجود له في الواقع. وكل من يزعم أنه ملحد ليس ملحداً على الحقيقة. إن له إلهاً وإن اختلف إلهه في طبيعته عن الإله الذى يعبده غيره في المجتمع. ولذلك فهو كافر بالإله المعروف بين مواطنيه ولكنه ليس كافراً على الإطلاق. وما إلحاده إلا تعبير عن تمرده على صورة الإله المقدمة له في

(١) نشر بجريدة الجمهورية بتاريخ الأحد ٢٨ من أبريل - نيسان ١٩٩١م - ٢٠ من برمودة ١٧٠٧ش.

المجتمع، فهو إلحاد بإله معين لكنه ليس إلحاداً بكل إله. والثابت في خبرة الأجيال أن في أعماق كل إنسان فكرة الخوف من سلطة عليا وراء الكون، يحسب حسابها ويتقى غضبها، ويشعر بوجودها، ولا يملك أن يقاومها طويلاً حتى لو زعم في الظاهر أنها خرافة. فما من إنسان ينكر أن ما يسميه الملاحدة ظاهراً بالخرافات ليس له تأثير على حياة الناس أفراداً وجماعات. والحق أن ما يسميه الناس بالخرافات ينطوى على إيمان بقوة مجهولة لكنها موجودة.

إذا كان الأمر كذلك فالدين وازع أساسى فى حياة الإنسان، كل إنسان، لا يمكن إنكاره. ومن الخير للفرد وللمجتمع تنمية هذا الوازع وتنويره والإستفادة منه كقوة دافقة وشحنة دافعة، وتزويده بالمعرفة المعلنة فى الكتب المقدسة، والخبرات التى جمعت عبر العصور، وكونت تراثاً ضخماً للإنسانية، مما أيد القيم الروحية وأثبت صحتها وقوتها وخيريتها، وزاد الناس إيماناً بالدين وما يشتمل عليه من قيم روحية لخير البشرية.

لذلك كان لخير الإنسان والبشرية معاً أن يبرز دور الدين وأهميته كوازع مهم وخطير، وأن نبدأ به مع الطفل منذ ميلاده بلا إبطاء، وأن لا نهمله من حياته إلى يوم مماته. إنه تيار عنيف وعميق ينبغى أن يخلى بينه وبين الجنادل والشلالات التى تعترض طريقه. وتتيح له كل الأسباب التى تمكنه من أن ينساب فى سهولة ويسر ليعمل عمله فى روى ويشبع ثم ينفذ إلى شغاف النفس والروح والبدن، ويُرشد ويُلمهم تصرفات الإنسان فى جميع مراحل نموه، ويثير ويوجه مسار حياته.

ولما كان عقل الإنسان أو إدراكه العقلى لا يكتمل إلا فى سن إكتمال الإنسانية، لذلك يلزم أن تبدأ الإستفادة من الوازع الدينى والشعور الدينى منذ بدء الحياة، وإن أمكن قبل أن تبدأ الحياة، أى فى حياة الوالدين منذ طفولتهما وشبابهما. وليكن ذلك بتغذية الحواس من نظر وسمع وشم وذوق ولس بما يشد إنتباه الحواس وبما يطبع عليها صوراً حسية لا تلبث أن تتحول إلى صور ذهنية ترسم على نفس الطفل وروحه وبدنه، وعلى كل خلايا العقل والقلب وعلى العظام وعلى كل مكوناته الجسمية والنفسية والروحية.

من هنا، دور القدوة والسيرة والنموذج الحى الذى يرسمه الوالدان للطفل منذ بدء عهده بالحياة - ثم دور الوسائل البصرية والسمعية والحسية وتأثيراتها على إحساس الطفل وشعوره وتكوين مزاجه وطباعه وميوله - ثم بعد ذلك دور المدرسة والمعلمين.

وإذا تناولنا دور المدرسة والتربية الدينية المدرسية، فنحن نطالب بأن يكون تدريس

الدين على أيدي إخصائيين في الدين. والمعروف أن القاعدة التربوية الأساسية هي أن المدرس هو المدرس، والدرس هو المدرس.

### لذلك ننبه إلى النقاط الآتية :

**أولاً :** يجب أن يكون ثمة إهتمام واضح وقوى بالتربية الدينية ومدتها إلى جميع مراحل التعليم في مدارس الحضانة والتعليم الأولى، ثم الإبتدائي والثانوى ثم التعليم العالى والعسكرى في جميع صورته، النظرى والعملى.

**ثانياً :** مدرس التربية الدينية ينبغي أن يُعدَّ لهذه المهمة إعداداً خاصاً، ببرنامج دينى وتربوى علمى قوى في مدارس تنشأ لهذا الغرض، ويختار طلبتها من خيرة الشباب الذين يتميزون بالخلق الرفيع وطهارة السيرة والإستعداد الدينى السليم غير المريض، ويكون إختيارهم بإشراف إخصائيين نفسيين يمكنهم أن يفرزوا التدين السليم من التدين المريض.

ولما كان لكل دين خصائصه، وكان لابد في إعداد معلّم الدين أن يكون له إلمام واسع بالدين الذى سيقوم بتدريسه، لذلك يلزم في وضع خطة هذه المدارس أن يكون بالخطة دروس عامة مشتركة لجميع طلبتها على إختلاف الدين، وهى دروس في علم النفس والتربية الأساسية والتربية العملية ثم دروس أخرى ينقسم فيها الطلبة إلى حصص في التربية الدينية الإسلامية للطلبة المسلمين، وإلى حصص في التربية الدينية المسيحية للطلبة المسيحيين.

**ثالثاً :** يعد القائمون على هذه المدارس الإعدادية لمعلّم الدين، بعض البرامج العامة وحفلات سمر لخلق وعى روحى عام في جميع الطلبة، تسوده المحبة والمودة والصدقة والتعاون، وتغذيه الموسيقى وأنواع الفنون والآداب من شعر إلى نثر إلى تصوير وغيرها من أعمال إنسانية عامة تجمع ولا تفرق، تبني ولا تهدم، الوحدة الروحية بين أبناء الوطن الواحد.

**رابعاً :** تعديل البرامج الدينية الحالية بمعرفة لجان عليا للتربية الدينية الإسلامية والمسيحية بحيث يصير فيها توجيه التربية الدينية للإلحاح على القيم الدينية الروحية والسلوكية، والربط بين الدين والحياة، وبين الدين والعلم، وبين الدين وإحتياجات الإنسان المعاصر، وبين الدين وقضايا الوطن، والمجتمع المصرى.



## البيت ودوره في التعليم والثقافة (١)

إن أثر البيت الذي ينشأ فيه الطفل ويتربى في كنفه يفضل ويزيد كثيراً على أثر المدرسة التي تتسلمه صغيراً، والمجتمع الواسع الكبير الذي يتلقفه بعد ذلك. ومن هنا فإن الفارق الأعظم بين شخص وآخر في الوطن الواحد والمجتمع الواحد هو فيما نشأ عليه الطفل في بيته، والجو الذي تربى فيه، وما تنسّمه واستنشقه من ثقافة روحية وآداب إنتقلت إليه، بطريق غير مباشر ومباشر عن طريق أبويه وإخوته وأسرته ومعارف أسرته ممن يترددون على البيت، وتربطهم بالأسرة أوثق الروابط.

وليس صحيحاً ما يُظنُّ أحياناً أن العقل هو المدخل الوحيد أو حتى الأكبر للثقافة في حياة الطفل، والصبي والفتاة، والشاب والشابة، والرجل والمرأة. فمداخل الثقافة إلى حياة الإنسان في جميع مراحل العمر إبتداءً على الخصوص من الطفولة إلى كمال السن، عبر الصبوة والشباب يرتد أكثر ما يرتد إلى المناخ الروحي الذي يعيشه الإنسان الصغير في بيته والذي لا يمثل فيه العقل إلا واحداً من أصغر المداخل إلى النفس البشرية. أما المداخل الأخرى فهي كثيرة ومتعددة ربما بقدر ما الجلد الإنسان من مسام فضلاً عما له من حواس خمس - وهي المصطلح عليها بأنها أبواب المعرفة - أضف إليها ما للإنسان من إحساسات ومشاعر ووجدانات تنطبع عليها آثار تبقى ببقائه كأثر الكلمة المسموعة على شريط حساس تنتقش على نفسه كمنقش الحفر على الحجر، ومن أعمق أعماق نفسه تلهم سلوكه وتصرفاته وتوجه أفكاره وآراءه بصورة لا يملك مقاومتها وقد يعجز بسببها عن معرفة نفسه ومعرفة دوافعه وبواعثه وغايات أعماله وأقواله.

من بين القصص الإنسانية المؤثرة التي أسهمت في بناء علم النفس في تاريخه الحديث، قصة فتاة صغيرة عندما بلغت سن البلوغ أصيبت بمرض النوم المتواصل. فحار والداها في أمرها وعرضها على عدد من الأطباء، فأعطوها دواءً في إثر دواء. ولكن الفتاة لم تشف من نومها، وظلت كما هي لا تكاد تصحو إلا وقتاً يسيراً لتشرب كوباً من اللبن أو لتزرد بعض الطعام حتى يغلبها النعاس وتعود إلى النوم. وظلت هذه حالها سنوات وسنوات ولم يفلح في علاجها أى دواء إلى أن بلغت سن اليأس، وعندئذ شفيت بغير دواء، واستيقظت من نومها الطويل.. وقد كانت قصتها مثيرة، في زمانها، وأخذ الناس يتناقلون خبرها.. فتنبه

(١) نشر بجريدة (الجمهورية) في عددها الصادر بتاريخ ١٢ من مايو - أيار لسنة ١٩٩١م - ٤ من بشنس لسنة ١٧٠٧ش.

العلماء إلى محاولة درس هذه الظاهرة في حياة هذه الفتاة، وبعد تقصى سيرة الفتاة تبينوا أنها عندما كانت طفلة صغيرة - وهى لا تزال رضية - تنسجت وهى بعد فى أقماط غبار الخلافات العنيفة بين والديها، وكانت ترى وتسمع بعينيها وأذنيها الصغيرتين الصياح والتضارب بين أبيها وأمها.. وظلت الطفلة البريئة تلتقط كما على شريط حساس هذه الحياة الصاخبة والمكفهرة بين زوجين غير سعيدين هما أبوها وأمها، حتى امتلأت نفسها دون أن تشعر بشقاء الحياة الزوجية.. وكبرت الإبنة وأضافت وقائع الخلافات المستمرة بين والديها أشياء جديدة وإحساسات جديدة تراكمت على القديم المترسب فى نفسها، فلما بلغت الفتاة سن البلوغ تولاهما خوف لاشعورى من دور المرأة والزوجة، فكان النوم سبيلها إلى الهرب اللاشعورى من دور المرأة والزوجة. وما إن بلغت سن اليأس حتى بهت الخوف فى نفسها لأنها لم تعد بعد صالحة للزواج. هذه هى الحقيقة التى وصل إليها العلماء فى ذلك الزمان الذى عاشت فيه الفتاة، فتنبهوا بقصة هذه الفتاة إلى أثر العوامل النفسية فى الأمراض، وقد كانوا حتى ذلك الوقت يحسبون الكلام عن هذه الأمور من الغيبيات أو من الأمور التى تدخل فى دائرة السحر والشعوذة والدجل وما إليها من أعمال الشياطين، ولذلك كان العلماء يقابلونها بالكثير من السخرية والإحتقار لأنها تخرج عن دائرة العلم التجريبي المحسوس الذى يقاس بالحواس وبمقاييس الوجود المادى.

تلك بيئة على أثر البيت فى حياة الإنسان. وفى يقينى، أنه مهما كان بعد ذلك أثر المدرسة وأثر المجتمع الكبير على تفكير تلك الفتاة البائسة وغيرها ممن فى ظروفها، فلن تستطيع الآثار الخارجة عن البيت أن تلغى أو تبطل من الآثار التى انطبعت على نفسية تلك الفتاة وغيرها، من بيئة البيت خصوصاً فى السن الصغير عندما يكون الطفل الحديث الولادة، ويكون مخه ونخاعه الشوكى وجهازه العصبى ولحمه كله غضاً ليناً، وبالتالي يرتسم عليه فى وضوح وعمق آثار المناخ الذى يعيشه ويتنسمه فى البيت وهو المناخ المتكون من والديه وإخوته من فرح أو غم، من سعادة أو شقاء، وفى هذا المناخ تصل إلى كيانه ثقافة تُكوّن مزاجه وطباعه وأحاسيسه ونظرته للأمور.

وإذا تذكرنا أثر البيت فى حياة فيلسوف مثل شوبنهاور، وكيف أنه بسبب ذلك تلونت نظرته للحياة، فصارت نظرة سوداوية قاتمة، وكان له رأى فى المرأة هو فى الواقع تعميم لم يستطع أن يهرب منه بعد أن تركت أمه فى شبابها أثراً عميقاً عليه فى طفولته المبكرة. وهكذا الأمر فى حياة كل فيلسوف ومفكر.. لقد صنع البيت فى حياته مالم تصنعه ثقافته

التي استقاها من المدرسة ومن معلّميه ومعاصريه في المجتمع الكبير. إن ثقافة البيت عادة تغلب في أثرها كل ثقافة أخرى، فهي التي تصبغ تفكيره بصبغة من لون يظل هو اللون الذي يغطي نظرتّه إلى الأمور بعد ذلك. نعم قد تضيف الثقافة التي يتلقاها الإنسان بعد ذلك من معلوماته، ولكنها لا تلغى أثر البيت إلغاءً ولا تمحوه محوًا، إنما قد تضيف إلى اللون الذي تكونت به عيناه ظلالاً ثقيلة أو خفيفة. أما أثر البيت فلا تمحوه ثقافة أخرى. إننا نؤمن على ضوء ما رأينا ودرسنا في حياة الفلاسفة: «أن نقطة البدء في الفلسفة ليست فلسفية». إن نقطة البدء غالباً ما يصنعها البيت. فالبيت يمغنط الطفل بما يرسله إليه من آثار مغناطيسية ممن هم أقوى أثراً على حياته وهو صغير، فيقع لا محالة في مجالهم المغناطيسي، ولن يقلت تماماً من أثرهم عليه. إنهم لا يكفون عن إرسال إشعاعاتهم إلى نفسه وأحاسيسه وإلى حواسه ثم قلبه، وأخيراً إلى عقله وفكره بإشعاعات من حياتهم هم، ولا بد أن يقع على الرغم منه فريسة لهذه الإشعاعات الصادرة منهم إليه ولا يملك أن يقاوم أثرها على حياته خصوصاً بعد أن تكون قد غاصت إلى أعماقه، فتحوّلت فيه إلى مزاج وإلى طبيعة ثم إلى كيان - وبعد أن يتكون هذا المزاج وهذه الطبيعة وهذا الكيان يخرج وهو مشبع به إلى المدرسة وإلى المجتمع، ويتقبل من الخارج آثاراً بعضها يزيد من أثر ثقافته المنزلية وضوحاً، وبعضها يعارضها، ولكنه لا يلغيها ولا يبطلها.

لذلك ينبغي الإهتمام بالبيت، وتوجيه الوالدين قبل الزواج، وبعد الزواج بثقافة روحية وتربوية وإجتماعية وإقتصادية.

أولاً : ونحن نرى وجوب إعداد برامج ثقافية للشباب المقبلين على الزواج لتعريفهم بالزواج من الوجوه البيولوجية والفسولوجية والسيكولوجية والتربوية ثم من الوجوه الروحية والإجتماعية.

وذلك في عدد من الدروس والمحاضرات يلقيها إخصائيون في تلك الموضوعات، كل بحسب دائرة تخصصه، وليكن ثلاثة دروس في كل موضوع منها. ومن مجموع هذه الدروس تتألف حلقة دراسية يمكن أن تتكرر عدداً من المرات في كل عام لكل مجموعة من الشباب، ويمكن أن يعقد نظيرها في عدد من عواصم المحافظات.

ثانياً : توضع كتب بهدف تزويد البيت بالثقافة الروحية والتربوية والجنسية اللازمة لكل بيت، للأزواج وللأبناء، ذكوراً وإناثاً بما يناسب أعمارهم. ويجمل أن يكون قوام

هذه الكتب تلك الدروس والمحاضرات التي أُلقيت وتلقى في الحلقات الدراسية التي تعقد للمقدمين على الزواج، وحديثى العهد بالزواج.

**ثالثاً :** لما كانت الإذاعة والتلفزيون قد دخلت البيوت، وغزتها، وصارت جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية لكل بيت، لذلك يطلب من المشرفين على وسائل الإعلام السمعية والبصرية إعداد برامج ثقافية بانية ومفيدة لتزويد البيت المصرى بكل ما يبني حياة الصغار والكبار، روحياً، وأخلاقياً وإجتماعياً وعائلياً، مع تجنب الإثارة والدخول في الخلافات العقائدية بين الأديان، والحرص على إبراز القيم الروحية العامة والتربوية التي تفيد الناس جميعاً، صغاراً وكباراً، وإستبعاد المناظر والأفلام التي تشجع على الجريمة والعنف، وتحرك الميول الجنسية وما إليها من ضروب الخلاعة.

**رابعاً :** يلزم أن تقوم دور العبادة في طول البلاد وعرضها بتوجيه الناس إلى أهمية البيت في إعداد المواطن الصالح وأثره في خلق مناخ جيد يحياه الصغار والكبار، وتوعية الوالدين ليكونوا للأولاد والبنات قدوة ومثالاً يحتذى في سلوك عملي في التفاهم الهادئ وفي حسن إختيار العبارات والكلمات المهذبة، غير المبتذلة وغير النابية، وتجنب الصياح والغضب والصخب والضجيج والشتم وما إليها من أقوال وأفعال تفسد على الصغار حياتهم وتشقيهم، وتنشئهم على إعتياد ما يتعارض مع القيم الروحية والأخلاقية والعائلية.

## الثقافة والسلوك (١)

لدراسة موضوع (الثقافة والسلوك) تحدد ثلاثة أسئلة تفتقر إلى إجابات :

السؤال الأول : هل هناك سلوك من غير ثقافة؟

السؤال الثاني : هل هناك ثقافة من غير سلوك؟

السؤال الثالث : هل هناك ترابط بين الثقافة والسلوك؟

السؤال الأول : هل هناك سلوك من غير ثقافة؟

والجواب : نعم؛ فما أكثر الذين يتصرفون من غير ثقافة، أى من غير معرفة ومن غير دراية.

إنهم يتصرفون تلقائياً تصرفاً عشوائياً بغير بصيرة، وهو سلوك الغالبية العظمى من غير المثقفين. وهؤلاء ما أسهل إثارتهم للتصرف، بسبب تافه تحركهم للسلوك دوافع فجأة، وعواطف حسية هابطة. وقد تأخذ عندهم شكلاً براقاً جذاباً، وتبريراً معقولاً على السطح، خصوصاً إذا وجدوا باعثاً دينياً أو شبه دينى، فيندفعون بغير وعى واهمين ومتوهمين أنهم مصلحون وأخيار، وأنهم أقيموا أوصياء على بنى البشر.

وهناك أنصاف المثقفين، لهم بعض المعرفة وبعض الدراية وقد يكونون من حملة الشهادات المتوسطة أو العليا، ولكنهم أميون أو أنصاف أميين، يتطفلون على مالا إختصاص لهم فيه، ولا يملك أحد أن يصددهم أو يعارضهم لأنهم أحرار فيما يختارونه من سلوك، ولأنهم أذعياء علم ومعرفة، لاسيما أنهم من أصحاب الشهادات العلمية المعترف بها، وهؤلاء عادة أهل فهامة، قادرون على أن يرفعوا أصواتهم عالية، تعلقوا كثيراً على أصوات المثقفين على الحقيقة، خصوصاً وأن المثقفين على الحقيقة إما متواضعون فلا يتشددون، وإما علماء فلا يتعصبون إذ هم بطبيعة أرواحهم ويفضل معرفتهم الموسوعية يخلون السبيل أمام الرأى الآخر.. ويمكنهم أن يوسعوا صدورهم لمن يخالفهم الرأى أو السلوك.

(١) نشر بجريدة (الجمهورية) في يوم ١٩ من مايو - أيار لسنة ١٩٩١م - ١١ من بشنس لسنة ١٧٠٧ش.

## السؤال الثاني : هل هناك ثقافة من غير سلوك؟

نعم، فمن الناس من يقرأ ولكنه لا يدرس ما يقرأ، تستهويه المعرفة للمعرفة الإستطلاعية وكأن القراءة ترف، يتسلى بالقراءة من قبيل اللهو والمزاح، كأنها ضرب من ضروب الهواية الحرة، يقلب نظره بين عناوين المقالات في الصحف، ويستهويه أن يقرأ الجديد من الأخبار، ولاسيما ما كان منها مستغربا وغير مألوف، وهو يجمع هذه إلى تلك من المعارف الفجة السريعة، ولا يعنيه منها عمل أو سلوك، إنما الذى يعنيه أنه جمع من المعارف أو الأنباء والأخبار حصيلة ليست قليلة ينتشر بها بين الناس يسألهم ويحدثهم فيها فيملاً مجلسه أو مجالسهم بكلام ثم كلام، وغايته من الكلام، ليس هو العمل أو السلوك، وإنما هو سعيد وسعيد أن يرى غيره مبهوراً به وبما وسعه فكره من معلومات وأخبار جديدة ومتنوعة، ويخرج أو يمضى إلى بيته سعيداً بما أثاره حديثه مع الناس من إنبهار وردود فعل أثبتت أنه واسع الإطلاع، وأنه غير غافل عن الأحداث، وأنه ليس كغيره ممن يخلقون على أنفسهم فيما هو من إختصاصهم فقط جاهلين بما يدور حولهم، أما هو فكان في لقائه بالناس محطة إذاعة ينقل للناس أخباراً لم يتنبهوا لها، إذ كانوا مغمورين بشواغلهم ومشاغلمهم وإهتماماتهم الشخصية أو العائلية أو العملية، وبذلك تزداد قيمته في نظر نفسه ويحس بأنه متميز على غيره، وأنه نجح حقا في أن ينتزع إعجاب الناس به وإنبهارهم بشخصيته العلمية.. وأما ما عدا ذلك فلا يهمه ولا يعنيه.. إنه لا يعنيه لا سلوكه هو، ولا سلوك غيره إلا بقدر ما يتيح له سلوك الآخرين من فرصة لنقدهم وإظهار أخطائهم وإبراز ما فاتهم.. إنه لا يعنيه بقليل أو كثير أن يقدم عملاً إيجابياً، فيخدم برأيه أو سلوكه مجتمع الناس.. إن كل ما يشغل همه هو أنه أثبت أنه إنسان جماع المعرفة بالأخبار والأنباء والأسماء، أسماء الناس وأسماء الكتب والمقالات وأسماء المشروعات.. وأنه برهن لنفسه وللناس على أنه يعرف أكثر منهم، فهو أجدر بالحياة وبالناس، وبكفاءة إستطاع أن يدير الحديث أو الحوار، وأن يلفت الأنظار إلى شخصه.

ومع ذلك يبقى السؤال الحائر يفتقر إلى جواب.

## هل مثل هذا الإنسان مثقف على الحقيقة؟

هذا أيضا لا أهمية له.. فأكثر الناس يضيقون بالمتقفين على الحقيقة، لأن هؤلاء المتقفين لديهم أفكار متعمقة يدعون الناس إليها، ودعوتهم فيها تكلفة ولها ثمن غالى، وأكثر الناس على غير إستعداد لدفعه، ولذلك فهذا الفريق من المتقفين يبدو للغالبية ثقيل الظل.. أما

أصحاب الذكاء اللماح من أولئك الذين يتسقطون بسرعة هائلة على الأخبار وهم يمرون على الأنباء مر السحاب، يقتطفون زهرة من هنا وزهرة من هناك ويصنعون من هذه الزهور ذات الألوان الصاخبة الفاقعة باقة كبيرة متعددة الألوان، فهؤلاء هم الناجحون في تثبيت أنظار الناس فيها، إعجاباً وإنبهاراً وهم خفيفو الظل والمرحون، والسعداء والذين يسعدون غيرهم، ويسعدون المجتمع.

### السؤال الثالث : هل هناك ترابط بين الثقافة والسلوك؟

المفروض حقا أن هناك إرتباطاً بين الثقافة والسلوك، وإلا فما هو المعنى أو المغزى من الثقافة؟.

إن كل نوع من الثقافة لا يتحول إلى سلوك فلا جدوى منه ولا غناء فيه. إنه عبث لا طائل تحته، ولا خير فيه.

والحق أن الإرتباط قائم بين الثقافة والسلوك قياماً طبيعياً، فالثقافة هي أساس السلوك، والسلوك بناء يقوم على الأساس.

إن كل ثقافة لا تتحول إلى سلوك لم تبلغ مرحلة النضج، أو مرحلة الإقتناع التام الذى يملأ جوانح النفس ويغمر القلب بشحنة وطاقة عارمة.

ولكل فكرة مدة حضانة مناسبة قبل أن تتحول إلى عمل.

لذلك فإن مهمة الثقافة تحتاج إلى زمن. ولابد أن نحترم عامل الزمن، ولا نتجاهل قيمته في خبز المعرفة وإنضاجها وتحويلها إلى شيء مساغ قابل للهضم، ومن ثم للتحويل إلى دم يسرى في الجسم ويبنى الخلايا والأنسجة واللحم والعظام.

ولا يثنينا عن الإيمان بالثقافة عدم التحقق السريع بالنتائج. فإن الثقافة في ذاتها كسب عميق للإنسانية، حتى لو لم تظهر لها نتائج تبشر بإستقرار القيم.. فإنها لأبد يوماً ما أن تؤول إلى سلوك حضارى.

إن عمل المثقفين في جيلهم تحضير للخير الذى سيحصده الناس في جيل لاحق أو أجيال آتية.. وعزاء المثقفين أنهم يُفْلحون الأرض ويدرسونها ويقتلعون الشوك منها ويطهرونها من الديدان ويُقْلَبونها ويصيرون وطيبها عاليها وعاليها وطيبها، وبذلك يتيحون للهواء أن ينفذ إليها، ولأشعة الشمس أن تخترق ذرات التربة، وبعد ذلك يبذرون الحب فيها ثم

يسقونها بالماء.. ولا بد لهم أن ينتظروا ولا يتعجلوا، ففي الوقت المناسب ينبت الحب بعد أن يكون قد اختفى في الأرض زمناً، ولا يعلو أو يرتفع مرة واحدة ولكنه ينمو قليلاً قليلاً إلى أن يبلغ في زمن الطبيعة المرسوم طبقاً لقوانين الطبيعة، إلى إكتمال النضج وإلى الثمر المتكاثر.

جاء في الكتاب المقدس (ألق خُبزك على وجه المياه، فإنك تجده بعد أيام كثيرة) (الجامعة ١١ : ١). والمعنى من هذا القول المقدس أن لاضياح لجهد صالح، ولا فقدان لعمل الخير. فإنه لا بد للإنسان أن يحصد ثمر عمله، في المستقبل القريب أو البعيد (فلا تَفْتَرَنَّ همتنا في عمل الخير، فإننا سنحصد في أوانه إن كنا لانكُلُ) (غلاطية ٦ : ٩).

وجاء في الإنجيل قول السيد المسيح (إن مثل ملكوت الله كمثل رجل يلقى بذاراً في الأرض، ثم ينام ثم يقوم ليلاً ونهاراً، والبذار تطلع وتنمو، وهو لا يدري كيف يحدث ذلك، لأن الأرض من ذاتها تعطي ثمرأ، فهي تعطي أولاً نباتاً، ثم سنبلأ، ثم قمحأ يمتلئ به السنبل. فإذا نضج الثمر عاجله بالمنجل، لأن وقت الحصاد قد حان) (مرقس ٤ : ٢٦ - ٢٩).

٢ - على أن ما ينبغي على المثقفين عمله ليس هو الدعوة إلى الثقافة فقط، وإنما بالأحرى أن يلتزموا هم أولاً قبل غيرهم بالسلوك، أى أن يقرنوا القول بالعمل، فتنحول عندهم الثقافة إلى سلوك، على أساس أن الثقافة لديهم ليست لمجرد متعة المعرفة، وليست لهدف نيل الشهرة بين الناس أو إجتذاب المدح والثناء المستطاب، وإنما لتصير حياة الإنسان بها أفضل مما تكون بغيرها، فلا جدوى للمعرفة من غير عمل وسلوك.

جاء بالكتاب المقدس (لكن قد يقول قائل : أنت لك إيمان، وأنا لى أعمال. فأرني إيمانك من غير أعمال، وأنا أريك بأعمالي إيماني. أنت تؤمن بأن الله واحد، حسنا تفعل، وكذلك الشياطين تؤمن به وترتعد) (يعقوب ٢ : ١٨، ١٩).

إنَّ على المثقفين إلزاماً أدبياً وروحياً أن يُقَدِّموا بسلوكهم البرهان على إيمانهم بما حصلوا عليه من ثقافة ومعرفة، لأنهم إذا كانوا مؤمنين حقيقة بما أدركوه وما يدعون إليه، فأعمالهم تنطق قبل أقوالهم، فلا يجد الناس هوة فاصلة كبيرة أو صغيرة بين أقوالهم وأفعالهم.



إن الثقافة سلوك حضارى، والسلوك نفسه ثقافة، إنهما يتوافقان ويتطابقان ولا يتعارضان ولا يفترقان. إنهما وجهان لحقيقة واحدة، أحدهما باطن والثانى ظاهر، إنهما يتفاعلان معا كالضارب والمضروب فيه فى سبيل التنمية الحضارية لإنسان متزن وشخصية متكاملة.

٣ - فى سبيل الربط بين الثقافة والسلوك نوصى بضرورة تدريس مادة (الأخلاق) فى جميع مراحل التعليم الإبتدائى والإعدادى والثانوى وجعلها مادة أساسية، ذات منهج تصاعدى مع الإلحاح على القيم الأخلاقية الفردية والإجتماعية السلوكية، وتوكيدها بالأمثلة والنماذج الحية - وربط الدراسة بالواقع وبالحياة المعاصرة ومشكلاتها اليومية.

٤ - العودة إلى إبراز قيمة السلوك فى مراحل التعليم، وتقييم السلوك الفردى والإجتماعى للتلميذ بتقدير كبير تكون له أهميته فى نقل التلميذ أو رسوبه أو فصله من المدرسة إذا ارتكب سلوكيا تصرفاً يتعارض مع القيم الأخلاقية السلوكية المفروض أن تتوافر فى التلميذ أو الطالب.

٥ - الإلحاح فى وسائل الثقافة والإعلام على :

أ - إبراز ضرورة الربط بين الثقافة والسلوك.

ب - الإشادة بالنماذج الحية التى يتجسد فيها هذا الربط بين الثقافة والسلوك لتكون هذه الإشادة تشجيعاً للشباب وللناشئين على الإقتداء بسيرة هؤلاء المصلحين.

ج - إدانة تصرفات الذين يتعارض سلوكهم مع ثقافتهم وإستنكارها، إستنكاراً جماعيا ليكونوا عبرة لغيرهم يردع بهم المجتمع والدولة من يحذو حذوهم ممن يظهرون إنفصالا بين الثقافة والسلوك.

## الثقافة والقُدوة<sup>(١)</sup>

الثقافة معرفة، والثقافة سلوك، وخير السلوك سلوك المثقفين على الحقيقة، وسلوك المثقفين على الحقيقة هو المثال والقُدوة والأمثلة التي يترسمها الصغار والتلاميذ والجيل الصاعد من الشباب. يقول بعض الفلاسفة : التعليم بالكلام سفر طويل، والتعليم بالمثال طريق سهل.

نعم إن الثقافة معرفة، ومعرفة شمولية لا تقف عند حدود الإختصاص، وإنما تمتد وتطل على ما هو خارج الحدود التي ترسم الخطوط الخارجية لدائرة الإختصاص في فرع من فروع المعرفة الإنسانية. فالمثقف في زماننا لا يعد جديراً بهذا الشرف مالم يكن إلى جانب معرفته الواسعة والدقيقة والشاملة بفنه الذي اختص به وفيه كمهندس أو طبيب أو محاسب أو باحث في الفيزياء أو الكيمياء أو الفلك أو التاريخ أو الجغرافيا أو غيرها من العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية - مُلمّاً أيضاً في نفس الوقت ولو بالقليل من المعرفة ببعض العلوم الأخرى التي تخرج عن دائرة تخصصه إن لم يمكنه أن يلم بها جميعاً.

ومن هنا فليس هناك مقياس ثابت للثقافة، وليس هناك نموذج واحد للمثقفين.. ولذلك تختلف مراتب المثقفين بعضهم عن بعض، في العرض والطول والعمق والارتفاع بحسب ما يضيفون إلى معارفهم من كم وكيف في المعرفة الواسعة الفائضة عن دائرة التخصص بصورته الضيقة المحدودة عند العلماء المتخصصين.

والثقافة سلوك. حقا إن المعرفة لذة عقلية وممتعة روحية بها وفيها اكتشاف لمجهول أو مجاهيل، وإمتداد للعقل الذي لا يعرف للبحث والإستقصاء حدوداً مرسومة. إنه لا يتوقف عن الحركة التنقيبية في جميع الأبعاد : طولاً وعرضاً وعمقاً وإرتفاعاً.. إنه لا يتوقف ولا يقف عن البحث نهاراً أو ليلاً.. وليست الأحلام بالليل إلا نشاط للعقل الذي لا ينام، وإنما يجد في النوم فرصة أكبر للعمل والنشاط من غير أن يشد إنتباهه أو يزعج مسيرته عائق أو منبه خارجي، وبينما الحواس الخمس مخدرة أو مغلقة في حالة النوم تكون النفس مستيقظة والعقل الباطن صاحياً، وحيّاً أعظم وأقوى ماتكون الحياة.

هذه اللذة العقلانية الروحية التي يجدها الإنسان المهذب ذو النفس الكبيرة العالية هي

(١) نشر بجريدة (الجمهورية) في صباح يوم ٢٦ من مايو - أيار لسنة ١٩٩١م - ١٨ من بشنس لسنة ١٧٠٧ش.

غاية في ذاتها لأنه بها يصبح الإنسان أكثر فهماً لنفسه وللوجود من حوله، ولما وراء الموت عندما تنتهى رحلة حياته على الأرض. وهذه اللذة العقلية والسعادة النفسية التى يدركها ويلحق بها الباحثون وراءها، دليل في ذاته على أن النفس البشرية ليست أرضية لكنها روحانية، تنتمى بطبيعتها إلى عالم أجمل وأفضل، ولذلك لاتجد لذتها أو سعادتها فيما تجده أمامها من واقع مادي، فتبحث بغريزتها عن شيء آخر أو أشياء تجد فيها راحتها الحقيقية، إذ هى غير قانعة بوجودها المادي. فلا تلبث أن تتحرك باحثة يميناً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، وعلو وعمقاً، عن طعام روحانى عقلانى من ذات طبيعتها الروحانية العقلانية، طعام حقيقى يشبع إحتياجاتها العميقة في قرارة أعماقها وأعمق دواخلها..

لكن ما قيمة الثقافة إذا كانت مجرد معرفة حتى لو كانت معرفة شمولية، وثقافة موسوعية؟!.

إن الثقافة في حقيقة أمرها لذة ومنتعة، وشبع وإرتواء يفضل كثيراً كل شبع مادي وكل إرتواء حسى، ومع ذلك فللثقافة غائية بالنسبة للنفس البشرية، وغائيتها هى أن تصبح النفس بها أفضل مما تكون من دونها. لأن الثقافة الحقيقية تجيب على إحتياج عميق في النفس البشرية التى تسعى نحو المعرفة هدفاً وغاية تتجه صوبه للتحقق به، فهى للنفس كمالها وجمالها وبهاؤها، بها تزدهر وتنتعش وكأنها الهواء الذى تتنفسه وتتنسمه فتحيا به، ومن دونه تختلق وتموت، لأنه به كيانه ووجودها، بل وخلودها، فبالعلاقة تحيا النفس وتتحرك وتوجد، وتبقى ويستمر بقاؤها إلى الأبد.

الثقافة إذن للنفس ليست مجرد متعة تلهو بها عابثة، كأنها ملهاة أو مسلاة، ولكنها لازمة لها لقيامها وكيانها ووجودها، وخلودها.

لابد للثقافة إذن أن تتحول في مسارها إلى غذاء يشبع ويروى ويحيا، مثلها مثل الطعام للجسم يزدردده الفم لا لتمتلى به المعدة، ولا لكى يلتذ به اللسان ويسيل له اللعاب، وإنما بالأحرى لكى يتمثله الجسم، فيتحول إلى دم وإلى لحم، يبني به البدن تعويضا عن الإحتراق والهدم الذى لا مفر من أن يعانیه كل كائن حى بتفاعله مع البيئة ومع الوجود.

فالثقافة إذن لا تبقى بعد مجرد ثقافة، وإنما تتحول تلقائياً إلى عمل. وهذه هى غائية الثقافة في كائن حى عاقل حر مريد، هو الإنسان.

وكل ثقافة لا تتحول إلى عمل، فلا جدوى منها ولا غناء فيها.. وكل ثقافة لا تتحول إلى عمل هي في الواقع سطحية وتافهة وهي لا تجيب على حاجة حقيقية في النفس البشرية. وإذا كانت كل ثقافة حقيقية مصيرها أن تتحول إلى فعل وإلى عمل، وإلى بناء للنفس والروح والعقل، فإن الإنسان المثقف بهذه الثقافة الحقيقية يتحول بها إلى إنسان آخر غير ما كان عليه قبل إحرازه لهذه الثقافة الحقيقية.

إنه بثقافته يتحول إلى إنسان مزود بشحنات روحية وطاقات نفسية وقدرات عقلية تجعل منه نموذجاً وأمثلة ومثلاً أعلى، وسلوكه وتصرفه الذي لا بد أن يكون مطبوعاً بثقافته العالية الواسعة لا بد أن يتحول إلى سلوك نموذجي يصير قدوة لغيره من السائرين على دربه.

فإذا لم يتحول المثقف إلى قدوة وإلى مثال في سلوكه وتصرفه فقد دل بهذا على أن ثقافته سطحية تافهة وأنها مجرد طلاء خارجي لا يلبث أن يتساقط ويتداعى فيظهر ما تحته.

ما جدوى المعرفة بقيمة الصدق والنعي على شرور الكذب إذا لم يكن الإنسان صادقاً مع نفسه وصادقاً مع غيره؟!.

وما فائدة الإيمان بالأمانة والدعوة لها إذا لم يرع المرء الأمانة في حياته ومعاملاته في السر والجهر؟!.

وما هو نفع الناس من مواعظ المصلحين الاجتماعيين ومعارفهم الشاملة عن مضار المسكرات إذا كان هؤلاء المصلحون يسكرون بالخمير في الخفية أو في العلن؟!.

جاء في الكتاب المقدس «وقد يقال أنت تؤمن وأنا أعمل. فأرني إيمانك من غير أعمال، أما أنا فأريك بأعمالى إيماني. أنت تؤمن بأن الله واحد، فقد أصبت، والشياطين أيضاً يؤمنون به ويرتعدون» (يعقوب ٢ : ١٨ ، ١٩).

وجاء فيه أيضاً «كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف والمحبة والإيمان والعفاف» (١. تيموثيئوس ٤ : ١٢) «واجعل من نفسك قدوة لهم في حسن السيرة» (تيطس ٢ : ٧).

وملاك القزل ما هي جدوى الثقافة إن لم يكن المثقفون قدوة ومثالاً ونموذجاً وأمثلة  
لغيرهم ممن يأخذون عنهم ويتمثلون بهم.

يقول الكتاب المقدس: «فإن كنت ياهذا.. تميز ما هو الأفضل.. وثق بأنك قائد للعميان،  
ونور للذين في الظلام، ومؤدب للجهال ومعلم للأطفال.. أفتعلم غيرك ولا تعلم نفسك؟  
أتعظ بالإمتناع عن السرقة وتسرق؟ أتنتهي عن الزنى وتزنى؟» (رومية ٢ : ١٧ - ٢٢).

ويقول الشاعر العربي :

يا أيها الرجل المعلم غيره .: هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا .: كيما يصح به وأنت سقيم

ونراك تهدي إلى الرشاد عقولنا .: أبدا وأنت عن الرشاد عديم

ابداً بنفسك فانهها عن غيرها .: فإذا إنتهت عنه فأنت حكيم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله .: عار عليك إذا فعلت عظيم

إن انفصال القول عن العمل، وإفتراق القاعدة عن التطبيق، يفسد القول، وينقض  
القاعدة ويهدر القيم، ويهدم صرح الثقافة. إن القول بدون عمل يهدم القول والعمل  
معاً.

## التربية الخلقية في المجتمع المصري<sup>(١)</sup>

يمكن أن يقال، على وجه الإجمال، ومن دون محاولة للتهويل أو التهوين أن التربية الأخلاقية تجد أقل القليل من العناية الواجبة في المجتمع المصري الحاضر.

حقيقة إن المجتمع المصري يحترم الدين، لكن أكثر الإحترام يتجه إلى العقائد الإيمانية، وقد يثور جدل طويل بين الناس حول الإيمان بالله وبالتوحيد وحول إحترام الأنبياء والأولياء والقديسين.. وقد يتطور الجدل أحيانا إلى خصومة حقيقية، وإلى عداوة ساخنة قد تصل إلى العنف المسلح في بعض الأحيان. وآية ذلك ما نشهده أحيانا من مآسى الإعتداء على المخالفين في الدين، وحرق معابدهم، ومهاجمة بيوتهم، ومحال عملهم، وذلك باسم الدين..

أما التربية الأخلاقية فناقصة نقصاً فاضحاً.

وهي ناقصة أولاً في البيت المصري، فكثير من العائلات مفككة، وأفرادها متناذبون غير متحابين، ولا يجد الطفل في الأسرة التي ينشأ فيها إحتراماً حقيقياً للقيم الأخلاقية. فقد يرى منذ بدء عهده بالحياة ما لا يجب أن يراه من تصرفات وحركات والديه وإخوته الكبار، وقد يسمع ما كان ينبغي ألا يسمعه من ألفاظ السباب، والشتم بأقذع الألفاظ وأحطها، فيألفها الطفل ثم يحاكيها في تصرفاته وكلامه.

وفي البيت أيضاً تشارك الإذاعة والتلفزيون في بعض البرامج بتزويد الطفل بصور ذهنية تمجد الجريمة وتُعَلِّمها، أو على الأقل تبرزها بشكل يعشقه الطفل ويجد لذة في ممارسته.

فإذا إنتقلنا إلى الشارع، لم يجد الطفل أو الشاب إحتراماً صادقاً للقيم الأخلاقية، بل على العكس يرى بعينه ويسمع بأذنيه ما يجرح الأخلاق والآداب، فيرى الناس يتشاجرون أو يتصايحون أو يتشاتمون، أو يتضاربون، وقد يرى ويسمع حوادث السرقات والنشل وخطف الأولاد والنساء.. يرى ذلك بعينه في الترام والحافلة (الأتوبيس) وفي القطار.. ويراه في النهار وبالليل.. ويقرأ عنه في الصحف، ويسمع عنه من أحاديث الأقرباء والأصدقاء والمعارف، يقرأه ويسمعه أحيانا بصورة تمجد المجرمين الذين يتمكنون من إقتراف

(١) نشر بجريدة (الجمهورية) في عددها الصادر يوم ٩ من مارس - آذار لسنة ١٩٩٢م - ٣٠ من أُمشير

جرائمهم بعلم من أجهزة الأمن أو بغير علمها، بمقاومتها أو بعدم مقاومتها، مما يضىء عليهم فى عينيه صورة من البطولة الزائفة التى يعشقها أحياناً قلب الصغير وعقله أو يتبناها، تحت ضغط ظروفه الخاصة أو العائلية أو الإجماعية.

وفى المدرسة أيضاً لا يجد الإهتمام بالقيم الأخلاقية. فإن همَّ المدرسة الأكبر هو التعليم والتحصيل المعرفى لمواد الدراسة التى يحصل بنجاحه فيها على الشهادة العلمىة التى تؤهله لمرحلة الدراسة التالية، أو لوظيفة يشغلها فى المجتمع، وهو يرى أنه ينبغى أن يحصل على شهادته الدراسية، ولو بالغش فى الإمتحانات وبكل الأساليب الوصولية التى تكفل له النجاح، والنجاح الممتاز، وإلا ضاع فى الزحام.

ثم إن فتح باب التعليم على مصراعيه، وهبوط المستوى العلمى فى المدارس والجامعات المصرية، أسهم فى إحتشاد الفصول الدراسية بالأعداد الغفيرة من الطلبة، بما يزيد على طاقة أجهزة التعليم، مما جعل القائمين على التعليم يتساهلون كثيراً فى مواصفات المدرس والمعلم، فهبط مستواه الأخلاقى فضلاً عن العلمى، ولم يعد المعلم ذلك النموذج السامى والمثل الأعلى الذى يجد فيه التلميذ ما يشده إلى التمثل به فى سموه الأخلاقى..

فكثيراً ما تظهر من المعلم فى قاعات الدرس، وفى الرحلات، تصرفات وأقوال، تنزل كثيراً بمستوى القدوة الحسنة التى يجب أن يلتزم بها المعلم حتى يقتدى به تلاميذه.

ولا يكاد التلميذ يجد فى المدرسة شيئاً يُذكره بالقيم الأخلاقية غير حصّة أو حصتين أسبوعياً يدرس فيها على يدي معلم غير مختص غالباً، أصول وحقائق التربية الدينية.. ومهما بلغ إهتمام المدرسة بهذه التربية الدينية المقررة كمادة نجاح أو رسوب، لكنها فى العادة تجد أقل القليل من الإهتمام والعناية.. فهى المادة الوحيدة التى يمكن أن يقوم بها مدرس غير مختص، مدرس لمادة علمية يقبل أن تفرض عليه فرضاً، تكملة لجدوله، وهو فى الأكثر لا يجد الحماسة لتدريسها، فضلاً عن أنه ينقصه الكثير من المعرفة اللازمة لتدريسها، وقد يكون هو نفسه غير متدين.. أو لا يؤمن بالدين.. أو قد يكون لا يحيا الدين فى حياته.. ومع ذلك كله فماذا يمكن أن تفعله هذه الحصّة أو الحصتان فى الأسبوع فى أخلاقيات التلميذ بالنسبة لحياته فى المدرسة، وهو يحيا فى جو مدرسى، يسوده إنتهاك القيم الأخلاقية أو فى أقل القليل، لايأبه بتلك القيم ولا يثيرها فى التلاميذ..

فإذا انتقل التلميذ من جو المدرسة والجامعة إلى محيط العمل فى دواوين الحكومة أو غيرها من الأعمال، رأى بعينه وسمع بأذنيه ولمس بيديه كيف تنتهك القيم الأخلاقية فى

الكبار والصغار على السواء، وذلك بانتشار الرشوة، والمحسوبية، والسرقات، والإختلاسات، وإنتهاز الفرص، والوصولية، وعدم تكافؤ الفرص، فضلاً عن الإهمال والتراخي في العمل، واللامبالاة في الأخطاء.. ويرى بعينيه ويسمع بأذنيه ويلمس بيديه أن الإنسان المخلص الجاد والدؤوب على العمل هو المضطهد وهو المظلوم بينما أن المستهتر والكسول هو الذى ينال الحظوة بالترقيات. لأنه يعرف كيف يتزلف رؤساءه وينافقهم ويستجيب لرغباتهم..

كل هذا وذاك يجده الطفل والشاب والرجل والمرأة في المجتمع المصرى الحديث، وهو صورة من الإنحدار الأخلاقى العام في كافة المرافق إبتداءً من البيت إلى الشارع إلى المدرسة إلى ميدان العمل.. بحيث يجد أن الدعوة الأخلاقية تافهة، باهتة، ضائعة، إزاء عوامل كثيرة هدامة تتعاون كلها معا على إغراء الشاب اليوم على تدهور أخلاقياته.

ولذلك فإننا نقرر في إقتناع تام أنه لأمل في العودة إلى إحترام القيم الأخلاقية في المجتمع المصرى الحديث، إلا إذا تعاونت كل الأجهزة الإعلامية، من صحافة إلى إذاعة وتليفزيون وأجهزة الدولة بأسرها، فضلاً عن وزارة التربية والتعليم، والجامعات ثم الجمعيات والهيئات، والبيوت.. مع المساجد والكنائس.. على حماية الأخلاقيات، والدعوة لها، ومراقبة كل وسائل التأثير على الناشئة والشباب.

إننا في حاجة إلى وعى متكامل وإلى جهود منسقة تتضافر معا وتتعاون معا على بث الدعوة الأخلاقية، وحمايتها والدفاع عنها.. وتشجيعها، وسن القوانين، وفرض العقوبات الرادعة على مظاهر التسيب الأخلاقى، في الرؤساء قبل المرءوسين. في الكبار قبل الصغار..

بهذا يمكن أن يكون هناك علاج للحالة المأسوية التى إنحدر إليها المجتمع المصرى الحديث. فالمشاكل لاتحل فرادى. ولا بد من منهج متكامل، يتعاون فيه كل المجتمع بكل أجهزته، الحكومية، والشعبية، والأسرية، والدينية..



## التعليم والثقافة في مرحلة ما قبل الدراسة<sup>(١)</sup>

الخطوط العامة الأساسية لحياة الطفل كلها تُرسَم وتتحدد في السنوات الأولى للطفولة السابقة على سن المدرسة، وعلى الأخص السنوات الثلاث الأولى منذ ميلاده. وهنا يبرز دور الأم على الخصوص، لأنها هي الحاضنة له، والتي تمنحه مع لبن الرضاعة الدفء الروحي والإستقرار النفسى، وهى المعلم الأول التى يتعلم منها المبادئ الأولية لحياة كلها، يرضعها مع اللبن، وتنفذ إلى شرايينه وشغاف نفسه وإلى أعضائه ومفاصله وخلايا لحمه وبدنه فى إبتساماتها وملاطفاتها وتدليلها له، ومع قبلات فمها فى فمه وعلى وجنتيه الصغيرتين ويديه وكل بدنه، وهى تضمه إلى صدرها فى حنان وحب، وتداعبه وتدغدغه فى سعادة غامرة بما يملأ قلب الصغير بالأمن وكل أسباب اللذة والمتعة النفسية والبدنية، فتنشأ نفسيته سوية، إذ يجد الرعاية والعناية اللتين تشبعان نفسه الغضة، فتشيع فى روحه وبدنه الإسترخاء والإحساس السعيد بالأمان والطمأنينة. وهنا يقول علماء النفس إن الطفل الذى تحمله أمه على كتفها وتضمه بحنانها إلى صدرها يستمع تلقائياً إلى نغمات وضربات قلبها، فيحس لاشعوريا بالإطمئنان لأنها ذات النغمات التى نشأ عليها وألفها وهو جنين فى بطنها، فيسترخى بين يديها وفى حضنها وينام سعيداً نوماً كله لذة وصحة، وإذا ظل مستيقظاً فهو بين يديها وعلى كتفها ملك على عرش لا ينقصه شىء، ولا يعوزه شىء، ففى أمه يجد كل راحته وكل لذته وكل مسرته وكل متعته وكل صحته الروحية والنفسية والجسدية.

فالسنوات الثلاث الأولى من حياة الطفل هى السنوات التى يمتص فيها أكثر مقومات شخصيته المستقبلية. فإذا كانت الأم مثقفة ثقافة واعية سليمة فهى المعلم الأول الذى يمكنه أن ينقل إلى الطفل كل ما تريد أن تنقل إليه من معلومات أساسية بأسلوب عملى ونظري يتناسب مع سنه الصغير ونفسيته البريئة وجهازه العصبى الغض، وخياله الخصب، وتقبله بالعرض والطول والعمق لكل ما تقدمه له أمه من معرفة بطريق مباشر وغير مباشر، وسرعة تصديقه لكل قول من غير عائق أو مانع.

(١) نشر بجريدة (الجمهورية) فى عددها الصادر صباح الإثنين ٣ فبراير - شباط ١٩٩٢م - ٢٥ من طوبه ١٧٠٨ش.

لذلك كلما كانت أمه مثقفة ثقافة حقيقية وواسعة وكانت على دراية بأهمية الطفل، وأهميتها هي بالنسبة له، وأهمية ما تستطيع أن تنقله إليه من معارف بأسلوب مناسب لعقليته ونفسيته في هذه السن المبكرة، فلا يعوزنا في تثقيف الطفل بعد ذلك إلا جهد أقل، هو جهد في حقيقته تكميلي أو قل إنه مجرد مد للخطوط الأولى التي رسمتها الأم ومن بعدها الأب إلى أبعادها الثلاثة طويلاً وعرضاً وعمقاً لتنفذ إلى الروح والنفس والبدن.

ذهبت ذات مرة أم وبيدها طفلها تستشير واحداً من كبار المربين تسأله النصيحة في ولدها. فسألها عن سنّه، فأجابت إنه ابن خمس سنين.. وعندئذ قال المربي الكبير في فتور: امض ياسيديتي، فقد ضاعت الفرصة التي يمكنك أن تصنعي فيها شيئاً كبيراً ذا خطر في حياة طفلك.

إن تأثير السنوات الثلاث الأولى في حياة النبي موسى التي عاشها في أحضان أمه والتي لقنته فيها الدروس الأولية والأساسية والتي عرف فيها إنتمائه الحقيقي، وتربى فيها مع لبن الرضاعة بكل ما حقنته به أمه من معارف وثقافات روحية ودينية وعائلية وإجتماعية.. فافتت في أثرها السنين الكثيرة التي عاشها بعد ذلك في قصر فرعون، وقدرها نحواً من سبع وثلاثين سنة. وهذا بعينه ما صنعته السنوات الثلاث الأولى في حياة عدد من الأنبياء ومشاهير الرجال والنساء عبر العصور بما خلف لنا تراثاً إنسانياً ثميناً يبرز قيمة التعليم والثقافة في مرحلة ما قبل الدراسة، ولا سيما السنوات الثلاث الأولى.

ونظراً للأهمية القصوى لهذه المرحلة في حياة الطفل نرى أنه من الخير كل الخير أن تتفرغ الأم لطفلها في السنوات الثلاث الأولى من حياته، ولن يسد فراغ الأم، ولن تقوم بدورها امرأة أخرى حتى لو كانت الجدة المعروفة بحنانها على الطفل، وبالتالي لن يمكن أن تغنى عن الأم دور الحضانة مهما بلغ من نفعها. وفي بعض البلاد مثل المجر تمنح الدولة الأم العاملة إجازة من عملها لمدة ثلاث سنوات بمرتب كامل.

وهنا نضع سؤالاً، يبدو لنا مهماً وضرورياً : لماذا تعتبر المرأة التي تعمل معلمة أو حاضنة للأطفال أنها تؤدي خدمة للدولة، ولذلك تجزيها الدولة عن عملها براتب مناسب، ولا تعتبر كذلك الأم، أي أم، أنها تسدى خدمة للدولة؟ بينما هي في الواقع تؤدي للدولة

والمجتمع والوطن خدمات جلّ لا تستطيع إمراة أخرى أن تؤديها بمثل كفاءة الأم وصبرها وجلدها وسعادتها الروحية والنفسية؟.

لذلك نرجو أخيراً وليس آخراً أن تهتم الدولة بالتعليم والثقافة في مرحلة ما قبل الدراسة وذلك يقتضى.

أولاً العناية بالأم وثقافتها مع التركيز على إعدادها إعداداً كاملاً لدور الأم، وتثقيفها ثقافة سيكولوجية وتربوية ونسائية في مدارس خاصة بالبنات.

وثانياً منح الأم العاملة إجازة بمرتب كامل لمدة ثلاث سنوات لتربية طفلها.

وثالثاً تزويد الأم بكل ما يلزمها في مهمتها الحيوية ومسئوليتها الضخمة في التربية، بكافة التسهيلات التي يراها علماء النفس والتربويون لازمة لتنشئة الطفل تنشئة سليمة سوية.

## بعض نصوص تحض على العلم والمعرفة

«لتحفظ شفتاك معرفة» (سفر الأمثال ٥: ٢)

«الحكماء يصونون العلم» (الأمثال ١٠: ١٤)

«شفاه الحكماء تزرع العلم، وقلوب الجهّال ليست كذلك» (الأمثال ١٥: ٧)

«القلب الفطن يلتمس العلم» (الأمثال ١٥: ١٤)

«القلب الفطن يكتسب العلم وأذن الحكماء تلتمس المعرفة» (الأمثال ١٨: ١٥)

«الحكيم بالارشاد يقبل معرفة» (الأمثال ٢١: ١١)

«النفس من دون علم غير صالحة» (الأمثال ١٩: ٢)

«الذهب موجود والآلء كثيرة وشفاه العلم جوهرة كريمة» (الأمثال ٢٠: ١٥)

«امتلاك الحكمة يفوق اللآلء» (سفر أيوب ٢٨: ١٨)

«امتحنوا كل شيء وتمسكوا بالحسن» (١. تسالونيكي ٥: ٢١)

## التطرف الدينى (١) مقال مجلة «المصور»

التطرف الدينى نزعة دينية مريضة، منحرفة، بها ينحبس صاحبها فى ذاته، وينغلق على نفسه، فلا يفتتح على فكر غيره، وشيئاً فشيئاً ينمو إحساسه بنفسه وضيقة غيره، فيزداد تعصبه لفكره وكرهه لغيره وحقد عليه.

وإذا كان التطرف الدينى حالة نفسية مرضية غير سوية، فمردها فيما نعلم إلى سببين أساسيين: السبب الأول نفسانى، ثم عقلى وعصبى. والسبب الثانى هو الجهل برسالة الدين الحقيقية.

أما السبب النفسانى، فهو أن المتطرفين دينياً هم فى واقع الأمر مرضى، يهربون من نفوسهم إلى الدين يستترون به، يُغطّون من تحته أمراضهم الروحية وإنحرافاتهم حتى لا يظهروا أمام نفوسهم وأمام الأعيان عرايا فتكتشف حقيقتهم الشريرة الأثيمة. فالدين بالنسبة لهم ملاذ ومأوى يهربون به ويستترون من تحته.

إنّ أمثال هؤلاء المرضى الهاربين من ذواتهم كثيرون: بعضهم يهرب من ذاته بأن يجرى وراء شهواته ونزواته فيتردى فى المجون والخلاعة والتبذل والإباحية، فيسقط فى مستنقع الشرور لعلّه بذلك يُشبع جوع نفسه ونهم جسده إلى الشهوات، ولعلّه أيضاً يهرب بذلك من القلق الذى يستبدّ به ويتملكه فيشقيه ويصيبه بالوسوسة والعبوسة المستمرة القاتلة - وبعضهم على العكس يهرب من متاعبه مستتراً أو متستراً فى الدين. وهو لا يكتفى من الدين بمبادئه السامية وروحانيته، ولكنه، إمعاناً فى التغطية، يصطنع مظاهر خارجية تبرز فى ممارسات وأشكال منظورة، فى الصلاة والسجود والركوع والصوم، والتردد على أماكن العبادة. ويبلغ به التزيد فى تلك المظاهر إلى مناداته بصيغ متطرفة، ظاهرها دينى منقول عن الكتب المقدسة. بها يشتم غيره، ويتهم من لا يسلك سلوكه، بأنه كافر وزنديق، ويزداد غلوه، فيقيم من نفسه وصياً على الناس، يتكلم وكأنه نبيّ، فيخلع على غيره خلعة الإيمان أو الكفر، وكأن الله يتكلم على فمه.

(١) وتم نشره بجريدة (الجمهورية) فى عددها الصادر يوم الإثنين ٢٥ من مايو (أيار) لسنة ١٩٩٢ م - ١٧ من بشنس لسنة ١٧٠٨ ش.

وأما السبب الرئيسي الثانى فهو الجهل برسالة الدين الحقيقية.

إنّ الدين رسالة روحية عملية بها تنتظم علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقته بالأغيار من الناس. وهو فى جوهره رسالة عبادة لله، وخير ورحمة بالناس.

قال المسيح له المجد «وأما أنا فأتيتُ لتكونَ لهم حياة، وليكونَ لهم أفضلُ» (يوحنا ١٠: ١٠) أى لتكون هذه الحياة أفضل مما تكون بغير الدين. وقال الكتاب المقدس أيضا «إنّ الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى إفتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وأن يصون الإنسان نفسه من دَنَسِ العالم» (يعقوب ١: ٢٧).

لكنّ المتطرفين يجهلون تماماً الرسالة الحقيقية للدين وهى الخير العام والخاص. والخير لا يكون بالعنف والقتل والتصفية الجسدية، إنما يكون بالمحبة والرفق والإقناع والحض وإسداء المعروف، وصنع الخير للناس، لجميع الناس، مؤمنين وغير مؤمنين. وبهذا تنجذب قلوب غير المؤمنين، إلى الدين، إذ يلمسون رسالة الدين أنها رسالة رحمة وخير للإنسانية.

هل يعلم هؤلاء المتطرفون أنّ التطرف يُسيء إلى الدين بالصورة التى يقدمونها عنه للناس، وأنهم بذلك يدفعون بالناس إلى كراهية الدين وبالتالى إلى الإلحاد...؟

إنّ تاريخ الفكر الإنسانى يُنبئنا أنّ المغالاة والتطرف فى فكرة ما يقود حتماً فى جيل تالى إلى كراهية لها.

إنّ المتطرفين، بجهلهم وسوء فهمهم وقصور إدراكهم يخدمون الإلحاد ويمهدون الطريق السهل إلى الشيوعية التى يظنون أنهم يعارضونها ويهاجمونها ويقاومونها.

## الدين في جوهره لا يعرف التعصب<sup>(١)</sup>

الدين في جوهره وبطبيعة مبادئه لا يعرف التعصب. إنه ينادى بالمحبة لجميع الناس، ويأمر بأن يصنع المؤمن المتدين الخير لجميع الناس. وإذا كان المسيح له المجد يأمر بمحبة الإنسان لأعدائه، فكم بالأحرى تكون محبة المسيح لإخوته أبناء وطنه وبلده مهما اختلفوا عنه في عقيدته ودينه. يقول السيد المسيح (سمعتم أنه قيل: أحبّ قريبك وأبغض عدوك. أما أنا فأقول لكم: أحبّوا أعداءكم، وادعوا لمضطهديكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم.. فإن أحببتهم من يحبكم فأى أجر لكم.. وإن رحبتهم بإخوتكم فقط فأى فضل لكم على الآخرين).

والواقع أن التعصب شر وخطيئة ضد الله، وضد الدين، وضد المجتمع وضد الإنسانية. ذلك أن التعصب تشدد مقيت وتزمت رديء وإنغلاق غبي على الذات، وإنحباس على النفس، مع رفض الرأى الآخر، وعدم إستعداد لقبول الحق حتى عند ظهور الدليل، وذلك بناء على ميل نفسى منحرف ومنحاز للذات مع كراهية للآخرين الذين يخالفونه الرأى.

وهنا نشير إلى الفارق الضخم والبون الواسع بين التعصب والتمسك. إن من حق كل إنسان أن يتمسك بدينه، بل إننا ندعو الناس إلى أن يتمسكوا بالدين والعقيدة وبالفضائل التى يحض عليها الدين، ولكن التمسك بالدين شىء والتعصب شىء آخر. التمسك فضيلة. أما التعصب فرديلة. التمسك معناه أمانة وإخلاص وعدم تفريط، وعدم تسيب، بل هو حصانة ضد اللامبالاة والإلحاد، وضد الشر والإباحية وفساد السيرة. أما التعصب فهو المؤلّد لكل أنواع التشنج والبغضة والحقد والكراهة للناس. وإنتشاره ضار بالشخص ذاته كما هو ضار بالمجتمع، ثم هو أخيرا ضار بالدين ذاته. لأنه يسئ إلى رسالة الدين ويشوّه صورته أمام الناس، بل إنه يقود حتماً إلى نفور الناس من الدين ذاته، وبالتالي إلى الإلحاد واللا دينية.

(١) نشر بجريدة (وطنى) الأحد ٢١ من اكتوبر - تشرين أول لسنة ١٩٨٤م - ١١ من بابه لسنة ١٧٠١ش.

## التطرف والإنحراف عند الشباب أسبابه ودوافعه ومظاهره، ووسائل علاجه<sup>(١)</sup>

التطرف في تعريفه هو المغالاة وتجاوز حد الاعتدال والبلوغ بالأمر إلى نهايته. والتطرف ظاهرة نفسية، يغذيها الإنفعال، وتلهبها العاطفة وشدة الحساسية، وهي أظهر ما تكون في الشباب، وإن كانت تمتد عند قلة من الناس إلى سن الرجولة والكهولة، وقد تمتد أيضاً في أحوال نادرة إلى سن الشيخوخة.

من مظاهرها القسوة والعنف في التعامل مع أصحاب الرأي الآخر، والتشدد في المواقف، والتزُّم، والتعصب للرأي. ومن نتائجها الكراهية وفقدان المحبة، وقد يصل الأمر بأصحابها إلى الاقتتال وإباحة الدم، والتصفية الجسدية، مما يؤدي بالتالي إلى حرب داخلية في الأمة الواحدة، تستنزف قوتها، وتذهب أخيراً بريحها، وتؤول إلى دمارها فزوالها.

والتطرف ظاهرة مرضية، في فرد أو في جماعة صغيرة بالنسبة إلى مجموع كبير أو مجتمع في أمة.

وهو ينبع إما من جهل عند ذلك الفرد أو تلك الجماعة بالعوامل الأخرى التي تزخر بها حياة الناس في المجتمع البشري، والتي لو إنتبه إليها الفرد لحدّت من غلوائه ولشكمت إندفاعه في إتجاهه.

وإما ينبع التطرف من ثورة نفسية على أوضاع قائمة في المجتمع يجد فيها الفرد ضغطاً شديداً على حريته يضيق صدره عن إحتماله، فيضطر إلى أن ينفجر مندفعاً إلى تصرفات غير مضبوطة بعقال المواضعات الإجتماعية السائدة.

وحتى لا يبدو الفرد أمام نفسه أو أمام الأعيان إنساناً غير معقول، يتخذ من بعض نصوص الكتب الدينية المقدسة والمعترف بها في مجتمعه، تبريراً له في موقفه، وقد يجد من بعض القيادات الدينية أو السياسية المتزمتة أو ذات المصلحة، سنداً له، فتكون هذه القيادات تكأة يستند إلى رأيها في مغالاته.

(١) نشر بجريدة (الجمهورية) في عددها الصادر في ٢٩ من سبتمبر لسنة ١٩٩١م - ١٨ من توت لسنة ١٧٠٨ش.

ومهما يكن من أمر، فالرأى عندى أن التطرف يرجع إما إلى الجهل أو إلى الكبت.. على أن للتطرف ساعدين يأخذان به ليقوم منتصباً على قدم وساق : أما الساعد الأول فهو القدوة المنحرفة والضالة التى يجد فيها الفرد الجاهل والمقهور خير معبر عن معقولية تصرفاته المتطرفة. وأما الساعد الثانى فهو النصوص والأقوال التى يقدها المجتمع، يفسرها المنحرف تفسيراً لصالح إتجاهه المتطرف، تسانده فى ذلك بعض القيادات فى تفسيره وتأويله.

## وسائل العلاج

ولعلاج هذا الإنحراف والتطرف، يجب أولاً أن نزيل أسبابه، وهو ما يفعله كل طبيب يشاء أن يعالج المريض : لابد له أولاً أن يتقصى أسباب المرض، ثم يعمل بعد ذلك على إزالتها : فالوصية الأولى التى يتعلمها طالب الطب من معلمه وأستاذه : أزل السبب Remove the Cause ، فإذا كان السببان الأساسيان فيما نرى لظاهرة التطرف هما الجهل ثم الكبت. فالعلاج هو مزيد من العلم، وإتاحة أسبابه من كل منابعه، وفتح السبل إليه من جميع روافده، وفى جميع إمتداداته فى الزمان والمكان - ثم مزيد من الحرية. وإذا قلنا الحرية فليست الحرية هى التسبب، لكن للحرية الإنسانية والإجتماعية ضوابطها التى لابد منها لسلامة الفرد والمجتمع. وإنما نعنى بالحرية على الخصوص حق الإنسان فى الحياة والدفاع عن النفس، وحقه فى الرأى وحرية العقيدة، وحقه فى التعبير عن عقيدته ورأيه، وحقه فى العمل، وحقه فى الملكية، وحقه فى المساواة بينه وبين غيره من الناس وتكافؤ الفرص.. وعلى الإجمال، هى حقوق الإنسان.

ولما كان التطرف مرضاً، فالوقاية خير من العلاج.

وعمل الوقاية يجب أن يبدأ بسن الطفولة المبكرة. فعلاج التطرف أو الوقاية منه يجب أن يبدأ من البيت. وهنا أهمية دور الأم والأب. فمن الأم والأب يتلقن الطفل مبادئ الدين والأدب والأخلاق وبالتالي الحب للآخر، والتسامح مع الآخر، وإحترام الآخر. والآخر هنا هو أخوه واخته ووالداه ثم جيرانه من دينه، أو من غير دينه. ثم أبناء وطنه وبلده من دينه، ثم الأعراب والأجانب من غير بلده من دينه أو غير دينه على أن قدوة الوالدين فى البيت أهم كثيراً من كل تلقين بالكلام. فالطفل يمتص مع لبن الرضاعة مناخ البيت، وسلوك والديه مع أوكسيجين الهواء الذى يتنفسه. وعلى ذلك كلما أعددنا شبابنا من الجنسين فى مراحل



التعليم المتدرجة على المحبة للآخر، والتسامح مع الآخر، وإحترام الآخر.. سننجز بالتالى فى تنشئة أطفالنا الصغار على أيدى أمهات وآباء تعلموا مبادئ الدين والأخلاق والأدب، فى المحبة للآخر، والتسامح مع الآخر، وإحترام الآخر.

وعلى ذلك فالعلاج يبدأ من الآن وعلى كل المستويات مع الأطفال، ومع الشباب، ومع الرجال، والنساء، والكهول، والشيوخ. نحن فى حاجة إلى توسيع دائرة معارفنا ومعارف جميع المواطنين فى كل الإتجاهات والمستويات وفى كل مراحل العمر، على أن يمتد العلم والمعرفة إلى المواطن فى المدينة، وفى القرية، وفى الحقل وفى المصنع وفى المتجر، فى البيت والشارع، إن التطرف ينبع من الجهل أساساً، وينمو بالإتغلق. والعلاج يكون بالإنتفاح، فتح النوافذ والأبواب التى يأتى منها العلم وتأتى منها المعرفة.. والعلم هنا هو العلم الآتى من لدن الله، والعلم الآتى من عقل الإنسان. والإنسان هنا هو كل إنسان من كل لون ومن كل دين، وهو كل إنسان فى الشرق أو فى الغرب، فى الشمال أو الجنوب وهو كل إنسان فى الماضى السحيق، أو الحاضر الممتد فى جميع الإتجاهات الأصلية، هو الإنسان فى القديم والإنسان فى الحديث.. فكل ما أنتجه فكر الإنسان فى جميع العصور هو حضارة الإنسان، وهو ملك لكل الناس الذين خلقهم الله على صورته ومثاله.

## حق الإنسان المصرى في غذاء نظيف (١)

نعم، إن حق الإنسان المصرى في غذاء نظيف، هو حق إلهى. وإذا رجعنا إلى تاريخ خلق الإنسان الأول، نجد هذا الحق الإلهى مقررًا للإنسان، كما جاء في سفر التكوين (وقال الله ها إنى قد أعطيتكم كل عشب ويقل يبزر بزراً على وجه الأرض كلها، كل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً، يكون لكم طعاماً) (سفر التكوين ١: ٢٩).

وعاش الإنسان نباتياً، آلافاً من السنين يغتذى بنباتات الأرض من عشب ويقل وشجر.. وطمع الناس في مزيد من النباتات فاستكدوا الأرض، ولم يتركوها وقتاً كافياً لأشعة الشمس والهواء، فضعفت الأرض، وفي ضعفها وحرمانها من الراحة ونفاذ الشمس إلى داخل التربة، غزتها الآفات والديدان.. وبدلاً من أن يعالج الناس الأرض ويترفقوا بها، ويتركوها فترة كافية ولتتغذى من الشمس والهواء، شددت إنتباههم الآفات الزراعية، فتجدوا لمقاومتها وشنوا حرباً عليها، واخترعوا المبيدات الحشرية للقضاء على هذه الآفات، فنجحوا بعض النجاح في قتل بعضها، فإنتشوا بالنصر الزائف الذى أحرزوه، وتمادوا في إختراع المبيدات، وتعميم إستثمارها، ولكنهم تبينوا أخيراً أن هذه الآفات والديدان، وإن مات بعضها لكن البقية تكيفت مع المبيدات الكيميائية وتحصنت، بل وإزدادت مناعة وقوة. أما النباتات نفسها فتسمت بالمبيدات الكيميائية، وأخذ الإنسان منها في طعامه وغذائه، فأصابته الأمراض والضعف والهزال، وأخيراً الموت. وامتدت أضرار الكيمياء إلى الحيوانات وإلى الطيور التى تغتذى بنباتات الأرض الملوثة بالكيمياء وأضرارها، وماتت الكثرة من الطائر المعروف بأنه صديق الفلاح الذى يغتذى بالديدان، وينظف الأرض الزراعية منها - وامتد أثر الكيمياء في المبيدات إلى البحار والأنهار من خلال الإنسان والحيوان إلى الأسماك.. وهكذا عادت المبيدات الحشرية بأضرار بعيدة المدى على كل البيئة، وحتى الهواء والماء صار ملوثاً بالكيمياء الضارة والقاتلة، ثم انتشر ضررها إلى كل الأرض والجو، فأتلف طبقة الأوزون المحيطة بالأرض، وهى غلافها الجوى، وبسبب تلف الأوزون

(١) نشر بجريدة (الجمهورية) في عددها الصادر في يوم الإثنين ١٦ من مارس - آذار لسنة ١٩٩٢ م - ٧ من برمات لسنة ١٧٠٨ ش.

نفذت الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض بفعل التمزيق للغلاف الجوى، وأمسى الإنسان عرضة لسرطان الجلد وأمراض ضعف المناعة والإيدز وما إليها من سلسلة أخرى من أمراض مدمرة فتاكة للإنسان والحيوان والنبات.. ثم امتد الأثر بل الآثار إلى المناخ نتيجة زيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون مما ترتب عليه ارتفاع الحرارة، ومع ارتفاع الحرارة تختل حركة الرياح. ولهذا يعزى إشتداد برودة الجو في بلاد الشرق الأوسط هذا العام، فضلاً عن ارتفاع منسوب المياه في المحيطات والبحار مما يترتب عليه غرق بعض البلاد، وغزوها بالسيول والفيضانات العالية.

وإذن فأضرار المبيدات الحشرية كثيرة ولا يمكن حصرها في المكان والزمان. وهكذا أضرت هذه المبيدات الحشرية بالإنسان والحيوان وبالطيور، والأسماك، وبالماء والهواء وبالمناخ، وأخيراً وليس آخراً إنها مدمرة للأرض ولكل الوجود.

لذلك، فإنقاذاً للأرض وما عليها من إنسان وحيوان ونباتات، يجب أن يتوقف فوراً استعمال هذه المبيدات الحشرية للنباتات - توقفاً تاماً، ولا يكفى ما يقال أحياناً، بتوقفها بنسبة خمسين في المائة أو بأى نسبة. يجب أن يتوقف فوراً استخدامها وإلى الأبد، توقفاً تاماً وبغير رجعة.

إن آباءنا قدماء المصريين توصلوا إلى الإقلال من أضرار الآفات، لا بالكيميائيات والمبيدات الكيميائية، بل بوسائط روحية، ونجحوا بذلك في السيطرة على النمل والعقارب والحيات بالإشعاعات الروحية... يشحن بها المبنى فلا تدخله الثعابين أو العقارب أو النمل.

على أننا نريد أن نقرر هنا من حيث المبدأ، أنه يمكن أن يتعايش الإنسان مع الحشرات، فلا يؤذيها ولا تؤذيها.

وهنا نعود إلى حكمة الله في الخلق.

إن الحشرات وكل أنواع الدبيب قد خلقها الله، وله تعالى في خلقها حكمة. ولا بد أن نؤمن لذلك أن لها وظيفة في الكون، فلماذا ننظر إليها نظرة سوداوية، ونحاربها ونقاومها مقاومة الأعداء.

إذا آمنا أنها كائنات مخلوقة لقصد حكيم من إله كلى الجودة، أمكن أن نتعايش معها، ونتصادق معها.

أقول هذا ونحن نعلم أن هناك من الروحانيين والمتصوفة والعباد لله، من تعايش مع

الحيات والثعابين، فضلاً عن الأسود والضباع والذئب، وما إليها ولم تؤذ، بل كانت خادمة له وحارسة له.

والواقع والحق أن العداوة بين الإنسان والحيوان والديبب نشأت من الإنسان.

الإنسان هو الذى بدأ يطارد الحيوان ليغتذى بلحمه ودمه فاضطر الحيوان أن يدافع عن نفسه، بأسلحته التى زوده الخالق بها.

وللحقيقة نقول أن ما نسميه بسم العقرب، هو دم العقرب وهى فى حالة إنفعال للدفاع عن نفسها إذا ما أراد أحد أن يقتلها أو يسحقها بقدمه - تماماً كما يحدث للإنسان منا إذا انفعال بالحزن أو الغضب، فإذا ما أخذ منه شيء من دمه بحقنة ماصة وحقن به كائن آخر ضعيف فإنه يموت، لأن الحزن أو الغضب وما إليها تضر الدم بما تصبه الهرمونات فيه فى حال الحزن أو الغضب.

وكذلك دم العقرب يتحول بالإنفعال إلى سم. وفى غير ذلك يمكن للإنسان أن يأكل العقرب ولا تضره، كذلك الثعبان أو الحية وكل أنواع الديبب والديدان.

ألم ينجح الإنسان فى تدريب بعض الحيوانات وترويضها وإستئناسها ومصادقتها وذلك بالعطف عليها وإطعامها والإهتمام بها ورعايتها ومداعبتها بالحنان والحب والرفق بها؟ ألا يسكن الكلب والقط فى البيوت، ويتصادق الأطفال الصغار معهما ويداعبون القط أو الكلب ويُقبَلوه بمحبة ومودة فى رأسه وأحياناً فى فمه فضلاً عن جسمه حتى صار الأطباء يُحذرون الوالدين من نتائج هذه القبلة بما تحمله من أخطار على صحة الأطفال.

وملاك القول، إن جميع الحيوانات والديبب والحشرات خلقها الله لخير الإنسان، وهى مسخرة لخدمته، فلماذا يعادىها الإنسان ويحاربها ويقاومها. إن الميكروبات التى غلب على الناس إعتقادهم فيها أنها ضارة، وأنها تنقل الأمراض إلى الناس، هى كائنات صغيرة لها قطعاً وظيفة، بل وظائف تؤديها، وقد خلقها الله الصانع الخيرات من أجل أن تكون خادمة للخير فى الوجود. هذه الميكروبات التى يفرع الناس منها يقول العلماء فيها إن لها تسعة فوائد وضرراً واحداً. هذا الضرر الواحد هو الذى طغى فى أذهان الناس على تسعة الفوائد.

ويقول العلماء إن ميكروب السلُّ أو الدرن موجود في صدر كل إنسان، ومع ذلك فالذين يصابون بمرض السل قلة بالنسبة للناس على وجه العموم. والمعروف أن الذين يمرضون بالسلُّ، هم الذين ضعفت فيهم المناعة لأسباب هم المسئولون عنها، ومنها التدخين وشرب المسكرات، وتكاسلهم عن إستنشاق الأكسجين إلى أعماق الصدر بالتنفس الطبيعي، إلى غير ذلك من أسباب في الطعام الضار بصحة الإنسان وأسلوب طهيهِ، وما إلى ذلك من أسباب عند الإنسان نفسه، وما ينطوى عليه أيضا صدر الإنسان من عوامل نفسية هدامة، ومنها الكراهية والغضب والحسد والحقد، والحنق والحزن.. كل هذا وغيره مما يضعف مناعة الإنسان هو المسئول، وليس ميكروب السل هو المسئول.

وخلاصة القول، إن إستخدام المبيدات الحشرية لمقاومة الديدان هو شر وخطيئة ضد الطبيعة، وضد النبات وضد الحيوان، وضد الإنسان، وبكل اليقين هو خطيئة ضد الله ذاته حاكم الكون، كلى الجودة، وكُلُّ الحكمة.

ولعظمته تعالى السجود والإكرام والعبادة، الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور كلها، أمين. وشكراً لجمعية خريجات الجامعة ومؤسسة فريدريش ناومان على إقامة هذه الندوة، ورعايتها. وشكراً لكل من أسهم فيها، وشكراً لحسن إستماعكم.

الثلاثاء ٣ من مارس - آذار لسنة ١٩٩٢ م.

٢٤ من أمشير لسنة ١٧٠٨ ش.

## الكوارث الكونية للتدخل الإلهي<sup>(١)</sup>

الأصحاح الثاني عشر من سفر التكوين يمثل نقطة تحول هائلة بين عهدين، عهد كان فيه إبراهيم في وسط شعبه في الشمال فيما يعرف الآن ببلاد العراق أو ما بين النهرين، وهما دجلة والفرات، حيث عاش الإنسان الأول في هذه المنطقة، وهناك عند بابل تبلبلت الألسن، وهي لا تزال قائمة في بلاد العراق، كان إبراهيم يعيش في وسط عائلته الكبيرة التي تكونت عبر القرون من أيام آدم، وعهد آخر يبدأ بإبراهيم في تأسيس مملكة أخرى تحمل لقب أنها شعب الله. لا شك أن كل شعوب العالم أصلاً شعب الله، وكل أولاد آدم مخلوقون على صورة الله، ولكن حينما نقول أن الله اختار إبراهيم ليكون رأساً لأمة جديدة تحمل لقب شعب الله، فالمقصود أن قبل إبراهيم جميع الناس دخلت فيهم عوامل فساد أتلفتهم، وضيعت كثيراً من القيم التي كانوا يمارسونها ويحيون طبقاً لها. وهو الأمر الذي كما تعلمون تسبب في الطوفان الذي حدث في أيام نوح، لأن الله رأى أن الفساد قد استشرى، فأراد أن يضع حداً لهذا الفساد بأن يبيد هؤلاء الشعوب الذين فسدوا، ويختار من بينهم أناساً لم يلحقهم الفساد ليؤسسوا شعباً آخر، وكان أن نوح وإمرأته وأولاده الثلاثة ونساء بنيه، هؤلاء الثمانية أشخاص بدأت بهم حقبة جديدة في تاريخ الإنسانية بعد أن نزل الطوفان وأغرق الجميع.

وهذه تكشف لنا سياسة الله في الكون، أنه من وقت إلى آخر عندما يجد الفساد استشرى، فيسمح ويأمر بكارثة كونية تكون سبباً في التطهير، وقد تكون هذه الكارثة الكونية فيها عقاب من جهه، ولكن فيها أيضاً تدخل إلهي ليبدأ حقبة أخرى غير الحقبة السابقة.

ومن عهد نوح إلى إبراهيم فترة أخرى أيضاً رأى الله أن البشرية فسدت، لا نقدر أن نقول أنه الفساد التام، إنما على كل حال دخلت عوامل فساد، فأراد أن يختار مجموعة جيدة، ولكن بدلا من أن ينزل غضبه الإلهي كما حدث في أيام الطوفان، ترك أولئك الشعوب التي فسدت، وأخذ من بينهم إبراهيم وعزله، وهذا مبدأ جديد من مبادئ سياسة الله في الكون، مبدأ العزل أو الاعتزال، فهناك طريقة الإبادة بالكوارث الكونية، وطريقة العزل، وأيضاً حدث بعد هذه الفترة في زمن لوط ابن أخ إبراهيم، والذي خرج مع إبراهيم الخروج الذي به عُزل عن أسلافه وتأسست بهم أمة جديدة، ولهذا السبب شاء الله أن يُعَيِّر اسم إبراهيم إلى إبراهيم.

(١) محاضرة بكنيسة الشهيد أبي سيفين بالجيزة - مساء الخميس ٢٦ من مارس ١٩٨٧م - ١٧ من برمهات

الله أحيانا وأحيانا قليلة نادرة يتدخل لتغيير اسم إنسان، هذا التغيير نادر وقليل وحدث في فترات قليلة في التاريخ، ومن ضمن هذه الفترات هذه الفترة بالذات. ما هي حكمته في تغيير اسم إبرآم إلى إبراهيم؟ لأن كلمة إبراهيم في مفهومها العبراني معناها «أب لجمهور كثير»، بل لأنه اتخذ إبراهيم بدءاً لفترة جديدة في تاريخ الإنسانية، ومنه تتوالد شعوب ويصير إبراهيم أب لجمهور كثير من الناس، فلذلك غير اسمه من إبرآم إلى إبراهيم، وبهذه الصفة صار إبراهيم أب الآباء، ومن هنا يسمى بطريك، وفي المصطلحات الكنسية إبراهيم واسحق ويعقوب وداود كل هؤلاء يسموهم بطاركة، ما معنى بطاركة؟ الكلمة يونانية «بطريارشييس» من أصل يوناني، «باتير» يعنى أب، و«أرشي» تعنى رئيس، فبطريك يعنى رئيس آباء، فإبراهيم رئيس آباء سُمى في كتب الكنيسة بأنه بطريك، وقياساً على هذا أصبح في تاريخ الكنيسة، يسمى بطريك من هو أعلى رتبة كهنوتية في الكنيسة، هذا المصطلح جاء من رئيس آباء.

المهم أن إبراهيم لأنه صار رأساً جديداً، وإن كان هو إبناً لآباء سابقين لكن هو نفسه أصبح أب لمجموعة جديدة، ولشعب يتصف بصفات جديدة، رأى الله أن يبدأ به حقبة جديدة من الحقب الزمنية في تاريخ الإنسانية، لماذا يسمى هؤلاء بشعب الله والآخرين لا يسمون بشعب الله؟ لأن الفساد استشرى في وسطهم وجعلهم غير مستحقين لأن يسموا شعب الله.

لو نظرنا من البداية أن آدم ولد قايين ثم هابيل، فقام قايين على أخيه هابيل وقتله، ثم شاء الله أيضاً أن يولد شيث عوضاً عن هابيل، لذلك كلمة «شيث» باللغة العبرانية معناها «عوض» بالعربي، فشيث هذا أصبح أيضاً أباً لأسرة في الإنسانية، ثم يقول: ورأى أولاد الله بنات الناس أنهن حسان فاخرن لأنفسهم وحصل التزاوج الذى أدى إلى الفساد.

كلمة «أولاد الله» هنا أطلقت على شيث وأولاده، لأن شيث كان إنساناً صالحاً مثل هابيل، فأصبح هؤلاء منسوبين إلى الله فسموا أولاد الله، أما كلمة «بنات الناس» يقصد بهم أسرة قايين، فحصل التزاوج الذى أدى إلى الفساد، والذى أدى إلى الطوفان فيما بعد.

فهنا كلمة «شعب الله» معناها أن هؤلاء الناس أصبحوا متميزين لأنهم أولاد إبراهيم، هذه الميزة التى تشرفوا بها أن ينسب الله إليهم، لأن الآخرين انحرفوا وضلوا فصاروا غير مستحقين لأن ينسبوا إلى الله، مع ذلك حدث أن لوط وإبراهيم بعد أن عاشوا معاً، خرجوا

أيضا معا من بلاد ما بين النهرين، يقول الكتاب أخذ إبراهيم امرأته ساراي ولوطا ابن أخيه وخرجوا، فلوط إذن كان مع إبراهيم، لكن بعد فترة من الوقت حدث خلاف ونزاع بين عبيد إبراهيم وأتباعه ورجاله وبين عبيد لوط، فإبراهيم رأى أن هذا الإختلاف وهذا الإحتكاك سيؤدى إلى فساد العلاقات بينهما، فقال للوط لاتكن مخاصمة بينى وبينك ولا بين رعائى ورعاتك، إن ذهب يميناً فأنا شمالاً، وإن شمالاً فأنا يميناً، وهنا قرار بالفصل والإعتزال حتى لا تفسد العلاقات، فحدث أنهما اعتزلا، لوط وجد مكان كله خضرة وجمال وفيه ثمار وفاكهة وهى أرض سدوم، فاختر لوط لنفسه أرض سدوم لأنها أرض خصبة، وإبراهيم قنع بأن يبقى فى الصحراء فى الخيام، لوط عاش فى مدينة متقدمة ومتحضرة، وأيضاً توجد بها خضرة وثمار وزرع إلى آخره، لوط اختار لنفسه هذا الطريق، وقنع إبراهيم بأرض الصحراء بأن يسكن فى خيام، ثم حدث بعد ذلك أن لوط هجم عليه رؤساء القبائل المجاورة وكانوا يسموهم ملوك، فسمع إبراهيم أن ابن أخوه لوط أسره هؤلاء الملوك، فأخذته الحمية وأخذ رجاله وكانوا ٣١٨ رجل من أتباعه وعبيده وخدمه وحاشيته، وذهب وخلص لوط من هؤلاء الأعداء ورجع إلى مكانه، هذه نقطة فيها لفحة جميلة، تعطينا فكرة عن أن هذا منهج من المناهج الطيبة، أن كثرة الإحتكاك تولد الخصومة، فلا بد أن يأتى وقت من الأوقات ينبغى أن يكون الإنسان من الحكمة، بحيث يصدر قراره على نفسه أن يعتزل وأن يقطع العلاقة بأى إنسان، ينبغى أن يكون الإنسان من الشجاعة، بحيث أنه فى الوقت المناسب يصدر قراره، بقطع العلاقة حتى مع أقرب الناس إليه، إذا رأى أن هذه العلاقة وأن إمتدادها يؤدى إلى خسران المحبة، فإن قرار الإعتزال قد يكون فيه شىء من الألم والحزن، لكن أفضل أن ينفصل من أن تنشأ خصومات وحرب بينه وبين ابن أخيه، ومع ذلك عندما لوط أصبح فى خطر ذهب إبراهيم وخلصه من أعدائه ثم رجع مرة أخرى. فإذا قطع العلاقات كان مفيد جدا فى حفظ المحبة بينه وبين ابن أخيه لوط، وهذا منهج سليم وصحيح ومنه نتعلم شىء، لأن فى بعض الأحيان لحفظ المحبة أو لإستمرارية المحبة، ينبغى أن الإنسان فى وقت ما يصدر قراراً بقطع العلاقات مع أقرب الناس إليه، لو رأى أن إستمرار هذه العلاقة فيها شر أو فيها خسارة روحية أو إجتماعية. ولذلك أيضاً الكتاب المقدس يقول: المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة، سيدنا له المجد قال: إن أعثرتك عينك فاقلعها وإلقها عنك لأنه خير لك أن تدخل الحياة بعين واحدة من أن تدخل إلى جهنم النار ولك عينان، إن أعثرتك يدك فاقطعها وإلقها عنك لأنه خير لك أن تدخل الحياة



أقطع من اليد أو الرجل من أن تدخل إلى جهنم ولك يدان ورجلان، ما معنى هذا الكلام؟ ليس المقصود أن الإنسان يقلع هذه العين لا .. هذا حرام، وليس حل المشكلة في قلع هذه العين لأن الخطيئة موجودة في القلب، وليس قطع اليد أو الرجل كعضو من الأعضاء مباح للإنسان، هذا حرام أيضاً أن يمد الإنسان يده إلى جسده ويؤذيه، وليس في هذا حل المشكلة، لأنه ممكن للإنسان أن يكون مقطوع اليد والرجل ومع ذلك الخطيئة قائمة في القلب، كما قال سيدنا له المجد: من القلب تصدر الأفكار الشريرة. إذن المقصود هنا إذا كان لك قريب أو صديق بمثابة عينك وهو عزيز عليك، ولكن يعثرك أو يكون سبب عثرة لك، أو يعطلك عن الحياة الأبدية أو يسبب لك خسران، فخيراً لك أن تقلع من حياتك هذا الإنسان مهما كان عزيزاً عليك، من أجل خلاصك الأبدى لابد أن تقطع وتخلع وتنزع وتقلع هذه العين من طريقك، حتى تضمن سلامة حياتك، وكذلك إذا كان لك صديق أو قريب أو إنسان أياً كان بمثابة اليد، يعينك أو بمثابة الرجل تعتمد عليه أو تستند إليه، ومع ذلك يكون هذا الإنسان خطراً على حياتك الروحية وخطراً على خلاصك الأبدى، ينبغي أن تكون من الشجاعة ومن الأمانة والوفاء لخلاصك الأبدى أن تضحي بعلاقتك بهذا الإنسان، مهما كان قريباً أو صديقاً في سبيل أن تكسب حياتك الأبدية ولا تخسرها.

وهنا نرى التطبيق لهذا الكلام في حياة إبراهيم، أنه جاء وقت من الأوقات، مع العلم بأن لوط ابن أخوه وقد خرج معه لكن رأى أنه يوجد منازعات قد تسبب في فتور العلاقة بينه وبين ابن أخيه، لذلك أصدر هذا القرار في الوقت المناسب وكان هذا القرار سبباً في استمرار المحبة بينه وبين لوط ابن أخيه، لذلك عندما جاء الوقت المناسب الذي كان فيه لوط في حاجة إلى خدمة، انبرى إبراهيم ودافع عنه لأنه لم تكن العلاقة وصلت إلى مرتبة الحقد أو أن الأمور ترسبت في قلبه وجعلته يكره لوط، وهذه القصة تنفعنا في حياتنا الخاصة اليوم، لأن الرسول يقول المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة، ورأينا أن لوط رغم أن عنده مبادئ روحية، ولكن أهل سدوم وعمورة كانت قد فسدت أخلاقهم جداً، ويقول الكتاب المقدس أن لوط كان يتعذب بالأفعال الأثيمة، هذه الصورة قد تتكرر اليوم في شبابنا الذي عنده بعض مبادئ روحية، ولكن وجوده في بيئة شريرة تذكره بالخطيئة أو تثيره نحو الخطيئة، وتخلق له أشواق أو إشتهاء نحو الخطيئة، هكذا كان لوط يتعذب بالخطيئة التي كان يراها، والكتاب المقدس يصف الصورة البائسة التي وُصف بها أهل سدوم وعمورة، حتى بنات لوط عانوا معاناة بشعة من هذه السيرة الرديئة التي كانت

لأهل سدوم وعمورة، ولوط لم يكن مثل إبراهيم، حقا أنه وصف بأنه بار، لكن درجة البرارة لم تكن بالقوة والحزم والنقاء الذى كان عند إبراهيم، فلوط هادن الشر على الرغم من أنه كان معذب، كانت النتيجة أن الله أراد أن يضع حداً لينقذ لوط لأن فيه شيء من الخير، فتدخل الله بأن أنزل على سدوم وعمورة نارا، وأرسل إلى لوط ملاكين ليخرج من أرض سدوم وعمورة، وأنقذاه فعلا ثم نزلت النار على سدوم وعمورة، وزوجة لوط عَزَّ عليها أنها تركت الخيرات والأشياء الجميلة، فنظرت للخلف فتحوّلت إلى عمود ملح، وحتى اليوم من يذهب إلى هناك عند منطقة البحر الميت يجد هذا العمود التى هى زوجة لوط.

هذا الكلام له عبرة ومغزى ما هو المغزى؟ المغزى أن لوط لم يكن من الشدة ومن القوة والحرارة الروحية مثل إبراهيم لكى يضع حداً لذلك، فهادن الشر على نوع ما، وبقي معذب وتأذى به، وأخيرا جاءت النتيجة أنه نزلت نار على سدوم وعمورة، أما إبراهيم كان يعيش في الخيام وتشرف بالملائكة الثلاثة، والأصحاح ١٨ من سفر التكوين يقول: «وظهر له الرب عند بلوطات ممرا» فنظر إبراهيم من بعيد فرأى ثلاثة رجال، لاحظ الكلام والربط ما بين «ظهر له الرب عند بلوطات ممرا»، «وتم نظر من بعيد ثلاثة رجال»، فهنا يوجد الرب ولكن المنظر ثلاثة رجال، من هم الثلاثة رجال؟ ومن الرب فيهم؟ الكتاب قال: لا تنسوا إضافة الغرباء لأنه بها أضاف أناس ملائكة، هنا وصفهم بأنهم ملائكة، لكن كلمة ظهر له الرب عند بلوطات ممرا، إذن الرب فيهم.

من كتب الكنيسة نعلم أن الرب كان في الوسط، والذى على يمينه كان رئيس الملائكة ميخائيل، والذى على شماله كان رئيس الملائكة جبرائيل، إنما في الوسط الرب، وهذا أحد ظهورات المسيح قبل التجسد من مريم، لأن المسيح ظهر عديداً من المرات قبل التجسد من مريم، وهذا ما نسميه بالتجسد قبل التجسد. وأول صورة للتجسد كانت عندما سقط أبونا آدم في الخطيئة، وتعزى هو وحواء واختبأ بين شجر الجنة، يقول: فسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة، آدم وحواء سمعا صوت الرب الإله ماشيا، إذن سمعوا واحد ماشى ومشيته لها صوت، فهذا نوع من التجسد، ولذلك اختبأ في شجر الجنة، ثم قال له: آدم أين أنت؟ فقال له: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاخترت إلى آخر القصة، فأول صورة من صور التجسد أن الله ظهر في شكل إنسان، يمشى ومشيته لها صوت، إنما هنا في هذه الحالة يقول: وظهر له الرب عند بلوطات ممرا، فنظر إبراهيم من بعيد فرأى ثلاثة رجال، فأسرع وركض نحوه ثم سجد إلى الأرض وقال «ياسيد» بالمفرد،

وجه الخطاب بالمفرد «ياسيد» أميلوا إلى عبدكم ... إذن هو أدرك أن الذى فى الوسط متميز بشكل خاص، لذلك وجه إليه الخطاب بالمفرد، لأنه أحس أنه يتميز عن الإثنين الآخرين، ثم يقول فى الأصحاح ١٩ من سفر التكوين أول كلمة: فذهب الملاك إلى سدوم، وأما إبراهيم فلم يزل واقفاً أمام الرب، اتضح أن الذى فى الوسط هو الرب، فقال له أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً، إذن هو يكلم الديان، هب أن هناك فى المدينة ويقصد سدوم، خمسين باراً أفلا تصفح عن المكان كله من أجل الخمسين بار الموجودين فيه، وهنا يكلم من له حق الصفح، فى الأول يقول أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً، ثم يقول له: هب أن هناك خمسين باراً فى المدينة أفلا تصفح عن المكان كله من أجل الخمسين الذين فيه، قال له: إن وجدت، وهنا بالمفرد، إن وجدت هناك خمسين باراً أصفح عن المكان كله من أجل الخمسين الذين فيه، وهنا قيمة الشفاعة وقيمة وجود الأبرار فى وسط العالم، أن وجودهم سبب بركة وسبب خير ويمنع شروراً كان يمكن أن تحدث، لكن بوجودهم أو بسببهم يحدث أن الله يطيل أناته أو يعطل قضاءه عن المكان كله، ثم قال له: أنا أشرع أكلّم المولى وأنا تراب ورماد، من هو المولى هنا؟ هب أن فى المدينة أربعين باراً أفلا تصفح عن المكان كله من أجل الأربعين؟ قال له: إن وجدت هناك أربعين أصفح عن المكان كله من أجل الأربعين، ثم قال له ثلاثين... إذن فعلاً كان هذا ربنا يسوع المسيح، الرب تجسد فى شكل إنسان قبل التجسد من مريم، كانت هناك صور للتجسد ومنها التى ظهر بها لإبراهيم.

وهنا كما أنزل الله الطوفان لى يدمر الشر ويخلص الباقين من الشر هكذا أنزل ناراً من السماء وأحرق سدوم وعمورة، وهذه ملاحظة أن التدخل الإلهى يحدث عندما تصل المسألة لدرجة أن الله لا يحتمل هذا الشر، لأنه استشرى إلى مدى بعيد، فبأى وقت من الأوقات يتدخل الله بالتدمير.

فى التاريخ الحديث توجد بلد فى إيطاليا اسمها بومبى بالقرب من نابلى، هذه المدينة بومبى هى مدينة أطلال، يزورها الناس من كل بقعة فى العالم، يروا مجرد أطلال باقية، هذه المدينة كانت شريرة، ففى ليلة واحدة نزلت حمم البركان فيزوف القريب إليها وأحترقت المدينة كلها وأهلها، كل من يذهب إلى هناك يرى الأطلال وعليها صور الفساد والنجاسة التى عاشها أهل هذه المدينة، فإله سمح أو أمر بتدبيره لأنه سيد الطبيعة وخالق الطبيعة، ففى الوقت المناسب خرجت حمم من بركان فيزوف المجاور، ونزلت على المدينة فى ليلة واحدة، ولم تبق على أحد.

نحن نخشى، أن يصدر نفس القرار على حضارة الإنسان التي تقدمت في نواحي كثيرة، واستطاع الإنسان أن يذلل كثير من العقبات والصعاب الواقفة أمامه ويحقق الكثير من التقدم، حياتنا أصبحت أكثر سهولة في نواحي متنوعة وأكثر جمالاً، خيرات كثيرة تحققت للإنسان، ولكن هناك الشر الذي استشرى في العالم بأسره، فإذا لم يكن هناك توبة ورجوع إلى الله فهناك خطر يهدد الإنسانية كلها بحريق هائل مدمر لحضارة الإنسان كلها، وربما يكون في هذا نهاية الدهر. فالله في الوقت المناسب يتدخل عندما يجد أن الشر استشرى، فيضع حداً لهذه المسألة، بتدخل كارثة كونية،

إذن من أجل الخلاص، الله يشاء في الوقت المناسب أن يتدخل لكي يضع حداً كما يقول المزمور، الرب لا يجعل عصا الأشرار تمتد إلى الأبرار، ففي الوقت المناسب يُخَلِّص الأبرار والذين له من الدمار ومن الهلاك.

## نحو الخطة القومية لمواجهة الكوارث الطبيعية

### والكوارث التي من صنع الإنسان

#### ورأى الدين المسيحي فيها<sup>(١)</sup>

الكوارث التي تسبب للناس، شعوباً وأفراداً، الغم الشديد، بعضها كوارث طبيعية، وبعضها من فعل الناس.

أما الكوارث الطبيعية، فهي الأعاصير، والزلازل والبراكين، والسيول الجارفة وما إليها مما ينجم عنها هلاك أعداد كبيرة من الناس بالآلاف وأحياناً بالملايين، ودمار المنشآت من البيوت، والعمائر، وإحتراق الزرع وما إليها من خسائر مادية..

وأما الكوارث التي من صنع الإنسان، فمنها الحروب والمشاحنات بين الشعوب والأمم والدول على الحدود، وللإستيلاء على الثروات في هذا البلد أو ذاك، من منطلق المطامع المادية ولحل مشكلات الفقر والمرض والجهل وما إلى ذلك..

على أن يندرج تحت الكوارث التي من صنع الإنسان، الإحتراق والدمار للناس وللمنشآت بفعل أسلحة الدمار التي اخترعها الناس، واستخدموها ويستخدمونها في قهر الشعوب والأمم، وإصابة الناس بالدمار والأمراض والإذلال، ويتبع ذلك التجارب النووية والمنافسات بين الدول على التسلح بالصواريخ والرؤوس النووية، وغيرها مما يتوصل إليه العلماء ويستغله رؤساء الدول حماية لبلادهم وشعوبهم من إعتداءات الدول الأخرى وضماناً للسلام كما يقولون..

ولكن هناك نوعاً آخر حديثاً من الكوارث صارت تهدد الجنس البشرى كله، ومنها تمزق طبقة الأوزون مما أتلّف الغلاف الجوى الذى يحمى كوكب الأرض من الشهب والنيازك التي تسقط من الفضاء وتسبب الدمار للإنسان والحيوان، ومما يصيب الإنسان بعمامة بأمراض نتيجة لنفاذ أشعة الشمس فوق البنفسجية وهى ضارة بالإنسان بما

(١) نشر بجريدة (الجمهورية) في عددها الصادر يوم الإثنين أول ديسمبر - كانون أول لسنة ١٩٩١م - ٢١

من هاتور لسنة ١٧٠٨ش. وعددها الصادر يوم الإثنين ٣٠ من ديسمبر - كانون أول لسنة ١٩٩١م - ٢٠

من كيهك لسنة ١٧٠٨ش.

تسببه له من الإصابة بسرطان الجلد، والإيدز وضعف المناعة وأمراض أخرى، هذا فضلاً عن أن تمزيق طبقة الأوزون وسقوط الأشعة فوق البنفسجية لابد أن يتسبب عنه ذوبان كميات من الثلج كبيرة يقدرونها عند القطب الجنوبي بأربعين ألف قدم، ومع ذوبانها ترتفع مياه البحار والمحيطات عن معدلاتها، وتحدث الفيضانات، بل إن العلماء يتوقعون في نهاية التسعينات نوعاً من الطوفان الذي يجرف ويغطي ويزيل مدناً بأكملها، وذلك بإرتفاع منسوب المياه تدريجياً حتى يغطي مساحات كبيرة من اليابسة.. هذا فضلاً عن الجفاف الذي أصاب مناطق بأكملها، كما هو الحال في جنوب ألمانيا وبعض مناطق أخرى في أفريقيا وآسيا.

ومما يقوله العلماء أنه بسبب الإختراعات الحديثة التي اخترعها الإنسان لتسهيل حياته، وسرعة إنجازاته، ومنها الثلجات والغسالات الكهربائية، وأجهزة التكيف فضلاً عن أدوات العطور والمبيدات الحشرية في المنازل والحقول.. كل هذه الصناعات والإختراعات وغيرها نتج عنها زيادة كمية ثاني أكسيد الكربون، فضلاً عن أول أكسيد الكربون، ثم الرصاص ثم زيادة إستهلاك غاز الكلورفلوركربون وما إليها فضلاً عن عادم السيارات، وكل وسائل التلوث التي صارت تهدد حياة الناس فضلاً عن كوكب الأرض ذاته، بالدمار والفناء، ثم استخدام المبيدات الحشرية لمقاومة الديدان والحشرات في الحقول الزراعية.. وغير ذلك من نتائج ضارة بصحة الإنسان والحيوان وسمك البحار فضلاً عن الطيور التي كانت توصف بأنها صديقة الفلاح، والتي أمست في طريقها إلى الإنقراض والزوال بسبب المبيدات الحشرية التي يستخدمها الإنسان للقضاء على الديدان والحشرات.

هذه الكوارث التي ظهر منها بعضها بصورة جعلت العلماء في كل العالم ينبهون إلى أخطارها، وينذرون بسوء نتائجها على كل الأرض، وعلى الإنسان والحيوان وسمك البحار وطيور السماء، وانعقدت لها مؤتمرات عالمية في عدد من عواصم العالم لدراسة نتائج التلوث الناجم عن صنع الإنسان، وهل يمكن مقاومته أو على أقل تقدير، الحد من نتائجه، وما هو السبيل إلى ذلك بعد أن أصبحت المخترعات والأجهزة والأدوات الحديثة ضرورة لحياة الإنسان في حاضره ومستقبله لتسهيل حياته.. لا يمكنه الإستغناء عنها..

أما الكوارث الطبيعية وهي التي من فعل الطبيعة وأعنى بها الأعاصير والزلازل والبراكين والسيول الجارفة والمياه الجوفية، فهي من قوانين الطبيعة ذاتها، ولا يملك الإنسان أن يمنعها لأنها أبعد من مناله، ولا سلطان له عليها، فهي من عمل الخالق،

سبحانه وتعالى. وفي هذا يقول الكتاب المقدس (أنا الرب وليس آخر. لا إله سواى.. أنا الرب وليس آخر. أنا مبدع النور، وخالق الظلمة، صانع السلام، وخالق الشر. أنا الرب صانع هذه كلها) (سفر نبوءة إشعياء ٤٥ : ٥ - ٧) «هل تحدث بلية في مدينة والرب لم يصنعها» (نبوءة عاموس ٣ : ٦). ولاشك أن الشر المقصود هنا بقوله (أنا خالق الشر) المقصود هو الشر الطبيعي، أى الكوارث الطبيعية، وكذلك (البلية) هى ما يحدث من دمار وفقاً لقوانين الطبيعة. أما الشر الأخلاقى فهو من عمل الإنسان، إذ هو كائن عاقل حر مرید مستؤل..

ومهما يكن من أمر فإن كل ما يملكه الإنسان حيال الكوارث الطبيعية هو أن يتنبه لها، ويتحذر منها، ويجتهد فى أن يتقيها، ويتخفف من بلواها، فيبتعد عن مكان حدوثها. ثم عليه أن لا يتجاهلها وأن يدرس أسبابها، حتى يمكنه أن يتجنب أضرارها أو بعضها على الأقل. فلدراسة ومعرفة قوانين الطبيعة أهميتها فى تثقيف عقل الإنسان، وفهمه للوجود، وتوثيق إيمانه بالخالق، الذى خلق الوجود، وجعل لكل شىء فى الوجود قانوناً ونظاماً. وعلى الإنسان أن يتبين هذا النظام ليدرك أنه ليس فى الوجود عبث أو فوضى، وليس ثمة مجال للصدفة والإتفاق.

أما الكوارث التى من صنع الإنسان فهذه يملك الإنسان أن يعمل فيها شيئاً. فالإنسان خلق فى الأرض ليعمل، وليخلق، وليبدع، وعليه واجبات إزاء الله خالقه وإزاء الأرض، والسموات، وإزاء الناس الذين يعايشهم ويعايشونه.

لذلك عليه أن يتبين مهمته كخالق صغير، فيعمل على أن يوقف مساهمته فى دمار الأرض والناس، وأن يتضامن مع رفاقه من بنى البشر فى توظيف العلم والعقل وكل الإمكانيات والإمكانات فى سبيل خدمة البشرية. ولا يستهين ولا يتواكل ولا يضيف جديداً من عنده فى زيادة الكوارث، وأضرارها ونتائجها، ويتدارس مع العلماء من أهل الأرض فيما يمكنه أن يفعله فى وقف الكوارث بالنظر والعمل.

إن الإنسان خالق صغير فى هذا الكون أوجده الخالق العظيم فى الأرض من أجل أن يعمل، وزوده بالقدرات والإمكانات التى يمكن بتوظيفها أن يبتكر، ما يعود عليه وعلى الناس جميعاً وعلى كل الخليقة بما ينفع ويفيد، ويجعل الحياة سهلة وخصبة.

ولنذكر يوم خلق الله الإنسان، أنه قبل أن يخلقه أعد له النبات والحيوان ليكون في خدمته، كما أعد له الماء والهواء، والشمس والقمر والنجوم، حتى ينال منها ما يجعل حياته خصبة وجميلة - مع ذلك (كانت الأرض خربة وخالية) (التكوين ١: ٢) وهنا نتساءل لماذا؟ والجواب إنه تعالي جعل الأرض (خربة وخالية)، حتى يدع للإنسان الحافز ليعمرها ويملاها بالخيرات. وفعلاً لقد استطاع الإنسان أن يحقق معنى وجوده، وأن يثبت حكمة الله من خلقه. فإذا تأملنا صورة الحياة عند خلق الإنسان الأول بما صارت إليه الحياة الآن تبيننا أن الإنسان قد صنع الكثير في إنشاء الحضارة، وإبتكار كل الوسائل التي قفزت بالإنسان إلى تحقيق كل أسباب الحضارة.

إن هذا كله يزيدنا يقيناً بالقدرات الخلاقة الموهوبة للإنسان، والتي يمكنه بتوظيفها أن يصنع الكثير، وأن يخلق ويبتكر، ويعمل بلا كسل.

وعلى وجه الإجمال إن على إنسان الربع الأخير من القرن العشرين، والذي أشرف على القرن الواحد والعشرين، أن يتبين أنه يمكنه إذا أراد أن يوقف الدمار والكوارث التي ساهم ويساهم في حدوثها وتفاقمها، لذلك وجب عليه بالعلم والعمل وبالتعاون والتضامن والتكافل الإجتماعى أن يحقق مقاصد الخالق من وجوده وخلقته، بالعمل الجاد، لوقف الكوارث التي من صنع الإنسان، وأن يسرع إلى العمل الإيجابي الخلاق الذى يسعد به كل الخليقة وكل الوجود، مستعيناً بالله مؤمناً بجودته وخيريته.

ولعل أهم ما يجب عمله في مصر مما لا يحتاج إلى إتفاقات دولية :

أولاً : وقف إستخدام المبيدات الحشرية بأنواعها في البيوت والحقول الزراعية والأماكن العامة.

ثانياً : توسيع رقعة الأراضى الزراعية بخطة قومية، وتشجير الأراضى الصحراوية.

ثالثاً : إبعاد المصانع عن المدن والمناطق السكانية إلى خارجها، ومنها مصنع الحديد والصلب، وما إليها.

رابعاً : تكثيف الدعوة للتقليل من إستخدام الكيمائيات في الغذاء والدواء، وتشجيع العودة إلى الطبيعة.



خامساً : الإسراع بوضع خطة عاجلة مدروسة لحل مشكلة المياه الجوفية التي صارت تشكل اليوم خطراً كبيراً على آثارنا القديمة والقبطية والإسلامية.

سادساً : إصدار الدولة قراراً بمنح المرأة العاملة إجازة لمدة ٣ سنوات بمرتب كامل لإرضاع طفلها من صدرها ورعايته بحنانها إنقاذاً له من الألبان الصناعية والرضاعة غير الطبيعية التي تضر بصحة الأطفال وهم شباب المستقبل علماً بأن بعض الدول صنعت ذلك ومنها المجر..

إن الكتاب المقدس ينص على أن مدة الرضاعة الطبيعية للطفل من ثدى أمه هي ثلاث سنوات (حملتك في جوفها تسعة أشهر وأرضعتك ثلاث سنين) (٢. المكابيين ٢٧:٧) كما أنه ورد في نصوص من مصر القديمة ما يفيد ذلك. ففي نصائح بتاح حتب - يقول : (اعرف يابنى قدر أمك، أنها حملت أوساخك وكان فمك في ثديها ثلاث سنوات).

هذا إلى أن في إطالة مدة الرضاعة إلى ٣ سنوات من ثدى الأم عملية تنظيم للنسل طبيعية، فضلاً عن أنها مفيدة لصحة الأم.

والمعروف في المصادر الطبية وكقاعدة عامة، أن الأم المرضع لا يكون لديها إستعداد للحمل، وبهذا نحمى الطفل والأم أيضاً من الأمراض الجسمية والنفسية والعصبية.

سابعاً: وأخيراً وليس آخراً، تعديل برامج التعليم في مختلف مستوياتها، الإبتدائي، والإعدادى والثانوى والعالى بحيث يشتمل على مثلث متساوى الأضلاع لتربية العقل، والجسم، والروح - أى لابد من التربية البدنية، والتربية الأخلاقية والدينية ثم التربية العلمية والعقلية.. بدرجات متساوية.

وبهذا نبني إنسان القرن العشرين والواحد والعشرين، بإشباع إحتياجاته العقلية والجسمية والنفسية، فتكون التنمية الحقيقية للإنسان كله. وبالتالي فهذه هي التنمية الصحيحة للمجتمع والوطن والإنسانية.

والله ولى التوفيق.

## الزلازل ... وعبرتها الروحية<sup>(١)</sup>

حقاً إنَّ الزلزال الكبير والمدمّر الذي أصاب مصر في الثّاني عشر من شهر أكتوبر الماضي كان ومازالت آثاره وتوابعه من هزات أقلّ قوة، كارثة كبيرة نزلت بشعبنا المصري وآثارنا المصرية القديمة والإسلامية والقبطية، وقد أحدث فضلاً عن الخسائر الإنسانيّة والماديّة، هزّة نفسيّة كبيرة في شعبنا المصريّ الوارث لأقدم وأعظم حضارة إنسانيّة، فقد ابتلع الخوف والفرع كثيرين ولاسيما النساء والأطفال فضلاً عن الرجال، ولا لوم على النساء والأطفال على الخصوص، فإنّ المرأة بطبيعتها رقيقة وحساسة وعاطفيّة، وتنهار سريعاً بإزاء الأخطار التي تدركها وتدرك أطفالها وزوجها وأقرباءها وجيرانها.

ومع ذلك، وعلى الرغم من إنفعالنا بما نزل على شعبنا وعلى آثارنا من خسائر ماديّة وهزّة أو هزات نفسيّة واجتماعيّة، لم نفقد إيماننا بالله تعالى وحكمته، وقوانين الطبيعة، ففي كتبنا المقدسة إنذارات مسبقة بالزلازل والمجاعات وغضب الطبيعة على الإنسان، إستجابة لغضب الخالق على شرور الناس.

فلقد سألت تلاميذ المسيح والحواريون معلّمهم قائلين: (ما علامة مجيئك وانقضاء هذا الدهر؟) فأجابهم (احذروا من أن يضلّكم أحد ... ستسمعون بحروب وشائعات عن حروب، فاحذروا من أن تجزّعوا، لأنه لا بدّ أن يكونَ هذا كله، وإنّما لا يكون المنتهى بعدُ فسوف تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون زلازل ومجاعات وأوبئة واضطرابات في أماكن شتى. غير أنّ هذا كلّهُ ليس إلاّ بداية الأوجاع) (متى ٢٤: ٨-٣).

ومع أنّ الزلازل ليست جديدة علينا فقد حدثت في أماكن متفرقة من العالم على سطح الأرض كلّها، وفي أزمنة كثيرة، لكن حدوثها المتلاحق وبالصورة التي حدثت في مصر أخيراً، وقد تتكرر ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بأنها توقفت وأنها لن تحدث مستقبلاً، ثمّ حدوثها في أماكن أخرى وفي بلاد أخرى، كما نقلت إلينا الأنباء عن وقوعها في رومانيا، وروسيا، واليابان، وإيران، وتركيا، وكولومبيا، وكاليفورنيا وفي أندونيسيا والصين وغيرها من بلاد العالم ... وحدثها في أزمنة متقاربة يُشعرنا بأنها تحقيق لما أنبأتنا عنه الكتب

(١) كتب في عام ١٩٩٣ م.

المقدّسة وأنها من علامات النهاية للدهر الذى نعيشه، خاصة وأنها متلاحقة ومعها أيضا الأحداث الأخرى، أى الحروب بين الدول والممالك والشعوب ثم المجاعات التى نسمع عنها وخصوصا فى أفريقيا، فى أفغانستان والصومال، وأثيوبيا، والسودان، ثم الاضطرابات فى كل مكان، والثورات والانقسامات فى الدولة الواحدة، والانقلابات .. واجتماع كل هذه معا وفى وقت واحد بصورة ربما لم تجتمع فى وقت واحد وزمان واحد كما نراها اليوم فى عالمنا ... تُثيرنا وتلفت نظرنا إلى احتمال واضح يُنذر بقرب نهاية الدهر الذى نعيشه ..

وإذا كان ذلك كذلك، فلعلنا نُفِيق لأنفسنا، ونتنبّه إلى إصلاح كلّ منا طريقه، بالتوبة الخالصة النَّصوح، وليرجع كل منا إلى نفسه ويصحح مساره، ويُعدّ نفسه روحياً لما بعد الموت من حياة أخرى، فنحن بحسب وعده تعالى (ننتظرُ سماواتٍ جديدة وأرضاً جديدةً يَسكن فيها البر) والحقُّ والعدلُ والخيرُ.

اللهم غفراناً لخطايانا ورحمة لنفوسنا، اللهم أعطنا أن نُحبّك كما أحببتنا، وأن نُحبَّ بعضنا، وأن نحتمل بعضنا بعضا، وأن نعمل ما يُرضيك، وكل خير بالقرب والبعيد، ليعمّ السلام كل الخلق، يارب كل الخلق، يا خالق العالمين.

(وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت. فتعقلوا إذن واصحوا للصلوات. ولكن قبل كل شيء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة، فإنّ المحبة تستر كثرة من الخطايا).

## الفن والدين<sup>(١)</sup>

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

نقرأ الأصحاح الأول من رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي:  
«بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة التسالونيكين في الله أبينا والرب يسوع المسيح،  
نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح، ينبغي لنا أن نشكر الله كل حين  
من جهتكم أيها الأخوة كما يحق، لأن إيمانكم ينمو كثيراً ومحبة كل واحد منكم جميعاً  
بعضكم لبعض تزداد، حتى أننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كل كنائس الله من أجل  
صبركم وإيمانكم وجميع إضطهاداتكم، والضيقات التي تحتملوها بينة على قضاء الله  
العادل أنكم تؤهلون للملكوت الذي لأجله تتألمون أيضاً، إذ هو عادل عند الله أن الذين  
يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب  
يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين  
لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن  
مجد قوته، متى جاء ليتمجد في قديسيه ويتعجب منه في جميع المؤمنين، لأن شهادتنا  
عندكم صدقت في ذلك اليوم، الأمر الذي لأجله نصلى أيضاً كل حين لأجلكم أن يوهلكم  
إلهنا للدعوة، ويكمل كل مسرة الصلاح وعمل الإيمان بقوة، لكي يتمجد اسم ربنا يسوع  
المسيح فيكم، وأنتم فيه بنعمة إلهنا والرب يسوع المسيح. «نعمة الله الآب فلتحل على  
أرواحنا جميعاً آمين.

لأول مرة ألتقي بأسرتكم وقد علمت أنها أسرة فنية، وخطر لبالى قبل كل شيء أن نتكلم  
في أول لقاء عن علاقة الفن بالدين.

الدين فن والفن دين، عندما نقول «افتتن بالشيء» أى أغرم به وأحبه وتعلق به، وإذا  
كان الفن يخرج من شعور الإنسان وإحساسه فما لم يكن الدين فناً يكون معنى هذا  
أنه بعيد عن شعور الإنسان وعن قلبه وإحساسه، فما لم يتحول الدين إلى فن لا يكون  
الإنسان سعيداً بالدين، إنما لابد أن يصير الدين فناً، ولابد أن يفتن الإنسان بالدين ويغرم  
به، ويجد في الدين لذة وسعادة وتنفعل به نفسه، الفنان لا يكون فنان حقيقي إلا إذا

(١) محاضرة لأسرة القديس غريغوريوس (معهد ليوناردو دافنشى) - بدمرج الأثينا رويس بالعباسية مساء  
الجمعة ١٧ من فبراير ١٩٧٨م - ١٠ من أمتير ١٦٩٤ش.

انفعل، لأن الفنان لا يقدر أن يصور إلا إذا كان ما يصوره إنعكاساً على ما في نفسه، من هنا كان لابد للإنسان قبل أن يصور شيئاً أن يدخل هذا الشيء إلى نفسه أولاً، ثم بعد ذلك يخرج من نفسه.

إذا كان الشخص الذى يرسم صورة من كارت بوستال أو غيره مهما كانت هذه الصورة الجميلة، ومهما كانت قدرته على أن ينقلها نقلاً دقيقاً وبألوانها، إنما هذا ليس من الفن إذا لم يضيف من نفسه شيئاً إلى الصورة، الفن الحقيقى أن يضيف الإنسان، أن تنعكس نفسه على الشيء الذى يصوره.

فلا بد للفنان أن يدخل إلى نفسه أولاً ثم يُخرج من نفسه، وحينما يُخرج من نفسه تخرج مع التعبير إنفعالاته ومشاعره وإحساساته وإنطباعاته، فليست المسألة أن الإنسان يؤدي أداءً خارجياً، أحط أنواع الفن الذى فيه الإنسان ينقل نقل خارجى، إنما كلما كان الفنان يدخل إلى أعماقه ويعبر عما في أعماقه يكون فنان، وكلما كان العمق أكبر كان التعبير أصح وأسلم وأقوى، ولذلك دائماً الفنان الجيد يقول: قبل أن أعبّر لابد أن أدرس، لابد أن تكون هناك دراسة أولاً، ثم ما يدرسه وما تتفعل به نفسه يخرج كتعبير عما يحسه من داخل نفسه، ولذلك تُعد الصورة عبارة عن شخص الفنان، هي قطعة منه، حتى لو كانت صورة لمنظر طبيعى أو صورة لإنسان آخر، إنما لأنها هو الذى صورها فأضفى عليها أو أضاف إليها شيئاً من نفسه، مشاعره، وإحساساته، وإنطباعاته، وفهمه، هذه الرؤيا الداخلية المصحوبة بالمشاعر، وكلما كان الفنان غنياً في مشاعره وإحساساته كلما كان تعبيره غنياً، وكلما كان الفنان عميقاً في دراسته كان الأثر الذى يتركه عظيماً، ولهذا السبب أن كبار الفنانين في العصور القديمة لا يهتم أن ينتج كثيراً، فنجد الفنان يأخذ في الصورة سنوات، فهناك صورة لمايكل أنجلو الطليانى، يقولوا أنه قضى فيها ١٥ سنة، لدرجة أن الصورة كانت في السقف فمن كثرة ما كان معلق على سقالة، تأثرت عضلات الرقبة وقضى كل أيام حياته بعد أن أنهى من الصورة، وعضلات الرقبة متصلبة، لذلك الفنانين الكبار يهتموا جداً أنهم يدرسون ثم بعد ذلك يُعبّروا عما بداخلهم، وتكون أعمالهم خالدة بحيث تعيش أسماءهم قرون بعد ذلك. فمثلاً فنان مثل مايكل أنجلو أو رافائيل أو ليوناردو دافنشى، لا يمكن مثل هذا الفنان أن يموت، بل سيظل إلى مجيء الساعة، هذه هي الأسماء الخالدة.

اليوم الفنانين يصعدوا سريعا، وقد يصلوا من ناحية المادية إلى أكثر غنى، إنما القطع التي يرسموها تعيش لفترة معينة وتموت بعد ذلك، واسمه يعيش بعض الوقت ثم يموت، الذين عاشوا من الفنانين وصاروا خالدين، هم الذين لم يهتموا بكثرة الإنتاج، وإنما اهتموا بعمق التعبير، ولذلك يدخل ويندمج في الصورة التي يريد رسمها، فيدخل داخل نفسه بعمق في الدراسة.

لابد أنكم تعرفون أن الصورة المشهور بها ليوناردو دافنشى هي صورة العشاء الرباني، من الناحية الدينية فيها أخطاء بأنها لا تمثل عشاء الفصح ولا العشاء الرباني، لأن في هذه الصورة ضرب من الخيال، فوضع أكواب زجاج وطبعا العشاء والفصح لم يكن هناك مثل هذه الأشياء أبدا، الفصح كان عبارة عن خروف الفصح وصحفة، وأيضا العشاء الرباني لم يكن فيه هذه التعقيدات الموضوعية على السفرة، قيمة الصورة ليست في التفاصيل التي وضعها ليوناردو دافنشى، القيمة للصورة الأصلية، في تعبيرات الوجوه للسيد المسيح وتلاميذ المسيح والرسول، هنا عبقرية الفنان في قدرته أن يرسم وجوه الأشخاص بحيث تنطق وجوههم بما تنفعل به نفوسهم، هنا عظمة الفنان وطبعا هذه الصورة خالدة، وليوناردو دافنشى خالد، ليس المهم ماذا أنتج هذا الرجل من عدد الصور، لكن يكفي أن تكون له صور قليلة، لكن هذه الصور تكون قوية ومعبرة لكي تجعل الصورة خالدة وتجعل صاحبها خالداً، وهذه قيمة روحية، وكما قال أفلاطون: «اطلب جودة العمل ولا تطلب سرعته»، الإنسان الفنان الحقيقي إنسان سعيد لأن السعادة هي عوامل نفسية، السعادة ليست حاجة خارجية، إذا شعر الإنسان أنه سعيد من الداخل فهو سعيد مهما قال الناس عنه من الخارج، فالسعادة إحساس باطنى بالرضا وبالسلام. فالفنان إذا عرف أن يدخل إلى أعماق الأشياء، وإلى أعماق الأمور ويعيش في هذا الجو وهذا المناخ ويحيا فيه، يعيش بالحق سعيداً، بأن ينعزل إنعزلاً إرادياً، ينعزل وينصرف عن الوجود الخارجى ويندمج في دوره، أحيانا يرسم شيء لا يتصل بزمانه فيضطر أن يعيش في غير زمانه، يعيش طويلا وينفصل عن الوجود الظاهر، هذا الانفصال يجعله سعيداً، أحيانا يكون الوجود الظاهر غير طيب بالنسبة له، من هذا الإندماج واحد مثل مايكل انجلو الذى عمل تمثال موسى النبى، وتمثال الرحمة وهو تمثال الست العذراء وهى تحمل السيد بعدما نزل من على الصليب، هذان التمثالين يُعدا من أعظم التماثيل في العالم حتى اليوم، نتيجة هذا الإندماج صنع من الحجر الأسود تمثال لموسى النبى وهو نازل من على الجبل،

كيف أمكنه من هذا الحجر الصلد الصلب جدا، أن يجعل التمثال ناطق بكل ما يحمل هذا النبي العظيم من هيبة، ومن وقار، ومن روحانية، ومن غضب مقدس على بنى إسرائيل عندما رآهم يعبدون العجل، هذه الغيرة الإلهية بعد أن قضى المدة الطويلة التي قضاهها على الجبل، واستنار ولع وجهه من شدة البهاء الذي كان فيه، كيف أمكن لمايكل أنجلو أن يجمع كل هذه الأمور في التمثال، النور، والروحانية، والجمال، والهيبة، والوقار، والغضب المقدس، كل هذه المعانى تجدها خارجة من التمثال، مهما قرأت هذه القصة ترى الصورة ناطقة صارخة تتكلم، التمثال يتكلم في عيونه، وفي قسماات وجهه، وفي تصلب أعضاءه، وفي عضلاته، وفي رجليه، شئ عظيم جدا فوق الخيال، ومن كثرة ما تأثر أنجلو واندمج في هذا الجو، بعد أن إنتهى من التمثال كان ينسى أن هذا تمثال، لدرجة أنه يشعر أن هذا هو موسى النبي نفسه، وينسى نفسه لدرجة أنه يكلم التمثال كأنه يكلم موسى، حتى أنه يقال أنه وهو يكلم التمثال ووجد أن موسى لايرد عليه، ضربه بما كان في يده، كأنه يلفت نظره أن يرد عليه، فتركت هذه الضربة أثر على التمثال وبقا هذا الأثر حتى اليوم، كل هذا يرينا أى طراز من الفنان هذا الإنسان، كيف اندمج ونسى نفسه وكان يكلم التمثال كما لو كان التمثال هو موسى النبي نفسه، هذا هو طراز الفنان الحقيقي. وكلما كان عندنا أشخاص من هذا الطراز كان عندنا فنانيين على الحقيقة.

أنا أقول أن الفن دين، لأن الفنان يعيش في فنه ويتغذى من فنه، أتكلم عن الغذاء الروحي ولست أقصد الطعام المادى، إنما يتغذى روحيا ونفسيا ويحس بالشبع لدرجة أنه ينسى نفسه، وينسى أن يأكل وينسى أن يشرب، وينسى أشياء كثيرة، ينسى أن يخرج وينسى الإحتفالات وما إلى ذلك، ينساها نهائيا وتصبح سعادته ولذته وفرحه وسروره وعزاؤه وأكله وشربه، في الإندماج، هذه عبادة، الفن عبادة والفن روح وليس جسد، ومن هنا أنه دين، لأن الدين الحقيقى روح وعبادة، فالشخص المتدين والمتدين على الحقيقة الدين بالنسبة له شيع وإرتواء وغذاء وفرح وسرور وسعادة وإندماج، ويندمج إندماجاً تاماً في الله وفي العالم الآخر وينسى نفسه، وقد ينسى أن يأكل وأن يشرب وينسى إحتياجاته المادية، أشياء كثيرة جدا ينساها لأنها ليست في بؤرة الشعور، إنما بؤرة شعوره هو الله، والعالم الآخر، وهذه الحياة فيما هى غذاء وفرح وسرور هى عبادة.

فالفن دين والفن عبادة لأنه دخول إلى الأعماق، دخول إلى روح الوجود وإلى روح نفسه، كون الإنسان يكون عنده المقدرة أنه يذوب ويدخل إلى ما وراء السطح وينفذ إلى الأعماق، هنا الفن روح، والفن دين، والفن عبادة.

**أولاً: الفن دين:** لأنه يدخل إلى نفسه قبل أن يُعبّر، ويعبر عما يشعر به، بعد أن دخل يخرج، هذا أيضا عبادة، وهذا أيضا دين، لماذا؟ لأن الدين أيضا روح وتعبير، ولا يختلف الفنان هنا عن العابد، العابد يُعبّر عن تأثره الروحاني بوسيلة تعبير قد تكون هي الصلاة، وما هي ألفاظ الصلاة، هو يستحضر معاني معينة، ثم يقوم بالتعبير عنها عن طريق الألفاظ التي يعبر بها عن شكره لله، وعن حبه لله، وعن امتنانه، وعن علاقته بالله وبالكون.

فالفنان بنفس الدرجة وبنفس القياس مثل المصلّي، عندما يصلي ألفاظ الصلاة تخرج تعبيراً عن الشعور، والفنان بريشته أو بالأداة التي يستخدمها سواء أكانت النحت أو كانت الموسيقى، هذه كلها وسائل، وأدوات تعبير، لا تختلف من حيث قيمتها عن الصلاة لأن الصلاة تعبير عن شعور، فكما أن المصلّي في محراب الصلاة يدخل إلى نفسه ويستحضر أعمال الله، ويتأثر بها وينفعل بها ثم يعبر عن هذا الإنفعال بألفاظ وبدموع وبسجود، هكذا الفنان يعبر بطريقة أخرى إما بريشة وإما بأدوات النحت أو بالموسيقى أو بالشعر أو ما إلى ذلك، كل الفنون فروع مختلفة لكنها تعبير ووسائل تعبير، قد تختلف ولكنها لا تزيد ولا تختلف عن تعبير المصلّي.

نحن نقول هذا الكلام حقيقة عن إعتقاد يقيني، أن الفن دين سواء أكان فيه دخول الإنسان إلى روح وعمق الحياة وعمق الوجود، أو بالتعبير عن هذا الدخول إلى الأعماق بتعبير ظاهر خارج عن نفسه.

**ثانياً: الدين فن:** قلنا أنه لا يمكن أن يكون هناك إنسان متدين على الحقيقة إلا إذا كان الدين بالنسبة له فن، الشخص الذي لا يحب الدين يكون الدين له تكلف واصطناع، يكون الدين بالنسبة له مجرد طلاء خارجي، ويكون هذا الإنسان غير سعيد، وبالنسبة له الدين عبارة عن حمل له ثقل عليه، فرض يؤديه لكن من غير لذة، ومن غير سعادة، من هنا يكون متكلف يحاول أن يدرسه دراسة خارجية، يرى غيره ماذا يعمل ويعمل مثله، إنما كل حركاته لا تنبئ عن إنسان عميق، حركات ظاهرية، إنما المتدين على الحقيقة لا يحتاج إلى كثير من التعليمات الظاهرة، لأنه على سجية نفسه وبالإنطلاق التلقائي الطبيعي ممكن أن يُعبّر أفضل مما لو تلقن هذه الأمور السطحية الخارجية عن آخرين، لأنه طبيعي إذا إنفعلت نفسه فالرابطة الطبيعية الموجودة بين الروح والجسد تجعل



الجسد يتحرك تلقائياً ودون تعليم، فمثلاً لو كان الإنسان يشعر بالجلال الإلهي نجده تلقائياً وبدون مُعلّم يقف وقفة الأدب، عندما يرفع عينيه يرفعهما في إحساس بالجلال الإلهي، فعيونه تنبئ عن تأثير حقيقى للحضرة الإلهية ولا يحتاج أبداً إلى من يعلمه كيف يرفع عينيه؟ ولا كيف يرفع يديه؟ ولا كيف ينخفض ويسجد، إنما بمفرده تلقائياً يسجد لأن هناك رابطة بين الروح والجسد، بموجب هذه الرابطة ينفعل الجسد بما تنفعل به النفس، فما لم يتحول الدين إلى فن، وبعبارة أخرى ما لم يتحول الدين إلى هواية، لأن الفن الحقيقى هو الهواية، والفنان الحقيقى هو ما يهوى فنه ويحبه، وما لم يتحول إلى لعب، لأن الإنسان يحب اللعب، اللعّب ليس بمعنى اللهو ولكن بمعنى الشئ الذى يحبه، كما يقولوا في علم النفس الهواية واللعب بمعنى واحد، الإختلاف شكلى، الإنسان لكى ينتج فى أى شئ وينبغ فيه، لابد أن يتحول هذا الشئ بالنسبة له إلى هواية، يهواه، ويعشقه، ويتعلق به، ويحبه، ويتحول أيضاً إلى لعب، الدين أيضاً لابد أن يتحول إلى فن، لابد أن يتحول إلى هواية، وإلاّ صارت وصايا المسيح ثقيلة، وصارت نير بالنسبة له، لكن المسيح يقول: نيرى هين وحملى خفيف، والتعبير القبطى الأصيل واليونانى أيضاً «نيرى حلو»، وهذا تعبير أعظم من كلمة «خفيف» وما يجعله خفيف أنه حلو، فالتعبير الأصلى حلو، فالمسيح يصف نيره أنه حلو، يتحول الدين إلى هذه الحلاوة ويصبح ما يسميه الناس بالنير يحسه المتدين الحقيقى أنه ليس نيراً إنما هو حلاوة، حلاوة وهواية، إذن الدين لابد أن يكون فن، فإذا فهمنا الفن على أنه هواية، ليس هو عمل يعيش منه الإنسان، وليس هو موضوع تجارة، لا ... هو موضوع يسعد به الإنسان ويعيش به سعيداً.

ولو تأملتم تجدوا الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة فنية، كنيسة فيها فن بل كلها فن لأن الدين فن، وهذا ما يجعل الناس المتعبدين يعيشوا فى الكنيسة ساعات ويكونوا سعداء، عندما كنا نقول للأجانب فى إنجلترا أن عندنا يوم الجمعة الكبيرة الصلاة من ٨ صباحاً إلى ٨ مساءً كانوا يستغربوا هذا الوضع ويقولوا ١٢ ساعة، فنقول لهم ليس ١٢ ساعة فقط بل الناس تستريح قليلاً ثم نبدأ صلاة أبو غالمسيس إلى فجر السبت، ما الذى يجعلنا نحس بهذا السرور وهذه السعادة؟ لأن هنا حلاوة فتجد الشعب الفاتر فى الأيام العادية يزداد إقبالاً فى أسبوع الآلام، وأيضاً لماذا الأطفال يحبوا أن يذهبوا إلى الكنيسة رغم أنهم لا يفهموا فى الوعظ ولا فى القراءات؟ لأن فى الكنيسة أشياء تجعل الأطفال يفرحوا بها ويحبوها، وتجعل الكبار حتى الفاترين يحضروا رغم أنها ألحان حزينة والناس تهرب من الحزن، لكن مع ذلك تجد إقبال أكثر ولا نحتاج إلى دعاية أو إلى دعوة، جمال الكنيسة

هو الدعاية، لا نحتاج إلى إعلانات لكي نقول فلان يتكلم، أبدا .. الناس تذهب إلى الكنيسة بغض النظر عن الكلام أو الوعظ أو التعليم، الكنيسة فيها جمال، وفيها فن، وفيها روحانية تجعل الإنسان يندمج وينسى الزمن، وعندما الإنسان يخرج من الكنيسة بعد صلوات طويلة ويخرج إلى الشارع ويجد ترام وأتوبيسات تسير، يحس أنه انتقل من جو إلى جو، عندما كان في الكنيسة نسي الترام والأتوبيس ونسى كل شيء، ما هذا الجمال الذي ينتزع الإنسان إنتزاعاً ويجعله ينسى وجوده الخارجى؟

هناك سؤال يقول أن الفن يجعل الفنان يشعر بقيمته وقد يغتر؟، هذا ممكن نظرياً إنما عمليا يلاحظ أن الفنان الحقيقي أو الفنان الكامل من كثرة إندماجه في الفن وحبه له، لا يحس بذاته أنه شيء كبير، بل يمكن أن يحس أكثر من غيره بالجمال الموجود في الطبيعة، وهذا يقوده أكثر إلى العبادة وإلى احترام الله وتوقيره ويحس بصغر النفس، يقال عن نيوتن ولو أن نيوتن ليس فنان إنما هو عالم، وهو مؤسس علم الطبيعة، أنه كان يمشى حاسر الرأس، فلما سُئل قال: إجلالاً لخالق الطبيعة، كان أكثر إحساساً من غيره من الناس، لأن في الطبيعة جمال وفيها قوانين، وأنه وهو على المشارف لم يدرك شيئاً من الأعماق التي ينبغى أن يقف عليها، فهو عالم في نظرنا نحن، إنما هو في نظر نفسه يشعر أنه تلميذ صغير، وهذا هو الفرق بين العالم الحقيقي وأنصاف المتعلمين، العالم الحقيقي طبيعى تلقائى يكون متواضع ومن دون تكلف، لماذا؟ لأن عنده رؤية بعيدة، تتكشف أمامه أشياء يريد أن يصل لها ولا يستطيع، يحس بصغارة نفسه وحقارته، أما أنصاف المتعلمين هم عادة مغرورين، إذا وجدت إنسان متعلم مغرور اعرف أن هذا ليس عالماً بل هو من أنصاف المتعلمين، ويوجد مثل يقول: المعرفة القليلة خطيرة على حياة الإنسان، كذلك إذا وجدت إنسان متدين وهو يدين غيره. أو متكبر تأكد تماماً أن هذا الإنسان له من الدين بعض القشور والمعرفة. إنما المتدين على الحقيقة، وكبار القديسين يكونوا متواضعين حقيقة، بدون تكلف أو تصنع لماذا؟ هذا ليس نتيجة تعليم، أبدا بل نتيجة رؤية، رؤيته للحياة الروحانية ورؤيته لله وللكون جعلته يحس بصغارته وبأنه لا يساوى صفر في الوجود. كما قال يعقوب: صغير أنا عن ألطافك وعن جميع الأمانة التي صنعتها إلى عبدك، فرؤياه تكشف له عظمة الله والوجود وصغارته بإيزاء هذه العظمة، فبطبيعته تلقائياً يتواضع.

لأنه ما هو التواضع الحقيقي؟ قال أحد القديسين: «ليس التواضع أن ينزل الإنسان عن مستواه، التواضع أن ينزل الإنسان إلى مستواه»، التواضع الحقيقي هو الذى يفهم ذاته ويعرف ذاته، هذا هو التواضع، ليس مطلوب من أجل التواضع أن يقول الإنسان: أنا خاطئ ... وهذا الكلام الذى يصطنعه بعض الناس إصطناعاً وتكلفاً، لكى يقال عنه أنه متدين أو يقال عنه أنه متواضع، إنما التواضع الحقيقى أن يكون الإنسان فاهم نفسه على حقيقتها فلا يضحكها ولا يصغرها، أن يكون طبيعى، يسلك طبيعياً تلقائياً، ولن تجد فنان حقيقى مغتر، بالعكس هو يحس بالجمال فى الطبيعة فى عمق، تنظر إلى الصورة التى رسمها فتقول ما أروع هذا، إنما هو يرى ويحس الجمال فى أعماقه ويحس أنه غير قادر أن يصل للتعبير المفروض أن يصل إليه. الناس الذين فى الخارج قد يبهروا بالصورة لكن هو نفسه متضايق، لماذا؟ لأنه يحس أن إمكانياته أقل، يقال عن أحد الفنانين مرة أنه صوّر صورة المسيح مصلوباً، والصورة فيها تفاصيل، من ضمنها الديك الخاص ببطرس الرسول، فبعد أن رسم الصورة وانتهى منها، رأى الفنان واحد من الناس ينظر للصورة وأعجب برسم الديك أكثر من باقى الصورة، فأحس الفنان بخيبة الأمل الكبيرة، لأنه يريد أن يجعل من ينظر إلى الصورة يتعبد للمسيح ويتأمل فى الصليب ويتأمل فى معانى الصليب، فعندما رأى أن الرجل لفت نظره الديك، حزن على نفسه جداً وأمسك بالصورة ومزقها، هذا هو الفنان على الحقيقة، لو فنان آخر قد يغتر ويقول أن الناس معجبة جداً بفنّه، هذا هو الغرور، لكن هنا الفنان أحس أنه لم يستطع أن يصل إلى ما يريده، فعندما أحس أنه لم يصور المسيح كما يريد مزق الصورة، وهذا ما يسموه جنون الفنانين، أحيانا فنان يكون عنده بعض التصرفات يراها الناس العاديين أنها شيء من الجنون. ومايكل أنجلو كان فيه نوع من هذه التصرفات التى تعد شذوذ لو نظرنا إليها نظرة الناس العاديين. فدائماً العباقرة فيهم شيء من هذا القبيل، لكن ليس معنى ذلك أن كل واحد مجنون يقول أنا عبقرى.

رأيت صورة أكاد أن أقول أنها أجمل صورة رأيته فى حياتى، أكثر من صورة مايكل أنجلو، فنان من القرن الثالث عشر، فى قصر الدوقات المجاور لكاتدرائية مارمرقس فى فينيسيا، كان الدوقات فى القديم عندما يكتشفوا فنان كانوا يحتكروه، ينفق عليه الدوق بسخاء ويجعله يعيش معه، ويهبه إقطاعيات لكى يغنيه عن الحاجة ولكى يكون متفرغ له، فهذا القصر ليس فيه ملليمتر واحد متروك من دون رسوم جميلة وباقية إلى الآن

وستبقى، وأروع ما رأينا صورة للسيدة العذراء في القبر المقدس بعد إنزال السيد المسيح من على الصليب، وهى واقفة في القبر، منظر العذراء وهى واقفة فى أصعب فترة، تشعر بالعذراء وتعبير الآلام على وجهها فى غاية القوة، عيونها ذابت من البكاء، قسماات وجهها، أكتافها، قدرة رائعة أظهرها الفنان جعل صورة العذراء تتكلم عن الألم الذى ليس بعده ألم، أقصى أنواع الآلام، كيف تتكلم الصورة، أنا وقفت أمامها ثلث ساعة، ولولا ضيق الوقت كان الإنسان يعيش مع هذه الصورة مدة طويلة، حاولنا أن نُحضر الألبوم وفيه هذه الصورة الفوتوغرافية التى لا تساوى واحد على المليون من الصورة الحقيقية، هذه الصورة على قدر معرفتى أجمل صورة رأيتها فى حياتى، تدل على قدرة الفنان على التعبير عن الأمومة فى أصعب لحظة فى حياتها، فهذا الفنان لكى يعرف أن يصور هذه الصورة كيف دخل إلى نفسه؟ وكيف وصل إلى هذه المشاركة الوجدانية؟ وكيف فهم مشاعر الأم فى هذه اللحظة؟ وخاصة أم ليس لها أحد آخر، لا زوج ولا ولد آخر وأم مهددة فى مستقبلها، فالآية: «وأنت أيضا يجوز فى نفسك سيفا»، هذا الفنان نجح فى أن يجعل الصورة حية رغم أنها من القرن الثالث عشر، إنما هذه الصورة الحية كلما تنظر إليها تصلك الرسالة، فالصورة لها رسالة.

الفن رسالة فكيف يقدر الفنان أن يقنع الشخص كما لو كان الفنان يتكلم، هو لا يتكلم لأنه الآن فى العالم الآخر، لكن جعل الصورة تتكلم وأى نوع من الكلام، هذه الصورة، أبلغ من ألف عظة على ألف منبر، ومن ألف كتاب، يكفى أن تنظر إلى هذه الصورة، كم من التعبير والجمال والأثر النفسى والخشوع والإحساسات والمشاعر التى تخلقها هذه الصورة.

لذلك أقول أولاً أن الفن دين، من حيث أن الفنان لا يقدر أبدا أن يعبر إلا إذا دخل إلى عمق الأشياء وإلى عمق الوجود، وصنع المشاركة الوجدانية الشعورية ثم بعدها يعمل الإنعكاس أو التعبير نتيجة هذه المشاركة الوجدانية، وما لاحظته أن الفنان الذى له خلفية روحية عادة يكون فنه جميل، ففى كل أوروبا وأمريكا الفنانين الذين عاشوا فى جو من الرهبنة أو روحانية الرهبنة، الفن الذى صنعه عميق وعظيم، فمثلا الفن فى هولندا وإنجلترا لا يقاس بالفن فى ألمانيا وإيطاليا، فالفن فيها ضحل ولا يقاس بجمال العمق فى الصور والتماثيل فى ألمانيا وإيطاليا، لأن هذه البلاد لها خلفية رهبانية، لأن الرهبانية قيمتها فى أنها تدخلنا إلى أعماق المسيحية الحقيقية، لأننا لا نقدر أن نفهم قوة

المسيحية إلا كلما تعمقنا، إنما الناس السطحيين لا يروا في المسيحية الجمال الذى يراه الناس الذين دخلوا إليها دخولاً جوائياً. القديس غريغوريوس له تعبير جميل عن الكتاب المقدس، يقول: «الكتاب المقدس هو المجرى الذى يستطيع فيه الحمل أن يخوض والفيل أن يسبح»، تعبير حلو جداً، الحمل يمثل الناس السطحيين الصغار، يخوض أى أن الماء أقل من ارتفاعه، وهو أعلى منها، فهنا يظهر المجرى أنه ضحل، والفيل الضخم الذى هو أضخم حيوان يسبح فيه أى أن الماء أعلى منه وأعظم منه وهو يسبح فيه، فالكتاب المقدس مجرى يناسب السطحيين يجدوا فيه بعض المعرفة، وكلما الإنسان يقرأ مرة أخرى تتفتح أمامه أشياء، وتضىء أمامه آيات ونصوص بطريقة جديدة، مع أنه قرأها عشرات المرات، فهنا كما قال العلامة أوريجينوس: الناس البسطاء أو المبتدئون يأخذوا من المسيحية بعض الأمور الظاهرة والسطحية، لكن يوجد من سماهم بالكاملين تتفتح أمامهم معانى أخرى ومفهومات أخرى، لم يعرفوها من قبل، فالمسيحية ديانة باطنية جوانية، وإن لم يعرف المسيحي أن يحيا في الداخل أعمق جداً مما يعرف عنه الناس في الظاهر لا يكون مسيحي حقيقى.

لذلك أقول أن أعمال الفن الكبيرة عادة موجودة في البلاد التى لها خلفية روحية، لأن هذه تساعد الفنان أنه يبقى ابن زمانه وابن مكانه فلا يقدر أن يخرج عنه، فيتقمص تراث شعبه، فالفنان أقدر من غيره على التعبير، وذلك لإحساسه وأيضاً لأنه ابن زمانه، فيعيش في التراث القديم للبيئة التى يعيش فيها، بل يدخل هذا التراث في أعماقه، وهو يعبر عن هذا التراث، هذا إلى جانب العظمة الشخصية على أساس أنه أقدر من غيره على التعبير.

إذن الفن دين والدين فن، وقلت أن الكنيسة القبطية كنيسة بصفة عامة كنيسة فنية، بمعنى أن الناحية الروحية فيها فن عميق يجعل الناس ينسوا أنفسهم، ويجعل الأطفال ينسوا أنفسهم، الناس يحبوا الكنيسة على الرغم من التكرار الذى فيها، القداس هو بعينه القداس في كل يوم، وصلاة العشية هى بعينها كل يوم، تكرر وإعادة، لكن لماذا الناس تحب أن تذهب إلى الكنيسة؟، لماذا الأطفال تكون أكبر عقوبة لهم عندما الأم تمنع إبنها أو إبنتها من الذهاب للكنيسة؟، الطفل يفهم في الكنيسة أفضل منا نحن الكبار، لأنه يمتص عن طريق الحواس العين والأذن وما إليها الدين نفسه، فما لم تكن الكنيسة فيها فن تصبح بلا جاذبية ولا تصلح لبشر مثلنا، لأننا كما قال يوحنا ذهبى الفم: لو كان الإنسان

بلا جسد لكانت عطايا الله تمنح له على هذا النمط، ولكن حيث أن نفسك متحدة بجسدك فلا بد أن الله يعطيك بعلامات محسوسة الأمور التي لاتدرك بالفعل.

لذلك يظهر هنا تأثير الطقوس، فنحن عندنا في الكنيسة الصور المتحركة والصور الجامدة، الصورة المتحركة هم رجال الكنيسة الذين يمثلوا الحياة الدينية، البطريك في الكنيسة يمثل المسيح أى يعطى صورة منظورة للمسيح، فالبطريك يأخذ دور المسيح ثم الكاهن له دور، والشماس له دور، والمرتل له دور، القارئ له دور، والشعب له دور. كلنا في هذه السيمفونية الروحانية نندمج، والإنسان تنطبع في ذهنه عن طريق هذه الصورة المتحركة صور ذهنية، ثم أيضا الصور الجامدة تنطق وتتكلم، فنجد الصور على الحوائط، للسيد المسيح والعذراء والقديسين والشهداء، الإنسان ينظر إليها فيرى عيونها تشع معانى الطهارة والنقاء والهيبة والوقار، ومعانى الروحانية والسمو والترفع فوق المادة، الصور تتكلم وتعطينا رسالة، في مرة إنسان سارق دخل منزل يسرقه فوجد صور قديسين ولم يقدر أن يسرق إلا بعد قلب الصور حتى لا يرى وجوهها، لأنه أحس أن الصور توبخه، لأن الصور لها رسالة، الصورة تتكلم وتخرج منها أشعة، لا أريد أن أدخل في تفاصيل أكثر، أحيانا القديسين كانوا يكلموا الصور، العذراء أحيانا خرجت من صورتها وكلمت البطريك كما حدث في حادثة نقل الجبل المقطم.

وتسمع الألحان الصوتية عن طريق الأذن، أنا مرة رأيت طفلة لم يصل سنها سنتين وهى تلعب، ولم تتكلم بعد، لكن في أثناء لعبها كانت تدندن بنغم «بى اهموت غار» آآآ، هذا اللحن يحتاج الشخص الكبير إلى ثلاثة أو أربعة أسابيع ليتعلمه، والطفلة الصغيرة الغير قادرة على الكلام لقطت النغم، هذا يدل على أن الطفل بالحواس يقدر أن يلقط الكثير، ثم البخور يدخل عن طريق الأنف، وهناك منظر مثير للأطفال وهو منظر الكاهن وهو يبخر، يذهب إلى المنزل ويقلد الكاهن في كل ما يرى، فالكنيسة نجحت جدا في التأثير على الطفل، فلو حرص الآباء والأمهات على دخول الطفل الرضيع إلى الكنيسة، هذا الطفل لن يضل، حتى لو أنه في فترة شبابه ضل لابد أن يعود مرة أخرى، لأن الصور الذهنية التي رُسمت في ذهنه باقية، ولذلك كسب كبير جدا وجود الطفل وهو رضيع على كتف أمه عندما تدخل الكنيسة، ليس من الضروري أن يفهم الوعظ والتعليم والقراءات، إنما الدين والروح الدينية تدخل إلى أعماق الطفل، كل صورة ذهنية دخلت إلى المخ لن تخرج، وكذلك الصور السمعية، وكما تعلموا أن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، فالغصون إذا قومتها اعتدلت ولا تلين، فدخول الطفل إلى الكنيسة جميل جدا ومفيد جدا جدا، ولذلك

أكبر خطأ للأب والأم هو أن يحرموا طفلهم من هذه الميزة، حضور الطفل إلى الكنيسة تسعة أعشار الدين، لأن هذه الصور لها فعاليات ولها رسالة.

هذا يدل على أن الكنيسة كنيسة فنية والفن في توزيع الأدوار، والفن في الملابس الكهنوتية أيضاً، واختلاف الملابس حسب دور كل واحد، والحركات عندما المطران أو البطريرك يعطى الكاهن الحمل لكي يدور حول المذبح، كما أرسل المسيح تلاميذه ليبشروا حول العالم، والطقوس تتكلم ولها معانى روحية، عندما نمسك القربانة ونمسحها بالماء مثل المعمودية، ثم نرشمها ونلفها ونضع الإبروسفارين، هذه وسائل إيضاح وتعليم بالحركات، فالكنيسة تعلم الطقوس بالحركات، والحركات لها معانى، كل حركة في الكنيسة لها معنى، رفع اليدين وتنزيل اليدين والسجود، ثم الأنغام، والألحان، والترتيل، كل هذا ينعش النفس ويعمل صور موسيقية، وكلنا نعرف أن الموسيقى شفاء للنفس، شاول كان يُحضر داود ليضرب له الموسيقى فكان شاول يُشفى من الأمراض العصبية.

فالموسيقى شفاء، وجدوا المقطوعات المعينة لشفاء القلب، وبعض مقطوعات معينة لشفاء الأعصاب ومقطوعات أخرى لشفاء الكبد إلى آخره.

إن الكنيسة فيها كل أنواع الفنون، من فن التصوير، وفن النحت، وفن التمثيل، القداس كله تمثيل روحانى، أسبوع الآلام كله تمثيل، الكنيسة تجلج بالسواد والألحان الحزينة، ونصلى خارج الخورس الأول، وليلة عيد القيامة نغلق الهيكل ونطفىء الأنوار ويحدث الحوار الذى كان في الجحيم عندما نزل المسيح بعد يوم الجمعة الكبيرة، ويوم الجمعة الكبيرة يحدث دفن الصورة، لنتذكر دفن المسيح في القبر وخميس العهد وغسل الأرجل، فكنيستنا تمثيلية وتصويرية وفيها نحت أيضاً، حقا أننا لا نقر عمل التماثيل خوفاً من النتائج التى لها، لكن على نوع ما يوجد شيء من التماثيل، الصليب نفسه إن كان من خشب أو غيره فهو نوع من أنواع التماثيل، والإيقونات التى يكون فيها شيء من البروز هى نوع من النحت، لكن الكنيسة الأرثوذكسية لا تقرر التماثيل خوفاً من عبادة التماثيل، لكن الكنيسة فيها فن، فن للعين وفن للأذن وفن للأنف وهو البخور وفن التمثيل.

أردت أن أقول كما قلنا الفن دين والدين فن، والكنيسة تحترم الفن ويجب أن تحترم الفن، ورجل الدين ينبغي أن يحترم عمل الفنان، ولو أهمل رجل الدين أو أهملت الكنيسة العناية بالفن فهذا يميم رسالة الكنيسة، لذلك مفروض أننا نحى الإهتمام بالفن ونمجد الفن، وفيما نحن نحى الفن والفنانين نحن في نفس الوقت نحى الدين نفسه لأن الدين نفسه فن، فلا بد أن ننظر نظرة إحترام إلى الفن ونظرة تعبير.

## السياحة الدينية في مصر (١)

في الأصحاح الثالث عشر من رسالة ماربولس الرسول إلى العبرانيين، يقول بولس الرسول: «لثبتت المحبة الأخوية، لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون...»

علمت أنكم تعملوا في مهمة مفيدة وخدمة جليلة، من زاوية جديدة وهى خدمة السائح، وقبل أن ندخل في باب الأسئلة أحب أن أقول لكم كلمة صغيرة جدا بقدر الإمكان، لا يوجد بلد في العالم أغنى من بلدنا مصر، فيما يتصل بالآثار في كافة العصور. الواقع أنها أغنى بلاد العالم قاطبة، هذه حقيقة لا نقولها لأن مصر بلدنا، ولكن هى حقيقة نواجه بها كل العالم، لأن مصر قديمة وقديمة جدا، فهى من أقدم بلاد العالم، والآثار فيها شملت كل العصور، ما قبل التاريخ ثم العصور التاريخية في مصر القديمة ثم المسيحية ثم الإسلام إلى آخره.

فمصر فيها حضارات ما قبل التاريخ، فمثلا حضارة نقادة لها ثلاث حضارات ما قبل التاريخ، حضارة نقادة الأولى ثم حضارة نقادة الثانية ثم حضارة نقادة الثالثة، كلها ما قبل التاريخ وما قبل عهد مينا، وتوجد حضارة البدارى، وحضارة ميرندا إلى آخره، كلها حضارات ما قبل التاريخ.

أريد أن أقول أن بلدنا من جهة القدم، أن الحضارة عاشت فيها كما يقولوا ٧٠٠٠ سنة وأنا أعتقد أنها أكثر من ٧٠٠٠، و ٧٠٠٠ سنة هذه تقديرية، إنما لابد أن تكون أكثر من ذلك، فالحقيقة بلادنا غنية بالسياحة، ولا تنسوا حقيقة أخرى أن مصر جنة، وهذا التعبير موجود في الكتاب المقدس في سفر التكوين أصحاح ١٣ عدد ١٠ يقول: «كجنة الرب كأرض مصر»، فالواقع أن كل فرد منا لو كان يسافر إلى بلاد الخارج، لا شك أنه رأى بلاد كثيرة وبلاد فيها جمال خصوصا في العصور المتأخرة بعد أن نزلت عليها الأمطار مثل سويسرا ومثل بعض مناطق في إنجلترا، ومثل الجزء الجنوبي من ألمانيا، إنما مع ذلك بلادنا في الواقع أجمل في تاريخها الطويل وحضارتها القديمة وآثارها الكثيرة التي خلفتها.

(١) محاضرة بمعهد الدراسات القبطية لأسرة خدمة السائح - الجمعة ١١ من أبريل ١٩٨٦م - ٣ من برمودة ١٧٠٢ش.



ميزة أخرى نشكر الله عليها في بلدنا، أن الطبيعة في بلدنا فيها استقرار، الطبيعة عندنا ليست مثل بلاد أخرى، فنحن نجونا وندجو عادة من الزلازل والبراكين، التي تسبب في بلاد أخرى تحطيم الحضارات مثل بلاد اليونان وتركيا، والتي كانوا يسمونها في القديم ببيزنطة أو القسطنطينية أو آسيا الصغرى وهي تعد من الحضارات القديمة، وكان فيها عاصمة العالم كله وهي القسطنطينية بعد روما، عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، فتركيا تتعرض للزلازل واليونان تعرضت أيضا لزلازل ولذلك تجد أجمل ما في بلاد اليونان عبارة عن أطلال باقية، لأن الجميع تحطم، هكذا روما، روما بلد عريق جدا لكن ليس في عراقه مصر، لأن كل بلاد أوروبا حديثة بالنسبة لمصر، مصر أقدم في كل بلاد العالم من جهة الحضارة، وسبقنا غيرنا في كل شيء.

من هنا كان لنا نصيباً وافراً في هذه الحضارة لأنها باقية ولن تصبها الزلازل أو البراكين، فهي باقية وهذه ميزة ثانية أخرى بجوار العراق، فالآثار باقية في بلدنا بينما في بلاد أخرى أصابها التحطيم بسبب الزلازل والبراكين.

كان يجب أن تكون هذه الآثار في بلدنا باستمرار عبر العصور، سبب جذب للسياحة ولعناصر بشرية من كل بقعة في العالم. نحن تأخرنا، ربما لظروف متأخرة في بلدنا جعلت النظر إلى هذه الحضارة القديمة على أنها حضارة وثنية، فمقاومة للوثنية حدث أن الحكومات المتوالية كانت تغطي على هذه الحضارة أو لا تهتم بها، ولذلك حتى إلى عهد الثورة كان دائماً مدير المتحف المصرى أجنبى، وكان رئيس هيئة الآثار أجنبى، آخر واحد أتذكر كان دريتون وهو رجل فرنسى، وكان قبله رجل روسى، والألمان هم أول من سبقوا واهتموا بالآثار المصرية، رجل اسمه هرمان وكانوا يسموه نبى الايجبتولوجى، لماذا نبى؟ لأنه هو الذى تنبأ إلى أهمية الآثار المصرية واحتمل في سبيل رسالته الكثير، كان الناس غير مقتنعين بهذا الكلام وقتها، فكان يشتري المخطوطات والآثار على حسابه، ولذلك عاش فقيراً ويقال أن حلتها كانت دائماً مقطعة بسبب فقرة لكثرة الإنفاق على الآثار، كان أستاذ في الجامعة ولكن الجامعة لم تشجعه على شيء، لم يكن هناك مؤمن بكلامه، وكذلك الدولة، الألمان سبقوا وأنشأوا أول مجلة، وأعظم مجلة ولا زالت عائشة إلى اليوم. فالألمان هم أول من اهتموا بالآثار، نحن كمصريين كنا آخر من أهتم، لأنه كان هناك إعتقاد سائد أن هذه الحضارة وثنية، ومادام هي وثنية مقاومتها أفضل وهكذا. حتى بدأت فكرة عرض خمسين قطعة توت عنخ آمون على العالم في المعرض المتنقل، فرأوا إقبال شديد جدا من العالم، لدرجة أن الناس الحاجزين للدخول كانوا يبقوا في أماكنهم ٢٤ ساعة في الصقيع، حتى يعرفوا أن يدخلوا ويروا الخمسين قطعة لتوت عنخ آمون، وكان هناك

سوق سوداء للتذاكر من كثرة الإقبال عليها، فعندما رأوا إهتمام العالم بآثارنا بدأ يتحرك نشاط الدولة للسياحة والآثار، ثم أقاموا وزارة للسياحة، وفعلا بدخول الآثار المصرية في بلاد العالم أفادت مصر بثروة كبيرة جدا وعملة صعبة كثيرة جدا، وهى ما ساعدت هيئة الآثار من أنها تقيم مشروعات ترميم وإصلاحات في المتاحف والآثار القبطية والإسلامية، فالواقع لو وجدنا العناية والرعاية والإهتمام بآثارنا، هذا الأمر يمكن أن يجذب السواح بكمية كبيرة إلى بلدنا، لا يوجد بلد عنده هذه الكنوز التى عندنا، سأضرب لك مثل، مسقط رأس شكسبير، بلد اسمها ستراكسورد ابون ايفول، وهناك بيت شكسبير، ماذا ستجد في بيت شكسبير؟ الريشة التى كان يكتب بها والشوكة التى كان يأكل بها، والمدفأة فى بيته، أشياء تافهة جدا لا تُعد بشيء، ولا واحد على مليون مما عندنا، إنما تجد جماهير بالملايين يذهبوا وينتهزوا الفرصة أنهم يعرضوا رواية شكسبير، فعندما ترى هذا التكديس البشرى على هذه المدينة لمجرد أن شكسبير كان فى هذا المكان، وأنه يوجد الريشة التى كان يكتب بها، أنا لم أر آثار تستحق كل هذا الإقبال، فلو كنا نحن نعتنى بآثارنا ونهتم بآثارنا، كم تأتى لنا بملايين الملايين، وليس من البشر فقط ولكن من العملة الصعبة أيضا.

وأياضا فيما يتصل بالسياحة الدينية، وهى غير العصر المصرى القديم، فمصر هى البلد الأولى التى جاءها السيد المسيح بنفسه من فلسطين، فى كل بقعة مرت فيها العائلة المقدسة بنيت فيها كنيسة باسم السيدة العذراء، والملكة هيلانة كانت إمرأة قديسة وهى التى آلت على نفسها أنه فى كل محطة من محطات العائلة المقدسة تبنى كنيسة باسم السيدة العذراء، وفعلا حدث هذا، فتجد كنائس كثيرة جدا بنيت فى بلدنا، فمثلا كنيسة المعادى هى المكان الذى ركبت منه العائلة المقدسة إلى الصعيد، لأنهم أتوا من فلسطين براً، فكنيسة العذراء بالمعادى هى كنيسة أثرية أنشأتها الملكة هيلانة لأنها محطة من محطات رحلة العائلة المقدسة.

ويسرکم أيضا أن تعلموا أن هذا المكان، هو بعينه المكان الذى وجدت فيه بنت فرعون موسى النبى طفل فى النيل، وأحب أن أقول لكم بهذه المناسبة سنة ١٩٦٨ عندما ظهرت العذراء مريم فى الزيتون، حضر ثلاثة أشخاص تابعين لشركة اسمها شركة ماجد فيلم، يريدوا أن يعملوا فيلم، فذهبوا إلى البطريكية فحولوهم إلينا لكى نعطيهم المادة العلمية والثلاثة غير مسيحيين المخرج والمنتج والمصور، فحضروا وأعطيتهم معلومات عن رحلة العائلة المقدسة، ومن ضمن هذا الكلام قلنا لهم أن كنيسة العذراء بالمعادى هى إحدى المحطات للرحلة المقدسة. فمن هذا المكان ركبوا السفينة إلى الصعيد، فذهبوا إلى المعادى من ضمن الأماكن التى زاروها، لكى يأخذوا لقطات من الكنيسة من الداخل، فطلبوا من

الكاهن أن يفتح لهم الكنيسة فدخلوا إلى داخل الكنيسة، ويشاء الله أن المصور وهو يوجه الكاميرا لكي يلتقط صور للكنيسة من الداخل، إذ به يرى العذراء، فارتبك واستمر كما يقول يومين وهو مشدود عصبيا من هول وجمال وقوة الرؤيا للعذراء عند باب الكنيسة. واحد منهم كان عنده عظمة زائدة، من الطفولة وكبرت، وكان في هذا الأسبوع سيقوم بعمل عملية، والدكتور رياض مكرم عبيد ابن عم وليم مكرم عبيد المعروف، هو أيضا قال لي: أنا كنت سأعمل له عملية استئصال، هذا الرجل في المكان الذي ظهرت فيه العذراء على لوح الزجاج بمدخل كنيسة المعادي، مر بإصبعه فاخفى هذا الورم واختفت العظمة بدون عملية، هو الذي روى لي هذه الرواية وأيضا والدكتور رياض مكرم عبيد، ثم رجعوا الثلاثة وقابلوني مرة أخرى لكي يرووا لي هذه الرواية، وقالوا أنهم سيعملوا هذا الفيلم ليس لأغراض تجارية، وإنما لعاطفة دينية، أي أن هدفهم ليس هدف تجارى بعد أن رأوا العذراء لأنهم تأثروا دينياً وروحياً.

فالحقيقة أن بلدنا غنى جدا بالسياحة وسياحة حية، وكل يوم نرى ولعلكم تذكرون من بضعة سنين، أنه في هذه الكنيسة بالذات كنيسة العذراء في المعادي، وعقب القداس خرج الناس إلى الجزء الخارجى من الكنيسة المطل على النيل، وفي أثناء وجودهم رأوا كتاب مقدس من الحجم الكبير، وهو الآن موجود في مدخل كنيسة العذراء بالمعادي في صندوق زجاج، وجدوا الكتاب المقدس عائم على سطح النيل ويتقدم نحو الكنيسة، وكان ذلك شيء غريب جدا، الكتاب كبير وثقيل وكان من المفروض أن يغرق بحسب قوانين الطفو، الأمر الثانى أنه وجد مفتوح على الأصحاح ١٩ من سفر إشعيا، والصفحة اليمين والجزء الأخير الذى فيه يقول «مبارك شعبي مصر» كيف الورق لم يتحرك؟ النقطة الثالثة أن التيار متجه من القبلى إلى البحرى، كيف هذا الكتاب يقطع التيار ويأتى متجها إلى الكنيسة مباشرة، حتى عند عتبة سلالم الكنيسة ويقف، فأخذوا الكتاب المقدس من على عتبة السلالم، وصنعوا له صندوق من الزجاج وموجود حاليا في مدخل الكنيسة، فبلدنا ليس فقط آثار قديمة بل قديمة وحية أيضا، فكون الكتاب المقدس أولاً يأتى بهذا الحجم ولا يخضع لقوانين الجاذبية أو ما إلى ذلك، الأمر الثانى يأتى مباشرة من الغرب للشرق، بينما كان الشيء الطبيعى أنه يتجه إلى البحرى مع التيار، ثانيا كان مفتوح على أصحاح ١٩ الجزء الأخير، الحقيقة يظهر أننا كنا محتاجين لهذه الرسالة، لأن وقتها كنا نمر بأزمة معينة، فكانت هذه كأنها رسالة من السماء مرسله إلينا، وظهور العذراء الدائم في الزيتون وغير الزيتون كل ذلك يجعل السياحة عندنا:

أولا: جميلة. ثانيا: أثرية. ثالثا: محفوظة. رابعا: حية.

إن آثارنا تتكلم وقبل أن أصغى إلى أسئلتكم، أحب أن أقول لكم أنه جميل جدا أن تكون مجموعة منكم لها هذه الهوية أو هذه المسئولية، نحن كنا محتاجين إليها فعلا من زمن.

إنما نمرة واحد كيف تقابلون السواح؟ يوجد مثل يقول: «لا قيني ولا تغذيني» فاسلوبكم في المقابلة وترحيبكم بالناس بالوجه الباسمة، واستعدادكم لخدمتهم، هذه الروح هي أجمل من أى شيء آخر، روح الخدمة نمرة واحد في عملكم، هي أهم من المعلومات التي أنت تقولها، مهما يكن قيمة هذه المعلومات، لاشك أن المعلومات لها قيمتها، إنما مهما يكن نمرة واحد قبل المعلومات روحك أنت وأنت تقابل إنسان، كيف تقابله؟ وكيف ترحب به؟ وكيف تبتسم في وجهه بإخلاص وليس بخبث وبدون أن يكون لك طمع في شيء؟ فالإنسان يفتح قلبه في قبوله للناس وترحيبه بهم، في بعض الأحيان مجرد أن تصغى إلى إنسان، فن الإصغاء لإنسان يتكلم هذه بمفردها تعمل ترضية لنفس الإنسان، حتى لو لم تقل أنت أى معلومات، ولكن كيف تقابل هذا السائح؟ كيف تنصت إلى سؤاله، كيف ترحب به؟، كيف لسانك ووجهك ينطق بمحبة لهذا الإنسان الذي دخل بلدنا وجاء في ضيافتنا؟ لا تعامله معاملة جافة، ولا ترد عليه ردود جافة، اجعله يشعر بمجرد دخوله المكان وحتى لو لم يجد معلومات، اجعله يجد قلب مفتوح، ويجد ترحيب، ويجد محبة، هذه تترك أثرها في الإنسان أضعاف أضعاف المعلومات، لأن المعلومات ممكن يجدها في الكتب، إنما المحبة والعلاقات الإنسانية هي رقم واحد، أصحاب ١٣ من رسالة مار بولس إلى العبرانيين يقول: لتثبت المحبة الأخوية، لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون.

وبهذه المناسبة أقص عليكم قصة لطيفة، كلكم تعرفوا قصة أبونا إبراهيم عندما رأى ثلاث رجال عند بلوطات ممرا، هؤلاء كانوا الرب نفسه ومعه ملاكان وهو أحد ظهورات السيد المسيح قبل التجسد. إذن الظهور ظهور الرب، ولذلك جرى إبراهيم وقال له ياسيد ميلوا إلى عبدكم واغسلوا أرجلكم، التلمود يروى السبب في زيارة الرب لإبراهيم في شكل هؤلاء الثلاثة، يروى قصة غير موجودة في الكتاب المقدس تكمل معلوماتنا، يقول أن إبراهيم كان رجل مضياف، ومن شدة حبه للإضافة أنه نذر في نفسه ووضع في قلبه أن لا يأكل لقمته إلا مع غريب، وذلك من محبته لإضافة الغرباء، صمم على أن لا يأكل لقمته إلا مع إنسان غريب، يقول أن الشيطان عندما عرف بعزيمة إبراهيم أراد معاكسته، فوقف الشيطان على زاوية الطريق الذي فيه خيام إبراهيم في شكل إنسان، وكلما يريد أحد أن يمر ناحية إبراهيم يقول له الطريق ليس من هنا، ويحوله بعيداً عن إبراهيم،

وبهذه الطريقة ظل إبراهيم ثلاثة أيام لا يأكل، لأنه صمم أن لا يأكل إلا مع ضيف، فأراد الشيطان أن يجعله يمل ويتعب ويجوع ويكسر ويبطل النذر الذى نذره، فأشفق الله على إبراهيم فنزل إليه بنفسه حتى يجعله يأكل، وطبعا الشيطان لا يقدر أن يمنع الله، قصة جميلة فعلا.

وهذه القصة نفسها تدل على أن إبراهيم كان رجل مضياف، فهذه الضيافة هى التى يقول عنها الرسول: لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون. وأيضا الأنبا بيشوى لأنه كان من ضمن عادات الرهبان أن أول شيء يعملوه عندما يذهب ضيف إلى الأديرة هى أن يغسلوا أرجله لتستريح من كثرة المشى فى الصحراء، فى الثلاثينات عندما كنا نذهب للأديرة كنا نمشى على أرجلنا، فمجرد وصولنا يقدموا لنا ماء بملح ويغسلوا أرجلنا، هذه كانت فضيلة، لدرجة أننا كنا نستنكر أن الآباء الرهبان المحترمين يغسلوا أرجلنا، وهم يقولوا لا تمنعونا من هذه البركة، لأن هذه وصية، الآن الناس تذهب بالسيارات، المهم أن الأنبا بيشوى كراهب المسيح نفسه زاره كضيف، فغسل رجليه وهو لم يعرف أنه المسيح، إنما غسل رجليه كغريب، والسيد المسيح كشف له عن نفسه، ولذلك هى مذكورة فى المجمع: الذى غسل قدمى مخلصنا الصالح.

فإضافة الغرباء فضيلة، فكونك تفرح بالناس وترحب بهم وتبتسم فى وجوههم وتنصت إليهم وترى إحتياجهم، وإن كان هناك سؤال تنصت إليه قبل أن تتكلم، بهذه الطريقة نكون فعلا ننفذ وصية المسيح، ونحول هذه المهمة إلى مهمة خدمة روحية دينية يكون لكم الأجر فيها أمام الله أولا، طبعا أنتم تخدموا بلدكم وتخدموا كنيستكم وتخدموا الناس، لكن قبل كل شيء تخدموا الله، لأنك أنت بروح الخدمة وبروح الطاعة وبروح المحبة المسيحية تقابل هؤلاء الناس الغرباء وتؤثر فيهم، الأثر النفسى الذى يأخذه معهم إلى بلدهم أعظم من الأثر المادى، يكون له انطباع فى النفس البشرية، ونحن نعلم ونسمع من بعض الناس من الأجانب عن الإنطباعات النفسية، وكيف أن هذا الإنطباع أثر فى النفس نتيجة حسن المقابلة، ونتيجة حسن اللقاء، عندما تكون أنت شخص روحانى تجد هذه الروحانية تطفح على وجهك ومنه تشع إشعاعات معينة تسميها كهربية، تسميها مغناطيسية، وتسميها آثار روحية، فخدمتنا الأولى لموضوع السياحة كيف نقابل الناس بروح طيبة، وبإبتسامة، وبإهتمام، السائح عندما يشعر أنك مهتم به، وترى ما يحتاجه وتنصت إليه، وبعد ذلك تجاوبه على قدر ما تستطيع، ومهما يكن من شأن المعلومات التى أنت تذكرها ولو أنها ضرورية، إنما أعظم من هذه المعلومات طريقة لقاتك وطريقة معاملتك للناس وطريقة ترحيبك بهم، المحبة التى أنت تقابلهم بها، وسعة الصدر والاحتمال.

## إقتراحات للسياحة الدينية في مصر (١)

السيد المهندس أحمد فتحى سليمان.

وكيل وزارة السياحة للتخطيط. - ٧ شارع طلعت حرب - القاهرة.

تحية طيبة مع الدعاء بالبركات.

ردا على خطاب سيادتكم رقم ٣٧١٨ بتاريخ ٢٧/٨/١٩٧٣ الخاص بطلب بيان بالأماكن الدينية الهامة والكنائس والأديرة والمزارات، ومواعيد زيارتها، وعدد الوافدين إليها من المواطنين ومن الخارج، مع الإقتراحات التى نراها فى شأن تطوير هذا النوع من السياحة.

يسرنا أن نرسل رفق خطابنا هذا مذكرة<sup>(٢)</sup> تتضمن:

أولاً: بياناً بمحطات رحلة العائلة المقدسة فى أنحاء مصر.

ثانياً: بياناً بالأماكن التى كانت مقراً للكرسى البطريركى.

ثالثاً: بياناً بالكنائس الأثرية التى لها شهرة خاصة.

رابعاً: بياناً بباقى الكنائس الأثرية فى طول البلاد وعرضها.

ونحن نريد هنا أن نسجل تحية خاصة لوزارة السياحة لإهتمامها بالسياحة الدينية، والواقع أنه لا يوجد بلد فى كل العالم غنى غنى بلادنا بهذه الآثار الدينية الهامة، والتى لو أولتها الحكومة عناية خاصة لجذبت عدداً أكبر من السائحين الزوار، وكانت بالتالى مصدر خير كبير للحكومة ولببلادنا يدر عليها الملايين.

وهذه هى بعض الإقتراحات التى نرى ضرورتها لرعاية هذه الأماكن وتجميلها وتسهيل طريق الوافدين إليها من الأجانب فضلاً عن المواطنين.

أولاً: بعضها يحتاج إلى تنظيف وبعضها يحتاج إلى ترميم مع المحافظة على طابعها القديم.

(١) كتب فى ١٨ من نوفمبر لسنة ١٩٧٣ م.

(٢) موجودة بالموسوعة ٢٤ من ص ١٩٩ إلى ٢١٤.

ثانياً: تعبيد الطرق إلى بعضها بحيث يمكن الوصول إليها بالسيارات ووسائل المواصلات المناسبة.

ثالثاً: بعضها يحتاج إلى الإضاءة بالكهرباء وإلى توصيل المياه النقية إليها.

رابعاً: وضع علامات ولافتات على طول الطريق للإرشاد إلى هذه الأماكن مع الإشارة إلى المسافات بقدر الإمكان.

خامساً: تزويد بعض الأماكن بإستراحات مناسبة خصوصاً في الأماكن البعيدة.

سادساً: وضع دليل مفصل باللغات العربية والأجنبية (خصوصاً الإنجليزية والفرنسية والألمانية) شامل لكل الأماكن الأثرية الدينية، مع شرح موجز لتاريخها وبيان قيمتها الدينية والفنية والأثرية.

سابعاً: وضع نبد صغيرة وكتيبات، تفرد كل نبذة منها لإحدى الأماكن الأثرية، وتزود بالصور.

ثامناً: عمل مجموعات من الصور الملونة وغير الملونة لهذه الأماكن الأثرية مع شرح موجز لها - وكذا صور مفردة توزع على السائحين الراغبين في شرائها.

تاسعاً: الدعاية عن هذه الأماكن الأثرية الدينية في كتب وزارة السياحة ومجلاتها ونشراتها بمختلف اللغات، وفي كل أنحاء العالم الشرقى والغربى.

عاشراً: عمل أفلام تسجيلية لهذه الأماكن الأثرية أو بعضها على الأقل، وتوزيعها في أنحاء العالم، مع شرح لها باللغات الحية العربية والأجنبية.

حادى عشر: التعاون مع الرئاسة الدينية أى البطيركية وأجهزتها المختلفة في القاهرة والأقاليم، في كل ما يكفل النظام والجمال والمحافظة على هذا التراث القديم - وما يحقق الدعاية المنتظمة عنها - وتعيين إخصائيين في كل موقع. للشرح العلمى والفنى والترحيب بالسائحين بصورة مشرفة جذابة.

ثانى عشر: تبنى أسقفية البحث العلمى والثقافة القبطية، والمعهد العالى للدراسات القبطية إستعدادهما لجعل إمكانياتهما العلمىة والفنية في التعاون مع وزارة السياحة في هذا المجال.

والله ولى التوفيق.

مع خالص التحية والدعاء بالخير،،،

## مصر الفرعونية والكنيسة القبطية<sup>(١)</sup>

في الأصحاح السابع من سفر أعمال آبائنا الرسل الأطهار إشادة بحكمة المصريين، وأن موسى تأدب وتهذب بكل حكمة المصريين، وهذه مفخرة لنا نحن المصريين أن الكتاب المقدس يشيد، والوحي الإلهي يشير إلى هذه الحكمة التي كانت للمصريين، والتي موسى وهو نبي الله بل ورئيس الأنبياء تهذب وتأدب بهذه الحكمة التي كانت للمصريين.

حقيقة أن مصر بلغت بحكمة قيادتها وعلمائها إلى قمم عالية بالمعرفة وبالحكمة، حتى أنها كانت في هذا الوقت بالذات أعلى منارة في العلم والمعرفة في العالم القديم، ولذلك فإن عظماء بارزين في العالم من بلاد أخرى جاءوا إلى مصر وانتفعوا بعلم مصر، عينات كثيرة منهم على الخصوص أفلاطون وهو الفيلسوف العظيم الذي يشيد به اليونان، هذا الرجل قضى في مصر عشرين سنة ودرس في جامعاتها، ووقف على علمها من سن ٢٠ سنة إلى سن ٤٠، ومن يدرس الفلسفة الأفلاطونية يحس كيف أن أفلاطون في فلسفته أخذ من مصر القديمة الكثير. فنظرية المثل المشهورة عند أفلاطون إقتبسها من مصر القديمة، وأيضاً ديونيسيوس الأريوباغي ابن قاضي قضاة أثينا جاء إلى مصر من بين من جاءوا إليها ودرس خصوصاً الفلك، لأن دراسة الفلك كانت تقدمت تقدماً هائلاً، لا أريد أن استطرده وأقول أن الأهرامات بنيت على قاعدة فلكية، بحيث أن منتصف الهرم الأكبر تحت النجم القطبي مباشرة، «أبو الهول» وهو كلمة عربية لأنه عندما دخل العرب مصر قالوا يا للهول، فسموا هذا أبا الهول، لكن الاسم الأصلي في مصر القديمة «أخْت» وفي الأجنبي يسموه «سفنكس». وهو مبنى أيضاً على قاعدة فلكية بحيث أنه يواجه الشمس عند بزوغها في اللحظة الأولى، وهو يمثل الملك خفرع وهو الملك الثاني من الدولة المصرية القديمة، وهو صاحب الهرم الثاني رابض في شكل أسد ساجد منتظر بزوغ رع، و«رع» هو الشمس، ورأوا فيه المصريون القدماء الشمس أو التجلي إشارة إلى الله نفسه، الله غير منظور ولكن يتجلي في هذه الأشياء ومنها الشمس، فأبو الهول بُنى بطريقة بحيث أنه يواجه الشمس عند بزوغها في اللحظة الأولى، وهذا معناه أنهم تقدموا في الفلك ورصدوا عملية بزوغ الشمس، فخرع ساجد لكي يؤدي واجب العبادة عندما يظهر رع أو يشرق، وفي نفس الوقت هناك معنى آخر، وهو أن رع نفسه أول ما يشرق يشرق على وجه الملك، وهو النائب

(١) محاضرة لأسرة القديس بولس الرسول - بقاعة الأنبا صموئيل بمبنى الأنبا رويس بالدور الأول بالعباسية - مساء الأحد ١٠ فبراير ١٩٩١م - ٣ أمشير ١٧٠٧ش.



له في حكم المصريين جميعاً. فهنا معنى روحى وفي نفس الوقت مبنى على قاعدة فلكية، عندما نقول هرم خوفو لا بمعنى أن خوفو هو الذى بناه، لا.. خوفو فقط دفن فيه، لكن هو أقدم من خوفو كما اتضحت من الدراسات.

المهم أنه حتى اليوم من الناحية الشرقية يرمى أشعة صحة لمسافة كيلو أو أكثر، ومن الناحية الغربية يرمى أشعة موت، واستطاع أحد الأطباء أو الباحثين أن يثبت هذا في الزمن الحديث القريب، أى من بضع سنوات، أحضر نبات وقسمه قسمين وضع جزء منه في الناحية الشرقية فنمى نمواً غير عادى، لأنه معروف أن النبات ينمو بنسبة معينة، لكنه نمى أكثر من النسبة العادية، بينما القسم الآخر من النبات الذى وضعه في الناحية الغربية مات، وهذا بينة على أنه حتى اليوم باقية مع آلاف السنين التى مضت، الشحنة الموجودة في الهرم، هذه عظمة وعمق روحانى غير عادى.

وأيضاً تبين أن مومياء رمسيس الثانى، قبل أن يرسلوه إلى فرنسا، أحد الباحثين والدارسين وفي نفس الوقت طبيب وكان معه أجنبى، فدخل به حجرة المومياوات وكان مازال رمسيس الثانى موجود فى التابوت، وهذا الطبيب الباحث أو هذا الدارس درس البندول وهو من علوم قدماء المصريين، فمر هذا الطبيب بالبندول على المومياء ببساطة، كما يقول فأحس بألم فى يده، وأخذ الألم يزداد حتى صار غير محتمل، فافترق من الشخص الأجنبى وذهب إلى بيته، واستلقى على الفراش وظل بضعة أيام حوالى ٣ أو ٤ أيام وهو فى حالة غيبوبة، ويقول لى أنه حدث له تفكك فى جسمه، وفى هذه الأثناء مر عليه طيف من المصريين القدماء يلبس أبيض ولكن مثلث على عينيه، ونظر إليه نظرة قاسية جداً ومخيفة وهدده أنه إذا عاد إلى شىء مثل هذا فسيصيبه ضرر عظيم، ثم تحسن ببطء وأذكر جيداً أنه اتصل بنا وكان يوم أحد مساءً، فجاء وقال لى أنا أريد أن تصلى لى، وفى أثناء وجوده رأى واحد واقف من خلفنا، وعندما بدأت أصلى له رآه فى هذه الأثناء ساجد بكل أدب وخشوع. أريد أن أقول كيف أن مومياء رمسيس الثانى بعد ألوف السنين يظل الإشعاع فيها موجود، لدرجة أنها تؤثر على طبيب فى الربع الأخير من القرن العشرين، كيف تبقى الشحنة باقية إلى اليوم، ما هو هذا العلم؟، ما هذه المكانة العلمية التى وصل إليها المصريين القدماء، بأنهم يشحنوا الجثة بهذه الشحنة التى تبقى آلاف السنين؟، هذا شىء فوق الإعجاز. هذا يدل على أنه فى مصر القديمة وصلوا إلى علم كبير جداً فى عالم الروح، وفى عالم المادة، واستطاعوا أن يجمعوا بين الإثنين، لا أريد أن استطرده لأن هذا الموضوع لوحده

ممكن أن يأخذ سنة دراسية، لكن فقط أبرهن أو أريد أن أقول: ما هو قدر الحكمة التي كانت على موسى النبي؟، تأدب وتهذب بكل حكمة المصريين، ما هي حكمة المصريين التي جعلت عظماء العالم والمفكرين والفلاسفة أتوا ليأخذوا شيئاً؟، أفلاطون وفلسفته التي يعتد بها فهو قطب من أقطاب الفكر الإنساني في العالم، جاء إلى مصر من سن العشرين إلى سن الأربعين، عشرين سنة، ديونيسيوس الأريوباغي ابن قاضي من قضاة أثينا جاء ليدرس، وحدث في هذه الأيام الكسوف الذي حدث في الشمس أيام صلب سيدنا له المجد وحدثت ظلمة على كل الأرض، وديونيسيوس هذا كان مرشح أن يحل محل أبوه في أثينا، وموجودة الآن أريوس باغوس التي أشار إليها سفر الأعمال في الأصحاح ١٧، ومن يذهب إلى اليونان يرى أريوس باغوس، وهي المحكمة المفتوحة التي كان اليونان يفتخروا بها، لأن المحاكمات لم تكن في حجرات مغلقة كنوع من أنواع الاعتزاز بالعدل فيجعلوها في ساحة كبيرة، المهم أن هذا الرجل درس في مصر ثم درس الفلك، فمن أولى بديهيات الفلك أنه لا يحدث كسوف للشمس والقمر بدر، والذي حدث في صلب المسيح كسوف في الشمس والقمر بدر، يوم ١٤ نيسان كان القمر بدر، فانزعج الرجل جداً كيف هذا؟ هذه بديهية من بديهيات علم الفلك، قال: لا يمكن أن يحدث كسوف في الشمس والقمر بدر، فقال إما أن يكون العلم خطأ، أو أن يكون الإله الذي يمسك الكون حدث له شيء، أو أن يكون هذا نهاية العالم، هذه هي الاحتمالات الثلاثة التي قالها في نفسه، ولم يقدر أن يفهم لماذا حدث ذلك؟، وبعد هذا الكسوف ظهرت الشمس مرة أخرى فكان متحير في ذهنه ولم يجد له جواباً، حتى أنهى علوم دراساته في مصر وعاد إلى بلاد اليونان، وأصبح قاضي قضاة أثينا أريوس باغوس، فلما ذهب بولس الرسول هناك، وكان يقول: أيها الأثينيون أراكم من كل وجه أنكم متدينون كثيراً، بينما أجتاز بين معبوداتكم وجدت مذبح مكتوب عليه لإله مجهول، وهذا حدث فعلاً أن أوغسطس قيصر رأى حلم، هذا الحلم هو أنه وجد نقطة زيت لايعلم من أين نزلت، وقعت على الأرض ثم كبرت وكبرت حتى أصبحت بحر، ثم كبرت وكبرت حتى أصبحت محيط ثم ارتفعت حتى غطت الجبال، ثم قام منزعجاً من الحلم، فدعى العلماء وسألهم ما هو تفسير هذا الحلم؟ فقالوا له أن هذا الحلم إنذار أو تبشير بمولد إله جديد، ديانتته ستغطي العالم كله والأرض والسماء، فسألهم من هو هذا الإله؟ فلم يعرفوا أن يجيبوه، فأمر بأن يبني مذبح ويكتب على هذا المذبح إنه لإله مجهول. ومع العلم أن أوغسطس قيصر هذا كان حاكم الرومان، إنما اليونان كانت تابعة من الناحية

السياسية للرومان، فعمموا هذا العمل في كل البلاد حتى عند اليونان بنوا مذبح اسمه «لإله مجهول»، فلما ذهب بولس الرسول يقول لهم أيها الأثينيون أراكم من كل وجه متدينين، بينما أجتاز بين معبوداتكم وجدت مذبح مكتوب عليه لإله مجهول، فالإله الذى أنتم تعبدونه وأنتم تجهلونه هو الذى أنا أتيت لأنادى به، وأسرد لهم قصة يسوع المسيح إلى آخره، وكيف أن المسيح عندما صلب حدث كسوف الشمس إلى آخره، فديونيسيوس الأريوباغى عندما كان قاضى وسمع هذا الكلام، وجد الإجابة على السؤال الذى لم يعرف إجابته من قبل وهو في أرض مصر، كيف يحدث للشمس كسوف والقمر بدر، ولذلك آمن بالمسيح، ومكتوب في آخر سفر الأعمال الأصحاح ١٧ أن أناساً إلتصقوا به وأمنوا منهم ديونيسيوس الأريوباغى وإمرأته التى اسمها دامارس.

هذه مجرد أمثلة نقولها عن علوم قدماء المصريين، كيف أنها وصلت في عالم الروح، وأيضاً وصلت في عالم التجربة المادية إلى درجات عالية جداً، لدرجة أننا اليوم نحن غير قادرين على الوصول إلى عمق ما وصلوا إليه، كل يوم يكتشفوا أسباب جديدة للإحساس بعظمة العلوم المصرية القديمة وما وصلوا إليه.

فنحن المصريون وعلى الخصوص الأقباط ورثنا العلوم المصرية القديمة، والكنيسة القبطية هي الإمتداد الطبيعي للحضارة المصرية القديمة. لعل كثير من الأقباط لا يعرفوا هذا، نعم يُصَلُّوا باللغة القبطية ويُصَلُّوا بالألحان، لكن لا يعلموا بسبب الجهل الكثير المسيطر على بلادنا، أن الكنيسة القبطية بالذات هي الإمتداد للحضارة المصرية القديمة، وهذه أنا جعلتها موضوع المحاضرات التى ألقيتها في جامعة برلين الغربية في سنة ٧٨، ٧٩ عندما دعيت هناك أستاذ زائر، جعلت كل الموضوع أن الكنيسة القبطية إمتداد للحضارة المصرية القديمة، لا نريد أن نستطرد لأن الموضوع طويل جداً إنما أنا أعطى نقط معينة.

فمن حيث اللغة، اللغة القبطية هي بعينها اللغة المصرية القديمة.

ومن حيث الألحان هي بعينها الألحان المصرية القديمة،

ومن حيث الفن أيضاً، الفن القبطى الأصيل هو الذى تجدوه في الأديرة والكنائس القديمة، هذا الفن المصرى مبنى على قواعد الفن المصرى القديم.

وأيضاً العادات.

وأيضاً قضايا كثيرة في طقوسنا الدينية.

سأقف عند نقط صغيرة، عل سبيل المثال نحن عملنا التقويم، والتقويم هو تقسيم السنة إلى شهور وإلى أيام، وأول من عمل تقويم هم المصريين القدماء، يقدر بـ ٤٣ قرن قبل الميلاد، أو ٤٣٠٠ سنة قبل الميلاد أى له حوالى سبعة آلاف سنة تقريباً، أبائنا المصريين القدماء سبقوا العالم كله فى فكرة التقويم، هذا التقويم مبنى على قاعدة مصرية وقاعدة فلكية عظيمة جداً، علم واسع جداً، وكل يوم نكتشف الأدلة على حكمة المصريين القدماء، مثلاً لماذا اتخذوا نجم الشعرى اليمانية قاعدة للحساب؟، ولماذا لم يتخذوا الشمس؟، علماً بأنهم لم يكونوا أغبياء ولا كانوا غافلين عن الشمس التى هى «رع»، كانوا يعتبروها تجلّى للإله، فالغربيين اتخذوا الشمس قاعدة للحساب، لماذا هم اتخذوا نجم الشعرى اليمانية، وهو النجم الذى يجعل السنة ٣٦٥ يوم وست ساعات بالتمام، بينما التقويم الغربى يجعل السنة ٣٦٥ يوم وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و١١ ثانية، التقويم المصرى القديم دقيق جداً، وبهذه الطريقة كانوا يحددوا الفيضان، بينما التقويم الغربى حدث له تطوير سنة ١٥٨٢ فى القرن السادس عشر، البابا غريغوريوس الـ ١٣ أضاف إليه عشر أيام، مما يدل على أن التقويم الغربى نفسه حدث فيه اضطراب، إنما التقويم القبطى باق إلى اليوم وهو تقويم مصر القديمة.

فمثلاً نحن نحدد عيد الميلاد ٢٩ كيهك، لماذا ٢٩ كيهك؟ لماذا لا يكون ٢٨ أو ٢٧ أو ٣٠، عيد الميلاد نجعله ٢٩ كيهك، هذا جزء من التراث المصرى القديم الذى يعيش معنا حتى اليوم.

المصريين القدماء حددوا عيد الخليفة الأولى فى ٢٩ برمها، ومن الصعب علينا الآن أن نعرف كيف وصلوا إلى هذا، أن الخليفة الأولى أو خلفة الله للعالم كانت فى ٢٩ برمها، فالمسيحيين الأقباط عندما أصبحوا مسيحيين، قالوا أننا نجعل عيد الخليفة الثانية ٢٩ برمها، والخليفة الثانية هى التى بدأت بنزول المسيح وتجسده، ولذلك نقول أن بشارة الملاك جبرائيل للست العذراء بميلاد السيد المسيح كانت ٢٩ برمها، هذا تحدد قبل أن يتحدد ٢٩ كيهك لعيد الميلاد، لأن ٢٩ برمها ثم بعدها بتسعة أشهر يكون ٢٩ كيهك، لأن المسيح قضى فى بطن العذراء تسعة أشهر. بل وأكثر من هذا هناك اعتقاد لا نقدر أن ندلل عليه لأنه تراث قديم يعتقد أن نهاية العالم ستكون أيضاً ٢٩ برمها، واتفق أن قيامة السيد المسيح له المجد، كانت فى ٢٩ برمها، لذلك تجد فى السنكسار مدون أن قيامة المسيح كانت فى يوم ٢٩ برمها، إذن ٢٩ برمها الذى نسير عليه كأقباط كان جزء من العلم المصرى القديم، لماذا حددنا ٢٩ برمها عيد البشارة؟ هذا جزء من المعلومات

المصرية القديمة التي وصلتنا في الكنيسة القبطية، كما قال طه حسين الله يرحمه: الكنيسة القبطية مجد مصرى قديم، فالكنيسة القبطية تراث، الذين يجهلون الحضارة المصرية القديمة يجدونها في الكنيسة القبطية، وإن كانوا يجهلون هذه المعلومات.

حاجة أخرى نحن في شم النسيم، الذى دائماً في المسيحية يقع في اليوم الثانى لعيد القيامة، ما هو أساسه؟ وحتى إخوانا المسلمين يسيروا على أن شم النسيم ثانى يوم عيد القيامة عند المسيحيين، وعيد القيامة متغير، فيترتب عليه أن عيد شم النسيم يتغير، إنما يتغير تبعاً لعيد القيامة، من أين جاء هذا؟ عيد شم النسيم كان أصلاً في مصر القديمة قبل إعتناقنا المسيحية، هو عيد الربيع، وفي عيد الربيع تذهب الناس إلى الحدائق، فالأقباط عندما أصبحوا مسيحيين قالوا نجعل هذا العيد الذى هو عيد الطبيعة اليوم الثانى لعيد القيامة لماذا؟ لأنه بقيامة المسيح فُتح الفردوس الذى كان مغلق في وجه الإنسان بعد طرد آدم وحواء من الجنة، لم يشر إليه إلا المسيح له المجد على الصليب عندما قال للص اليمين «اليوم تكون معى في الفردوس» إنما كل الأرواح السابقة نزلوا إلى الجحيم وظلوا منتظرين، إنما الذى دخل إلى الفردوس هو المسيح، ولذلك اسمه سبت الفرحة، القيامة كانت في اليوم الثالث لصلب المسيح، لكن الدخول إلى الفردوس كان في اليوم الأول، لأنه بالنسبة للأرواح التى كانت محبوسة والتي دخل بهم المسيح إلى الفردوس هذا هو الفرحة العظيم، أشرق على الجالسين في الظلمة وظلال الموت عندما نزل إليهم، ولذلك قال «أبوكم إبراهيم انتهى متهللاً أن يرى يومى فرأى وفرح»، ومن فرحتهم تفتحت القبور وخرج كثير من أجساد القديسين الراقدين ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين، هذه الأجيال الطويلة التى كانت منتظرة ومحبوسة في أرض الظلمة، من فرحهم تفتحت القبور وخرج كثير من أجساد القديسين، ليس فقط الأرواح ودخلوا المدينة المقدسة ولهذا السبب لماذا نسمى هذا اليوم سبت الفرحة؟ على الرغم من أن الكنيسة مازالت مجللة بالسواد والمسيح لم يقم بعد، لماذا نسميه سبت الفرحة، فرح لا بالنسبة للذين يعيشون فوق الأرض، ولكن بالنسبة للأرواح التى كانت منتظرة في الجحيم، فدخل المسيح إليهم، من القبر نزل إلى العالم السفلى وخَلَّص آدم، وبنية الصالحين القديسين المنتظرين على الرجاء، ونقلهم إلى الفردوس في اليوم الأول كما وعد «اليوم تكون معى في الفردوس».

فالمصريين القدماء عندما أصبحوا مسيحيين قالوا نجعل دائماً عيد شم النسيم وهو عيد الربيع في اليوم الثانى ليوم عيد القيامة، لكى نتذكر أن المسيح فتح طريق الفردوس

الذى كان مغلق في وجه الإنسان بصلبه وموته وقيامته، هل كل المسيحيين يعرفوا لماذا شم النسيم دائماً يأتي بعد عيد القيامة؟ هذا جزء من التراث المصرى القديم يحيا في الكنيسة القبطية.

أيضاً في كنيستنا الملاك ميخائيل له عيدان، وحسب تقويمنا العيد الأول ١٢ هاتور، والعيد الثانى ١٢ بؤونه، نحن عادة عندما نحتفل بأعياد القديسين نحتفل بعيد نياحتهم، أو عيد استشهادهم، إنما الملاك ليس له نياحة وليس له إستشهاد، لماذا يكون له عيد؟ فمن أين جاء؟ جاء من مصر القديمة، كيف؟ ١٢ هاتور كان عيد زحل، وهو إله من الآلهة، وكلمة الآلهة في مصر القديمة ليس معناها أنهم لم يكونوا يعرفوا الإله الواحد، لا.. إنما الإله الواحد العظيم وهو الإله الأكبر غير منظور، لكن يعبر عن نفسه بأشياء أخرى، فالشمس لأنها تشرق على العالم وتضىء، وتسبب الدفء والحياة للنبات وللحيوان وللإنسان، فأوا فيها إله لكن لا بمعنى الإله الأكبر وإنما هى تجلى للإله الأكبر، الإله يتجلى في الشمس التى تشرق وتعطى الحياة. كذلك البقرة، هل من المعقول أن المصريين القدماء عبدوا البقرة كالإله الأكبر؟! لا.. إنما وجدوا فيها رمزاً لعطاء الإله، لأن البقرة تعطى اللبن وهو حياة للصغار، فهى قوة وطاقة من طاقات الإله، إنما ليست الإله الأكبر، عجل أبيض هو رمز القوة، وهكذا الجعران الذى رأوا فيه فكرة الأزلية والأبدية التى للإله، لأنهم وجدوا أن الجعران يدرج بيضته عند شروق الشمس بشكل دائرى، فالدائرة هى النظام الهندسى الوحيد الذى يشير إلى الأزلية والأبدية، فوجدوا فى الجعران صفة من صفات الإله وهو الأزلية والأبدية، وهذه أصبحت الفعل المضارع، ما معنى المضارع؟ يعنى الدائم.

فمن غير المعقول أن المصريين القدماء الذين وصلوا إلى العلم الكبير أن يعبدوا الجعران كإله أكبر، لكنهم رأوا فيه إحدى صفات الإله أنه أزلى أبدى، فالحركة الدائرية للجعران وهو يدرج البيضة تُذكرهم بأزلية الإله وأبديته، أقول هذا الكلام كفقرة إعتراضية لأنه يساء إلى مصر القديمة ويقال أنها وثنية، اليوم علماء الآثار غير المسيحيين ينفوا هذه الوثنية عن مصر القديمة وهذه فرية تقال، إنما غير صحيحة، المصريون القدماء عرفوا الإله الواحد، من قبل إخناتون. إنما هم يسموها أرباب، فمثلاً أهل الفيوم عبدوا التمساح، وسموه سلك، فليس معقول أن المصريون القدماء عبدوه كإله أكبر، إنما لأن التمساح كان يغتال ويقتل ويفترس كثير من الناس، فأرادوا أن يسترضوه بإعتباره أنه قوة موجودة، فهنا كلمة عبدوه ليس كإله أكبر، ولكن أدركوا أن فيه قوة هى قوة الإله تتجلى، وفي تل

بسطا وهى بجوار الزقازيق، بسطا يعنى باسطة وهى قطة بالمصرى القديم، حتى اليوم المصريين يقولوا أنها بسبعة أرواح، كانوا يعتبروا أن القطة تتجلى فيها روح الإله رع، وإتهام مصر القديمة بأنها كانت وثنية اتهام ظالم، جائز أن يكون الشعب العادى جهلة، إنما الديانة المصرية فى أعماقها ديانة على أعلى مستوى وأعمق مستوى، أقول أن ١٢ هاتور كان عيد زحل عند مصر القديمة. ف جاء البابا ألكسندروس وهو ال ١٩ من بطاركتنا وهو قبل أثناسيوس مباشرة، فأراد أن يحطم تمثال زحل عندما أصبحوا مسيحيين، فوجد صعوبة كبيرة أن يلغى هذا الاحتفال الشعبى، فبنى كنيسة ودشنها فى هذا اليوم وسماها كنيسة الملك ميخائيل، لكى يحل الملك ميخائيل محل زحل، زحل هو أحد الكواكب العشرة للشمس، بإعتبار أنهم دخلوا فى المسيحية فأراد أن يُغَيِّر فكرة زحل فحل محلها الملك ميخائيل، هذا نوع من أنواع الإحلال، فلماذا ١٢ هاتور عيد للملاك ميخائيل، لأنه عيد تدشين أول كنيسة بنيت بدلا من تمثال زحل.

وأيضاً ١٢ بؤونه، كان عيد من أعياد مصر القديمة، لأن النيل أيضاً عُبد كإله، ولكن ليس الإله الأكبر، لأن النيل كان شريان الحياة لمصر كلها، فاعتبروه أنه نابع من الجنة، وأنه من عند الله، فكانوا يسموه حاعبى وهو إله النيل، أى أن بدأ الفيضان كان فى تاريخ معين وهو ١٢ بؤونه، وكان مبنى على فكرة أنه حاعبى يشفق على المصريين فى زمن التحاريق، فيذهب وينفخ فى منابع النيل، ونتيجة النفخة تصعد المياه لفوق وينزل المطر لذلك سموه عيد النقطة، والنقطة تعنى بدأ الفيضان.

فعندما الأقباط أصبحوا مسيحيين، قالوا بدل أن يكون عيد «حاعبى» نجعله عيد «الملاك ميخائيل»، فَبَدَّلوا عيد الفيضان وأصبح هو عيد الملك ميخائيل.

ففى التقويم المسيحى كون أننا عملنا عيدين للملاك ميخائيل بدون أن يكون هناك أى أساس دينى بالنسبة للملاك ميخائيل فى هذين اليومين، هذا يشرح أن الكنيسة القبطية فيها الحضارة المصرية القديمة ممتدة. أيضاً عندما نقول ١٧ توت عيد الصليب، لماذا أُختير ١٧ توت؟ تجد أصوله موجودة فى مصر القديمة، لذلك لو بحثت فى النتيجة القبطية وتحديد المواعيد لماذا هذا؟ تجد لها أصول مصرية قديمة، هذه النقطة التى أتكلم فيها، أن الحضارة المصرية القديمة والعلوم المصرية القديمة تعيش فى الكنيسة القبطية اليوم، ولو أن الأقباط لا يعرفوا.

أقول لكم مثل آخر، يوم الجمعة الكبيرة، بعد الساعة الثانية عشر المفروض أنها تمثل ساعة الدفن، أى نزول المسيح إلى القبر والدفن، يقال لحن اسمه لحن «بيك اثرونوس»، وهو «عرشك يا الله إلى دهر الدهور» هذا مزمو، أولاً لماذا أُختير هذا المزمور بالذات لكى يقال فى هذه المناسبة؟ كيف نقول عرشك يا الله إلى دهر الدهور، ونحن فى ساعة دفن المسيح؟ لماذا لم نقل شىء عن الدفن، لماذا عرشك يا الله إلى دهر الدهور؟ لأن المسيح لا يموت كإله أبداً، واللحن نفسه من الناحية الموسيقية ليس هو لحن حزين فى الجمعة العظيمة، هذا اللحن بالذات لحن زفة وهو من مصر القديمة، كيف؟ لأنهم كانوا يؤمنون بالخلود، فكانوا لا يؤمنون أن الملك عندما يدفنوه أنه يموت، بل كانوا يؤمنون أنهم ينزلوه إلى القبر وينزل من القبر إلى مركب الشمس ثم يلف مع الشمس فى الخلود، فهو لا يموت، ولما أصبحوا مسيحيين، رأوا المسيح نزل إلى القبر ولكن يؤمنون أنه إله لا يموت، لذلك نقول: «قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت، يا من صلب عنا...» ونقول «ذاق الموت بالجسد»، إنما المسيح كإله لا يموت لذلك جاءوا من هذه اللحظة باللحن من مصر القديمة، أنا لا أتكلم من حيث الكلمات إنما من حيث اللحن والنغم، النغم الموسيقى مأخوذ من مصر القديمة، وهو ما كان يزف به الملك إلى العالم الآخر، على أساس أن الملك لا يموت، بمعنى لا يفنى، إنما ينزل إلى مركب الشمس وبعد ذلك يلف مع الشمس فى الخلود.

ونحن نعامل سيدنا له المجد من الناحية الموسيقية، فأتينا بهذا اللحن بالذات من مصر القديمة الذى كان يزف به الملك، لكى نقول أن المسيح لا يموت كإله أبداً، إنما نزل من القبر إلى العالم السفلى وفتح الجحيم ونقل آدم وبنيه إلى الفردوس. فهنا من الناحية الموسيقية هذا لحن زفة يوم الجمعة الكبيرة، ليس لحن حزين أبداً، والأقباط عندما أصبحوا مسيحيين لم يبتكروه بل جاء من مصر القديمة، فهناك أشياء فى الكنيسة القبطية بينما أصولها من مصر القديمة.

وأيضاً بعد ذلك نأخذ الصورة وندفنها على المذبح ونقول لحن اسمه «جولجتا»، لحن الجولجتا من حيث الكلمات مسيحية، يوسف ونيقوديموس... إلخ إنما النغم، والموسيقى كان موجود فى مصر القديمة وكان يستخدم عند تحنيط الجثة. فنحن نقدم وسائل إيضاح، لأن الطقوس هى عبارة عن وسائل إيضاح، كما يستخدم المعلمون وسائل الإيضاح، فهذه وسيلة إيضاح أن نمسك الصورة وندفنها ونغطيها إلى آخره، ثم نقول هذا اللحن، من جهة



النغم هو نفس نغم التحنيط الذى كان يستعمل عند قدماء المصريين، لأن عملية التحنيط لم تكن مجرد عملية كيميائية بل كان هناك تلاوات روحية دينية، وصلوات، وهذا ما جعل كما قلنا فى تمثال رمسيس الثانى الشحنة الموجودة، كيف أن الإشعاع موجود حتى اليوم بعد أربعة آلاف سنة كيف هذا؟ هذا علم لا نقدر أن نتكلم فيه اليوم، يوجد كتاب اسمه كتاب الموتى ومطبوع للكهنة فى مصر القديمة، ويوجد معبد اسمه المعبد الجنائزى، ويوجد كهنة متخصصين فى الجنازة يسمى الكاهن الجنائزى، وأيضاً الإعتقاد بأن هذه الصلوات كانت تُحوّل رسوم المأكولات إلى حقيقة، هى التى جعلتنا كأقباط استطعنا أن نفهم سر القربان بسهولة، فكرة أن الصلاة تُحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح وإلى دمه، هذه الفكرة نحن كأقباط استطعنا أن نفهمها لأن عندنا تراث قديم جعل هذه الفكرة مقبولة لدينا، الغربيين لم يكن عندهم هذا التراث القديم، كنت مرة فى فيينا فى النمسا وكان يوجد سيمنار من علماء فدعونى إليه، فلما شرحت هذه النقطة، واحد من الأساتذة الكبار كان ينقل الكرسى من كثرة فرحه بهذه المعلومة، يقول لى: متشكر جداً جداً على هذه المعلومة، هذه موجودة فى مصر القديمة، أستاذ آخر قال لى: أرجوك أن تكتب هذا الكلام لكى ننشره فى المجلة العلمية فى الجامعة.

نحن يلزمنا الحقيقة كأقباط أن نعرف تاريخنا القديم لأنه يعيش معنا، وأحياناً نعمل ممارسات البعض لا يدري أنها كانت موجودة فى مصر القديمة، ولذلك فى الواقع أن مصر القديمة كانت مسيحية قبل الميلاد، أى آمنوا بالمسيح قبل ميلاد المسيح.

قصة أوزوريس كلها، ما هو أوزوريس؟ يُقتل أوزوريس ثم يصبح إله القيامة وإله الدينونة، والمسيح قُتل وهو إله القيامة وإله الدينونة.

فكرة الميزان، ودائماً نحن نرسم الملاك ميخائيل يمسك ميزان بيده الشمال ويمسك بسيف بيده اليمين، وتحتة التنين وهو يمثل الشيطان، والميزان مائل، مفروض أن يكون الكفتين متعادلتين، لكن يوجد كفة نازلة لتحت وكفة مرتفعة لفوق، ما معنى هذا؟ «وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً» لعلمك تتذكروا بليشاصر ابن نبوخذ نصر عندما رأى طرف اليد الكاتبة على مكلس الحائط وجاء دانيال وفسر له ما كتب وقال له: «وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً، أنهى الله حكمك، وفعلنا فى تلك الليلة قُتل بليشاصر، خرج عليه داريوس ملك الفرس وقتله.

فهنا في مصر القديمة أوزوريس أمامه الميزان، لكى يحاسب الأرواح، ففكرة الميزان أمام أوزوريس، إله القيامة وإله الدينونة، وتوجد كفة فيها «معت»، ومعت هو إلهة الحق، وهى التى أصبحت (ميثمى) بالقبطى، «معت» فى اللغة المصرية القديمة أو الهيروغلىفى، ورمزها هو ريشة مُعَيَّنة، فأمام محكمة أوزوريس قلب الإنسان اسمه «ايب» ويوضع فى إحدى الكفتين، معتت إلهة الحق فى الكفة الثانية، فالشخص يدافع عن نفسه أمام أوزوريس، هذه أشياء معنوية، يقول: أنا طاهر، أول شىء يبدأ به، انظروا العقلية المصرية القديمة والأدب المصرى القديم، أول شىء يبدأ به الطهارة، أنا طاهر أنا طاهر أنا طاهر، أنا لم أكذب، أنا لم أسرق، أنا لم أخطف اللبن من فم الرضيع، أنا لم أقطع قناة فى مسارها، أنا... الخ، هذه تكشف عن العقلية لقدماء المصريين، الأدب فى مصر القديمة، مفهومات الفضيلة فى مصر القديمة، يقول أنا لم أشتم كاهن قرىتى أو الملك فى سرى، فأمامهم فكرة السر أو الباطن، انظر الدقة الموجودة فى مصر القديمة، الأدب فى مصر القديمة، حتى النية والضمير فى الحساب، يكون الميت واقف وراء القلب والقلب (ايب) موضوع فى الكفة والميت يقول هذا الكلام، فإذا كان الكلام صحيح، الكفة تنزل لتحت أمام معتت إلهة الحق، أى أنه صادق، معتت تشير إلى الحق، وإذا كان كذّاب تجد الكفة تصعد لفوق، ومعتت تنزل لتحت، هذه فكرة الميزان.

هنا ميخائيل رئيس الملائكة الصورة التقليدية له من أين جاءت؟ هى غير موجودة فى الكتاب المقدس، أن الملاك ميخائيل ماسك ميزان والميزان فى يده الشمال، أى وزنت بالموازين فوجدت ناقصا، من أين أتت هذه الصورة؟ من مصر القديمة، هى فكرة أوزوريس وقدامه الميزان.

فهناك أشياء كثيرة جداً من ديانتنا المسيحية ونباشرها، هناك كثير من الإرهاسات والنبوءات فى مصر القديمة، فهؤلاء الناس وصلوا إلى العلم الروحانى بحيث آمنوا بكل هذه المعتقدات، مثلاً إيزيس هى العذراء، توجد صفتين أساسيتين، أولاً والدة الإله، الإله هنا حورس، الأمر الثانى أنها دائمة البكارى أو دائمة البتولية، كيف آمنوا بأنها ولدت بحورس وهى بكر؟، إذن هذه نبوءة موجودة فى مصر القديمة عن العذراء، هذه النبوءة لم تحدث فى العالم كله، لم يحدث أبداً أن بنت بكر تلد وبعد أن تلد تظل بكر، لم يحدث تاريخياً، لكن فى مصر القديمة نُسب إلى إيزيس هذا، أنها دائمة البتولية، ولدت حورس وهى بكر، كيف هذا؟ لذلك الأقباط قبل أن يدخلوا إلى المسيحية، وجدوا أن الديانة المصرية

القديمة التى آمنوا بها فى وقت ما، أعدت الطريق أمامهم، ولما دخلوا المسيحية دخلوا بعمق، على الرغم من أن المصريين معروفين بالمحافظة وشدة التمسك وعدم التزحزح، عندما دخلوا المسيحية دخلوا بنفس العمق.

أيضاً أحب أن أشير أن فى مصر القديمة تجد على الآثار علامة الصليب عنخ، التى أصبحت بالقبطى أونخ أى حياة، نرى أن الإله ماسك هذه العلامة التى تسمى مفتاح الحياة، يضعها بجوار أنفه أى يعطيه الحياة، ما هى هذه العلامة؟ هى علامة الصليب. (عنخ) وتجدها بشكل صليب، أى عرفوا الصليب فى هذه الأزمنة السحيقة، وأعطوا له صفة أنه مفتاح الحياة، وأن الإله يقربه بجوار أنف الملك لكى يعطيه الحياة، كيف عرفوا هذا؟

كان عندنا فرصة سنة ٦٣ زهبننا إلى الواحات، كان هناك أيام الرئيس جمال عبد الناصر، واحد باحث أو دارس من الخارج، يحتاج أن يكتب عن مصر، فطلبوا منا أن نصحبه فى رحلته لكى نشرح له، فذهبننا إلى الواحات الخارجة وهى المرة الوحيدة التى ذهبت إليها، فيها مدينة الموتى (نيكروبولس) وفيها ست كنائس قديمة صغيرة، لاحظنا فيها مالم نلاحظه فى كنائسنا الحديثة، لاحظنا الفن المصرى القديم يعيش فى داخل المسيحية، كيف؟ رأينا علامة الحياة عنخ مرسومة فى الكنائس القديمة جداً، فالفنان وإن كان أصبح مسيحى، فجمع ما بين الفن المصرى القديم والتعاليم المسيحية، فمسك علامة الحياة ورسّمها، وحولها إلى علامة مسيحية موجودة فى الكنائس الستة التى فى الواحة الخارجة، وهى ما تسمى اليوم الوادى الجديد، العلامة نفسها وضع فى قلبها صورة المسيح، أو صورة العذراء تحمل المسيح، أو صليب صريح داخل العلامة، أى أنه أخذ العلامة القديمة وأضاف إليها بعض المعلومات المسيحية، ففى مصر القديمة كيف عرفوا الصليب؟ وكيف عرفوا أنه مفتاح الحياة؟ وموجود اليوم على الآثار علامة الصليب فى مصر القديمة، نحن لا نقول أى خبر يحتمل الكذب أو الصدق، الآثار تثبت التاريخ والآثار موجودة، كيف عرفوا الصليب؟ وصلب صريح بكل معنى الكلمة.

أنا فقط أقول أن هناك أمور كثيرة جداً تعيش فى الكنيسة القبطية لكن أصولها من مصر القديمة، وهذه تزيدنا إيمان بأن آباءنا المصريين القدماء حقيقة وصلوا فى عالم الروح ووصلوا إلى النبوءة، ووصلوا إلى أشياء كثيرة جداً اليوم لا نقدر أن نعرفها، هناك أشياء ستتضح فى الأيام القادمة، ستكشف عنها الحضارة المصرية القديمة.

سأقول لكم حاجة أخيرة، أنتم تعلمون أن الفلكيين من الناحية العلمية متوقعين في المستقبل كارثة كونية، ماذا تعنى كارثة كونية، أنا كنت في أمريكا سنة ٨١ وكان هناك متحف في شيكاغو معروض فيه برنامج اسمه (كارثة كونية) فكان يوجد عرض لخريطة السماء، ثم قالوا أن هناك احتمال لكارثة كونية سوف تحدث، وخرج واحد اسمه شارل برلتس سنة ١٩٨٢ يقول أن إثنين من المجموعة الشمسية الخاصة بنا وهم عشرة، نيبتون وأورانوس وزحل وعطارد والأرض والزهرة إلى آخره، عشرة، فإثنين في المجموعة الشمسية أصبحوا في صف مع الشمس، أى حدث نوع من الجاذبية، لأن هذه الكواكب معلقة في الفضاء بالجاذبية، فكون وضع الجاذبية يتغير بحيث يصبح إثنين في صف مع الشمس، كانت النتيجة أن الأرض اهتزت هزة عنيفة، ونتيجة لهذه الهزة حدث بركان في كلورادوا له ٢٥٠ سنة نائم، فاستيقظ ودمر حوالي ربع مليون إنسان غير الخسائر المادية، بركان آخر في أندونيسيا، بركان ثالث في اتيكا، بعد ذلك حدث فيضانات في السودان بصورة لم يسبق لها مثيل، وبعد ذلك جاء الجراد ودمر ٣٠٠ مليون فدان في السودان، بعد ذلك حدث فيضانات في الصين، أيضاً الزلازل في الهند، وزلازل في بنجلاديش، بعد ذلك إعصار اسمه الجاميكا في أمريكا ودمر كثيراً، بعد ذلك زلازل في روسيا دمر ١٢٣ مدينة و ٣٠٠ قرية أزالها من الوجود، غير عشرات الألوف الذين تشتتوا، بعد ذلك زلزال آخر في سان فرانسيسكو في غرب أمريكا الزلزال الضخم الذى لا بد أن قرأتم عنه، وكان له تأثيرات كبيرة، بعد ذلك حدث أشياء في إيران، كل ذلك ويقولوا أن كاليفورنيا ستدمرها الزلازل، كل ذلك بسبب إثنين من المجموعة الشمسية أصبحوا في صف مع الشمس. وهم متوقعين أن جميع أعضاء المجموعة الشمسية سيكونوا في صف مع الشمس، إذا حدث هذا محور الأرض سينقلب، وإذا قلب محور الأرض مياه المحيطات ستغطي مساحات كبيرة من الأرض، ومع ذلك يبقى أن مصر أضمن مكان في العالم نسبياً، وخصوصاً بجوار الأهرامات لأنه من المتوقع أن الدلتا تغرق بسبب السد العالى وما إليه، وحتى الدكتور مصطفى طلبة يقول أن مياه المحيط ستدخل إلى داخل أفريقيا من الناحية الشرقية ستين كيلو، ومن الناحية الثانية ستين كيلو، هذه الأمور لم تعد اليوم توقعات ولكن أصبحت وشيكة لأنه فعلاً استراليا بدأت تعلق فيها المياه، وأيضاً اليابان وبدأوا يعملوا حوائط.

أود أن أقول أنه جاءت مجموعة من العلماء وأخذوا صور بالأشعة الكونية للكتابات الموجودة في أسفل الهرم، وأخذوا سنتين يحللوا فيها أو يدرسوها وعملوا لها ترجمة

فوجدوا فيها نبوءات من ألوف أو من عشرات الألوف من السنين، لأن الأهرامات تبين اليوم أنها أقدم من ٤٠٠٠ سنة، حتى أشار إليها أيوب الصديق، فوجدوا فيها نبوءة عن ميلاد المسيح في بيت لحم، ونبوءة عن حرب سنة ١٩١٤، وحرب ١٩٣٩ والحرب العالمية الثانية، هذا الكلام يذكرنا بما قاله سيدنا له المجد عندما تكلم عن نهاية الدهر، فقال «قوات السموات تتزعزع»، وهى الجاذبية، وكما قال: «كما كان الحال في أيام نوح يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى أن جاء الطوفان فأغرق الجميع، هكذا يكون عند مجيء ابن الإنسان» (مت ٢٤ : ٣٩).

هنا نجد العلم والرؤيا العلمية متطابقة مع الرؤيا الدينية، هذا غير موضوع فلسطين وهو الموضوع المتوقع قريباً، دعنا في هذه النقطة بالذات، كيف وصل المصريون القدماء منذ آلاف السنين إلى هذه الأحداث التى حدثت؟ كيف سجلوا هذه النبوءات؟ هذا ليس خبر يحتمل الصدق أو الكذب، لا.. هذه النبوءات موجودة ومسجلة. ولكن يقال أن مصر ستكون أضمن مكان في العالم نسبياً، وأيضاً لماذا بنيت الأهرامات في هذه المنطقة بالذات؟

هذا يعطينا فكرة عما وصلت إليه مصر القديمة من علم روحانى أولاً مع العلم التجريبي، هذا الكلام يحتاج سلسلة طويلة جدا من المحاضرات على عظمة العلوم المصرية القديمة، والتى بدأوا اليوم مع الأيام يكتشفوا التحنيط والطب والفلك وأشياء كثيرة جداً، كل يوم تتكشف الأدلة الصارخة على عظمة المصريين القدماء وعلومهم، وهى ما شهد عنه الكتاب أن موسى تأدب بكل حكمة المصريين، وهذا يطمئنا أننا كمصريين وارثين لهذا التراث في كنيسةنا القبطية، وهذا يزيدنا أيضاً إيمان بعظمة كنيسةنا وأنها المحافظة، وأن فيها كنوز من المعرفة وهذه تزيد إيماننا بكنيسةنا وتزيد إيماننا بأرثوذكسيتنا، وتزيد إيماننا بأن هذا الشعب لا يموت، وأن المسيح قال: «مبارك شعبي مصر» وهذه البركة تشملنا جميعاً.

## النفاق والشوك الخانق<sup>(١)</sup>

هذا هو الأحد الثانى من شهر هاتور وهو شهر الزراعة الشتوية، ولذلك كان ترتيب الكنيسة أن يتلى في هذا اليوم، وفي هذين الأحدين المثل الذى ضربه المسيح عن الزرع والزارع، والتربة التى تمثل قلب الإنسان وإستعداده، وأما الزرع فهو الكلمة المقدسة.

وهى تنزل إلى قلب الإنسان كما ينزل الحب على الأرض. وهى كالزرع لأنه يبدأ صغيراً ثم يكبر قليلاً قليلاً قليلاً إلى أن يظهر ثمره، الفصل الذى قرأناه في الأحد الماضى كان من إنجيل لوقا الأصحاح الثامن، أما في هذا الأحد فالفصل من إنجيل متى الأصحاح الثالث عشر. والواقع أن تطبيق هذا المثل يحتاج من الإنسان إلى تأمل كبير ليعرف أو ليفحص ذاته، ليعرف أى نوع من التربة ينطبق عليه هو بالذات، أولاً: هل هو من التربة التى سقط عليها الحب فداسه الناس وأكلته طيور السماء، ثانياً: أم تربة قلبه من ذلك النوع من الأرض الصخرية التى تسمح للزرع أن ينبت فيها، ولكنها بسبب التماسك الذى فى الأرض فلا تسمح للنبات أن ينزل إلى أعماقها، فيظهر الزرع ظهوراً سطحياً ولكن سرعان ما تسقط عليه الشمس فيحترق. وهو نوع من الناس لهم سطحية الحياة الدينية يبدو منه في أول الأمر نوع من الفرح، ونوع من السرور، وربما نوع من الإعجاب، وربما يعبرون بتعبيرات فيها مدح للكلام وللمتكلم، ولكن ليس لهؤلاء أرض عميقة أو تربة خصبة، وليس فى هذه التربة رطوبة، بل فيها جفاف، هى أرض صخرية متصامة ترفض أن يدخل إليها شىء، تتجمع وتتصلب لتمنع أن ينفذ إليها النبات، هكذا هذه القلوب خصوصاً إذا كانت الكلمة المقدسة فيها شىء يضايق، وترفضه نفس هذا الإنسان، لأنه متشدد على رغباته وعلى شهواته ولا يريد أن يتنازل عنها، فإذا كانت هذه البذور تأتى لكى ترعجه ولكى تضايقه فهو يرفضها، وتتجمع حبات التربة لتتصلب تصلباً شديداً لتمنع الحب والماء أن ينزل إلى أعماقها، كل هذا ترفضه وإن كانت فى مبدأ الأمر أظهرت هذه القلوب شيئاً من الترحيب لكنه ترحيب سطحى، وهذه هى السطحية التى توجد فى بعض الأحيان عند فريق من المؤمنين بالله، له إيمان ببعض القيم الروحية لكن له إيمان بنفسه، فحينما يتعارض هذا الإيمان الآتى من السماء، بما رضى هو به عن نفسه فهو يرفض هذه المقاومة، هذه هى الأرض الصخرية التى يبدو منها فى مبدأ الأمر شىء من الترحيب وشىء

(١) عظة بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بدير الأنبا رويس - صباح الأحد الموافق ١٧ من نوفمبر ١٩٨٥م - ٨ من هاتور ١٧٠٢ش.

من القبول، ولكن هناك في داخل القلب أمور يتشدد ويتعصب لها الإنسان، ويجعلها ترفض أثر الكلمة المقدسة، التي إذا نزلت إلى القلب كان من شأنها أن تزحزح هذا التصام وهذا التشدد وهذا التعصب، للرأى الذى يتعصب له الإنسان حينما يكون راضياً عن نفسه وراضياً عن طريقه ولا يريد أن يتزحزح عنه.

**ثالثاً:** أم أن التربة من ذلك النوع الثالث الذى تحدث عنه المسيح، من أنه ينزل إليها الحب إلى عمق أكبر، وليس فيها ذلك التصام وهذا الرفض، ولكن هناك شوك ينبت مع الحب، الإثنان معاً، ويسمح الإنسان للإثنين معاً أن ينبتا، يقبل هذا ويقبل ذاك، ولكن من شأن هذا الشوك لأنه شوك، وبطبيعة أنه يخنق الحب النقى لأنه لا يحتمل هذا الحب، فإذا خنقه الشوك مات الحب بعد أن يكون قد نبت بعض الإنبات.

وهنا الشوك يشير إلى شواغل الإنسان، وإلى إرتباطاته وإلى شهواته وإلى ميوله وإلى نزعاته وإلى نزواته التى يسمح لها أن تبقى على الرغم من نفاذ الكلمة إليه، كان ينبغي أن يطردها أولاً أو ثانياً حتى يسمح للحب أن ينزل إليها، وهذا ما يحدث مع زراعة الأرض، أن الفلاح مع تمرسه على الزراعة قبل أن ينزل الحب، يعمل عملية تنظيف للأرض، فإذا كان هنا قسل أو إذا كانت هناك أعشاب مؤداها أنها فيما بعد تخنق الزرع، فمن قبل أن ينزل الحب ومن قبل أن يبذر البذر وقبل أن يبذل هذا الجهد يقوم الفلاح بعملية تنظيف الأرض بعملية الحرث، يحرث الأرض فيشق التصلب الذى قد يكون فى الأرض لكى يسمح للماء وللحب أن ينزل إليها، يعمل عملية تكسير وفى أثناء عملية التكسير إذا كانت هناك أعشاب، أو إذا كان هناك قسل، أو إذا كان هناك دود، أو إذا كان هناك أشياء يعلم أنها ستخنق الزرع فقبل أن يزرع وقبل أن يبذر البذور يعمل عملية تنقية للأرض. وهذا يشير للإنسان أن الجمع بين المتعارضين مستحيل، إنسان يرحب بمجيئه إلى الكنيسة وسماعه الكلمة المقدسة، وقراءة الإنجيل ويفرح بها ويترنم بها، ولكن فى نفس الوقت غير مستعد لأنه ينظف العوامل الأخرى المعارضة، يريد أن يحتفظ بها فى نفس الوقت، هذا يؤدي بطبيعة الحال إلى فشل حقيقى، لأن هذه الشهوات والنزوات والرغائب الإنسانية، التى ينفع بها الإنسان خصوصاً شهوة الإنسان ورغباته، تعوق وتخنق القيم الروحية، وهذا ما قاله الفيلسوف الألمانى لايبنس: لو عارضت الهندسة شهواتنا ورغباتنا بقدر ما تعارضه القيم الروحية، لقلنا عن قياساتها أنها فاسدة على الرغم من قوانين اقليدس وأرشميدث.

فالذى يجعلنا نسلم بالقواعد العلمىة أو قواعد الهندسة أنها لا تتعارض مع شهوات الإنسان ورغباته، ولذلك قوانين الهندسة، يقبلوها الطلبة ويتعلموها ثم يحفظوها وتستمر ولا أحد يعترض عليها، لكن الأخلاقيات والروحانيات تجد الإنسان له رغبة معارضة لها، ففى هذه الحالة يحاول أن يثبت أنها خطأ، بمنطق معين، لكن الذى وراء الموضوع هو رغبته، التى تجعله يرفض وينقلسف ثم يقدم براهين عقلية كما قال الكتاب: قال الجاهل فى قلبه ليس إله، هذا معناه أن الإلحاد ليس هو أمر حديث، أى لم يظهر فى القرن الأخير أو عندما قامت الشيوعية، لا.. هو قديم جداً، فى المزمور يقول: قال الجاهل فى قلبه ليس إله. أى كان هذا الجاهل موجود من القديم، أناس يرفضوا الإيمان بالله، لأن الإيمان بالله يقتضيه أن يعيش حياة معينة وسلوك معين، فلأنه متمسك ويريد أن يحتفظ بهذه الأمور التى يشتهيها ويريدها، فيجد أن إيمانه بالله يتعارض مع رغباته فيرفض الإيمان بالله، على الرغم من أنه فى مواقف أخرى يؤكد أن الله كائن، لكنه يدعى أنه لا يؤمن بالله.

فى مرة حضر لى مجموعة من طلبة كلية الهندسة فى جامعة عين شمس، وقالوا أن عندهم فى الجماعة، تيار إلحادى وإنكار لوجود الله، والشيوعية منتشرة بينهم، فاجتمعنا معهم ورأينا الأسئلة والاعتراضات الخاصة بهم، واستراحوا عندما وجدوا الإجابة على أسئلتهم أو على إعتراضاتهم التى كانوا يعترضون بها، حتى كان بينهم غير مسيحيين، وبعد أن إنتهينا تقريبا قالت طالبة وهى تبتسم: أنا ملحدة لا أوؤمن بالله، فأنا فهمتها وقلت لها أنت لست ملحدة، أنت عندك مشاكل لا تعرفى أن تحليها، عندك أشياء لست قادرة أن تفهميها، أنت لست ملحدة، فابتسمت وقالت صح، الإنسان يؤمن بنفسه دائماً بأكثر من إيمانه بأى شىء آخر، فعندما يجد ما يعترض شخصه يرفض الشىء من شدة تعصبه لنفسه، ومن شدة تمسكه ومن شدة غروره بنفسه. فهناك من الناس من يؤمن بنفسه أكثر من إيمانه بالله، هو لم ير الله ولكن عرفه بالعقل كما قال العوام، فالإنسان يستنبط أن هذا الكون لايد له من موجد، لكن يرى نفسه، وهذا ما يسموه المذهب الوجودى، هو موجود فهو مؤمن بنفسه، لأنه موجود، إذا آمن بالله يكون الله كائن، وإذا لم يؤمن بالله فيكون الله غير كائن، فهو ينكر الوجود الإلهى، لأن من شدة إيمانه بنفسه ومن شدة غروره بنفسه، الله لا يثبت له وجوده، كثيرا ما نرى من الناس من يؤمن بنفسه أكثر من اللزوم، وهو يقول أيضاً أنه يؤمن بالله، وقد يدافع عن الوجود الإلهى، وقد يبرهن عنه وقد يلقي محاضرات وأحاديث عن الوجود الإلهى، لكن فى حياته هو يؤمن بنفسه أكثر من الله. ويوم أن يرى



أن الله يعاكسه أو يعاكس وجوده كما هو يظن، يكفر بالله لأنه يؤمن بنفسه، هذا الكلام موجود، وليس كلام خيالي، هذا الإنسان الذى يؤمن بنفسه أكثر من الله يطلب أن الله هو الذى يؤمن به، وليس هو الذى يؤمن بالله.

القيم الأخلاقية عندما تتعارض مع رغبات الإنسان ونزواته يلوى فكره ويحاول أن يثبت خطأ هذه القيم الروحية أو خطأ هذه القيم العقائدية، لأنه يريد أن يهدمها، توجد عنده إرادة، وتوجد رغبة، وتوجد شهوة، ويوجد ميل، وعاطفة، وانفعال، هذا الإنفعال هو الذى يدفعه أن يرفض هذه القيم الروحية، هذه الميول والنزعات والرغبات والشهوات تخنق الكلمة، ولذلك كما قال المسيح له المجد أن هذا النوع من التربة سمح للحب أن ينزل، وسمح للشوك أن يعيش، ولم يظهر الشوك، ولذلك إن لم يفحص الإنسان نفسه، ويظهر قلبه من النزوات والشهوات والميول والرغبات، التى تتعارض مع القيم الروحية، لا يحدث أبداً أن الإنسان يستفيد من الكلمة الإلهية حتى لو سمح لها بأن تدخل، لكن هناك أيضاً الأشياء التى هو متمسك بها، رغباته وشهواته، خصوصاً عندما يحدث إنفعال، والإنسان فى ساعة الإنفعال يكون كالمجنون، تعلقه غمامة، فالإنسان فى هذه الحالة شهوته ورغبته تعميه وتعمى العقل، فيصبح الإنسان غريب جداً. ولذلك بعض الناس الذين فى الخارج يقول: كيف أن فلان الفلانى يعمل ذلك، كيف تغيب هذه المسألة عنه، إنها لا تغيب عن طفل، تفوت عليه أبسط البسائط التى لا تمر على طفل صغير، والناس من الخارج ينتقدون ويقولوا كيف؟ يندهشوا لأنهم يروا تصرف لا يتناسب لا مع سن هذا الإنسان ولا مع مقامه العقل ومكانته، ما حدث أن هناك أشواك من الداخل، رغباته وميوله ونزعاته تخنق الكلمة، فنجد عقله لا يكون طبيعى، وتفكيره وسلوكه لا يكون طبيعى، أنت الآن تنتقده ولكن أنت نفسك فى أوقات أخرى تقع فى نفس الأمر، لو سمحت للشهوات والنزوات وأمور الطياشة والرغبات أنها تسيطر عليك، أيضاً تضع القيم ويضيع أثر الكلمة ويضيع كل ما تعلمته، سواء كان فى الكليات، أو فى المدارس، أو أى نوع من التعليم، كل هذا يضيع لأن هناك رغبات تخنق الأشياء الطيبة.

مستوليته أن ينظف قلبه، ويظهره من كل الشوائب والأعشاب الضارة كما يعمل الفلاح فى الأرض ليكون مثمر، وإلا يكون إنسان منافق له صورة خارجية هى غير ما يبطن، القديس يهوذا ليس الاسخريوطى فى رسالته عندما يتكلم عن الأسرار يقول: «قد جاء الرب فى ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع المنافقين على

جميع أعمال نفاقهم التي نافقوا بها»، ما هو النفاق؟ هل تعرف ما هو النفاق. في المباني، النفاق هو الممر الذي يمر تحت الأرض، وهذا يسموه النفاق، من هو الشخص المنافق؟ هو الذي له ناحيتين، ناحية ظاهرة وناحية باطنة، النفاق، هو ممر من الداخل، على الرغم من أن السطح شيء آخر، هو صنع نفق من الداخل، هذه الكلمة فعلاً مطابقة لحالتنا نحن، فممكّن أن الواحد يكون له عقليّن، أو تكون له نفسيّتين، أشياء معيّنة يحترمها، ويدافع عنها ويبرهن عليها، وينصح بها آخرين، ولكن يكون عنده، نفق من الداخل في نفسه، هذا النفق يهدد البناء الذي من فوقه، الذي من الممكن أن يقع، يقول: جاء الرب في ربوات قديسيه، كلمة جاء بلغة الماضي لكي يبين أنه قرار، صحيح أن هذا استخدام للماضي لكن الدينونة في المستقبل، لكن لماذا استخدم الماضي هنا؟، لبيان أن هذا قرار مقرر ولكن تحقيقه سيكون في المستقبل «جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع المنافقين على جميع أعمال نفاقهم التي نافقوا بها» سيدينهم على النفاق، على النفق الذي سمحوا به في حياتهم، وهو شهواتهم ورغباتهم التي تحت الأرض الغير ظاهرة، التي لا يراها أحد، الشهوة والرغبة والطياشة والنزعات والميول، الإنسان يخفيها في الداخل ولا يظهرها أمام الناس، الذي يظهر أمام الناس أنه رجل مهذب ومؤدب، لكن رغباته وشهواته ونزواته تعيش في النفق لا تظهر للناس كلها، لكن الله يرى والله يعرف والله يعاقب، يعاقبه على أعمال النفاق، الحاجات الجوانية لأنه فاحص القلوب والكلّي، من الذي يفحص ضمير الإنسان ليعرف نفاقه؟ والحاجات المخبأة من الداخل من يعرفها؟ يعرفها الله لذلك يقول جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع المنافقين، هنا عقاب، انظروا كلمة عقاب، الله يحمل حق العقاب لأنه سيدنا ولأنه إلهنا ولأنه الخالق له حق العقاب، وهذا غير التأديب، التأديب في الدنيا، لكن في الآخرة عقاب، فهناك فرق بين التأديب وبين العقاب، التأديب في الدنيا كما يؤدّب الأب ابنه لكي يربيه، فالله أحياناً يسمح ببعض التجارب في حياتنا في الدنيا لكي نتأدّب بها، ولكي نكون مؤدّبين، هذا هو التأديب، «وأي ابن لا يؤدّبه أبوه» كما يقول الرسول، لكن التأديب دائماً غير العقاب، إنما في الدينونة يوجد عقاب، يعاقب جميع المنافقين، لا يفلت منافق من العقاب، لأنه إذا كان هو يخبئ نفسه عن نفسه أحياناً وعن الآخرين، لكن لن يقدر أن يخفي عن الله، يعاقب جميع المنافقين، لأن الله عادل ولا أحد يقدر بذكائه أن يفلت من الله، وأيضاً الكتاب المقدس يقول: الله لا يُضحك عليه، ولا يُشمخ عليه، لا يمكن أن نضحك

على الله، الله يعلم بما في قلوبنا، ويعلم الدواخل، والبواعث الداخلية، التي أنا أخفيها عن الآخرين وأخفيها أحياناً عن نفسي، في بعض الأحيان أتكلم كلام حسن جداً وكل من يسمعني يغبطني، ولكن الله يعلم بالنفق الذي في الداخل، الذي حفرتة في أعماقي وتمسك به، وجعل كل مبنى حياتي تخلخل، ويهدده بالسقوط وخصوصاً في اليوم الأخير عندما ينكشف كل شيء، ويعاقب جميع المنافقين على جميع أعمال نفاقهم التي نافقوا بها، وعلى كل الكلمات الصعبة التي تكلموا بها، حتى الكلمات سيعاقب عليها، إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الإنسان سوف يعطى عنها حساباً يوم الدين، ليس فقط أعمال النفاق ولكن الكلمات، أين تذهب من الكلمة، هي بالضبط كمن يرمى حجر في الماء، تجد الحجر عمل دائرة أو موجة، تظل تتسع هذه الدائرة حتى يصل أثرها إلى ما لانهاية.

هذه حقيقة كونية عينك لا تصل إلى نهاية أثرها، ولكنها تنتشر في جميع المياه وتنتقل من التربة إلى النيل إلى المحيط الهادى والمحيط المتجمد الشمالى والجنوبى والهندي وإلى كل المحيطات.

هكذا الكلمة أيضاً التي ترميها في الهواء، تعمل موجة هوائية تتسع وتنتشر في كل الكون، والدليل على ذلك اللاسلكى، إنسان يتكلم في استراليا يصل كلامه إلى مصر، الميكروفون، والاذاعة كيف يصل الصوت لإنجلترا وفرنسا، ساعة لندن تسمعها في مصر، كيف يصل الصوت بدون أسلاك، الكلمة تقولها تتحرك في كل الكون كله، فوق الأرض، وتحت الأرض يكلموا الناس في القمر، وفي الغواصات تحت المحيط عشرات الألوف من الكيلومترات كيف هذا؟، هذه عظمة الكون، فكل كلمة أهنت بها إنسان، هذه الإهانة أو هذه الكلمة الخطأ التي لا معنى لها، لم تضع بل هي محفوظة، حملتها الموجات لكل بقعة في الأرض ويحملها جسدك، في اليوم الأخير الكلمة التي قلتها من ٥٠ سنة أو من ١٠٠ سنة لا تضع أبداً، أيضاً «ارمى خبزك على وجه المياه تجده بعد أيام كثيرة» كما يقول الحكيم ما تفعله وما تقوله ستجده لأن الإله رقيب ويرى كل شيء، ومركب الكون بتركيب بحيث لا شيء يضيع، العمل الطيب لا يضيع ولا الشرير يضيع، ممكن أنت تنسى إنما الله لا ينسى، في اليوم الأخير يقول للأبرار تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعد لكم لأنى كنت جائعاً فأطعمتمونى، عطشان فسقيتمونى عريان فكسوتمونى، يقولوا له يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، هم لا يُكذّبوه ولكنهم نسيوا أعمال البر التي عملوها، فيقول لهم بما أنكم فعلتموه بأحد هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم.

وأيضاً كلام الرسول يقول: «الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة»، لا تعمل عمل خير وتندم عليه، فهناك قاعدة ارمى خبزك على وجه المياه تجده بعد أيام كثيرة، الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة، كل عمل خير، كل كلمة طيبة أنت قلتها لا تضيع، قد تنساها أنت، وقد ينساها الآخرون، إنما هي أصبحت حقيقة كونية، وجدت في الكون بمجرد خروجها ولن تفنى وستتجمع يوم الحساب لكي تكون في صالحك، وعلى العكس كل كلمة بطالة يتكلم بها الإنسان لا تضيع أبداً، موجودة في الكون، حملها الأثير في موجات ومحفوظة إلى اليوم الأخير، لأن الديان يقول: كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً، وهنا يقول: هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع المنافقين على جميع أعمال نفاقهم، جميع الأعمال، كلها وليس بعضها، كل شيء سيخرج من النفق الذي سمحت به في حياتي، وهى الرغبات والشهوات والنزوات والميول والأشياء التى أنا متحد بها ومتعلق بها، سمحت بها على أساس أنها لا يراها أحد، مظهرى كله حسن وكل القيم أنا مؤمن بها وأدافع عنها، وأتكلم عنها وأنصح بها غيرى، وأعلم بها أولادى وهكذا، لكن سمحت للنفاق وللأنفاق أنها تكون فى قلبى، أعمال النفاق هذه لن تغيب عن سيدنا وملكنا كلنا فى يوم الحساب، فيعاقب يعاقب ولا يؤدب، وهذا يشير إلى العقاب الأبدى، لأن الجزاء مكافأة للأبرار، ولكن عقاب للأشرار، والعقاب عقاب أبدى.

ربنا يسوع المسيح يحمينا جميعاً، ويحفظنا فى اسمه المبارك، ويعطينا نقاوة القلب وطهارته، من كل الشهوات والرغبات المعطلة والعائقة لعمل النعمة الإلهية، له الإكرام والمجد إلى الأبد أمين.

## ما بين العلم والدين<sup>(١)</sup>

لعل عصرنا أشد جميع العصور مواجهة لهذه المشكلة، فالطلاب في معاهد التعليم يصطدمون بمشاكل علمية ربما تثار بطريقة معينة، تزعج إيمان الطلاب خاصة إذا كان المعلم بعيداً عن الدين، ويعرض الموضوع من زاوية مخصوصة مما قد يؤدي بالطالب إلى النفور من الدين. وقد يكون الشاب غير متدين أصلاً، وقد يجد من كلام المعلم نكتة يستند عليها لأنها تساعد على البعد عن الدين... وكثيراً ما نجد شباباً متعباً من هذه الناحية. وأنا أذكر كثيراً من الخدام تعثروا ببعض العلوم التي درسوها أو قرأوا عنها أو اصطدموا مع شخصيات تعرض هذه المواضيع. ونجد هذه الظاهرة خاصة بين طلبة كليات الطب والعلوم نظراً لما يدرسون من نظريات تبدو متعارضة مع الدين.

والواقع أن هناك خصومة تاريخية بين العلم والدين أوجدت جواً معيناً، أصبح يساعد فكرة التمرد على الدين. وكلنا يعرف مرجع ذلك أنه لم يكن هناك فصل بين العلم والدين كما هو الآن، بل كان هناك خلط بينهما، حتى أن تعليل الظواهر الطبيعية كان مصدره الدين. فإذا حدث مثلاً إنفجار بركاني في مكان ما، يظهر رأى رجال الدين أن الله غاضب على سكان هذا المكان ولهذا أثار عليهم هذا البركان.. ثم بالتقدم في المعرفة أمكن معرفة سبب تلك الظواهر الطبيعية، وكانت أسباباً معقولة طبيعية يقبلها العقل البشري بسهولة، مما أدى إلى الإعتقاد بأن هناك إختلافاً بين العلم والدين، مع أن العلم يبحث عن الأسباب الطبيعية المباشرة، بينما يتناول الدين الأسباب غير المباشرة وهي الأسباب التي وراء الطبيعة.

وابتداء العلم يتقدم ويهتم بالأشياء الملموسة إلى أن ظهر العلم التجريبي في القرن الثالث عشر الذي يهتم بالتجربة ومشاهدة النتائج، وابتداء العلماء يحقرون الكلام عن الأرواح وخلودها وما أشبه، لأنها أشياء لا تقع تحت تجاربهم، وهي أمور غير ملموسة.. هذا مجال آخر ظهر للخلاف بين العلم والدين.

وتقدم العلم أكثر، وعرف تركيب المواد، فابتداء العلماء يستغنون عن الكتب المقدسة وعن الله، وجمعوا الذرات إلى بعضها ومع ذلك لم تتكون المادة الحية، ولكن أضحي هناك

(١) مقتطفات من الكلمة التي ألقاها في مؤتمر الخدام - نشرت في مدارس الأحد - السنة السادسة عشر - العدد الثالث - ١٩٦٢م - ص ١٤، ١٥

سر لم يصل إليه العلماء وهو سر الحياة. وقد ذهبوا إلى أن الحياة يمكن أن تخلق من العدم كما يخلق الذباب من مستودعات الجبن، إلى أن جاء التعليل الصحيح لهذه الظاهرة فيما بعد...

ومن ثم بدأ العلم يدرك أن له مجال الأشياء الملموسة المحسوسة المادية، وأن يترك للدين الأمور الروحية وأصبح لكل مجاله. ومع تقدم العلم بدأ العلم يفرق بين الحقيقة المطلقة والحقيقة كما تبدو، فالسماء تظهر لنا زرقاء بينما هي سوداء كما ظهرت في رحلات الفضاء.

ومع ذلك نجد أنه لا تعارض بين العلم والدين، بل أن الإنسان كلما تعمق في العلم أدى ذلك إلى فهم أكبر للدين. فعندما أثبت العلماء أن الأرض خلقت في ملايين السنين، أمكننا أن نفهم أن كلمة يوم، التي ذكرت في الأصحاح الأول من سفر التكوين لا تعنى ٢٤ ساعة، وإنما حقبة زمنية تمتد إلى ملايين السنين. وعندما يقف العلماء ينادون بنظرية التطور وأن الإنسان والقرود قد إنحدرا من أصل واحد، نقول لهم إن الكتاب المقدس ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فقال إن الإنسان قد خلق من تراب!!

ومن ذلك نجد أن الخطأ وقع من رجال العلم والدين، نتيجة سوء فهم متبادل من الإثنين، ولكن ليس نتيجة تعارض حقيقى بين العلم والدين.

## دور الكنيسة في ميدان الصحة النفسية (١)

الدين عموماً وهب للإنسان لا للحيوان، وهب له ليصير به أفضل مما يكون بدونه، فهو إذن هبة من الله لخير الإنسان، يعينه على الحياة السوية، التي يبلغ بها إلى التحقق من الغاية من وجوده الحى الناطق العاقل. فهو ليس قيئداً على حرته، وإنما هو فى الحق شكيمة للحيوان الكامن فيه، والذي يشده بعيداً عن الهدف من وجوده الناطق. وهذه الشكيمة فى يده ومعه، خير له ومعاون للأنا الأعلى ليحفظ به توازنه، فلا يتردى فى هاوية تنزل به عن مستوى وجوده العاقل.

الإنسان هو الكائن الوحيد بين مخلوقات الله الذى ينفرد بهذا التركيب الغريب، من عنصر سماوى وهابط من أعلى هو الروح، التى خلقت على صورة الله ومثاله، ومن عنصر أرضى من تراب الأرض أخذ وهو البدن أو الجسم. وبطبيعة هذا التركيب صار الإنسان محطاً لصراع بين قوة هابطة من فوق تشده إلى أعلى من حيث جاءت، وقوة من تحت تشده إلى أسفل إلى الأرض التى منها أخذ بدنه، وفى نظر الدين ليس خطأ أن تشتهى الروح ما للروح، فهى تنهل من مصدرها الطبيعى، وليس خطأ أو شراً للجسد أن يشتهى الترابيات والحسيات والماديات لأنه من تراب الأرض أخذ، لكن الخطأ هو أن تنحدر الروح مع الجسد وتستسلم لقيادته فيهبى بها معه، ليغترفا معا من الترابيات والحسيات بغير ضابط، وتنسى الروح ذاتها وتتلهى مع البدن فى شهواته ومطامعه، وتفقد معرفتها بأصلها ومنبعها ووظيفتها ونسبتها إلى العالم العلوى الذى منه هبطت، وإلى العالم السفلى الذى إليه نزلت. ولما كانت الروح فى حقيقتها من الله فلن تجد راحتها الحقيقية إلا فى الله، ومهما تلهت بالحسيات والماديات وشهوات البدن الترابية، فلن تشعر بشبع حقيقى يسد جوعها ويروى ظمأها، بل فى جهلها تنهم من شهوات الحواس البدنية ما أمكنها، ومع ذلك لا تشبع ولا ترتوى بل تظل جائعة ظمأى، لأنها أكلت من غير طعامها وعبت شراباً ليس هو شرابها، فيدركها القلق وتصير نهياً لألم داخل سره شعورها بأنها غريبة فى غير بلدها، وبأنها تائهة شاردة لم تجد طريقها الحقيقى، وإنما ضلت السبيل وسارت فى طريق مسدود، لم يؤد بها إلى الغاية التى تسعى أصلاً إليها وإلى الهدف من أصل وجودها فى البلد الذى هبطت إليه.

(١) محاضرة أُلقيت بالمؤتمر العربى الأول للصحة النفسية - بقاعة مبنى جامعة الدول العربية - يوم الإثنين الموافق ٢٨ من ديسمبر ١٩٧٠م.

هذا هو سر الصراع الحقيقي في هذا الكائن العجيب، الذي لا زال مجهولاً والذي نسميه الإنسان، الذي يعذبه التعارض والتناقض والتنازع بين الدوافع المتعارضة، التي تبعثر قوى النفس وتفتت وحدتها وتهد كيائها الواحد، فيصير أشلاء متناثرة، فتئن من ألم هذا الصراع وتصرخ بالقلق والإضطراب ولن تجد راحتها وسلامها إلا إذا عاد كل عضو منها إلى موضعه الطبيعي، وتستكمل وحدتها وتناسقها وتكاملها. ولن يكون هذا ما لم ترند الروح إلى فهم ذاتها، ومعرفة طبيعتها والإهتمام إلى أصلها ومنبعها، والتعرف على الغاية من وجودها، وتفهم وظيفتها ونسبتها إلى البدن وهو زميلها في رحلة الحياة الدنيا، وتعرف أنها بطبيعة وجودها هي العنصر الأسمى والأعلى، هي التي تقود البدن وتشده برفق وبغير عنف، فهي القائد لا المقود وهي السائق لا المسوق، وهي التي تأخذ بيده لتدخله معها إلى عالمها، فيستنير بها إلى آفاق أعلى من وجوده الطبيعي الترابي، فيرتفع فوق الطبيعة ويسمو فوق المادة ويصير متحداً بالروح، منسجماً معها في الغاية والهدف، فيصلان معاً متزاملين إلى غاية تتناسب مع غائية الطبيعة في وجود هذا الكائن الإنسان، الذي قصد الله بوجوده أن يكون على مثال خالقه سيد الطبيعة وإله العالم خالقاً أيضاً، وخلاقاً أيضاً، مستشرقاً على المادة، سامياً، رفيعاً، ينفث في الدنيا من روحه ويحيلها إلى وجود حي له معنى وله مغزى، دافق بالحياة والحركة والخلق والنمو المتصل إلى غير نهاية.

هذا هو الدين وهذه هي رسالته إلى الإنسان، يُعَرِّفه بنفسه ويُعَيِّنه على نفسه ضد نفسه، ويرده إلى نفسه التي بعد عنها تائهاً في متاهات بعيدة، لن يجد فيها راحته، رسالة الدين أن يعرف الإنسان نفسه فيفهمها ويفهم ما فيها من خير ومن شر، ويعرف مصدر الخير فيها وعلته، ومصدر الشر فيها وعلته، وهذه المعرفة هي التي تقوده إلى أن يرد كل شيء إلى أصله، ويربط المسبب بالسبب والمعلول بالعلة، وبالتالي يفهم دوافعه وبواعثه وأهدافه وغاياته، ويتعرف على قوى نفسه وضعفاتها، وهذه المعرفة ضرورية وهامة ومفيدة، لأنها تحل ما تشابك في نفسه وما تعقد فيها، وأسمى التعقد والتشابك علة للأمراضه ومتاعبه.

وهنا يجيء دور رجل الدين المسيحي فإنه يعين الفرد على فهم نفسه، فالإنسان عادة لا يعرف ذاته على حقيقتها، وحتى لو كان من طراز المستبطنين لنفوسهم، فإنه قلما يزن نفسه بميزان دقيق لأنه غالباً ما يتحيز لها ويعطف عليها ويدللها، فهو لذلك يكون أصدق في حكمه على غيره من حكمه على نفسه. ولهذا أيضاً يحتاج إلى غيره ليعينه على



نفسه ويشاركه في علاجها وحسن قيادتها. وهذا هو عمل رجل الدين المسيحي. إن الكاهن في المسيحية ليس هو مجرد واعظ يدعو إلى التقوى بالموعظة الحسنة، وليس هو مجرد مصلح إجتماعى ينادى بالمبادئ الدينية الرفيعة والمثل العليا، يشرحها ويفسرها ويبرهن على سلامتها وقوتها للنفس البشرية، ولكنه فوق هذا كله طبيب يقوم بدوره الحقيقى في سر الإعتراف، عندما يخلو إليه المؤمن ويعالجه على إنفراد. وفي سر الإعتراف شفاء للنفس المتعبة وعلاج خاص مبنى على الفروق الفردية بين إنسان وآخر. من هنا كان دور الكنيسة مزدوجاً - دور يؤديه الكاهن على المنبر ودور آخر لا يقل أهمية عن دور المنبر وهو كرسى الإعتراف. على المنبر توعية عامة ونصح وإرشاد وتوجيه وشرح وتفسير، وبيان وتعليم ودرس عام ينتفع به أكبر عدد ممكن من الناس، يتعلمون فيه قضايا عامة تناسب الإنسان بصفته إنساناً خُلق على صورة الله ومثاله، ولا بد أن يكون هذا النوع من الوعظ مفيداً للناس جميعاً، ولكل فرد يأخذ منه ما ينفعه ويبنيه، وما يصحح مفاهيمه ويزرع فيه مفهومات جديدة تغاير مفهوماته الأولى، أو تباينها أو تُكَمِّلها أو تتفاعل معها. وفي هذا النوع من الإرشاد العام يتقارب الناس ويجتمعون شيئاً فشيئاً على وعى دينى وحضارى واجتماعى وإنسانى، يجعلهم أقرب إلى الله وإلى المثل العليا التى يرسمها لهم رجل الدين، بما يأخذه من الكتب المقدسة وسيرة السلف الصالح من القديسين والصدّيقين.

ومهما يمكن من شأن الأمور التى يلتقى فيها الناس، ومهما كان من دور رجل الدين في توعية عامة، تُصير الإنسان بصيراً بطبيعة الإنسانية وبالمثل العليا التى ينبغى أن يترسمها الإنسان في سبيل بلوغ الكمال والمثل الأعلى. إلا أن بين الناس فروقاً فردية، وفي نفس كل إنسان متاعب ومشكلات لا يقوى على حملها منفرداً، ولا يجرؤ أحياناً على أن يكشف بها قريباً أو صديقاً مهما بلغ من قرابته إليه، لذلك فإن سر الإعتراف نافع جداً، لأن فيه يمكن أن يفضى الإنسان إلى رجل الله إلى رجل الدين، بما لا يقوى على أن يفضى به حتى إلى أبيه أو أمه أو أخيه أو زوجته أو إلى واحد آخر. وفي سر الإعتراف عناصر ثلاثة. فيه أولاً شكوى وفيه علاج وفيه غفران، أما الشكوى فهى شكوى النفس من النفس، وفيها يفرغ المعترف متاعبه ويتقيأ آلامه وينفس عن نفسه، ويجد في الكاهن الأب الحنون الذى يصغى إليه في إهتمام وإشفاق. وحتى إذا لم يكن الشخص نفسه أى المعترف يجيد الشكوى أو يعرف أمراضه وعلله. يشجعه الكاهن على شكواه بإنصاته إليه، وحتى لو لم يعط الكاهن للمعترف علاجاً، يكفيه أن يكون جيداً لفن الإصغاء فالإصغاء بإهتمام إلى المريض

يريحه ويخفف عنه ويهدىء من روعه، ويشعره أنه يجد قلباً حنوناً يرعاه ويعطف عليه، ويتعاطف معه ويشاركه آلامه ولو بالإصغاء إلى شكواه. وأما العلاج فيقوم به الكاهن المُعرّف على مرحلتين - مرحلة التشخيص للمرض ومرحلة وصف العلاج.

أما التشخيص فيتوصل إليه الكاهن نتيجة الإصغاء لشكوى المريض بإهتمام، مع محاولة ربط المرض بعلته، وهنا تفيد الكاهن خبرته وحنكته في معرفة أدواء النفوس، كما يفيدته كذلك استنباطه من شكوى المريض ما يعينه على معرفة علة المرض، وبتوجيه أسئلة جديدة يمكن أن يكشف بها ما لم يستطع المريض أن يكشفه من تلقاء ذاته. فإذا شَخَّص الكاهن الداء وصف الدواء مما يعلمه من الكتب المقدسة ومما درسه في الكلية الإكليريكية اللاهوتية، ومما حَصَّله من قراءاته ودراساته وخبراته الشخصية، وفي علاقاته مع الناس، والعلاج إما أن يكون نصحاً خاصاً وتوجيهاً وقيادة واعية، وإما أن يكون تدريبات دينية أو واجبات روحية، أو ممارسات عملية يطلبها منه الكاهن.

فإذا رآه متجاوباً مطيعاً، ويتحقق من أنه إنتفع بما قدمه له من نصائح وتدريبات، استدل من كل ذلك على صدق توبته وعلى حسن إستعداده لإصلاح سيرته، فيمنحه نطقاً كنسياً يطمئنه على أن توبته صادقة وبالتالي مقبولة أمام الله، ويصلى عنه ومن أجله يطلب له العون ليسير قدماً في طريق النصر والحياة الفاضلة الناجحة.

على أن الكنيسة تضيف إلى هذا كله وسيلة أخرى في سبيل قيادة النفس البشرية وتقويمها، وبنائها، وهو توجيه التربية منذ الطفولة المبكرة، فالكنيسة تضع على الوالدين عند معمودية الطفل مسئولية تربية ولدهما تربية مسيحية سليمة، وتأخذ عليهما التعهدات والضمانات وتندرهما بالعقوبة الأبدية التي تنتظرهما إذا أهملوا هذا التعهد، ولم يرعيا ولدهما بكل الرعاية المطلوبة للروح والنفس والعقل والبدن. ولا تتركهما عند هذا الحد، بل الكاهن يجعل من أهم واجباته زيارة العائلة زيارة دورية فضلاً عن المناسبات الطارئة. وفي زيارته يفحص وينذر ويدرس ويسأل عن كل ما يختص بالأسرة فرداً فرداً. ويلمس بنفسه إحتياجاتهم ويتعرف على مشاكلهم ويكتشف تقصيراتهم في واجباتهم الدينية، ويقف على أخبارهم من كل الوجوه، فيتدخل بالنصح والإرشاد والتوجيه، ويعرف إحتياجاتهم المادية ومشكلاتهم المعاشية، ويعاونهم على حلها، بطريقة فردية أو جماعية، ومنذ أقدم الأيام عرفت الكنيسة ما عَلمه إياها السيد المسيح مؤسسها من أن واجب الكنيسة لا ينحصر في أن تعلم وترشد وتنصح فقط، ولكن أن تطعم الجائعين وتكسو العراة وتعاون في حل المشاكل الإجتماعية، لذلك كانت منذ الإبتداء

الملاجئ والمستشفيات والمستوصفات ودور الإيواء، إلى جانب دور العلم من رسالة الكنيسة، تدعو إليها وتحث عليها وتوحى بإنشائها، وبهذا تسد الكنيسة فراغ الإنسان في الروح والعقل والبدن، وبعبارة أخرى أنها تعنى منذ الإبتداء بالصحة النفسية وبالصحة البدنية.

## ملخص موجز للمحاضرة:

مهما اختلفت صور المرض النفسى وتعددت النظريات التى تعلله، فإن المرض النفسى يتضمن فى نهاية الأمر صراعاً داخلياً بين دوافع متعارضة تتجاذب النفس وتفقدتها وحدتها وتآزر قواها وتكامل نواحيها. فقد يكون المرء نهياً لصراع بين الروح والحيوان الذى فيه، بين المثل الإنسانية السامية وبين أحط الشهوات، بين الفضائل والردائل، بين الحب والبغضاء. كما يقع الصراع بين الذات والغير، بين الأثرة والإيثار، بين الأنانية البغيضة والتضحية. كذلك يقوم الصراع بين الأهداف المتعارضة، فالإنسان فى سعيه تتجاذبه أهداف روحية خالدة وأهداف مادية، وكثيراً ما يسير الناس بلا أهداف محددة أو مفاهيم واضحة للحياة، فيضعون آمالهم فى أشياء جزئية أو أباطيل كاذبة من عظمة فارغة أو مال أو غير ذلك ينشدون من ورائها السعادة، ولطالما تكون أهدافهم أبعد منالاً عن إمكانياتهم، وهكذا لا يحصدون سوى التعاسة واليأس ومرارة النفس.

وللدين قدرة على إصلاح الفرد والمجتمع من زاوية غير قدرة التقاليد والقوانين، فالدين يسبق القوانين ويكملها ويتفوق عليها. إن قوة القوانين فى الدول هى فيما تحويه من عقوبات رادعة، وقد يخضع الناس للقانون ولو كرهاً، وربما تحايلوا على القانون تهرباً من الوقوع تحت طائلة العقاب. ولقد أتخمت الدول بالقوانين الصالحة ولازال المجتمع البشرى بحاجة إلى الأخلاق، لأن القانون إصلاح خارجى يفلت من ردهه الكثيرون، أما الدين فيخاطب الضمائر ويعمل على إصلاح الداخل، فهيهات أن يفلت صاحب الضمير الصالح من رده ضميره وتوجيهه، بل يقوده الضمير - رضى وطواعية - إلى الفضيلة والخير والصواب.

فإذا أتينا إلى ما قدمه رجل الدين المسيحى وما يقدمه من الناحية الوقائية والعلاجية فى ميدان الصحة النفسية ومعالجة تلك الصراعات، وجدنا للتنظيم الكنسى أثراً واضحاً عميقاً. فإن مهمة رجل الدين لا تقتصر على علاقة الفرد بالله وتنظيم نواحي العبادة، ولكنها تمس صميم الحياة العملية للأفراد والجماعات، ولا يقتصر التعليم الكنسى على الوعظ والتعليم بل تؤمن الكنيسة بالقدوة والقيادة والرعاية والتلمذة.

وتقوم فلسفة المسيحية على الحب، حب الفرد لله والاتحاد به، فالمرء لا يوجهه المنطق وحده بقدر ما توجهه العاطفة، وفي عاطفة المحبة تتحد إرادة المرء بمشيئة الله، وتتوافق ميوله مع وصايا الله، ويتمثل المرء الفضائل متضمنة في المحبة. فالدين الذى تنادى به الكنيسة ليس تحزباً وتعصباً وإنما هو حب جميع الخلائق على غرار الله الذى يشرق شمسهُ على الجميع، والذى يحب جميع الناس مهما اختلفت جنسياتهم وألوانهم ومذاهبهم، الأخيار منهم والأشرار. وفي هذه المحبة يختفى تركز الفرد حول ذاته وتذوب الأناية التى هى جرثومة جميع الشرور ونواة جميع الانحرافات النفسية، ويضمحل ذلك الصراع البغيض بين الأفراد ويصبح الجميع فى وحدة وتآزر وتكامل.

وتضع الكنيسة لأولادها مفاهيم محددة للحياة، وبذلك يجد الفرد هدفاً واضحاً لحياته، ويوفق بين مطالب الروح وضروريات الجسد، وبين ما هو لآخرته وما هو لندياه، فتصبح جهوده أكثر يسراً وفضيلة ونجاحاً، ولا يعود يُعلق آماله على مظاهر كاذبة لا تؤدى به إلى سعادة ولا تعطيه سلاماً.

وبالإضافة إلى التوجيه العام، أتاحت الكنيسة للفرد عيادة نفسية خاصة فى سر الإعتراف، والإعتراف من الممارسات الدينية الرئيسية، فيه يجلس الواحد جلسة فردية مع رجل دين يثق فيه ويتخذ منه راعياً ومُرشداً، يسرد له جميع أعماله وأخطائه وشكاواه وأتاعابه، فيقوم رجل الدين بتبصيره وتوعيته وتوجيهه وتشجيعه، ويقدم له علاجات روحية مناسبة، مراعيًا حالته الخاصة وظروفه الفردية. وبالإضافة إلى ما يجنيه المعترف من فوائد روحية فإن الإعتراف نوع من العلاج النفسى يقوم فيه الفرد بالتنفيس عن خباياه، وينعم بالراحة النفسية مع التوجيه الصحيح لحياته، فلا يقع فريسة لليأس والاستمرار فى الغى والشعور الضار بالذنب، بل يعرف نفسه ويستعيد ثقته بها وينهض من كبوته، وتصبح إتجاهاته صحيحة وسبله مستقيمة. وهكذا يقوم رجل الدين فى الإعتراف بعمل الطبيب النفسى من بعض الوجوه، ولذلك فإن الكلية الإكليريكية، التى يتخرج فيها رجال الدين، تلقن طلابها - إلى جانب العلوم الدينية - بعض العلوم الإنسانية كالفلسفة وعلم النفس والتربية، وهو إحياء لما كانت تفعله الكنيسة المصرية فى القرون المسيحية الأولى فى مدرسة الأسكندرية.

ومن صور رعاية الكنيسة للصحة النفسية تقديسها للأسرة - التى هى نواة المجتمع والتربة الخصبة التى فى استقرارها ينبت الأفراد نباتاً حسناً وينمون نمواً صحيحاً. فتجعل

الكنيسة من الزواج الأحادي سراً مقدساً ورابطة ثابتة لا تنفصم عراها، حتى تنعم تلك البيئة المقدسة بالإستقرار.

كذلك نظمت الكنيسة المصرية في الخمسين عاماً الأخيرة دراسات خاصة بالناشئين، تُعرف بمدارس الأحد أو مدارس التربية الكنسية، تحت رعاية غبطة البطريرك، ويُشرف عليها أساقفة علماء، تُعاونهم لجان من شخصيات مؤهلة، ووضعت لكل سن برامج معينة، كما ألّفت المئات من الكتب المناسبة لكل سن. وكذلك تُعقد كل كنيسة اجتماعات وتقوم بأنشطة خاصة بالشباب، لإعدادهم وتثقيفهم روحياً ونفسياً ورياضياً تحت قيادات روحية واعية.

وتقوم الكنيسة بالخدمات الاجتماعية الواسعة، سواء بالمساعدات المالية للمحتاجين وعلاج المرضى غير المقتدرين وإيجاد عمل للمتعطلين، أو بإرشاد المحتاجين لأى نوع من المساعدة، أو إصلاح المتخاصمين أو الشاردين. وامتدت الخدمات الاجتماعية - التى يرأسها أسقف جليل - إلى المغتربين من المصريين فى سائر بقاع الدنيا.

## الاعتدال في الحياة فضيلة

### الإعتدال فضيلة للحياة بأسرها.

إنّ الإنسان كائن روحانى فى جسده. وخير الإنسان أن يهتم بكيانه روحياً وذهنياً وبدنياً، هذا الثالث فينا يجب أن نعطينه حقه من الرعاية والإهتمام. وعلينا أن نكون منصفين فنولى لكل واحد من هذا الثالث الإهتمام اللائق به، دون مغالاة أو تطرف على حساب الإثنين الآخرين من الثالث الإنسانى الذى تتألف منه شخصيتنا الإنسانية.

فقد تجد شخصاً يهتم بالدرس والعلم ويشغل بالفكر والعقل، ويعكف على القراءة وتحصيل المعرفة واكتساب الجديد من المعارف، ويبخل بوقته وجهده عن الإهتمام بحياته الروحية، وصحته البدنية، فيتحول إلى فيلسوف أو إلى عالم بعلم الدنيا ومعارف الأرض والناس، ولكنه يبقى قزماً فى الروحيات، لا يكاد يعرف أكثر من الأوليات، وربما لإهماله تربية روحه وصقلها يشك حتى فى الأوليات، ولا يقيم وزناً للروحيات، ولا يعبأ كثيراً بالأخلاقيات، وقد يصير هو نفسه شقيماً شريراً لا أخلاق له ولا ضمير، بل ربما يمسى علمه سلاحاً فى يده يدمر به غيره، إذ العلم بغير دين يكسب الإنسان ذكاءً ومهارة للهدم والتخريب، فضلاً عن أنه يقدم لصاحبه وللناس تبريراً ذكياً لأفعال الشر والهلاك الأبدى والزمنى، الفردى والإجتماعى.

ونتيجة لإهتمام مثل هذا الفريق من الناس، بالمعرفة والعلم على حساب الناحيتين الروحية والبدنية، يهمل فى صحته وبدنه، فيسمى قميئاً قليلاً مصاباً بالأمراض. ولكم قرأنا ورأينا وسمعنا عن علماء وفلاسفة كانوا عمالقة فى العلم وجبابرة فى الذكاء والفهم، ومع ذلك عاشوا مرضى مصدورين أو معلولين بأنواع من العلل، نغصت عليهم حياتهم وحياة الذين عاشوهم من أزواجهم وأولادهم، وربما ماتوا قبل أنانهم أو توقف إنتاجهم الذهنى والعلمى أو الفنى عند سن معّين، بسبب الأمراض التى هاجمتهم فى سن مبكرة من حياتهم نتيجة إهمالهم لصحتهم التى لم يعتنوا بها لإنشغالهم منذ بدء حياتهم بالعلم والدرس دون العناية بالروح وبصحة البدن.

وثمة فريق آخر من الناس يعنى ببدنه على حساب الروح والروحيات، والفكر والفكريات، ويسمى إهتمامه بتربية جسمه تربية رياضية، فيعطى جهده ووقته كله للتربية البدنية وألعاب القوى والسباحة والجري والقفز والمصارعة وما إليها، حتى يكاد لا يجد

وقتاً للصلاة أو لقراءة الكتب وللدرس... فينشأ إنساناً فاشلاً فاسداً متخلفاً في روحياته وأخلاقياته ومعارفه العقلية والعلمية، ولكنه يفخر ويزهو بأنه بطل من أبطال الرياضة، يستطيع أن يضرب الرقم القياسي في الألعاب وفي المنافسات الرياضية البدنية، أما ذهنه فهو ذهن طفل... أما علمه فهو علم عصفور... أما روحياته فقد توقفت وتحجرت وران عليها صدأ كثيف من مشاعر شريرة أثيمة، تدور كلها حول نفسه وإنيته واسمه وشهرته في عالم بطولة الأجسام أو المصارعات.

على هذا النحو قد تجد إنساناً يهتم بالروحيات مهملاً العقل والبدن - أو إنساناً يهتم بالعقليات والذهنيات مهملاً الروح والبدن - أو إنساناً يهتم بالبدن دون الروح والعقل - كل من هؤلاء يمثلون شخصية ممسوخة، فيها ضلع واحد من أضلاع مثلث الشخصية طويلاً طولاً فارعاً، خرج به عن الإلتقاء السوي بالضلعين الآخرين من المثلث، فيمسي المثلث مكسوراً مشوّهاً، ولم يعد في الحقيقة مثلثاً متساوي الأضلاع، بل خطأ واحداً عالياً منفرجاً متضخماً. أما الضلعان الآخران فقد توقف نموهما عند القاعدة وليس بينهما وبين ذلك الخط الطويل لقاء.

لذلك يلزم لكل من يروم أن تكون له شخصية سوية متكاملة الجوانب، أن يتنبه إلى أهمية العناية والإهتمام بثالث حياته: الروح والذهن والبدن. فيمنح لكل واحد من أضلاع المثلث العناية والجهد والوقت اللازم، لتربيته وصقله وتهذيبه وتنميته بالوسائل المناسبة المتاحة، وأن يكون عادلاً منصفاً فلا يحابي أحد الثلاثة الجوانب على حساب الآخر.

هذا وإن من الغرور أن يزعم الإنسان أن بهذه المحاباة قد أصاب الحقيقة، مهما بلغ من إحساسه بأهمية إحدى هذه النواحي وإحتقاره للناحيتين الأخرين في تكوين شخصيته.

لقد قال الكتاب المقدس: «لا تكن باراً كثيراً، ولا تكن حكيماً بزيادة. لماذا تخرب نفسك؟ لا تكن شريراً كثيراً، ولا تكن جاهلاً، لماذا تموت في غير وقتك؟ حسن أن تتمسك بهذا وأيضاً أن لا ترخي يدك عن ذلك، لأن متقى الله يخرج منهما كليهما» (الجامعة ٧: ١٦-١٨).

تلك نصيحة الكتاب المقدس ووصية الوحي الإلهي إلينا أن نعتدل ولا نغالي في تربية الروح على حساب العقل والبدن: (لا تكن باراً كثيراً... لماذا تُخرب نفسك؟)، أو تربية الذهن على حساب الروح والبدن: (لا تكن حكيماً بزيادة لماذا تخرب نفسك؟) أو تربية البدن على حساب الروح والعقل: (لا تكن شريراً كثيراً، ولا تكن جاهلاً. لماذا تموت في غير وقتك؟).

فالعقل الحكيم من جمع بين الإهتمام بالروح والذهن والبدن، جمعاً بغير إنحياز للواحد على حساب الإثنين الآخرين، جمعاً يقوم على إحترام الثلاثة معاً، لتكوين شخصية متزنة متكاملة.

والمعنى من قوله: «لا تكن باراً كثيراً» أى لا تكن مغالياً في نظرك إلى أهمية البرّ متخطياً إحترامك للعاملين الآخرين في تكوين شخصيتك.. وبالمثل قوله: «لا تكن حكيماً بزيادة» بمعنى لا تكن مغالياً في الإهتمام بالحكمة النظرية المبنية على الدرس والقراءة مع إهمال التربية الروحية والبدنية... وعلى نفس القياس قوله: «لا تكن شريراً كثيراً، ولا تكن جاهلاً».... فالشر ينجم عن إهمال التربية الروحية. أما الجهل فيضر ليس الروح والذهن فقط بل يضر البدن أيضاً، وذلك بتخطى قوانين الطبيعة في صحة الجسم مما يؤدي إلى المرض...

وليس معنى الإهتمام بالثالث الإنسانى من روح وذهن وبدن، أن نعطي كل واحد من هذا الثالث قدراً متساوياً تماماً من الجهد والوقت، ولكن معناه أن نعطي كلاً من الثلاثة نصيباً من الرعاية والإهتمام بالقدر الذى يناسبه. ولما كان الإنسان إنساناً بالروح والعقل أولاً، فيجب أن تكون العناية بالروح أكبر بقدر أهمية الروح عن البدن. ولما كانت تربية الذهن هى في نفس الوقت غذاء للروح وتقوية لها، فالعناية بالدرس لا تتعارض مع الروح بل تساندها. أما البدن فهو غلاف الروح وهو مركز العمل للروح والذهن، فأهمية صيانته والمحافظة عليه طبقاً لقوانين الطبيعة، بالغة القيمة في مساعدة الروح والذهن على قيامها بعملها بغير عائق أو مانع.

لذلك فحتى الرهبان الذين اختاروا حياة الروح في البرارى والقفار متبتلين لحياة «الصلاة التى بلا انقطاع» يملأون وقتهم ويشغلون حياتهم بثلاثة إهتمامات: أولها، الصلاة والتسبيح، ثانيهما، القراءة والدرس والتعليم، وثالثهما: العمل اليدوى.

وعلى ذلك فمثلث الشخصية المتكاملة ينبغى أن يبدأ منذ الطفولة وحتى الرجولة، بأن يكون مثلثاً متساوياً الأضلاع، ولكن مع نمو الإنسان فى الخبرة والسنّ يمكن أن يتحوّل بالتدرّج ومع الأيام إلى مثلث، أحد أضلاعه أقصر من الضلعين الآخرين، بإمتداد الضلعين الآخرين طولاً، بل يمكن أن يكون لكل ضلع طول مختلف يلتقى مع القاعدة بزواوية منفرجة والضلع الآخر يلتقى مع القاعدة بزواوية حادة.



## الإنسان كائن إجتماعى

إذا كان صحيحاً ما يقال من أنّ الإنسان حيوان ناطق عاقل، فصحيح أيضاً أنه حيوان إجتماعى، أى أنّه وُجِدَ ليحيا في مجتمع. ولقد أصاب أرسطو بقوله إنّ الإنسان لا يمكنه أن يحيا من غير مجتمع، إلا إذا كان فوق الطبيعة البشرية أو دونها. وحتى الرهبان المتوحدون الذين يعيشون في الكهوف ومعتزلين عن كل أحد، لم يتوصلوا إلى هذا النوع من الحياة إلا بعد تدريب طويل، وبعد ممارسة شاقة لحياة العزلة والوحدة، وبلوغه تدريجياً. على أنهم في مفهومهم الرُّوحى لم ينسلخوا تماماً من حياة الشركة الديرية، إلا بعد أن أشرفوا على مداخل مجتمع جديد من أرواح الملائكة والقديسين المنتقلين، فضلاً عن أنّهم من وقت إلى آخر يجتمعون مع نظرائهم من الرهبان المتوحدين، في كنيسة مهجورة، لحضور القداس والتناول من المائدة المقدّسة، وإجتماعهم يكون بإختطافهم بالروح والجسد من مكان عزلتهم إلى مكان لقائهم. وإذن حتى المتوحّدون لا ولن يكونوا في غنى عن الإجتماع، ولو من حين إلى حين.

وأعلم أنّ الله خالقنا ركب فينا منذ الإبتداء هذا الميل إلى المجتمع. إنه خلق آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، ومن آدم خلق الله حواء، ومن آدم وحواء معا وبتزاوجهما خلق الله أبناءهما قايين وهابيل وشيث، ومن هؤلاء تكونت الأسرة البشرية والمجتمع الإنسانى. لقد كان في مقدور الله أن يخلق حواء بنفس الكيفية التى خلق بها آدم. فإذا فعل، وخلق حواء خلقاً مستقلاً لرأى فيها آدم غريماً ينازعه ويخاصمه. أمّا أن الله خلق حواء من آدم، وبنائها له من ضلع استلها من أضلاعه، فقد جعل آدم ينظر إلى حواء على أنها عظم من عظامه ولحم من لحمه، وهى إذن منه وله وإليه، فمن الطبيعى أن يحبها لأنها جسده «ولا يبغض أحد جسده» ويعتنى بها ويعمل على إرضائها. وكذلك شاء أن يخلق قايين وهابيل وشيث من آدم وحواء معاً بعد أن يتزاوجا، فتكون ولادتهم منهما بإتفاقهما وثمره لإجتماعهما بالمحبة والتعاون. وكما أحبّ آدم حواء لأنها منه، ومن عظمة ولحمه، هكذا أحبّ آدم وحواء أولادهما لأنهم ثمرة محبتهم، ولأنهم أيضاً من لحمهما ومن دمهما. وإذن فهناك رابطة لحمية تربط آدم بحواء ورابطة مثلها تربط آدم وحواء بأولادهما.

وهكذا تكونت الأسرة البشرية الأولى، وهى الخلية الأولى في الجنس البشرى، تكونت من أصلٍ واحدٍ وأرومة واحدة، لا إنفصال ولا إنقسام بين أعضائها، وإنما بطبيعة تكوينها

الأولى صارت أعضاؤها ملتحمة مع بعضها إلتحاماً برابطة الدم الواحد الذى يجمعهم جميعاً. وعلى أساسه جمعت المحبة بينهم، ومع المحبة الرعاية والإهتمام، وبالتالي نشأت بينهم رابطة معنوية تشدّهم الواحد إلى الآخر، وإحساس واضح بالمسئولية الأدبية. فأدم صار مسئولاً عن حواء لا يملك إلا أن يهتم بها، وكذلك حواء من جهة آدم تشعر بمسئوليتها نحوه، لأنه زوجها وقرينها كما أنه الأصل الذى أخذت عنه كيانها ووجودها، ولا بد أن تجنّ إليه وتعتمد عليه، ثمّ كل من آدم وحواء يشعر بمسئوليته نحو كل ولد من أولادهما لأنه هو سرّ وجوده، منه خرج إلى الوجود، ومن دمه ولحمه تكون لحمه ودمه. ولهذا أيضاً يرث صفاته الجسدية والبدنية والنفسية.. وكما يشعر كل من آدم وحواء بمسئوليتها كاملة نحو أولادهما، كذلك ينشأ الأولاد وهم يدينون لوالديهما لأنهما سرّ حياتهم ووجودهم، وهذا هو أساس المحبة البنيوية فى الأبناء نحو آبائهم وأمهاتهم، ومبعث الاحترام والإكرام الذى تطالب به الطبيعة وينادى به الدم.

ويشاء الله أيضاً أن من الأسرة البشرية الأولى تتولد أسرات أخرى بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب: وهو التزاوج بين رجل وامرأة، ثم التوالد والتكاثر الذى به تمتد أسرة إلى أسرة أخرى، ومن هذه إلى غيرها حتى صار العالم مليئاً بالآلاف وملايين الملايين من الأسرات والعائلات، ومع ذلك، ومع هذا الإمتداد لم تنفصم الرابطة بين الأسرة البشرية الأولى وبين أى أسرة تعيش اليوم فى أية بقعة نائية من بقاع الأرض، لأنه تجمع بينها جميعاً رابطة الدم الواحد الذى نشأت عنه ومنه، وسرى فيها جميعاً من أب إلى ابن ومن جدّ إلى حفيد.

هذا، والعجيب أنه على الرغم من هذا التعدد وهذه الكثرة فى الأجناس البشرية، لكنّ كل فرد من الجنس البشرىّ موصول بكل فرد آخر، بحيث أن تصرف كل فرد لا ينحصر أثره فيه وحده بل يمتد إلى غيره من القريبين إليه ومن البعيدين عنه، ومثل هذا كل فرد فينا فى خضم الحياة مثل أمواج البحار إذا رميت فيها حجراً فإنه يحدث فى البحر أثراً ينتقل من موجة إلى موجة وهذه تنقله إلى غيرها إلى أن يصل أثر الحجر إلى أقصى مدى فى البحار والمحيطات.

إنّ الله لم يخلق إنساناً مستقلاً عن غيره. ولم يخلق إنساناً يمكنه أن لا يؤثّر فى غيره من القريبين أو من البعيدين. فكل إنسان يؤثّر فى غيره ويتأثّر بغيره. ونحن فى هذا العالم بمثابة دوائر متماسة. كلّ له دائرته الخاصة يتحرك فيها، ولكنه إذا خرج عن دائرته لا بد أن يدخل

في دائرة أخرى من الدوائر المماسة لدائرتيه. لذلك فإن من يزعم لنفسه حرية غير مقيدة لابد أنه يضر حرية غيره، لأنه فيما يزعم أن من حقه أن يصنع ما يشاء يعتدى على حرية غيره.

لذلك كان لا مفر لنا ككائنات عاقلة تحيا في مجتمع، أن يحترم كل منا حرية غيره، ويرتب تصرفاته على أساس أن هناك كائنات أخرى عاقلة تقاسمه الوجود، ومن حقها أن تعيش كما يعيش هو، ومن حقها أن تتمتع بحريتها مثله تماما. إذن لابد في المجتمع من أن تكون حرية كل عضو في المجتمع مقيدة لا حرية مطلقة، أو سائبة. ولابد لكل فرد فينا أن يشعر بمسئوليته نحو غيره، وأن يترث في تصرفاته وأقواله بل وحتى في أفكاره، لأنه ليس هو الموجود الوحيد في هذه الدنيا، بل هناك آخرون يقاسمونه الوجود ولهم مثل حقوقه وعليهم مثل واجباته.

على أن الله خلقنا متنوعين. فليس واحد منا كغيره تماما. هناك مع مساواتنا في القيمة البشرية إختلافات وفروق فردية في الإمكانيات والطاقات والقدرات، بحيث أننا في المجتمع الكبير نكمل بعضنا البعض. فكل إنسان يمتاز بشيء عن غيره، وينقص عن هذا الغير في أمر آخر بما يجعله في حاجة إلى هذا الغير. ولولا هذا لصار بعض الناس في غنى عن بعض. ولكن الله شاء أن يقوم المجتمع البشرى على هذا التنوع في المواهب والإمكانيات ليكفل التواصل بين الناس والترابط بينهم، بوجود التفاوت الذي يلزمهم بإحتياج كل منهم إلى الآخر.

لذلك وجب عليك أن تعرف حكمة الله في خلق المجتمع الإنساني، وتحترم حرية غيرك، وتنتبه إلى أهمية عملك وتصرفك وقولك لأنك به تؤثر في غيرك، وتشعر بحاجتك إلى كل إنسان، وأن تعامل غيرك كما تحب أن يُعاملك غيرك.

قال المسيح له المجد «فكل ما تُريدون إذن أن يفعل الناس بكم فافعلوه أنتم أيضاً بهم. لأن هذه هي الشريعة والأنبياء» (متى ٧: ١٢).

وجاء في رسالة القديس بولس إلى رومية «وإدين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية، مقدّمين بعضكم بعضاً في الكرامة» (رومية ١٢: ١٠) «فإنه كما أن لنا في جسد واحد أعضاء كثيرة ولكن ليس لجميع هذه الأعضاء عمل واحد. فكذلك نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وكلنا أعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة» (رومية ١٢: ٤-٦) وفيها أيضاً «فأدوا لكل واحد حقه... المهابة لمن له المهابة، والإكرام لمن له الإكرام» (رومية ١٣: ٧).

## روح وتاريخ الدين

الدينُ (أو الديانة) من منظور إجتماعى هو مجموعة المبادئ التى يرتبط بها جمعٌ من البشر، بالنظر والعمل، بالفكر والقلب والسلوك، ثابتة في كيان الإنسان، في العقل والوجدان، ويتحرك بها وينزَعُ إليها، وهى كنزة الثمين المودع في روحه منذ الخلق، ومنذ إبتداء الوجود.

والديانة عند الإنسان هى مجموعة العقائد التى انعقدت عليها نفسه، وارتبطت بها روحه، فلا ينفكُ عنها، وإن اختلفت درجة فهمه لها وإيمانه بها ورسوخه فيها، وهى مواضعات تجمع في الوقت نفسه بينه وبين الناس في المجتمع الذى يعيشه ويحياه بينهم، وإن اختلفت درجة إطمئنانه إليها من واحد إلى آخر.

وهى عملياً قوانين شرعية، يلتزم بها جمع من الناس، قوانين يجدها في بيئته، ليست من خلقه هو، مثلها مثل اللغة التى يتلقنها الطفل من والديه، ويتعامل بها مع أمه وأبيه وأسرته، في طفولته ثم مع سائر مواطنيه عندما يكبر.

الديانة إذن مجموعة من العقائد والمبادئ والمواضعات التى يرتبط بها الإنسان، كل إنسان، وهى التى تُلهم سلوكياته وأخلاقياته ومعاملاته.

والديانة لها جانبان. أحدهما مجموعة الروابط التى تربط الإنسان بخالقه ومُوجده وهو الله «باسط السموات والأرض، وجابل روح الإنسان في داخله» - والجانب الآخر هو المعاملات بين الإنسان والأغيار من البشر وسائر الموجودات والخلائق من الحيوانات والنباتات والجمادات.

وعلى ذلك فللديانة نوعان من الروابط، نوع منها يربط الإنسان بخالقه وهو (العبادات). والنوع الثانى يربط الإنسان بغيره من الكائنات وهو المعاملات.

وفي اللغة العربية الدين أو الديانة هو (دينُ) الإنسان نحو الله مستشعراً بألائه ونعمائه وفيوضات رحمته.

ولعل (الدين) في لغة العرب هو أيضاً من (دَنَا يَدْنُو) أى قَرَّبَ أو اقترَب منه.

فالدين في لغة العرب هو دينُ الإنسان وهو العبد، نحو السيد الربّ الخالق السرمدي والسرمدى.

وهو أيضاً ما يُقَرَّب العبد المخلوق ويُدِينه إلى خالقه المعبود.

أما في اللغات الأخرى الأوربية مثلا، الديانة أو الدين تسمى Religion وهى مجموعة (الروابط) التى تربط الإنسان بالله خالقه، كما أنها تربطه بالناس فى معاملاته معهم.

وإذن فالديانة تشتمل على العبادات ثم المعاملات.

وبعدُ فهذا هو المعنى الإشتقاقى لكلمة الدين أو الديانة، ثم بعد ذلك المعنى الإصطلاحى (العبادات أو المعاملات).

أما تاريخ الدين أو الديانة فهو تاريخ الإنسانية كلها. فمنذ أن وُجد الإنسان فهو يدين بالدين أو الديانة، لذلك يقولون بحق إنَّ (الإنسان كائن متدين)، أو قل إنَّ الدين غريزة فى الإنسان أى أنها طبيعة فيه منذ وجوده، فهو كائن حى عاقل متدين.

ومن هنا فإنَّ جميع المجتمعات البشرية عرفت الديانة بشقيها - العبادات والمعاملات - المجتمعات البشرية فى كل مكان وفى كل زمان، المتحضرة والمتأخرة، ومهما اختلفت أجناسها ولغاتها وعاداتها وبيئاتها.

والحق أنَّ الديانات أصولها واحدة. وهى ديانة الإنسان الأول آدم، بدليل أننا نجد أصولاً عامة مشتركة بين جميع الناس على مدى التاريخ، وفى كل زمان ومكان.

لذلك عرف الناس فى العبادات مبدأ الصلاة، والقبلة التى يتجه إليها الإنسان فى صلواته والسجود إلى الأرض، وبناء بيت للعبادة بمواصفات خاصة، وعرف الناس جميعاً مبدأ (الصوم) عن الطعام، و(الحج) إلى مكان مقدس، وعرفوا مبدأ تقديم (الذبيحة) من الحيوان للإستغفار، وكذلك (الكاهن أو الإمام) الذى يؤم الناس فى الصلاة، ويعرفهم واجباتهم الدينية.

وعرف الناس جميعاً مبادئ الأخلاق الكريمة واحترام القيم الروحية، ومبادئ الخير والبر والوفاء والصدق وإكرام الوالدين، واحترام الصغير للكبير، والعطاء والرحمة بالفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات، وعرفوا أيضاً أن يميزوا بين خير وشر، وأن يحرموا القتل والزنى والسرقه، والكذب، وإيذاء الآخرين وما إليها من شرور.

كل هذه الأمور المتفق عليها بين جميع الناس تدل على أن الأصول العامة للديانات واحدة، وأن الديانة هى فى حقيقتها هى ديانة الأب الأول آدم، ومنه أخذ جميع أولاد آدم مبادئ الديانة.

فالمصريون، والفرس والعرب، واليونان والرومان، والهنود والصينيون واليابانيون وكل الشعوب عرفت مبدأ الديانة والأصول العامة المشتركة بين جميع الديانات. والحق أنّ ما يُسمّونه (بالديانات) هي من إبتكار علماء الإجتماع، أو هي نظرة تاريخية خارجية.

ومن هنا جاءت هذه التفرقة في التسمية بين ما يسمونه الديانة الموسوية، والديانة المسيحية، والديانة الإسلامية والديانة البوذية والديانة...

تلك تفرقة تاريخية إجتماعية جاءت متأخرة في تاريخ الإنسان وحضارة الإنسان.

ولابدّ أن نعترف بأنه مع الزمن ومع إختلاف القيادات الدينية في ثقافتها وروحانيتها، نشأت أو بزغت خلافات في التفريعات والشروحات.

ومع ذلك، وعلى الرغم مما يلاحظ من إختلاف حالياً بين الأديان، في شروحات العلماء والفقهاء لكن الأصول العامة واحدة.

وعلى ذلك فما نشأ على مدى التاريخ من إنشقاكات بين الناس، ومن حروب ومنازعات بسبب تلك الخلافات على التفريعات والتفسيرات فهو من خلق القيادات الدينية والإجتماعية.

أما (روح) الديانة فهو (واحد)، وهو تقوى الله وعبادته بالروح والحق، وهو سيادة الحب والمودة وسمو الأخلاق والآداب بين الناس في المعاملات، وإدانة الشر والخطيئة، وإيذاء الغير، بالقتل، والزنى والسرقة والكذب وغير ذلك من الشرور.

ألا ليت الناس جميعاً على إختلاف دياناتهم يُدركون ويتبينون أن ما يجمعهم من الأصول الدينية أعظم وأهم مما يفرقهم.

إنها دعوة حضارية، أن يجتمع أصحاب الديانات في مؤتمرات ولقاءات بين القيادات الدينية، بحثاً عما يجمعهم ويبنيهم ويبنى حضارة الإنسان روحياً وفكرياً وعلمياً، ويرد على دعوى الإلحاد والفساد الأخلاقي، ولكن من دون أن يطرحوا جانباً نقاط الخلاف بينهم. ولعلهم بالبحث والدراسة بروح الدين والتقوى والحب يتبينون بالدرس والبحث وتقصى الحقائق، ما يردهم إلى وحدة الإيمان وهذه هي الأمنية الغالية التي نصلى من أجل أن تتحقق بروح الدين والإيمان، التي جوهرها التقوى والعبادة الصادقة والروحانية، وسيادة المحبة والأخوة والمصالحة والسلام بين جميع الناس.

## ما هو عمل رجال الدين في مجال التوعية الدينية؟

رجال الدين هم رسل الدين. الدين هو رسالتهم، هو حياتهم، هو مسئوليتهم. إنهم آمنوا به أولاً، ودخل إلى شغاف نفوسهم فصاروا هم له، وصار هو طعامهم وشرابهم، وأنفاسهم التي تتردد بين ضلوعهم، والدم الذي يجري في عروقهم. ومن فيض إيمانهم بالدين وحبهم له، ينشرونه بين الناس، ويدعون له، ويبشرون به غيرهم ممن يحتاجون إليه. إن رجال الدين هم أقدر الناس على توعية الناس بالدين، وتعليمهم إياه، وذلك بالموعظة الحسنة والقُدوة الطيبة والسلوك الحميد وبالمعرفة العميقة، والفهم السليم. ومجال رجال الدين لخدمة التربية الدينية واسع، فهم الذين يتولون تعليمه في المدارس، في مختلف مراحل التعليم، ثم يُعلّمونه في دور العبادة من مساجد وكنائس، ويُعلّمونه للناس في المنتديات العامة وفي البيوت التي يزورونها، ويدعون له في كتبهم ومقالاتهم في الصحف، وأحاديثهم الإذاعية في الراديو والتلفزيون، ثم بمراقبتهم المستمرة لكل ما يكتب ويقال حتى يجيء كل ما يكتب ويقال وفقاً لتعاليم الدين، وتنبيه أجهزة المجتمع، وخصوصاً رجال الفن والمسرح إلى احترام القيم الروحية والأخلاقية.

وهنا نجيب على سؤال عن مدى التعاون بين رجال الدين المسيحيين والمسلمين في مجال التوعية الدينية؟

هناك صعيد يلتقى عنده رجال الدين المسلمين والمسيحيين وهو صعيد الإيمان بالله، وبوحدانيته، وصفاته الحسنى، والإيمان بالحياة الأخرى وبالْحسابِ والثوابِ والعقابِ في يوم النَّشْرِ والقيامةِ العامة، ثم الإيمان بالعبادات من صلاة وصوم، ورحمة بالفقراء والمحتاجين، وبالنهى عن المنكرات كالقتل والزنى والسرقَة، والكذب والنفاق والرياء، والظُّلم، وبالحض على البرِّ بالوالدين، وإكرامهما، وبالطاعة لهما وللرؤساء وعمل الخير والمعروف بالناس جميعاً مهما اختلفت ألوانهم ودياناتهم، وسائر الفضائل من حب، وإيثار، وأمانة، ونزاهة، وشرف، وعدل.

وسؤال آخر كيف يمكن المحافظة على وحدة الأمة من الناحية الدينية والمبادئ الوافدة علينا من الخارج؟

هنا دور الصحافة، التي ينبغي أن تلتزم بعدم نشر الأخبار التي تُرُوج للفساد والإباحية، وأن تهتمَّ بإبراز كل ما يدعو إلى الفضيلة وإزكاء الإيمان بالقيم الدينية والروحية، وكذلك

دور هيئة السينما والمسرح بعدم السماح بعرض الأفلام المبتذلة والتي تتملق غرائز الشباب.

ثم يسألوننا إذا كنا نرى سن قانون لحماية الشباب من الإنحراف والمبادئ الهدامة؟

فنجيب نحن لا نؤمن بأن القانون يحمى الأخلاق. فعلماء الأخلاق يقولون: إن القانون حد أدنى للأخلاق. إن القانون يُراقب التصرفات الظاهرة والسلوك الخارجي، ولكن الأخلاق تنبع من أعماق الإنسان، ومن داخله. قال المسيح له المجد «لأنه من القلب تخرج الأفكار الشريرة، يخرج القتل، والزنا، والفجور، والسرقه، وشهادة الزور، والتجديف على الله» (متى ١٥: ١٩). إن التوعية الدينية والروحية هي أعظم وأنجح سبيل إلى بث الأخلاق. والتوعية الدينية يتولاها رجال الدين، ورجال الصحافة والإعلام والمصلحون الإجتماعيون. فإذا كان هناك سلوك شاذ يتنافى صراحة مع الأخلاقيات التي ارتضاها المجتمع، فلرجال الأمن أن يأخذوا المخالفين والمتمردين بالشدّة، وذلك بعزلهم عن المجتمع في أماكن يتوافر لهم فيها التهذيب والتأديب والإصلاح.

ثم ما هو القول فيما يطالب به البعض من وجوب تدخل رجال الدين لمنع تبرج النساء وعرض الأفلام الخليعة والأغانى المبتذلة باعتبارها من الوسائل التي تدعو إلى الإنحراف؟ نجيب بأن هذا حق، وواجب. إن على رجال الدين أن يسهروا على رسالتهم، وتوعية الناس، وأجهزة الثقافة والإعلام بمنع التبرج والخلاعة والأغانى المبتذلة، وأن يضمنوا مواعظهم في دور العبادة ومقالاتهم في الصحف، وكتبهم، هذه الدعوة الروحية الأخلاقية.

وسؤال رابع: هل ترون عقد ندوات دينية بصفة دورية؟

نعم، إننا نرجو أن يتكرر عقد ندوات دينية، وأن تساهم فيه القيادات الدينية الإسلامية والمسيحية وأن تتخذ من التوعية الدينية والروحية موضوعات لدراسة مشتركة، ومنها الإيمان بالله والرد على الإلحاد والملحدين، والدفاع عن حقيقة الحياة الأخرى والقيامة والجزاء الأخرى، من ثواب وعقاب، والدعوة إلى الأخلاقيات من حب وإخاء وعدل ومساواة وتكافؤ الفرص، والحض على البر والخير والمعروف والأمانة والصدق وعلاج الخطيئة والإنحلال، وإشاعة فضائل الشجاعة والأمانة واحترام حقوق الآخرين وما إليها من فضائل تدعو إليها الأديان.



## حرية النفس البشرية (١)

عندما نتكلم عن الحرية ما الذى نفهمه من كلمة الحرية. الحرية هي قدرة الإنسان على أن يفعل ما يريد، وكما يختار، وقدرته على أنه لا يفعل ما لا يريد أن يفعله، هي القدرة على أن يختار الإنسان ما يشاء، عندما يكون في إمكانه أن يفعل، وأن لا يفعل بحسب شأنه وإختياره دون ضغط أو كره، من دون أن يتدخل في حريته كائن آخر، ومن هنا نقول أن هناك:

١- حرية الرأي: وهي أن يرى الإنسان ما يشاء، وأن يعتقد ما يشاء، ولا يلزمه أحد في عقيدته بشيء.

٢- حرية التفكير: وهي أن يفكر الإنسان كما يشاء، ولا يوجد ما ومن يمنعه عن التفكير، في أى إتجاه يمكن أن يتجه إليه الفكر البشرى.

٣- حرية التعبير: أى أن للإنسان أن يعبر أى تعبير يراه مناسباً وملائماً لتفكيره، أو لإعتقاده أو لرأيه.

هذا هو المفهوم من كلمة الحرية: الحرية هي أن يصنع الإنسان ما يشاء، وأن يكون في مقدوره أن يفعل أو لا يفعل، بحسب رأيه وإختياره دون أن يكون لأحد دخل ما في هذا كله. ومن هنا أيضاً نفهم معنى الحرية لا بالنسبة للإنسان نفسه في حكمه على الأمور، بل بالنسبة لغيره فنقول أن هناك ما يسمى:

٤- حرية المواطن: بمعنى أن الإنسان طالما هو في وطنه فمن حقه أن يحيا في هذا الوطن بكرامته كإنسان، ومن حق المواطنين عموماً في هذا الوطن أن يعيشوا فيه بكرامتهم، ولهم فيه كامل الحقوق، وليس لبلد آخر أن يعتدى على حرية المواطن. كما أن لهذا البلد ولكل واحد من هذا البلد الحرية أيضاً، في أن يسكن في وطنه الخاص، دون أن يكون لأحد آخر من وطن آخر حق التدخل في حرية المواطن.

٥- حرية السكن: فلكل إنسان أن يسكن في المكان الذى يختاره لنفسه طالما أن إمكانياته تسمح له بهذا. وفي حرية السكن يستطيع الإنسان أن يعمل ما يشاء، في حدود

---

(١) محاضرة أُلقيت في برنامج التربية الدينية المسيحية - الإدارة العامة للتدريب بوزارة التربية والتعليم

- فبراير ١٩٧٠م.

هذا السكن، وليس لجاره أو لأى فرد آخر أن يتدخل فى مسكن هذا الإنسان أو يضايقه بنوع ما، لكل إنسان فى الوطن أو فى العالم عموماً الحق فى أن يسكن فى المكان الذى يشاؤه وأيضاً تكون له حرية الكاملة فى هذا السكن، وليس لفرد آخر أن يعتدى على حرية الآخر فى مسكنه.

٦- حرية الطعام: للإنسان أن يأكل ما يشاء، ولا حق لكائن من كان أن يفرض على الإنسان من دون إرادته، أن يأكل من طعام معين دون طعام آخر. نعم فى بعض الأحيان قد يتدخل الطبيب فينصح مريضاً أن يتناول طعاماً خاصاً لإنقاذ حياته، ولكن الطبيب لا يفعل هذا بالكراهة، أو بالجبر أو من دون إختيار المريض نفسه، فالطبيب ينصح للمريض كامل الحرية فى أن يتبع نصيحة الطبيب أو يرفضها، فى هذه الأمور وفى غيرها يتضح معنى الحرية.

**الحرية عقيدة:** هذه المجالات التى قدمناها هى مجرد أمثلة على معنى الحرية كما نفهمه أو كما نحدده، ومع ذلك فالحرية فى مفهومها الإجتماعى حق من حقوقه، فالإنسان حقوق ولكنه كفرد فى المجتمع ليس له أن يتخطى هذه الحدود، لأنه لو تخطاها اعتدى على حرية غيره، فنحن كبشر لكل من منا دائرة، وله أن يجرى فيها، ولكن إن خرج عن الدائرة يعتدى على دائرة إنسان آخر.

والمجموع البشرى مجموعة دوائر متماسة، ودوائرنا فى المجتمع البشرى ليست دوائر منفصلة، بل كل واحد له دائرة ولكن هذه الدوائر متماسة، لأن كل واحد فىنا مرتبط بشخص أو أكثر من شخص، وفى الواقع نستطيع أن نقول أن كل واحد متصل بالعالم كله، وبالمعنى الأوسع نستطيع أن نقول أن كل فرد منا متصل بالعالم المنظور فقط إنما بالعالم غير المنظور أيضاً، فكل تصرف يتصرفه الفرد منا لابد أن يؤثر هذا التصرف على أبيه أو أمه أو أخته أو أولاده أو زوجته أو أصدقائه أو جيرانه - وليس أحد معزولاً عن غيره من الناس. كل إنسان له دائرة وله أن يجرى ويفعل ما يشاء داخل هذه الدائرة. وطالما أنه لا يتخطى حدود هذه الدائرة فلا يوجد شخص يجرؤ بحق أن يعارضه، طالما أنه يجرى فى داخل دائرته الخاصة، ولكن يحدث فى بعض الأحيان أن الإنسان منا يتوسع فى مفهوم الحرية فيخرج من دائرته، دون أن يعلم أنه فى اللحظة التى فيها يخرج عن دائرته يكون قد دخل فى دائرة إنسان آخر، وفى هذه الحالة لا يكون إلا متعدياً،

ولا يستطيع هذا الإنسان أن يقول أنا حر، أفعل ما أشاء في العالم كله، لا.. أنت حر في دائرتك، لا أحد يستطيع أن يناقشك في حقوقك التي تدخل في دائرة إختصاصك، ولكن بما أننا دوائر متماسة، وبما أن هناك كائنات أخرى تعيش معنا في الحياة، فلا يمكن أن أفهم الحرية بأن يصنع الإنسان ما يشاء في الكون، ولا بد أن تفهم الحرية بهذا المفهوم المحدود، لى دائرة أجرى فيها ما أشاء ولكن لو تخطيت حدود هذه الدائرة أكون قد تعديت على دوائر أخرى، وفي هذه الحالة يكون هذا الآخر قد أعتدى عليه وأصبح غير حر، بسبب أنني تخطيت حدود غيرى فيصير غيرى غير حر. وهذا هو الذى نشتكى منه أحيانا، يقول أنا إنسان مظلوم فيشكو غيره من الناس على أساس أن واحداً اعتدى عليه. وعلى نفس القاعدة كما تشكو أنت من واحد آخر لأنه اعتدى عليك، كذلك هذا الآخر من حقه أن يشكو منك إذا أنت اعتديت على دائرته - هنا يجب أن نفهم الحرية أنها حرية مقيدة، لكل إنسان دائرة ولكن هذه الدائرة تمس دوائر أخرى، فمن ثم يجب أن نفهم أن لنا حدوداً، وأنه في نطاق هذه الحدود يمكن أن نتصرف، ولكن يوم أن نخرج عن هذا النطاق نعتدى على حريات الآخرين.

وهذا ما يحدث على سبيل المثال في حرية الملابس، صحيح أنا حر أن ألبس ما أشاء، ولكن في المجتمع البشرى سأشعر في وقت أن هناك حدوداً معينة، إذا خرجت عنها أكون قد اعتديت على حريات الآخرين، لأن في المجتمع مواضع إجتماعية. فالمجتمع له أوضاعه، صحيح أن الإنسان حر أن يلبس ما يشاء، ولكن في حدود معينة، ولا يستطيع الإنسان أن يفترض أن الناس غير موجودين، فهناك فرق بين أن يكون الإنسان في الحمام حيث يخلع أو يلبس، وأن يكون في الشارع حيث يجب أن يراعى حرمتك، والمثل العامى يقول: «كُلُّ ما يعجبك وألبس ما يعجب الناس».

٧- حرية العمل: على سبيل المثال كل إنسان منا مسئول عن عمل ما من الأعمال، له أن يتصرف في حدود مسؤوليته وإختصاصه، ولكن لا بد أن يفهم ما هى حدود هذا الإختصاص، وإلا يكون قد خرج عن دائرته إلى دائرة أخرى، فالرئيس له إختصاص والمرؤوس له إختصاص، فإذا تصرف المرؤوس في حدود وفي نطاق وظيفته وإختصاصه لا يلام على هذا، بل في كثير من الأحيان يتطلب المجتمع أن يكون كل شخص منا في حدود دائرته أن يكون مرناً، والمرونة هى قدرة الفرد على أن يتصرف التصرف المناسب غير المقيد بحدود ضيقة، تستبعد الإنسان أو تستبعد الآخرين، فلإنسان له أن يتصرف ولكن

في حدود معينة، ويوم أن يخرج الإنسان عن هذه الحدود يدخل في دائرة إنسان آخر، قد يدخل في إختصاص الرئيس وحينئذ تحدث المشكلة وينشأ النزاع بين الرئيس والمرؤوس والرئيس هنا حجته أن هذا المرؤوس خرج عن دائرته وتعدى إختصاصات الرئيس. وقد يحدث هذا بالنسبة للمزلاء، فلكل زميل له عمل وله إختصاص، وليس لزميل أن يتعدى إختصاص زميله.

ونستطيع أن نتوسع في ذلك في نطاق الهيئات، وتجد هيئة معينة لها برنامج للعمل ولها أهداف وأغراض، ولها كامل حريتها وبموجب قانونها أن تتحرك، ولكن قد يحدث في بعض الأحيان أن هذه الهيئة تخرج عن دائرتها وتعدى على هيئة أخرى، ومن هنا يحدث النزاع بين هذه الهيئات، ويقتضى الأمر إلى وجود سلطة عليا تفصل في الخصومة بين هذه الهيئة وتلك الهيئة، فالخلاف الذى ينشأ بين الأشخاص ينشأ كذلك بين الهيئات على الإختصاصات، بل ينشأ أيضا بين الدول فيما يعرف بالحدود، فلكل دولة ولكل مملكة وكل إقليم له حدود، وعندما تعدى الدولة المجاورة على هذه الدولة، في هذه الحالة تصرخ الدولة المعتدى عليها، وتبيح لنفسها في هذه الحالة أن تهاجم، وهذا الهجوم يكون هجوما دفاعيا عن حدودها، كما يحدث بين كل دولتين متجاورتين، قد تحدث بينهما الخصومة على الحدود، ولكل هذا مرجعه إلى نوع من المغالاة في نظرة الدولة إلى الحرية. دولة تنظر إلى نفسها على أنها حرة من حيث أنها تمد رجلها في غير دائرتها، ومن هنا يحدث الإعتداء والشكوى، هذا هو ما يعرف بالإختصاصات واحترام الإختصاصات، كل فرد له إختصاص وفي هذا الإختصاص حريته، ولكن ليس معنى حرية الفرد في إختصاصه أن يعتدى على إختصاص غيره.

٨- الحرية بالنسبة للكون: الإنسان منا كفرد في هذا الكون الواسع المترامي الأطراف هل هو حر بالنسبة إلى الكون؟ هناك حرية لكنها أيضا حرية مقيدة، لك حرية في أن تتمتع بالهواء والشمس والنبات والحيوان، وتستغل كل ما في الكون مما يدخل في إختصاص الإنسان ودائرة حريته، ولك أن تغلق الباب فتمنع الهواء عن نفسك، ولك أن تفتح الأبواب والنوافذ كما تشاء، ولك أن تمشى في الشمس أو في الظل كما تشاء، ولك أن تأكل من النبات أو تشتري، ولك أن تركب الدابة وتنزل عنها. في كل هذا لك الحرية، ولكن إلى أى مدى؟ هل تستطيع أن تغير الربيع إلى الصيف أو الشتاء إلى الصيف؟ أو تغير نظام الكون والشمس والزوابع والأمطار والرياح وما إلى ذلك؟، أو تغير لونك من أسود إلى أبيض أو إلى العكس؟

ففى أمور كثيرة يمكن أن يكون الإنسان فيها حراً، وأمور أخرى كثيرة أيضاً لا يستطيع فيها الإنسان أن يكون حراً، لأنها ليست دائرته هو، وإنما دائرة الخالق، ودائرة صاحب الكون الذى يرتب الكون، فنظام الكون يسير فى حتمية تامة وأنا لا أستطيع أن أغير نظام الكون.

وهذا لا يعنى أننى لست حراً، وإنما حر فى دائرة معينة، ولكن هناك إله آخر (سيد) آخر ورئيس الرؤساء وإله الآلهة، إذا كان الإنسان فعلاً إلهاً صغيراً، فإن كبير الآلهة أو سيد الآلهة وهو الله نفسه، له حقوق وله إختصاصات، وليس فى مقدور الإنسان أن يتخطى هذه الحقوق وهذه الإختصاصات.

٨- الحرية بالنسبة لقوانين الطبيعة: فقانونون مثلاً كقانون الوراثة، فماذا يفعل فيه الإنسان؟، إن الإنسان يحمل صفات معينة عن أبيه وعن أمه وعن جدوده بنسب معينة معروفة فى قوانين الوراثة، فهذه القوانين ماذا يعمل الإنسان فيها؟ إنه يستطيع أن يستعملها أو يتعامل معها، ولكن هل يستطيع أن يغيرها، إنه لا يستطيع، ولكن هذا ليس معناه أنه مُسَيَّر فى هذا الكون، لا.. إن له دائرة وله حرية من بعض الوجوه، ولكن فى نواحى أخرى كقوانين الطبيعة. يخضع الإنسان لقوانين أعلى من منسوبه هو، هذه تدخل فى دائرة الإله الأكبر الذى هو صاحب الكون، الذى ينظم الكون بأسلوب مناسباً لحفظ الكون.

قصدت من هذه المقدمة إذا شئتم أن نبين المفهوم الذى ينبغى أن نتواضع عليه، أن نفهمه للحرية، لأنه مع الأسف الشديد أن هذا المفهوم أحياناً الإنسان يخطئ فى قبوله أو تحديده، فلا بد أن نعترف أن مفهوم الحرية، وهو أن يصنع الإنسان ما يشاء، ويكون فى مقدوره ألا يصنع مالا يشاء أن يصنع، هذا المفهوم ليس مطلقاً وإنما مقيد كما ذكرنا.

### الحرية الأدبية - حرية الفعل الأدبى:

قلنا أن الإنسان لا يستطيع أن يتحكم فى لونه أو طوله أو عرضه، لأن طوله أو عرضه يخضع لقوانين الطبيعة، وبالنسبة إلى قوانين الطبيعة يمكن أن يكون للإنسان بعض الحرية فى التصرف، ولكنها محدودة، فيمكن للواحد مثلاً أن يلعب ألعاباً رياضية فيزيد بها طوله إلى حد ما، ولكن لا يقدر أن يزداد طوله بدوره إلى ما لا نهاية، وكذلك يمكن أن يتحكم فى السمنة والنحافة ولكن إلى حد ما، ولكنه لا يقدر أن يتحكم فى الزوايح والأمطار وغيرها من القوانين.

إن جميع القوانين التي نحن نعرفها يمكن أن يستغلها الإنسان، ويمكن على نوع ما أن يتكيف معها، ولكن دائرة التكيف أيضا محدودة، على أن هناك دائرة متروكة لنا، قيود حرية الفعل الأدبي تعنى أن أكون حَيِّراً أو شريراً هذه مسألتى أنا، أن أكون عادلا أو ظالما أو متسامحا أو حقوداً هذه أيضا دائرتى أنا، إن دائرة الفعل الأدبي هى للإنسان ومتروكة له كلها، وهذا هو الموضوع الأساسى لحديثنا. حرية الفعل الأدبي أن يصنع الإنسان من جهة الغير ما شاء، فالمسألة هنا متروكة له، والحرية هى كرامة الإنسان العاقل، والله عندما خلق الحيوان خلقه مقيداً فكلنا نرى أن الحيوان يتصرف نفس التصرف الذى يتصرفه حيوان آخر إذا كان من نفس الفصيلة، فالحصان والحمار والكلب والأسد والقط والبعوضة والذبابة.. كل حيوان أو طائر إذا كان من نفس الفصيلة يتصرف نفس التصرف المرسوم، ولا مجال للخطأ عند الحيوان - كذلك لا نستطيع أن نقول عن الحصان أنه أخطأ أو أصاب، ولا نقول عن الكلب أنه أصاب أو أخطأ، أى لا نحكم على الحيوان لا بالصواب ولا بالخطأ، وذلك لأنه محكوم بالغريزة، إنه لا يمكنه أن يتصرف على غير ذلك، ولذلك أيضا فليس للحيوان جزاء أخروى، أى لا ثواب ولا عقاب، صحيح أنه كما يقول علماء النفس - أن الغرائز قابلة للتكيف، ولكن التكيف شىء والحرية شىء آخر، والدليل على ذلك أن قدرة الحيوان على التكيف أمام الظروف موجودة عند كل حيوان آخر بنفس الدرجة بدون أى إختلاف، فالفأر إذا هوجم يجرى وإذا وجد مخبأً أو منفذاً خرج منه، فإذاً الحيوان عندما يهاجم يستطيع أن يتصرف بالهرب، ولكن هذا ليس معناه الحرية. وإنما كما يقول علماء النفس، هى مقدرة الحيوان على التكيف أمام الظروف التى تواجهه... هذا التكيف موجود أيضا فى طبيعته، إذن الحيوان مقيد بالغريزة فى كل تصرفاته، وكل حيوان يتصرف تصرف الآخر. إنما الإنسان وحده كما يقول بعض الفلاسفة، هو الحيوان الوحيد أو الكائن الحى الوحيد الذى يستطيع أن يخطىء. ولماذا يخطىء الإنسان؟ لأنه حر أن يفعل أو لا يفعل، هذا هو مفهوم الحرية فالإنسان حر يقرر أن يخطىء ويقرر أن يصيب، ولماذا عنده حرية؟ لأنه كائن عاقل، فبدلا من أن تتحكم فيه الغريزة التحكم المطلق كما تتحكم فى الحيوان، زوده الله بطاقة أخرى فوق الغريزة، وهى العقل الذى به يحكم الغريزة، فإذاً العقل والحرية متلازمان، فالكائنات الحرة عاقلة لذلك فهى حرة، ولذلك أيضا يوجد من الملائكة صالحون وملائكة أشرار. إذن الحرية هى كرامة الإنسان العاقل.

وهنا يسأل الإنسان لماذا بعض الناس يتمنون أن لا يكونوا عاقلين؟ فيقول بعضهم باليتنى كنت حديداً أو نحاساً، ويقول لماذا لم يخلقنى ربى كالحيوانات، وذلك تهرب من المسئولية لأن المسئولية قاسية وشديدة ويتبعها الألم، فهناك أناس تحب أن تهرب من المسئولية لذلك لا يريدون الحرية، وهو لا يعلم أن الحرية هى كرامة الإنسان العاقل، إذن أنا حر لأن الله يريد أن يجعلنى فى أسمى صورة لكى أكون مثل الله، فالله خلق الإنسان على صورته ومثاله، فكما أن الله حر يفعل ما يشاء من خير بسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل؟ هكذا أعطى الإنسان حرية، فالإنسان له أن يفعل وله أن لا يفعل خاصة فى دائرة الفعل الأدبى، يمكنه أن يصنع الخير وأن يصنع الشر وهذا بمحض حريته، لأنه مُنح العقل كمرشد وكشّاف، لأنه مادامت الغريزة لا تحكمه فلا بد أن يعلمه الكشاف، وهذا الكشاف هو العقل لكى يرى به الأمور ويحكم به بين الأمور المتخالفة.

والدليل على أن الإنسان حر هو:

١- شعور الإنسان بالحرية، إن كل واحد يناشد أنه حر، وعندما ترى إنساناً يتحداك تقول له أنا حر - حتى الناس الذين ينكرون الحرية عندما تمر بهم أزمة يقول لغيره أنا حر أقبل أو لا أقبل، وكلنا نحس أن الحرية شىء ثمين جداً، حتى لو أنكرناها فى بعض الأحيان. والإنسان لا ينكر الحرية إلا عندما يريد التخلّى عن المسئولية، ويريد أن يُحمّل المسئولية على غيره، يقول ليس هذا الأمر بإرادتى وإنما على الرغم منى، أن الله هو الذى صنع هذا، أو أن الظروف هى التى اضطررتنى لذلك، والحق أن هذا القول هو دائماً نوع من الهرب من المسئولية، إنه يريد أن يتخلص من المسئولية، فإذا سئل شخص عن كسر الكوب يقول أن الكوب هو الذى وقع منى، أى أن الغلطة هى غلطة الكوب، الكوب هو الذى انكسر وليس أنا الذى كسرته، هذا نوع من الهرب من المسئولية، إنه يحيل المسئولية على غيره، وإذا لم يجد الغير فإنه يحيل المسئولية على الظروف، وإذا لم يجد الظروف يقول الله عمل ذلك، وأحياناً يقول الشيطان عمل ذلك، وقد يكون الشيطان بريئاً من هذا الإتهام، صحيح أن الشيطان يمكن أن يغلبنى أحياناً، لكن لماذا لا أكون أنا الذى ضللت وانحرفت من تلقاء ذاتى، لكن هذه هى طريقة الإنسان لكى يهرب من المسئولية، يحيل الخطأ على غيره. ولكن فى مناسبات أخرى عندما يريد أحد أن يقهرك على أمر وأنت لا تريده فستضطر أن تنفس عن ذلك وتنفجر وتقول أنا حر أقبل هذا الأمر أو لا أقبل، ولا يوجد كائن على الأرض يملك أن يقهرنى على ذلك، وأحياناً يعلم الإنسان أن نتيجة ذلك

ضرر عليه ومع ذلك يصيح ويقول «أنا حر» فلا شك أننا كلنا نحس أننا أحرار وكلنا نحس مهما حاولنا أن نتصل في بعض الأحيان من مسئولية الحرية، لكن في أمور أخرى كثيرة الإنسان نفسه يقر أنه حر.

٢- والدليل أيضا على أن الإنسان حر هو شعوره بالندم عندما الإنسان يعمل عملا غير مناسباً، ويتبين أنه خطأ ولو بينه وبين نفسه يندم، إن شعور الإنسان بالندم دليل على إعتقاده بأنه حر. لأنه لو كان الإنسان منا غير حر فلماذا يندم؟ وأن الندم معناه أنني أشعر أنه كان في إمكاني أن أتصرف ولكني لم أتصرف، أو كان في إمكاني أن أفعل ولم أفعل لذلك أنا أندم. والندم غير الأسف، فقد تأسف على فرصة ضاعت عليك، تأسف على عدم حضور حفلة لم تعلم بموعدها، أو يتعارض موعدها مع وقتك أو موعد آخر، فتأسف لذلك لكنك لا تندم، لأنك شاعر أنه لم يكن في إمكانك أن تحضر هذه الحفلة. فلا تندم على فعل إلا إذا أنت شعرت في قرارة نفسك أنك أنت مدان فيه. الندم هو إدانة النفس للنفس والندم إذن دليل الحرية. كلنا نندم ومن منا ينكر أنه يندم في بعض الأحيان؟ فالندم معناه أنني فعلا حر وأنه كان في مقدوري أن أتصرف أو كان في مقدوري أن أمنع نفسي عن الشر ولم أمنعها، لذلك يؤنبني ضميري وما هو الضمير؟ وهو المحكمة الباطنة، الضمير يصدر حكماً وأنا لا أستطيع أن أقول له لا، قد أقول للناس من خارج أنني معذور، لكن أمام الضمير لا أستطيع، إن الضمير يلزمني بحكمه، فأحترم حكمه وأشعر أنه صادق، وعندما يقول لي ضميري أنك أخطأت لا أستطيع أن أناقش مناقشة جادة بل أخضع لحكمه. وأشعر أنه على حق وأن له سلطاناً أن يلومني، إذن الندم دليل الحرية. وكل إنسان يندم، فكل إنسان حر، ولولا الحرية لما كان الإنسان يندم.

٣- ودليل الحرية أيضا أنك تلوم غيرك - وتقول أن فلاناً أخطأ، فأنت يمكن أن تحكم على تصرفات الآخرين، وتقول أن هذا مصيب وذاك مخطيء، حتى أبوك أو أخوك أو صديقك يمكن أن تقول أنه مخطيء، عندما تحكم على شخص بأنه أخطأ، هذا دليل على أنك تشعر أنه كان في مقدوره أن لا يخطيء فأخطأ وبناء عليه فهو ملوم.

٤- ودليل حرية الإنسان أنه يستطيع أن يُغَيِّر تصرفاته، ولو كان الإنسان غير حر لما كان في مقدوره أبداً أن يُغَيِّر تصرفاته، ولكن الذي يحدث أن الواحد منا يستطيع أن يُغَيِّر تصرفاته عندما يقتنع أن هذا التصرف خطأ، وأنه ينبغي أن يغيره. ونحن في تجربتنا البشرية من الطفولة إلى الآن. وإلى نهاية الحياة نعرف أننا عندما نقنعنا بتصرف معين يستطيع الواحد أن يُغَيِّر تصرفه.



وهذا دليل الحرية عندما نقنع مثلاً أن التدخين خطأ، نستطيع أن نقلع عنه، وإن كان البعض يحتج أنه لا يستطيع فهذا مرده إلى ضعف إرادته، ولكن هناك أناس ممن لهم الإرادة القوية يمكنهم أن يقلعوا عن أى عادة من العادات. كذلك تستطيع أن تغير علاقتك بالآخرين، فالحب والكراهية تستطيع أن تبدلهما، فإذا كنت تحب واحداً ثم قيل لك أن هذا يكيد لك أو يصنع ضدك أمور، تجد أن شعورك قد تغير من نحوه وبالتالي تصرفك يتغير بإزائه ويتغير الحب ويصير كراهية، والعكس أيضاً يمكن أن تتغير الكراهية إلى حب، فقابلية الإنسان للتغير دليل حرية.

ولذلك التوبة كانت ولا زالت ممكنة في حياة الإنسان، هل هي مستحيلة؟ لا... هناك أمثلة لا حصر لها عن أشخاص خطاة وأشرار ومجرمين وفاسدين تحولوا إلى قديسين وإلى أطهار، إذن التوبة ممكنة وقد حصلت في تاريخ البشرية ولا زالت تحدث في كل يوم، وما دامت التوبة ممكنة فإذن الإنسان حر، ولو لم يكن حرّاً لما كانت التوبة ممكنة.

وهنا كانت مهمة الوعظ ومهمة الإرشاد ومهمة التعليم، إننا نفهم جلال مهمة التعليم، وجلال مهمة المعلم قائمة على أساس أنه يستطيع أن يصنع شيئاً، يستطيع أن يُقوّم الناشئة ويستطيع أن يُعدّل من تصرفات الناشئة والشباب، لذلك يظهر جلال هذه المهمة وشرفها، لذلك كلما وجد المعلم الصالح والمعلم المعد الإعداد العظيم لمهمته كلما تغيرت الأمة بأسرها، وتغير الوطن والشباب والرجال والأمة كلها والمجتمع. لذلك فإن التساهل في اختيار المعلم نكسة شديدة للأمة كلها، وكلما تساهلنا في شروط المعلم كان في ذلك خسران عظيم جداً للأمة كلها. ليس فقط من الناحية العلمية والاجتماعية والعقلية وإنما أيضاً من الناحية الأخلاقية والروحية.

وهكذا الوعظ للكبار والإرشاد والتوجيه في مجال الإصلاح الدينى والاجتماعى عند قادة الفكر من أى نوع، وعند الفلاسفة والمفكرين والعلماء في مجال القادة، الذين يوجهون المجتمع أو - الهيئات المختلفة، لو لم يكن الإنسان حرّاً لكانت جهود هؤلاء عبثاً في عبث، فلا يمكن أن يكون للوعظ وللإرشاد والإصلاح الاجتماعى قيمة أو معنى، مادام الإنسان غير حر، فأى تبرير يمكن أن يقدمه المعلم أو المرشد أو المعلم الاجتماعى أو القادة في مختلف مجالات القيادات؟ ما جدوى هذا كله إذا كان الإنسان غير حر.

هذه الأعمال وهذه الإختصاصات كل هذا من شأنه أن يرفع روح الإنسان المعنوية حينما يرى أنه يستطيع فعلا أن يصنع شيئا في المجتمع، ويستطيع أن يُعَدِّل وأن يُقَوِّم وأن يغرس الفضيلة في نفوس الناشئة، ولو لم يكن الإنسان حراً لكان كل هذا لاجدوى منه ولا فائدة فيه، ويكون عبثاً في عبث، ومضيعة للوقت، ولا فائدة لا في قراءة، ولا في درس ولا في تحصيل ولا في عمل ولا في شيء من هذا كله. وهذا هو الفرق بين الإنسان والحيوان، إن الخروف أو الجمل أو الكلب يعيش في قطيع، لذلك لا فائدة منه لجنسه ولا تقدم، فمن وقت أن عرف الحصان إلى الآن باق كما هو، والنمل من يوم أن وجد من القدم، وما كتبه عنه الإنسان وعن صفاته وخصائصه، من ذلك الوقت إلى الآن لم يتطور النمل أو يتقدم أو يتغير، ولم يتغير الخروف أو النحل أو اليمام، إنما الانسان تغير تغيرات كبيرة، والإنسان اكتسب معارف وعلوم، الفارق كبيراً بين جيل وجيل، إن الموتى لو استيقظوا الآن ورأوا ما أحرزه الإنسان في النصف الثاني من القرن العشرين لقالوا ما هذا كله؟! وأنت نفسك تحس أنك يوم أن كنت طفلاً، غيرك وأنت شاب في ربيع الحياة، وغيرك وأنت رجل، وغيرك وأنت كهل. الواحد منا يحس في حياته الخاصة بالتطور والتغير في الفكر والعمل، فكم من أفكار كثيرة كانت قديمة وواضحة وكنت مؤمناً بها، من بعد ذلك تركتها وغيرتها وانقلبت عندك إلى ما هو ضدها، هذا يرجع إلى هذه الميزة للإنسان عن الحيوان، وإلى مقدرة الإنسان على أن يغير في نفسه وأن يغير المجتمع، ليس هذا في الحيوان أبداً ولا في الطيور وليس في شيء غير الإنسان، ولأن الإنسان في مقدوره أن ينقل خبراته ومعارفه إلى غيره من الناس، وفي مقدوره أن يصنع شيئاً، ولكن في عالم الحيوان لا يوجد حيوان واحد استطاع أن يقدم إلى جيله من فصيلته أو غير فصيلته أى خدمة، وإنما كل شيء باق كما هو.

ثم لماذا يتساوى شخصان في الظروف والبيئة ومع ذلك يختلفان في السلوك حتى لو كانا أخوان من بطن واحدة ويعيشان في بيت واحد. واحد خير والثانى شرير، واحد صالح والثانى طالح، فما هو السبب مع ثبات الظروف.. إذن هذا يرجع إلى ما للإنسان من نصيب من حرية، هى التى تستطيع أن تضع هذا الفارق على الرغم من تساوى الظروف وهذا نجده في الكتاب المقدس يقول: «أنظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والموت والخير والشر..، أشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكى تحيا أنت وبنسلك» (التثنية ٣٠: ١٥ - ١٩) فإنى أنا خلقتك عظيماً، خلقتك كريماً، خلقتك على صورتى ومثالى، شرفتك بالحرية، لذلك تركت الأمر بين

يديك لتصنع أنت نفسك، وتصنع أنت مستقبلك، أما أنا فأني أنصحك وفي آخر الأيام لي الحكم عليك لأنى تركتك حراً لكى تختار ما تشاء.

ومرة أخرى يقول يشوع بن نون فى التوراة: «فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة... وإن ساء فى أعينكم أن تعبدوا الرب فاخترتوا لأنفسكم اليوم من تعبدون... وأما أنا وبيتى فنعبدُ الرب» هذا هو إختيارى «أما أنا اخترت» فأجاب الشعب وقالوا حاشا لنا أن نترك الرب لنعبدُ آلهة أخرى... فقال يشوع للشعب «ولا تقدرون أن تعبدوا الرب لأنه إله قدوس وإله غيور هو لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم ... فقال الشعب ليشوع لا بل الرب نعبد. فقال لهم يشوع أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه فقالوا نحن شهود» (يشوع ٢٤: ١٤ - ٢٢) إذن المسألة كانت مطروحة للإختيار.

وفى سفر الجامعة يقول «افرح أيها الشاب فى حادثتك وليسرك قلبك فى أيام شبابك واسلك فى طرق قلبك وبمراى عينيك، واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونة» (الجامعة ١١: ٩، ١٠)

مرة ثانية يقول الله: «هل مرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب ألا يرجوعه عن طريقه فيحيا» (حزقيال ١٨: ٢٣) إن الرب لا يريد أن نبقى فى الشر، إنما يفرح أكثر برجوع الإنسان عن طريق الشر فيحيا، إذن المسألة متروكة لنا. الله لا يلزم ولا يجبر الإنسان ثم يقول «لأنى لا أسر بموت يقول السيد الرب فأرجعوا واحيوا» (حزقيال ١٨: ٣٢) ويقول أيضا «حى أنا يقول السيد الرب أنى لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا» ارجعوا عن طريقكم الردية فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل؟ ارجعوا ارجعوا» هذه نصيحة لا بالإجبار ولا بالالزام ولا بالكراهة ولا بالضغط، ولكن نصيحة إذا رجعتم أنتم ستموتون وإن لم ترجعوا ستموتون. الله ينصح ويبين أن أمام الإنسان الحياة والموت وله أن يختار ما يشاء.

وفى سفر زكريا يقول «قل لهم يا زكريا هكذا قال رب الجنود ارجعوا إلىّ يقول الرب فأرجع إليكم يقول رب الجنود» (زكريا ١٤: ٣) إن للإنسان حرية وأن فى مقدوره أن يرجع وإلا لم يكن الله يطلب منه هذا. الله يطلب لأنه يعلم أن هذا فى مقدور الإنسان أن يفعل، ثم أن سيدنا له المجد يخاطب أورشليم ويقول لها «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم من مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة

فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (لوقا ١٣: ٣٤ - ٣٥) ... ولم تريدوا ... أنا أردت وأنتم لم تريدوا ... هذا معناه أنه يمكن أن يكون هناك تعارض بين إرادة الله وإرادة الإنسان ومعناه أيضا أن الله لم يلزم أورشليم بشيء ، وإنما تركها لحريتها فلما لم ترد لم يكرهها ولم يلزمها بشيء إنما تركها «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (انظر أيضا متى ٢٣: ٣٧، ٣٨). وأيضا عندما ذهب مخلصنا إلى الرجل المفلوج المطروح على بركة بيت حسدا منذ ٣٨ سنة يقول الإنجيل «هذا رآه يسوع مضطجعا وعلم أن له زماناً كثيراً فقال له أتريد أن تبرأ» (يوحنا ٥: ٦) يارب ألا ترى أن لي ٣٨ سنة أنت تعلم وأنت تعرف ... وهل هذا سؤال تسأله لي؟ فأنت تعرف.. لا .. لا ... حتى الشفاء لا يفرضه الرب فرضاً على الإنسان. الله يسأل الإنسان إذا كان يريد. ولابد للإنسان أن يقول أريد ... هذا برهان الحرية.

وفي (سفر الرؤيا ٣: ٢٠) يقول الرب «ها أنا واقف على الباب أقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه» فماذا لو لم يفتح؟ أنا لا أدخل .. رأيتم أكثر من هذا دليلاً على إحترام حرية الإنسان؟ ... الله يقول «أنا واقف على الباب أقرع إن فتح لي أحد ...» أى أن المفتاح من الداخل .. المسيح لا يمكن أن يقحم نفسه ... للإنسان كمال الحرية. وسفر نشيد الأناشيد يعطينا المداعبة اللطيفة ما بين النفس الإنسانية وما بين عريسها وهو المسيح له المجد، يقول إن العريس ظل يقرع على الباب قائلاً: «افتح لي يا أختي يا حبيبتى يا حمامتى يا كاملتى» (٢: ٥) والنفس من الداخل تقول له أنا غسلت رجلى فكيف أوسخهما .. إنها اعتذرت .. هل فتح العريس الباب بالقوة؟ أبداً .. وبعد قليل يقول الكتاب بلسان النفس «فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحول وعبر» (٦: ٥) فتحركت أحشاؤها من الداخل وقامت وندمت وفتحت الباب لم تجده، وطلبتة فما وجدته، دعوته فما أجابني (٦: ٥) هذه النصوص التي فيها النفس البشرية ظلت تعبه ومحتاره، وصنع لها الحراس ما شاءوا من إساءات، لأن العريس لم يستطع أبداً أن يقحم نفسه ويدخل على الرغم من إرادة النفس. وهذا دليل إحترام المسيح لحرية الإنسان.

يقول أيضا «من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدين» (مرقس ١٦: ١٦) أى أن المسألة هي مسألة من يؤمن ومن لا يؤمن .. هناك حرية ولكن هناك أيضا مسئولية. ويقول ماربطرس الرسول «لا يتباطأ الرب كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ بطرس ٣: ٩) يعنى أن مشيئة الله ليست في هلاك الإنسان ولكن في خلاصه ومع ذلك لا يجبره على ذلك.

## سؤال وجواب:-

- نقطة أخيرة. سؤال نُسأل فيه عادة، لأن هذا السؤال متصل بهذه القضية الكبيرة - هذا السؤال ورد في (رومية ٩: ٩ - ٢٣) نص يفهم منه بعض الناس أن الله يرحم من يرحم ويُقَسِّى من يقسى، والله هو الذى أختار ... أحب يعقوب وأبغض عيسو «لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله بحسب الاختيار ليس من قبل الأعمال بل من قبل الذى يدعوه قيل لها أن الكبير يستعبد للصغير كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول ألع عند الله ظلماً. حاشا. فإنه قال لموسى إنى أرحم من أرحم. أترأف على من أترأف، فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم، لأنه يقول الكتاب لفرعون إنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض. فإذاً هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء فستقول لى لماذا يلوم بعد، لأن من يقاوم مشيئته بل من أنت أيها الانسان الذى تجاوب الله ... ألع الجبله تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا» .. هذا هو النص الذى يبدو كأنه مشكل بالنسبة لنا. أو صعوبة فى فهمه، ويجد فيه الناس الذين يفتشون عن شىء يهربون به من المسئولية .. يجدون هذا النص تكئة للهرب من المسئولية ... وأن يحملوا الله المسئولية كلها، ويقولون أن الله يريد ذلك ويرغب فى ذلك والله عمل ذلك. فبالإيجاز أريد أن أقول أنه منطقياً (مع ترك النص الآن) هل يعقل أن الله يظلم؟ ... هل يعقل أن الكتاب المقدس يقول لنا أن الله يظلم؟ ... حاشا أن يظلم الله، ثم ما الداعى أن الله يحابى؟ هل هو خائف منا؟ وما الداعى أن يميز الله بين واحد وآخر؟، كلنا جبلته. وكلنا أولاده. ما الذى يجعل الله يميز الواحد فينا عن الآخر؟ لا شىء .. الله فى غنى عنى وعنك، وفى غنى عن الكل، لماذا يحابى إذن فلاناً ويظلم فلاناً، لماذا؟ هو أبو الخليقة كلها، وسيد البشر جميعاً، إذن لا يمكن أن يدخل فى حسابك بتاتاً أن الله يظلمك ... فما معنى ذلك؟ ما هذا؟ الله يريد أن يقول لنا أنه يعرف معرفة سابقة أحوالنا ... الله يعرف المستقبل كما يعرف الحاضر، الإنسان منا لأنه محدود ينظر فيفكر فى هذه الفكرة التى هو محصور فيها، هذه اسمها الحاضر. ثم أن الفكرة التى أنا تركتها قبل ذلك بدقيقة واحدة أو نصف دقيقة أو ثانية أصبحت فى الماضى، لأنى لا أفكر فيها الآن، ليست هى فى بؤرة الشعور كما يقولون فى علم النفس، والشىء الذى بعد ما أنتهى أبداً أفكر فيه، هذا بالنسبة لى هو المستقبل، فهذا التقسيم بين ما هو حاضر ومستقبل هو بالنسبة لى أنا وبالنسبة لك أنت، لأن العقل البشرى محدود وصغير ولا يستطيع أن

يفكر في شيئين في وقت واحد. فالذى يفكر فيه الآن اسمه الحاضر والذى كان يفكر فيه من مدة وذهب إلى حاشية الشعور ... هذا ما نسميه بالماضى. والشىء الذى سيأتى بعد ما أنتهى من الذى أنا فيه والذى في بؤرة شعورى نسميه المستقبل، وهذا مرجعه إلى أن الإنسان عقله محدود وصغير ولا يستطيع أن يعى ويدرك ويحيط بأكثر من شىء واحد في وقت واحد، أما الله فما الداعى أن يكون بالنسبة له ماضى وحاضر ومستقبل، الله لا يوجد له حاضر أو ماضى أو مستقبل، كل شىء أمامه ... الله يحيط بكل شىء، فالمستقبل كالحاضر والماضى، لا فرق عند الله، لذلك يعلم الله ما سيحدث بالنسبة لى أنا .. بالنسبة لى فسيحدث، لكن بالنسبة لله ليس شىء اسمه سيحدث، بالنسبة لله كل شىء منظور ومرئى ومعروف، فيعقوب معروف عند الله قبل أن يولد - الذى أنا أسميه المستقبل معروف عند الله ماذا سوف يكون، ومعروف أمام الله من عيسو ماذا سيكون، لذلك قال لها «في بطنك توأمان ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير» ولم يقل لها أنا أستعبده قال لها كبير يستعبد لصغير، ولم يقل أنا حكمت عليه بالإستعباد، هذا نوع من الإخبار بالنسبة لنا، إخبار بالمستقبل، ولكن بالنسبة لله هو فى علمه تعالى منذ الإبتداء، إذن الله يعلم وبناء عليه إذا أشار الكتاب المقدس إلى شىء من هذا القبيل فهذا ليس معناه أن الله يريد ذلك، حاشا أن ننسب إلى الله التعسف والتحكم بغير سبب، أنت لا تقبل على نفسك هذا أن تتعسف، أو يتهمك أحد بالتعسف أو تُتهم بأنك تميز تلميذاً على حساب تلميذ آخر، هذا وضع أنت لا تقبله .. لا تقبل ذلك وتعتبرها رذيلة فكيف تقبلها على الله؟ لو كنت ناظر مدرسة وتتهم بالتعسف أو التميز لمدرس ضد مدرس آخر أو لتلميذ ضد تلميذ، أنت لا تقبلها على نفسك وتعتبرها أنها مهانة لا تليق بك. لو كنت قاضياً فهل تقبل على كرامتك أنك لا تفصل فى الأمور بالحق؟؟ هل تقبل؟؟ كذلك الأمر فى دائرة العلم إن العالم الحق لا يقبل أبداً أن تتحكم فيه الأفكار السابقة، لذلك يحاول دائماً أن يكون موضوعياً ... لذلك نقول هذه صفات العلماء الحقيقيين أنهم يكونوا موضوعيين ولا يضعوا تحيزات أو أشياء شخصية فى الموضوع، ومعروف فى علم المنطق ما يسمى بالمغالطات ومن ضمن المغالطات ما يسمونه بالحجة الشخصية، فأنت لا تقبل وليس من كرامتك، ولا تسمح لنفسك ولا غيرك أن يتهمك ... إذن فكيف تقبل أن الله الذى كله عدل وكله صلاح وكله رضا، ويريدنا أن نكون على أحسن صورة، كيف تقبل وكيف تعقل أن الله يظلم، وكيف تعقل أن الله يتحكم. الله عندما يرحم واحد ولا يرحم الآخر هذا ليس مرجعه

إلى التعسف أو التحكم، وإنما إلى استحقاق هذا الشخص ... لكن الله يعرف هذا سابقاً لذلك يرحم لأن فلاناً يستحق الرحمة. «أحبيت يعقوب وأبغضت عيسو» أحبه لأنه رأى سابقاً أعماله، وأبغض عيسو لأنه رأى سابقاً أعماله. فأنت أيضاً أحياناً تنظر من الشباك فتجد شخصاً قداماً، فهل نأتى نحن ونلومك ونقول لك أنك أنت الذى أتيت به. أبداً أنت رأيته فقط. وأتيت تقول لنا أن هناك شخصاً قداماً ... فلا يلوم أحد عليك ولا يأتى الناس ويلومون عليك، إن المسئولية ليست عن القائمين بالأرصاء عندما يقولون أنه سيحدث كسوف فى الشمس أو خسوف فى القمر، لا يقولون أن الدكتور فلان أو الأستاذ فلان هو الذى أتى لنا بكسوف الشمس أو خسوف القمر ثم يحاكمونه؟ .. هذا غير معقول أنك تعتبر أن مدير المرصد هو الذى أعلن فى الصحف أنه سيحدث كذا وكذا، وأنه هو المسئول عن هذا إذا أستطاع أن يعرف نتيجة المنظار الذى ينظر فيه، فأستطاع أن يرى الأشياء المستقبلية. هكذا الله لا يمكن ولا يعقل أن الله يتحكم، من جهة صفات الكمال التى فيه، وأنه ليس عنده داع إلى هذا. ولكن كل ما هنالك أن الله يرى الأشياء قبل أن تحدث بالنسبة لنا، لأنها حاضرة بالنسبة له فيستطيع أن يقول أننى أحبيت يعقوب وأبغضت عيسو. لأنه رأى أن أفعال يعقوب تستحق الحب «وكان يعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام» ... ورأى أفعال عيسو فأبغضه من أجلها، ونفس الكتاب يقول عن عيسو «كيف فُتتس عيسو وفحصت مخابئه» (عوبديا ٦) من الذى فحص؟ من الذى عرف مخابئه؟ إنه الله، فأنت قد لا تعرف قصة عيسو بالضبط لكن الله فاحص القلوب والكلى يعرف أعماق عيسو وأيضاً فى (عوبديا: ١٠) «من أجل ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك الخزى وتنقرض إلى الأبد» من أجل ظلمك أى أنه ينسب إلى عيسو الظلم وأن له أعمالاً فعلها عيسو تستحق من أجلها أن يغشاه الظلم وأن ينقرض إلى الأبد.

وجاء فى رسالة ماربولس الرسول إلى العبرانيين «ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله... لئلا يكون أحداً مستبيحاً كعيسو الذى لأجل أكلة واحدة باع بكوريته» (١٢: ١٦، ١٥) وإذن الله لم يظلم عيسو وإنما أعطانا قبل الأوان صورة لما سيفعله عيسو، وليس هذا تحكماً ولا جبراً ولا ضغطاً ولكن الله بعلمه السابق يعرف الأمور التى ستحدث بالنسبة للإنسان كأنها حاضرة وكأنها حادثة.

يقول «ألعل الجبلة تقول لجابلها لما صنعتنى هكذا؟» ما معنى هذا الكلام؟؟ يعنى أن الإنسان يتجاوز حدوده فى الاعتراض على الله. كثيراً ما يقول الواحد لماذا يعمل الله ذلك

وكثيرا ما يتناول الإنسان ويقول أن الله ظالم. ألا ترى إن بعض الناس يوجهون الكلام إلى الله ويقولون أنت لا ترى (مش شايف)؟ هذا هو ما يناقشه بولس الرسول وكأنه يقول للإنسان اسكت ولا تتكلم، حرام، عيب، خطأ، ألع الجبله تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا؟ هذا ما نسميه بالبرهان الإسكاتي ماذا يعنى الإسكات؟ يعنى أنه عندما تجد شخصاً صغيراً معلوماته ضحلة وتافهة ولا يعلم القصة من أولها، ويأتى ليعترض عليك إعتراض تافهاً تقول له أنت تسكت «الذى أعمله أنا أعمله، أنا الرئيس، فى بعض الأحيان يصعب عليك أن تشرح لكل واحد ما تفعله، أو أن تجيب على كل من يسألك، هناك أسئلة تافهة وهناك اعتراضات تافهة، يصعب الإجابة عليها، لأنها تضيع الوقت فتضطر أن تسكت هذا الإنسان التافه، وتقول له اسكت أنت أنا أعرف ما أعمل، لكن هذا ليس معناه أنك أنت فعلا تصنع شيئاً ضد العدل، أو أنك تقر بنفسك أنك تصنع شيئاً ضد الخير، لكن معناه أنك تريد أن تسكت الشخص، لأنك تعتقد أنه يعترض بسوء أدب فأنت تسكته متضايقاً من سوء أدبه، لكن هذا ليس معناه أنك عندما تقول أنى أفعل ما أشاء أنك تظلم، أو ترضى لنفسك أن تظلم، أو ترضى لنفسك أن تصنع الشر. فأنت تقول أنا أفعل ما أشاء لتعطى لنفسك الحق فى أن تكون حراً غير مقيد التصرف، ولكنك باطنياً مقيد، مقيد بالفضيلة ... وباطنياً مقيد بالالتزامات الأدبية. هكذا الله ... الله لا يقدر أن يكذب ولا يقدر أن ينكر نفسه، وكلمة لا يقدر هنا لا تعنى ضعفاً بالنسبة له، لكن لأن هذا الشيء يتعارض مع كمالات الله. عندما أقول أن واحد منكم لا يمكن أن يكذب، فهل هذا ينسب الضعف إليه، كلا بل هو وصف له بالقوة، أنا أصفه وصفاً جميلاً وهذا مدح له، معنى ذلك أن طباعه لا تسمح له بالكذب، فهذا شرف له، فلما ترى أن الله لا يقدر أن يكذب أو ينكر نفسه فلا يعتبر هذا ضعفاً بالنسبة لله. إن الله لا يقدر أن يظلم ولا يمكن أن يظلم لأنه هو العادل الأول والأعظم، وكلّ العدالة أى العادل إلى مالانهاية .. فلتطمئن أن الله لا يمكن أن يظلم فاسكت ولا تعترض ولا تسأل هذه الأسئلة ... لأن وضع نفس السؤال مهين، وطريقة السؤال غير لائقة، فهذا هو البرهان الإسكاتي. يقول الرسول بولس اسكت أنت. أنت جبلة، أنت طين، من أنت لكى تعترض على الله؟، لكن ليس معناه أن الله يظلم أبداً، لذلك لم يقل أرحم من أرحم، وأظلم من أظلم، لم يحدث هذا إطلاقاً، وإنما قال أرحم من أرحم وأترأف على من أترأف، لم يقل أنا أظلم، ويعد ذلك تقول أنه يقسى قلب فرعون. نعم هذه ليس معناها أن الله هو الذى أدخل القسوة إلى قلب فرعون، ولكن معناها أن الله



تركه بغير نعمة فهو قد جف من نفسه، إن الشمس تذيب الشمع وتصلب الطين، على ما قال يوحنا ذهبى الفم، النعمة بعض الناس يقبلونها فتذيبهم وبعض الناس يرفضونها، ويرفضون عمل الله لذلك يتقسون، فالقسوة أو التقسى هو من الإنسان نفسه ونتيجة لتصرفه ونتيجة عمل الإنسان نفسه. وهو الذى يختار لنفسه هذا.

إنما الله يظل يلح على الإنسان ثم يتركه، وإذا تركه وتخلت نعمته عنه فهو من قبل نفسه يتقسى، ومن قبل العوامل المتلفة الأخرى مثل أصدقاء السوء الذين يساعدونه على الشر، ثم خصائصه الشخصية تساعد، والشياطين أيضاً يساعدونه، والأشرار الذين مثله يساعدونه، فيملأوا ذهنه بالأفكار الشريرة ويملأون عقله لأنه رفض مشورة الله. والله عندما يرفض إنساناً يتركه ويتخلى عنه، وذلك لأنه أولاً ظل يقرع على الباب فلما لم يجد فائدة يتركه. فالله يترك الإنسان لكن ليس معنى هذا الترك أن الله يقسى أحداً بالفعل، ولكن لأن فعل الترك يجعله يتقسى، فالله ينسب إلى نفسه هذا، لكى يبين أن الشر الذى يحدث على الأرض، فإنما هو بسماع من الله، لأنه جعل الإنسان حراً فإنه يصنع ما يشاء، فالله مسئول مسئولية غير مباشرة عن الشر - أى أن الله لا يمكن أن يكون علة أولى للشر، وإنما الله علة ثانية للشر، فإذا قتل واحد شخص آخر، فالله لا يمكن أن يكون علة أولى فى ذلك، لأن الله لا يمكنه أن يكون هو الذى أمر بأن يقتل الإنسان أخاه، بل بالعكس أن الله هو الذى قال لا تقتل، لكن لأن الله يريد الإنسان حراً فكونه ترك الإنسان ليقتل، وكان يمكن أن يمنعه من أن يقتل، هذا يعنى أن الأمر قد تم بإذنه وليس بإرادته - لذلك الله نفسه ليبين أنه هو وحده ضابط الكون، ولكى لا يأتى قوم ينادون بإله ثان - لأنه حتى الشر الذى يحدث فى الكون هو بإذنه تعالى، وليس بإرادته، لذلك ينسب الله إلى نفسه الشر أحياناً، ويقول مرة: هل تحدث بلية فى المدينة والله لم يصنعها؟ وحاشا على الله أن يكون هو الصانع الأول للبلية، إنما لأن البلية تحدث فى الكون الذى هو ضابطه ومالكه، وكان يمكن أن يمنعها ولم يمنعها فلذلك اعتبر نفسه علة ثانية للشر، ولكى يظل الله وحده هو الإله وليس غيره.

ويقول القديس أغسطينوس «الله يجازى عن الخير بخير لأنه عادل، ويجازى عن الشر بخير لأنه صالح، ولكن لا يجازى عن الخير بشر، لأن هذا ينافى عدله وصلاحه، فهو يفرح بالخير الذى تعمله، ولا يمكن أن يظلم الله الإنسان «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة» على ما يقول الرسول بولس.

## التقويم القبطى

التقويم القبطى الفرعونى تقويم قديم عريق يمتد فى القدم إلى أئرف السنين. والمصريون القدماء من أوائل الشعوب التى وضعت لها تقويماً، إن لم يكن هذا التقويم أقدمها جميعاً. ومهما يكن من أمر، فهو سابق بعشرات المئات من السنين على تاريخ الشهداء، بل على تاريخ اعتناق الأقباط لدين المسيح.

ففى ٢٩ من شهر أغسطس - أب لسنة ٢٨٤ لميلاد المسيح - وهو تاريخ اعتلاء ديوقليديانوس عرش الامبراطورية الرومانية - وقع أول توت (فى التقويم القبطى الفرعونى)، فبدأ به الأقباط حلقة جديدة من تقويمهم القديم، دعوها تاريخ الشهداء.

وأما توت أول شهور السنة القبطية الفرعونية فهو نسبة إلى العلامة الفلكى الأول (توت أو تحوت THOT) الذى وضع التقويم المصرى القديم الذى انفرد به القبط فترة طويلة من الزمن قبل أى تقويم آخر عرفه العالم شرقاً أو غرباً. وتقديراً من المصريين القدماء لهذا العلامة رفعوه إلى مصاف الآلهة، وصار توت أو تحوت عند المصريين القدماء هو إله الحكمة، ورب القلم، ومخترع الكتابة، ومقسم الزمن، لذلك خلدوا اسمه على أول شهور السنة المصرية أو القبطية. وكان رمزه هو الطائر أبيس IBIS المعروف عند المصريين بأسم (أبو منجل). وكانوا يحتنطونه بعد موته تكريماً للمعانى التى يمثلها عندهم كرمز لإله الحكمة والعلم والمعرفة.

كانت نشأة التقويم المصرى القبطى فى عام ٤٢٤١ قبل الميلاد أى فى القرن الثالث والأربعين قبل الميلاد، عندما رصد المصريون القدماء نجم الشعرى اليمانية المسمى باليونانية SEIRIOS وكان يسميه المصريون (سبديت SPDT) وهو ألمع نجم فى السماء بين كوكبة أو مجموعة نجوم الكلب الجبار أو الأكبر CANIS MAJORIS ويبعد حوالى ثمانية ونصف سنة ضوئية عن الأرض، وشروقه الاحتراقى HELIACAL RISING على الأفق الشرقى قبيل شروق الشمس، وهو يوم وصول فيضان النيل إلى العاصمة (منف) يعين أعلى درجات الحرّ، حتى عدّ عند اليونان والرومان رمزا للحر، وقد حسبوا الفترة بين ظهوره مرتين، وقسموها لثلاثة فصول كبيرة هى:

(١) الفيضان - (أخت)، و(٢) البذر (برت) أى بذر الحب أو الزراعة و(٣) الحصاد (شمو). ثم إلى إثنى عشر شهراً، كل شهر منها ثلاثون يوماً، وأضافوا المدة الباقية وهى

$\frac{1}{4}$  يوماً، وجعلوها شهراً أسموه بالشهر الصغير (أو النسيء) فصارت السنة القبطية ٣٦٥ يوماً في السنوات البسيطة، و ٣٦٦ يوماً في السنة الكبيسة.

وقد احترم الفلاح المصرى هذا التقويم نظراً لمطابقتها المواسم الزراعية، ولا يزال يتبعه إلى اليوم.

وبموجب هذا التقويم المصرى يبلغ طول السنة ٣٦٥ يوماً + ٦ ساعات. وبهذا يفترق طول السنة الشمسية (٣٦٥ يوماً + ٥ ساعات + ٤٨ دقيقة + ٤٦ ثانية) عن السنة المصرية بمقدار ١١ دقيقة + ١٤ ثانية. وهذا الفرق يتجمع فيصل إلى يوم كامل في كل ١٢٨ سنة.

ومما هو جدير بالملاحظة أن المصرى القديم مع أنه عرف الشمس وعبدها كإله باعتبارها أصل النور والحرارة، وكانت تسمى (رع) وإليها تنتسب أسماء الملوك باعتبار الملك (ابن رع) ... من ذلك أسماء الملوك: خفرع، منقرع (من كاو رع)، ورعمسيس (ابن رع) .. مع ذلك لم يتخذ المصريون القدماء الشمس أساساً للتقويم، وإنما اتخذوا نجم الشعري اليمانية (سببت)، ذلك لأن السنة الشمسية لا توصل إلى الثبات الذى تتميز به السنة النجمية القائمة على أساس رصد الشروق الاحتراقى لنجم (سببت) أو الشعري اليمانية.

وبموجب التقويم الشرقى اصطلح المصريون على تحديد عيد الميلاد فى التاسع والعشرين من شهر كيهك - الشهر الرابع - وأصله بالمصرية القديمة كاحر كاو - الروح الأول فوق الأرواح.

وفى أواخر القرن الثالث للميلاد ثار اضطهاد الامبراطور الرومانى ديوقليديانوس (٢٨٤ - ٣١٣) م على المسيحيين، ووضع الامبراطور تخطيطاً محكماً لاستئصال المسيحية يقوم على أربع نقاط: (١) قتل الأساقفة والكهنة (٢) هدم الكنائس (٣) احراق الكتب المقدسة (٤) طرد المسيحيين من الوظائف الحكومية وإباحة دمهم.

وقد نال قبط مصر من هذا الاضطهاد أعنفه، لأن ديوقليديانوس كان يرى أن رأس الحية كامن فى مصر، ولذلك جاء بنفسه إليها وأقسم بألهته الوثنية أنه لن يكف عن ذبح المسيحيين بيده حتى يصل الدم المراق من المسيحيين إلى ركبة الحصان.

وشرع الامبراطور يقتل بسيفه المسيحيين وهو ممتطٍ صهوة جواده، وحدث عند غروب الشمس أن كبا الجواد فوقع على الأرض، فبلغت الدماء المسفوكة على الأرض ركبتى الجواد، وكان الأمبراطور قد كلّ وتعب من ذبح المسيحيين، وترك السيف في يده آثاراً وجروحاً، فاعتبر نفسه أنه قد وفي جنذره للآلهة، فكف عن ذبح المسيحيين.


ونظراً لفداحة ما تحمله المسيحيون في مصر في عهد هذا الامبراطور فقد رأوا أن تبدأ في تاريخهم حلقة جديدة، فأرخوا لسنة ٢٨٤ ميلادية وهى السنة التى اعتلى فيها الامبراطور ديوقليديانوس عرش الامبراطورية، ففى ٢٩ من أغسطس من تلك السنة بدأوا أول توت لسنة ١ قبطية. ولذلك فإن التاريخ القبطى ينقص عن التاريخ الميلادى بمقدار ٢٨٤ سنة، وصار التاريخ القبطى إبتداءً من هذا التاريخ يُسمى تاريخ الشهداء الأطهار.

## عباقره ماتوا صغاراً

الاسكندر الأكبر	مات وعمره ٣٣ ربيعاً.
أحمس الأول الذى طرد الهكسوس	مات وعمره ٢٥ سنة.
المصور الإيطالى رافائيل	مات عن ٣٧ سنة.
الموسيقيار النمسوى موتسارت	مات عن ٣٥ سنة.
الشاعر الإنجليزي بايرون	مات عن ٣٦ سنة.
صديقه الشاعر شيللى	مات عن ٣٠ سنة.
الروسى النابغة بوشكين	مات عن ٣٨ سنة.
الرسام الهولندى فان جوخ	مات عن ٣٧ سنة.
الموسيقيار البولندى الفرنسى شوبان	مات عن ٣٩ سنة.
الموسيقيار النمسوى شوبيرت	مات عن ٣١ سنة.
الزعيم الوطنى مصطفى كامل	مات عن ٣٤ سنة.
رجل الفضاء السوفيتى جاجارين	مات عن ٣٤ سنة.
سيّد درويش	مات عن ٣١ سنة.

## الشهور القبطية


### شهر توت

هو أول شهور السنة القبطية - وهو من شهور فصل التخضير (تخضير الزراعة). وينطق ويكتب بالقبطية البحرية Ⲑⲱⲟⲩⲧ وبقبطية الصعيدية Ⲑⲁⲩⲧ - Ⲑⲟⲟⲩⲧ وأصله بالمصرية القديمة  وذلك نسبة إلى المعبود تحوت أو توت، أو تهوت. وهو إله الحكمة والعلم والفنون والإختراعات والأسرار الإلهية عند المصريين - وهو مقسّم الزمن، ورب القلم، ومخترع الكتابة. وهو يرسم على الآثار بصورة طير اللقلق أو البجع أو بصورة رجل برأس لقلق، أو بجع.

وقد سمى عند اليونان بهرمس، ولدى العرب بادريس، وعند الإسرائيليين بأخنوخ. وجاء في الأمثال: (توت رى ولافوت)، ويقال: (رطب توت).

### بابه

هو الشهر الثاني من شهر السنة القبطية، وهو أيضا من أشهر فصل التخضير، تخضير الزراعة.

وينطق ويكتب بالقبطية البحرية ⲡⲁⲟⲡⲓ وبقبطية الصعيدية ⲡⲟⲟⲡⲉ, ⲡⲁⲁⲡⲉ وأصله بالمصرية القديمة  وذلك نسبة إلى ايبى أو حابى - هابى إله النيل أو إلى طيبة، وله أسمان: أحدهما (بى تب دت) أو (بى نت رت). وهو إله الزرع، لأن في حينه يخضّر وجه الأرض بالمزروعات. وكان له معابد بجهة بنديد بمحافظة قنا شمال قفت، وهى مشهورة الآن باسم (بنود)، وهى من قرى مركز قوص. وله معبد آخر بجهة (تمى الأمديد) من قرى محافظة الغربية وكانت تسمى (منديس).

والأسم الثاني (بتاح رس انبف) أى الشهر المخصص للمعبود (بتاح) PTAH خالق العالم، ومركزه منف بجهة البدرشين.

ويقولون فى الأمثال:

(بابه، خش واقفل الدرابة (أو البوابة) وذلك إشارة إلى البرد.


و(إن صح زرع بابه غلب القوم النهاية).

(إن هاف زرع بابه، مايبقاش فيه ولا لبابه). ويقال: (رمّان بابه).

## هاتور

هو الشهر الثالث من شهور السنة القبطية، وهو من أشهر فصل التخضير، تخضير الزراعة.

وينطق بالقبطية الصعيدية **ḥaṭwep** وينطق ويكتب بالقبطية البحرية **ḥewp**

وأصله بالمصرية القديمة  وذلك نسبة إلى المعبودة الإلهة حاتور وهى إلهة الحب والجمال، ملكة السماء والفرح والمحبة - وكانت حاتحور تصور بصورة امرأة ذات رأس بقرة، وأحيانا بصورة بقرة - ويقابلها عند اليونان (افروديت).

وتزرع الحنطة فى هذا الشهر، وفيه يُحلى وجه الأرض بجمال الزراعة.

ولحاتحور معبد شهير بمدينة (تافتيرا)، وقد بقيت من آثارها قرية (دندرة) الواقعة غربى مدينة قنا.

ويقولون فى الأمثال: (هاتور أبو الذهب المنتور) والمقصود بالذهب هنا هو القمح الذى ينثر عند البذار. والمعنى العام من المثل: إن شهر هاتور هو شهر البذار.

ويقولون أيضا:

(إن فاتك زرع هاتور، اصبر (انتظر) لَمَا السنة تدور).

كذلك يقال: (موز هاتور).

## كيهك

هو الشهر الرابع من شهور السنة القبطية. وهو الرابع من أشهر فصل التخضير،  
تخضير الزراعة.

وبالقبطية الصعيدية ⲕⲓⲁⲥⲕ - ⲭⲟⲓⲁⲥⲕ

وينطق ويكتب بالقبطية البحرية ⲭⲟⲓⲁⲥⲕ

وأصله بالمصرية القديمة ⲕⲓⲁⲥⲕ وهو عيد اجتماع (الكا) مع (الكا)، وهو  
مخصص للمعبود (كا ها كا)، أو للمعبودة (سخت) أو (بست) التي تصور بصورة  
إمرأة ذات رأس هرة (قطّة).

والمعبود (كا ها كا) هو إله الخير، وهو الثور المقدس المعروف عند العامة بالعجل  
(أبيس).

وكان لهذا الإله معبدان:

أحدهما بمدينة (أبيدوس) القديمة بقرية (العرابة المدفونة) على حافة الصحراء غربى  
مدينة البلينا بمحافظة سوهاج. وكان اسمها القديم و (إبدو) وكتبه اليونان (أبيدوس)،  
وهى من بلاد الإقليم الثامن من أقاليم الوجه القبلى.

وثانيهما بمدينة (سايس) القديمة التى تعرف آثارها الآن بقرية (صا الحجر) الحالية  
فى غرب محافظة الغربية على مقربة من كفر الزيات. وكانت تسمى فى العصر الفرعونى  
(ساو) وهو الأسم الذى حرقه الأغرريق إلى سايس عاصمة الإقليم الخامس من أقاليم الوجه  
البحرى.

وفى هذا الشهر (كيهك) يبلغ الليل نهايته من الزيادة، لذلك يقولون فى الأمثال:

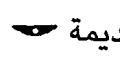



(كياك (كيهك) صباحك مساك - تقوم من فطورك تحضر عشاك).

ويقال أيضا: (سمك كيهك).

## طوبه - طوبى

طوبه هو الشهر الخامس من شهور السنة القبطية. وهو الأول من أشهر فصل (الحصيدة).

ويُنطق ويكتب بالقبطية الصعيدية  $\tau\omega\beta\epsilon$  وبالقبطية البحرية  $\tau\omega\beta\iota$ .

وأصلها بالمصرية القديمة     شف بطى

بمعنى (الأسمى) أو (الأعلى)، ثم قُلبت إلى طوبه أو طوبى بمعنى الذرة *maise*

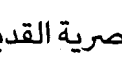



وهو مخصص للمعبود (أمسو) ويسمى أيضا (خم)، وهو شكل من أشكال آمون رع إله طيبة بمصر العليا، أو هو إله نمو الطبيعة، لأن في مدته يكثر المطر وتدسم الأرض - وعلى ذلك فهو أيضا: إله المطر. وعلى اسمه سميت مدينة طيبة المعروفة الآن بالأقصر. ولما كان المطر يغسل ويطهر - فقد صارت (طوبه - طوبى) بمعنى (غسل أو تطهير).

ويقولون في الأمثال: (طوبى تخلى العجوزة كركوبة، من كثرة البرد والرطوبة)، (طوبى أبو البرد والعنوبة (الآلام)، وفي طوبه - (الشمس تزيد طوبه)، ويقال: (ماء طوبه).

## أمشير

أمشير هو الشهر السادس من شهور السنة القبطية. وهو الشهر الثانى من أشهر فصل (الحصيدة).

وينطق ويكتب بالقبطية الصعيدية  $\alpha\epsilon\chi\iota\rho$  وبالقبطية البحرية  $\alpha\epsilon\chi\iota\rho$

وأصله بالمصرية القديمة     وذلك نسبة إلى عفريت الزوابع *Genius of Wind*، وقيل إنه أخذ من إله الشياطين لحصول الزوابع والأهوية فيه، وهو مخصص لنزول الشمس الكبيرة، وهو شهر النار أو الحرارة الكبيرة كما يقول الآن عامة المصريين (الشمس الكبيرة نزلت) - والمعنى أن هذا الشهر هو شهر بدء الحرارة.

ويقولون في الأمثال: (أمشير أبو الزعابير)، و(أمشير أبو الطبل الكبير، وأبو الزعابير (الزوابع) الكثيرة)، و(أمشير يقول للزرع الصغير: حصّل الكبير)، وأمشير - يقول للزرع: سير بلا تعسير. والزرع القصير يحصّل الطويل)، و(أمشير - فيه الشمس تزيد حصير)،



وأمشير يقول لبرمهات: عشرة منى خذ، وعشرة منك هات، تطير العجوز بين السفكات - ومعنى ذلك أن عشرة الأيام الأواخر من شهر أمشير، وعشرة الأيام الأوائل من برمهات هي من أصعب أيام الشتاء بالنسبة لكبار السن بسبب الزواجع. ويقال: (خروف أمشير)

## برمهات

برمهات هو الشهر السابع من شهور السنة القبطية - وهو الشهر الثالث من أشهر فصل (الصيد).  
فصل (الصيد).

وينطق ويكتب بالقبطية الصعيدية  $\overline{\text{παρμηατ}}-\overline{\text{παρμηαπ}}-\overline{\text{παμνησοτπ}}$

وبالقبطية البحرية  $\overline{\text{φαμενωθ}}$

وأصله بالمصرية القديمة  $\overline{\text{𓆎𓅓𓏏𓏏}}$  وهو أمنتب الثالث العظيم الذى ازدهرت فى عهده البلاد واتسع نفوذها. وذلك نسبة إلى الملك أمنتب الذى ألوهه بعد وفاته - وهو أمنتب الثالث العظيم الذى ازدهرت فى عهده البلاد واتسع نفوذها.

ويسمى هذا الشهر أيضا بالمصرية القديمة (بامونت) أى إله الحرارة، وإله الحرب وسعير نيرانه. لأن فيه تشتد الحرارة لإستواء المزروعات بها. ولذلك سماه المصريون أيضا  $\overline{\text{Ροκθ υερα}}$  أى شهر الشمس أو الحرارة الصغيرة.

ويوصف أيضا بالثور المنصور.

ويعد يوم ٢٩ من هذا الشهر برمهات، رأس السنة الدينية عند الأقباط، لأن فيه كان بدء الخليفة، وفيه بشرى الخلاص ببشارة الملاك جبرائيل للعدراء مريم بالحبل الإلهى (عيد البشارة) وفيه تمت قيامة المخلص من بين الأموات. ويقال أيضا إنه فى هذا الشهر سوف تكون نهاية العالم، والقيامة العامة لجميع الناس، فتقوم الأجساد وتتحد بأرواحها إستعداداً للدينونة العامة.

ويقولون فى الأمثال: (برمهات اطلع (روح) الغيط، وهات قمحات وعدسات وبصلات). ذلك لأنه فى هذا الشهر يتم نمو الزراعات، ويبتدىء الحصاد، ووضع الغلة بالأجران.

## برموده

برموده هو الشهر الثامن من شهور السنة القبطية. وهو الشهر الرابع من أشهر فصل (الحصيدة).

وينطق ويكتب بالقبطية الصعيدية  $\text{παρμιουτε}$  وبالقبطية البحرية  $\text{φαρμιουθαι}$  وأصله بالمصرية القديمة  $\text{𓆎 𓆑 𓆒 𓆓 𓆔}$  وذلك نسبة إلى رنوته Rennute أو رنوده، الأفعى المقدسة، إلهة الزراعة والحصاد.

وهو مخصص للمعبود رنوته أو رنوده إله الأرياح القارصة أو إله الموت، ويصوّر بصورة أفعى أحياناً.

ذلك لأن في هذا الشهر ينتهى عمر الزرع، ويقحل وجه الأرض إذ هو موسم الحصاد. ويقولون في الأمثال: (برموده دق بالعمودة) لأن في هذا الشهر يتم الحصاد. ويقال أيضاً: (ورد برموده).

## بشنس

بشنس هو الشهر التاسع من شهور السنة القبطية. وهو الشهر الأول من أشهر فصل فيضان النيل.

وينطق ويكتب بالقبطية الصعيدية  $\text{παϣωνc}$ ,  $\text{παϣωνc}$

وبالقبطية البحرية  $\text{παϣωνc}$  -  $\text{παϣωνc}$


وأصله بالمصرية القديمة  $\text{𓆎 𓆑 𓆒 𓆓 𓆔}$  وذلك نسبة إلى (خونسو) معبود طيبة، إله القمر، وأحد الثالوث الطبائدى (نسبة إلى طيبة) وهو ابن (آمون رع)، و (موت)، ويرسم على الآثار حاملاً فوق رأسه قرص القمر والهِلال. - وهو الحاسب للمواقيت، اشتق اسمه من فعل (خنس) بمعنى يعبر، وذلك إشارة إلى عبور القمر للسماء. وكان يطلق عليه كثير من الألقاب والصفات، فكان (سيد الزمن) و (حاسب المواقيت) كما كان يطلق عليه (الطفل) و (سيد السرور) و (معطى النباتات)، ونسبت إليه القدرة على طرد الأرواح الشريرة. وكإله للقمر وحث المصريين بينه وبين (تحوتى) في الأشمونين.

وخونسو يسمّى أيضا إله النور، وهو يساعد الشمس في إزالة ظلام الليل.  
وفي هذا الشهر (بشنس) يأخذ النهار في الإزدياد إلى أن يبلغ أربعة عشر ساعة في شهر  
بؤونه.

ويقولون في الأمثال: (بشنس يكنس الأرض كنس)، وذلك لخلو الأجران من القمح.  
ولأنه في شهر بشنس تكون جميع المحصولات قد حصدت ودرست، ولم يبقَ منها شيء في  
الحقول والغيطان، فتظهر الأرض كأنها مكنوسة. ويقال: (نبق بشنس).

## بؤونه - بؤوني

بؤونه هو الشهر العاشر من شهور السنة القبطية - وهو الشهر الثاني من أشهر  
فصل فيضان النيل.

وينطق ويكتب بالقبطية الصعيدية  $\pi\alpha\omega\eta\epsilon - \pi\alpha\delta\eta\epsilon$  وبالقبطية البحرية  $\pi\alpha\omega\eta\iota$   
وأصله بالمصرية القديمة  ويسمى بؤونه الحجر نسبة إلى وادى الملوك  
الحجرى.

وهو مخصص للإله (خنثى) أحد أسماء حورس أو الشمس ومعناه إله المعادن  
لأنها فيه تستوى هى والأحجار الكريمة لشدة الحرارة والقيظ. ولذا تسميه العامة  
(بؤونه - بؤوني - الحجر).

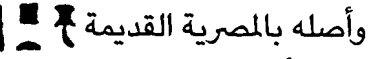

وفي الثاني عشر من شهر بؤونه يكون عيد نزول النقطة، فهو بدء الفيضان للنيل الذى  
به تكون حياة مصر، حتى لقد اعتقد المصريون منذ القديم أن مصر هبة النيل، ومن هنا  
فقد ألهمه المصريون القدماء.

ويقولون في الأمثال: (بؤونه تكثر فيه الحرارة الملعونة)، ويقال (عسل بؤونه).

## أبيب

أبيب هو الشهر الحادى عشر من شهور السنة القبطية، وهو الشهر الثالث من  
أشهر فصل فيضان النيل.

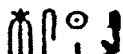
وينطق ويكتب بالقبطية الصعيدية  $\epsilon\pi\epsilon\pi$  وبالقبطية البحرية  $\epsilon\pi\eta\eta\pi$

وأصله بالمصرية القديمة  أو  عيد المعبودة أبيبي أو إبيي أو إبيفي أو إبي (إبت) تاورت - وكانت ترسم على شكل فرس النهر - أو ابيبي) وهو الثعبان الكبير الذى أهلكه حورس أو الشمس ابن أوزيريس، دلالة على إنتقام حورس لأبيه أوزيريس أى النيل من عبوه تيفون أى التحاريق - ويسمى أيضا إله الفرع، أو هعبي: إله النيل.

ويقولون فى الأمثال: (أبيب) طباخ العنب والزبيب)، وذلك لأن فيه يتم استواء بعض الفاكهة وأهمها العنب والزبيب، و (إن أكلت ملوخية فى «أبيب» هات لبطنك طبيب)، ويقال كذلك: (تين أبيب).

## مسرى

مسرى هو الشهر الثانى عشر من شهور السنة القبطية - وهو الشهر الرابع من أشهر فصل فيضان النيل.

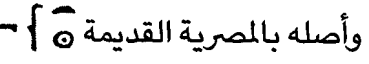
وينطق ويكتب بالقبطية الصعيدية  $\mu\epsilon\sigma\omega\rho\eta$  وبالقبطية البحرية  $\mu\epsilon\sigma\omega\rho\eta$  وأصله بالمصرية القديمة  ومعناه (عيد) ولادة الشمس أو حورس.

وقد كان المصريون القدماء يحتفلون فى الثانى عشر من شهر مسرى بعيد (ابوت) الذى كان يقام بمناسبة وفاء نهر النيل العظيم الذى يفيض بالخير العميم ماءً وطمياً وخصباً للحياة مع مطلع كل فيضان. وكانت حساباتهم الفلكية مع مظاهر الطبيعة لاتخيب. ويقولون فى الأمثال: (مسرى تجرى فيها كل ترعة عسرة)، و (وإن جاءت مسرى تعجعج بنيلها الأخير فى نيل يجىء فى توت). ويقال أيضا (عنب مسرى).

## الشهر الصغير - أيام النسيء

ومدته خمسة أيام تضاف إلى الإثنى عشر شهراً لإتمام أيام السنة ومدتها ٣٦٥ يوماً

وينطق ويكتب بالقبطية  $\pi\iota\kappa\omicron\upsilon\tau\chi\iota\ \eta\alpha\beta\omicron\tau$

وأصله بالمصرية القديمة  ومعناه الخمسة الأيام الزيادة على السنة.

والنسيء معناه فى اللغة (التأخير) أو (العقيب) أو (الشهر الصغير).

## العادات الفولكلورية المتبعة إبتهاجاً بمولد الطفل

لميلاد الطفل بهجة وأفراح في بلادنا ولاسيما في الريف، يشارك فيها كل أعضاء الأسرة، والأقارب والمعارف وكل من بالبلدة، وذلك على حسب أهمية الطفل وأهمية أسرته في مجتمع القرية، وخصوصاً إذا كان الطفل مرغوباً فيه بشدة من أبويه، إما لأنه جاء بعد فترة توقف عن الولادة، أو لأنه سيحمل اسم والده العظيم، فيكون الخلف المرتقب لوالده، يدفع عار العقم عن أمه، ويرفع رأسها ويرد إعتبارها، ولأنه فيما بعد سيكون عوناً لوالديه في شيخوختهما وكبرهما، يكافح ويعمل فيكون ثروة إقتصادية وسندا وقائد المسيرة لأسرته وعشيرته وبلده.

وتعبيراً عن أهمية الطفل الوليد، وإبتهاجاً بقدمه وحلوله في الأرض، تقام له الإحتفالات، شكراً وتمجيداً لله الذي أعطاه، وحفظه في بطن أمه ورعاه، ثم أخرجه من بطن أمه سليماً وحفظ أمه فعاشت معه وكان يمكن أن تتعرض لأخطار تؤدي بحياتها وحياة جنينها.

وإذا كان للضيف تحية وتكريم، فتنحصر له الذبائح وتولم الولائم، وتُمدّ الموائد بحسب ما يستحقه هذا الضيف من ترحيب لمقدمه وإقامته، نظراً لمكانته عند أهل البيت أو البلدة، فالطفل هذا المولود الجديد هو أيضاً ضيف نزل حديثاً إلى الأرض، وكان قبلاً ينتمي إلى عالم آخر، فروحه هبطت من عند الله في رحم الأم، عندما تهيأت في بطن الأم بذرة الحياة الأولى (الزيجوت) المتكونة من الأب والأم وفقاً لقانون الزواج، فكان لابد أن يعبر الوالدان والأسرة عن فرحهم بهذا الكائن الصغير الجميل، الذي يحمل في تكوينه الباطني والخارجي، عشرات بل مئات البيئات على عظمة الخالق وما أودعه في الطبيعة من أسرار ونواميس. فكل عضو في الطفل بل كل جزء منه، عضواً أو مفصل، باطن أو ظاهر، هو خلق رائع فيه جمال لا يوصف، وحكمة للخالق لا تدرك ولا يسبر غورها، وقدرة لا يحاط بها ولا يعبر عنها، ولذلك يوصف الله عند الإنسان بأنه ما حير العقل، وأنه غير المدرك، وغير المحوى، الذي لا ينطق به، والذي لا يوصف، والذي لا يعبر عنه. وخلق الطفل الصغير يثير في الإنسان كل هذه المعاني فيسبح الخالق ويمجده.

فلا غرابة أن يكون من بين عاداتنا الشعبية في مصر أن يقام في اليوم السابع لميلاد الطفل إحتفال لائق بمولده، فيه يغنون الأغاني المفرحة وينشدون الأناشيد المبهجة،

ويدقون الطبول، ويرقص الأطفال والشباب على نغمات الموسيقى من زمر وطبل ونفخ في الأبواق وفي العود والرباب، وتغنى النساء والبنات بأصوات رخيمة أغانى التهليل، والكل مبتهج سعيد. ولا بد للطفل الوليد أن يبدي نوعاً من التهليل على صورة بسيطة، فقد يبتسم أو ترتسم على وجهه الصغير وعيونه الدقيقة، علامات يترجمها الكبار بأنها سعادة وسرور، فيزداد فرحهم به، ورقصهم من حوله وتيمنهم به، ويأخذون في الدعاء له ولوالديه بالصحة والسعادة وطول البقاء، وأن ينشأ في عز والديه، متنعماً بالرخاء والرفاء وطول السنين.

ومن العادات المألوفة عند الأقباط أنهم يستحضرون في اليوم السابع لميلاد الطفل طستا متوسط الحجم يكفى لحميم الطفل، يصبون فيه قدرًا مناسباً من الماء ويضعون فيه قليلاً من الزيت والملح ثم يوقدون سبع شمعات. وقبيل الزمر والطبل والتراتيل والموسيقى الشعبية، يباشرون طقساً دينياً يعبر عن الشكر والتمجيد لله الذى خلق فأبدع في خلقه كل جمال. ويقود الحفل الدينى رجل الدين، أى القسيس، الذى يصلى لله «صلاة الشكر» ويحرق البخور تعبدًا لله. ويقرأ من الكتاب المقدس فصولاً مناسبة يرد فيها قول الوحي «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك»، وأيضاً «أنا أكون له أباً وهو يكون لى إبناً» ثم يقول «أنت أيها الرب أسست الأرض في البدء، والسموات هى صنع يديك. هى تزول وأنت تبقى وكلها تبلى كثوب. وتطويها كالرداء فتتغير، وأنت أنت وسنوك لن تفنى» ثم يقرأون من سفر المزامير «سبحوا أيها الفتيان الرب. سبحوا اسم الرب. ليكن اسم الرب مباركاً، من الآن وإلى الأبد. هلولوا». ومن الإنجيل يرتلون قوله «والكلمة اتخذ جسداً، وحل بيننا ورأينا مجده...» ثم ينشدون بعض الأناشيد الدينية والألحان بأنغام التهليل والفرح المناسبة للأعياد. وبعد ذلك يصلى الكاهن صلاة يقول فيها «ياالله العظيم الأبدى الرب القادر على كل شيء... يا من خلقت العالم بحكمتك التى لا تستقصى، وجبلت الإنسان على صورتك ومثالك، وملأته من رحمة صلاحك، وزينته بكل بهاء، ومنحته حكمة وفهماً، وسلطته على كل شيء ... نسأل ونتضرع إلى جودك من أجل عبدك (الطفل فلان بن فلان). باركه بكل البركات السماوية، وبارك يارب ميلاده، وليطل عمره كنعمتك حتى ينمو ويكبر ... وليفرح به أبواه، ويسرًا بميلاده مثل زكريا وأليصابات ... وبك يليق المجد والإكرام الآن وكل أوان، وإلى دهر الدهور أمين».

ثم يرتلون لله قائلين: «سبحوا الرب من السماوات سبحوه في الأعلى. سبحوه يا جميع ملائكته ... سبحيه يا جميع قواته. سبحيه أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور، سبحيه يا سماء السموات ... هو قال فكانت. هو أمر فخلقت ... سبحى الرب يا كل الشعوب، الرؤساء وكل قضاة الأرض، الشباب والعدارى، الشيوخ مع الأحداث، فليسبحوا جميعاً اسم الرب، لأنه قد تعالى اسمه وحده .. أنشدوا للرب نشيداً جديداً ... فليسبحوا اسمه القدوس ... بالطبل والمزمار يرتلون له، لأن الرب يسر بشعبه ... سبحوا الله في جميع قديسيه، .. سبحوه على مقدرته، سبحوه ككثرة عظمته، سبحوه بصوت البوق، سبحوه بالمزمار والقيثار، سبحوه بالدفوف والصفوف، سبحوه بالأوتار والأرغن، سبحوه بصنوج حسنة الصوت، سبحوه بصنوج التهليل. كل نسمة فلتسبح اسم الرب إلهاً، هللويا».

ثم يحمم الكاهن الطفل في الطست بالماء، ويقول البركة الختامية.

وبعد أن يختم الطقس الدينى بمراسمه وصلواته، تمتد الإحتفالات الشعبية بالغناء والموسيقى، والتراتيل وتحتوى على تمجيد الله، وعلى الدعاء للطفل، والتبريك لوالديه وأهله.

## الغرب مدين للشرق بحضارته

نحن في الشرق لنا تراث ضخم، أكبر مما لأهل الغرب من تراث. ليس فقط لأن الشرق منبع الأديان، وإنما أيضا هو منبع الحضارات. والعلماء من أهل الغرب يرددون اليوم هذه المقولات ويشيدون بحضارة الشرق ويعلمون أبناءهم في المدارس والجامعات أنهم مدينون للشرق بالكثير، والكثير جداً، خصوصا بالأصول الحضارية، التي أخذوها عن الشرق. وفي تاريخ الفلسفة إذا وجد مؤرخو الفلسفة في إحدى الفلسفات عناصر روحية يقررون أنها مسروقة أو مأخوذة من الشرق. وهذا ينسحب على الفلسفة اليونانية بعامة كما ينسحب على الفلسفة الحديثة.

وهكذا قل عن الحكمة القديمة هي أيضا أصولها شرقية سواء في بلاد الشرق الأوسط، ومنها على الخصوص مصر وسوريا والعراق وايران وفلسطين، أو بلاد الشرق الأقصى، ومنها على الخصوص الهند والصين ... وإلى اليوم نجد علماء الغرب وأدباء الغرب يتلمذون على الحكمة القديمة، ويشيدون بها، وينقلون عنها لشعوبهم، ويترجمون عنها إلى اللغات الحديثة.

ولذلك وجدنا من الغربيين مستشرقين جذبتهم وأثارتهم علوم الشرق وحضارة الشرق القديم، ومنهم من وهبها حياته .. ومنهم من ترك تخصصه العلمي والفني وانجذب نحو علوم الشرق، ومن شدة ولعه بها أطلق لحيته وشاربه على الطريقة الشرقية، تعبيراً عن حبه للشرق وشغفه بالحضارة الشرقية.

ورأينا بعض الغربيين يسعى إلى الشرق، ويرحل إليه في سياحة علمية أو روحية بترده على الشرق مرات ومرات، وبعضهم ممن تسمح له ظروفه هاجر إلى الشرق هجرة كاملة أو هجرة جزئية، لأنه أحب الشرق وعشقه، وصار يدافع عن الشرق بحماسة كبيرة أكثر من حماسة الشرقيين للشرق.

وبعضهم تحمل في سبيل الدراسات والعلوم الشرقية ما تحمله الأنبياء في سبيل دعوتهم، فنال من التحقير والإزدراء والاستهجان من مواطنيهم ما ناله الأنبياء. فضلا عن أنه لم يجد من الجامعات الغربية في مبدأ الأمر أو من الحكومات ما يشجعه على دراساته في الشرقيات، فكان ينفق على شراء المخطوطات الشرقية والعلوم الشرقية من دخله الخاص. وفي سبيل رسالته التي لم يفهمها أهل بلده عاش فقيراً .. وقنع بملابس



بالية في حياة قاسية شبيهة بحياة الرهبان، حتى نعتهم بعض علمائنا الشرقيين بالزهد في سبيل العلم، وقالوا عنهم: إنهم رهبان العلم.

فالدراسات المصرية القديمة اهتم بها الغربيون قبل أن يتنبه لأهميتها المصريون المحدثون. أما المصريون فغلب عليهم الاعتقاد أن هذه الحضارة المصرية القديمة وثنية، ولذلك يجب أن تُستبعد وأن تُطمس معالمها، ولم يتنبه لها المحدثون من المصريين إلا بعد أن سبقهم إليها الألمان والانجليز والفرنسيون، والطيان والروس، والأمريكان، وغيرهم من علماء الغرب - وصار المولعون بالدراسات المصرية القديمة من المصريين، يذهبون لدراساتها في بلاد الغرب ويدرسونها على علماء الغرب.

وهكذا صنع الغربيون بالدراسات الشرقية الأخرى، وما خلفه الأدب السرياني القديم، والأدب العربي، والأدب الفارسي وغير ذلك من الدراسات الشرقية.

وهكذا صنع أهل الغرب في دراسة العلوم الروحية والحكمة القديمة في الهند والصين وغيرهما من شعوب الشرق الأقصى التي كُتبتَ بهما أصلا تلك العلوم وتلك الحكمة ..

لماذا إذن نتردد بين الأصالة والمعاصرة؟

إن لنا تراثا في الشرق مجيداً. وهذا التراث المجيد يجب أن نعتز به وأن نُحبيه، وفي سبيل إحيائه لا نتردد عن أخذه من علماء الغرب إذا لم يكن ميسورا لنا أن نأخذه من ينابيعه الأصلية بسبب جهلنا باللغات القديمة التي كُتبتَ بها. ونحن لا ننسى في هذا ما كتب على مدى التاريخ في اللغة العربية القديمة والأصيلة، حتى بات علماء الغرب أكثر علماً بعلوم الشرق وحكمة الشرق، وأدب الشرق من أهل الشرق أنفسهم .. وصار أهل الشرق يدرسون فلسفة اليوجا في اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية بدلا من أن يدرسوها بالسانسكريتية وما إليها من اللغات الهندية التي كتبتَ بها أصلاً.

هكذا تبين أن الغرب تتلمذ على الشرق، وقدم للشرقيين علومهم وحكمتهم بلغة الغرب التي صار الشرقيون يفهمونها أكثر مما يفهمون اللغات الشرقية الأصلية.

وهنا يجيء دور الترجمة، وأهميتها في حياتنا المعاصرة. إننا نحن أبناء الشرق العربي صرنا في إفتقار شديد إلى معرفة تراثنا الشرقي وخصوصا التراث القديم الذي كُتبتَ أصلا بلغاتٍ قديمة أو لهجاتٍ أو خطوطٍ قديمة غير مستخدمة الآن، وصار أيسر علينا أن

نقرأها بالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية من اللغات الحديثة، لأن علماء الغرب نقلوها إلى لغاتهم، فإذا قرأناها نحن باللغات الأجنبية الحديثة، فهذا الانفتاح على الغرب، يفيدنا لأننا نجد فيه بضاعتنا القديمة وقد ردت إلينا. ولكي نفيد نحن منها وتفيد منها شعوبنا الشرقية بعامةٍ والعربية بخاصةٍ. صارت تلزمننا حركة ترجمة واسعة من كتب الغرب إلى لغتنا العربية، وهذا فيه إثراءٌ لأدبنا العربي، سواء بنقل النصوص ذاتها المدون بها تراثنا الشرقي والعربي، أو التعليق عليها ومناقشتها ونقدها ودراستها من جانب المستشرقين من أهل الغرب.

### براعة المهندسين الأقباط في بناء المساجد

ذكر «الأزرقي» في كتاب أخبار مكة، أن الكعبة طغى عليها قبل ظهور الإسلام سيل عظيم صدّع جدرانها، فأعادت قريش بناءها مستعينة في ذلك بنجار قبلى كان يسكن مكة.

وتسجل الأوراق البردية التى عثر عليها فى مصر، أن الوليد استعان بالقبط فى بناء مسجد دمشق، والمسجد الأقصى، وقصر أمير المؤمنين هناك.

ويذكر «البلاذرى» فى فتوح البلدان أن الوليد استعان بالقبط فى إعادة بناء مسجد المدينة. ولما أعاد عمر بن عبد العزيز بناء الجامع النبوى فى المدينة، عهد بذلك إلى معماريين من القبط بنوا فيه أول محراب مجوّف فى الإسلام

وثبت أن قصر المشتى فى شرق الأردن، الذى بنى فى منتصف القرن الثامن الميلادى قد تأثر فى زخارفه بالزخارف القبطية، وفى تخطيطه بتخطيط الديرين الأبيض والأحمر بسوهاج.

وحينما فكر أحمد بن طولون فى بناء مسجده المعروف فى القاهرة، عهد بالبناء إلى مهندس قبلى هو سعيد بن كاتب الفرغانى، وقد استخدم فيه عمودين فقط، فى الوقت الذى قال فيه المهندسون الآخرون لابن طولون أن البناء يتطلب ٣٠٠ عمود، فدل ذلك على براعة فائقة من المهندس القبطى، وقد أشار إلى هذه البراعة العلامة كريزويل فى مقال نشره بمجلة جمعية الآثار القبطية سنة ١٩٣٩.

## وحدة فكرية تربط الشرق والغرب

لم يعد صحيحاً ما كان يقال قديماً: إن الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان، فالواقع اليوم أن الشرق والغرب صارا يلتقيان على صعيد العلم والمعرفة والثقافة، فإن الغرب أخذ من الشرق الكثير ومازال يأخذ، وعلماء الغرب يعترفون بغنى الشرق في التراث الديني والروحي والحضاري.

حقاً إن الغرب تقدّم كثيراً في أسباب المدنية، وحقق للبشرية خيراً كبيراً بالإكتشافات للنظريات العلميّة والقوانين الكونية، وبنى على تلك النظريات والقوانين أدوات وآلات وأجهزة في كافة الميادين، في الهندسة، والطب، والفلك، وعلوم الفضاء فضلاً عن الطبيعيات والكيميائيات ثم الألكترونيات .. وصار الإنسان المعاصر يتمتع بإمتميازات وقدرات سهلت عليه الحياة وأزالت من طريقه العقبات، فتغلب على الصعوبات والمعوقات التي كانت تعوق حركته في الماضي، فأخضع الحيوان والنبات والطبيعة أيضاً لسيادته، وصار في مقدوره أن يقطع المسافات البعيدة براً أو بحراً أو جواً في ساعات، بعد أن كان في الماضي يبقى قعيداً في بلده لا يكاد أن يفارقها. وإن قصد المفارقة إلى بلد قريب قضى في السفر شهوراً أو أياماً .. وصار في إمكانه أن يضغط على زر فيصعد إلى علو شاهق بمصعد كهربائي، أو ينزل الدرّج الكهربائي دون أن يستخدم قدميه في النزول - وصار في مقدورته أن يضغط على زر أو أزرار فتُقدم له الآله وجبة شهية كاملة أو تقدّم له شراباً بارداً أو ساخناً كما يشاء.

هذه الكشوف العلميّة والمخترعات الحديثة والأجهزة الحاسبة أو التسجيلية في كل ميدان من ميادين الحياة، صارت في متناول الإنسان الشرقيّ كما هي في متناول الغربي. ومن حماقة والجهل أن يرفض الإنسان الشرقيّ الإنتفاع بما حققه الإنسان في الغرب من كشوف ومخترعات. لأن ما تحقّق في الغرب والشرق صار ملكاً للإنسانية كلها في الغرب والشرق على السواء.

فمن خطل الرأي أن يقنع الإنسان بما في الشرق وحده، ويرفض مدنية الغرب بحجة أنها لا تخصه.

لقد صار العالم موصولاً بعضه ببعض وذلك بفضل وسائل المواصلات الحديثة من جهة، وبفضل إتساع نطاق وسائل الإعلام: من صحافة إلى إذاعة إلى الإرسال السلكي

واللاسلكى والبث التلفزيونى، وصار الناس تجمعهم وحدة فكرية لا هى شرقية ولا هى غربية، وإنما صارت تضمهم وحدة إنسانية جامعة.

نعم، كلنا فى الشرق والغرب نسير خطوات حثيثة وسريعة نحو المذهب الإنسانى Humanism الذى يجمعنا شرقيين وغربيين، وصار الشرق والغرب يلتقيان، فى مؤتمرات يدور فيها حوار تزول فيه شيئاً فشيئاً عصبية الشرق للشرق، وعصبية الغرب للغرب، وصار الحوار فى كل هذه اللقاءات قادراً على كسر حدة الفوارق، بعد أن أصبح كل إنسان فى كل لقاء يجمعه بغيره يأخذ منه ويعطى له، حتى صار من الصعب أن يحدد الباحث مدى ما يأخذه الإنسان بالنسبة إلى ما يعطيه، أو ما يعطيه بالنسبة إلى ما يأخذه... وبذلك تصالح الشرق والغرب، ولم يعودا مفترقين متباعدين متخاصمين، وإنما شيئاً فشيئاً ذابت الفروق، واقتربت الروح إلى الروح، والعقل إلى العقل، والقلب إلى القلب. ويكاد أن ينصهر الجميع فى بوتقة واحدة ليصير الإثنين كلاً واحداً، هو الإنسان.. الإنسان كله وهو بعينه الإنسان سواء كانت جذوره من الشرق أو جذوره من الغرب ..

وإذن فنحن نرى بوضوح إتجاه الناس فى زماننا إلى عصر الإنسانية الواحدة، وفى أكثر من مجال اتجهت الأمم والشعوب إلى الحكومة الواحدة، سياسياً، وثقافياً - أما سياسياً، فالحكومة الواحدة تتمثل فى المنظمة العالمية، هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن.. وأما ثقافياً، فالحكومة الواحدة تتمثل فى اليونسكو والهيئات العالمية الأخرى التى تضم أعضاء من أمم وأجناس مختلفة تجمع بينهم وحدة العلم والثقافة والفن والأدب والاقتصاد والصحة العالمية ... وأعضاء هذه المنظمات هم من الشرق ومن الغرب، ولا يتميز أحدهم عن الآخر بإنتماء إقليمى أو عرقى - وإنما كل إنتمائته هو إلى العلم والفن والأدب والحكمة وصنع الخير للإنسان، من حيث هو إنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه .. وكلهم يتكلمون لغة واحدة هى لغة العلم والخير والفن والجمال، وهى القيم الإنسانية العامة المجردة من كل ما يَخَصُّصها للشرق أو للغرب ..

هذا الإتجاه الأخير الذى يسير نحوه الباحثون والدارسون والعلماء والخبراء وقادة الشعوب هو الإتجاه الصحيح الذى ينبغى أن نغذيه وننميه وهو الكفيل بأن يقضى على كل الخلافات والمنازعات التى تفرق بين الناس ..

وملاك القول، أننا نحن في بلاد الشرق العربي، علينا أن نتأمل ماضيها لا لكي نرجع به إلى الوراء، ولا لكي نتفوق وننعزل عن العالم الذي يجرى نحو التقدم والازهار، وإنما لنأخذ منه حصيلة حضارية، نعتز بها، ورصيلاً لمسيرتنا إلى الأمام ..

فإذا استهوتنا مدنية الغرب، فلا يغرينا ما بلغه الغرب إلى احتقار تراثنا العريض العريق، أو إهماله أو نسيانه، ففيه غنى لا ينضب ..

ومع ذلك، ومع رجوعنا إلى الماضي وتقليبنا في تراثنا المجيد وإستجلائه، لانغلاق الأبواب والمتافذ دوننا، خوفاً على أنفسنا من غزو الغرب الثقافي والفكرى والعلمى.

إن خوفنا من غزو الغرب الفكرى والثقافى والعلمى لم يعد له ما يبرره .. وإنما لقد صرنا جميعاً بفضل ما نعرفه من تراثنا التليد نتمتع بمناعة تقينا شرَّ ما نظنه من عدوى ضارة تجيئنا من صلتنا بالغرب.

إن الإنتقال المتبادل بين الشرق والغرب حقيقة، وهو ضرورة تقتضيها حقيقة الواقع، أبينا أو قبلنا .. ولكن لماذا نأبأها أو نخشاها، وهى خير وبركة ونفع، يضيف إلى تراثنا ولاينقصه، وينميه ولايفسده، لاسيما بالنسبة إلى العلماء وقادة الفكر الذين يقتحمون كل الميادين فى الشرق والغرب، من دون خوف من عدوى ضارة، وهم يضيفون إلى حكمة الشرق، أفضل ما استطاع الغرب أن يحققه ويتحقق به من خير لتقدم الإنسانية وإزدهارها ونموها ورخائها.

## بمناسبة عيد الأضحى المبارك

في هذه المناسبة الكريمة التي يَسْتَقْبَلُ فيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عيد الأضحى المبارك، ويتذكرون المعاني الروحية التي يُثِيرها في نفوسهم، يَطِيبُ لنا أن نُقَدِّمَ إلى المسلمين، شعوباً وأفراداً وحكومات، تهانينا القلبية متجهين إلى الله تعالى بطلب رحمته وهداه، سائلين عَفْوَهُ ورضاه، ونحن جميعاً سُجَّدُ له بالقلوب والجباه.

لقد جمعَ اللهُ بيننا - مسيحيين ومسلمين - في هذا الوطن الكبير الذي ثَقُلْنَا أرضَهُ وتُظَلْنَا سماهُ، فنحن جميعاً نعبده وليس سواه. هو الذي خلقنا ورعانا، ولن ينسانا، وهو العليمُ بما تعانیه بلادنا في الشرق العربي كُلِّه، وما تقاسيه من شر عدوانِ إسرائيل على أراضيها في مصر وسوريا والأردن وفلسطين المحتلة، وعلى مقدساتنا وحُرَمَاتنا في القدس الخالدة. لكننا نؤمن بالله الذي ينصر الحقَّ على الباطل، وأنه بقدر ما يتوافر لنا من روح الألفة والاتحاد، وبقدر ما نتمسكُ به من فضائل الصبر والصمود وضبط النفس، بقدر ما نُوقِّقُ بإذنه تعالى في الوصول إلى أهدافنا السامية ونُصرة قضيتنا العادلة.

إننا إذ نراجعُ التاريخَ الذي عشناه، وعاشه من قبلنا آباؤنا وأجدادنا، نجدُ أنَّ أُمُجَدَ فترات هذا التاريخ هي تلك التي كنا فيها إخوة متحابين غير متنازعين، ولنا قلبٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ وهدفٌ واحدٌ، ومحبةٌ واحدة، يُذَكِّها ويُلَهِّبُها الإيمانُ بأبوة الله لنا جميعاً، وأمومة الأرض التي أنبتنا الله من فوقها نباتاً حسناً.

وإذا كنا قد عايشنا فترة من الضعف، فهي تلك الأوقات القليلة التي وهنت فيها رابطتُنا بمبادئنا المشتركة ومحبتُنا بعضنا لبعض، وهبط فيها شعورنا بإننا إخوة في هذا الوطن العظيم الذي اختصَّه الله برعايته، وأولاه كرامةً وشرفاً لم يؤله لبلد آخر من بلاد المعمور. وشكراً لله إن هذه الفترات بحمده تعالى فتراتٌ شاذة على القاعدة التي اصطَلحنا عليها في كل تاريخنا الطويل المجيد، وكنا دائماً نُفِيحُ منها بعد أن نتبينُ أنها من وحى الشيطان لا من وحى الله، ومن وحى الذين يُوعزُ الشيطانُ إليهم أن يُفَرِّقوا بيننا لكي ينالوا منا فيسودوا علينا. وهؤلاء كانوا دائماً شياطينَ الوحدة الوطنية والألفة الأخوية، وكانوا إما مُضِلِّين أو مُضَلَّلِّين، إما ساعين بالشقاق بدافع أثم من نفوسهم الشالة وإما عملاء استغلهم غيرهم فأحسن استغلالهم.

لقد قال المسيح له المجد «كُلُّ مملكةٍ تَنَقَسُّمُ على ذاتها تَخْرَبُ، وكل مَدِينَةٌ أو بيت ينقسُمُ على ذاته لا يثبَتُ» ..

## الأمراض وأسبابها<sup>(١)</sup>

أهمية الكلام في هذا الموضوع - هل الله مستئول عن المرض؟

من الكلمات السائدة في مجتمعنا: أن الله هو الذي يجلب علينا الأمراض - الله ابتلاني بالمرض.

### أولاً: أنواع الأمراض:

- ١- أمراض جسمانية: جسمية مثل الحمى - أمراض العيون - الأذن - الأمعاء - الكسور - الدوخان - المعدة - الالتهابات - المرارة - الروماتيزم - الأملح - الزلال - الضغط.
- ٢- أمراض نفسية: مثل الخوف والوهم والقلق.
- ٣- أمراض عصبية: مثل أحوال التهيج والتشنج والانهايار العصبى.
- ٤- أمراض عقلية: مثل حالات الجنون المختلفة الناتجة عن تعقد الحياة.
- ٥- أمراض روحية: الشهوة والخطيئة. وهى الضعفات الروحية أمام الرغبات والشهوات والنزوات.

والأمراض الجسمانية قد تكون جسمانية بحتة مثل الكسور أو حصوة في العين أو خراج نتيجة حقنة أو غيرها، وقد تكون أمراض جسدية متسببة عن علل نفسية أو روحية، من هنا يجب البحث عن العلاقة بين الأمراض الجسمية والعلل النفسية والروحية، قد يكشف الطبيب على المريض ويقول أن هذه حمة تيفود، هذا حسب العلل الظاهرة لكن قد تكون هناك علل غير ظاهرة تسبب هذه الأمراض.

هناك قصة فتاة أصيبت بمرض النوم وكان سنها ١٢ سنة، يتم إيقاظها بالقوة لتشرب كوب اللبن ثم تنام مرة أخرى، تم معالجتها بكل الوسائل المعروفة في ذلك الوقت وفشل العلاج واستمرت على ذلك الحال حتى سن الخمسين وشفيت الفتاة بدون علاج وبدون طبيب، واهتم الأطباء بدراسة هذه الحالة واكتشفوا أن هناك خلافاً بين أبوها وأمها وحدث أنها خافت خوفاً لاشعورياً وهى صغيرة من الزواج، فلما بلغت سن ١٢ لاشعورياً فهمت أنها نضجت وأنها وصلت

(١) محاضرة أُلقيت بكنيسة مارمرقس بمصر الجديدة - مساء الجمعة ٢٢/١٠/١٩٦٥م - ٢٢ باب ١٦٨٢ ش.

لسن الزواج، فأصببت بفزع لأن حادثة الزواج حادثة سيئة في فكرها، فأصببت بالمرض حتى هذه السن التي شعرت فيها أنها بعد الخمسين لن تتزوج فشفيت.

أو قصة شاب آخر يصاب بحمى قبل الإمتحان، ويعالج على هذا الأساس ويشفى الشاب، وتكرر هذه الحادثة قبل كل إمتحان، فلو حدث ذلك مرة واحدة لكان السبب الميكروب، ولكن تكرار هذه العملية يدل على أن هناك علة أخرى للمرض ليست هي الميكروبات ولكن الخوف من الإمتحان، والخوف يضعف القوى المعنوية، أو بأسلوب آخر يضعف المناعة فيصاب بالميكروب والجو مملوء بالميكروبات وكل واحد فينا في داخل فمه ملايين الميكروبات، بل ميكروب السل موجود في القصبه الهوائية في كل إنسان، فلماذا يصاب واحد ولا يصاب آخر، الذى يحدث أن الواحد عنده مناعة تنتصر على الميكروب والآخر مصاب بضعف المناعة فيفترسه المرض.

**كما أن هناك أمراض جسمية متسببة عن علل نفسية أو روحية،** يقول العلماء أن ٩٠٪ من الأمراض الجسمية متسببة عن علل نفسية، لأن الإنسان روح وجسد، كلنا كائنات عاقلة روحية تختلف عن الحيوانات، حتى في الإنسان المملكة النفسية تختلف من واحد لآخر حتى في الأخوين المولودين من بطن واحدة أو التوأمين. والواقع أن الباطن هو ما يؤثر على الجسد وهذا ناتج عن الإتحاد القائم بين النفس والجسد. وهناك مثل يقول: إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام.

الإنسان عندما يحزن يحدث له تغير في الحال على حالة الجسم، العيون تسود، والوجه يتمدد، والدم في الوجه يقف، والحركات تجمد، والخوف يجعل العرق ينزل والشعر يقف.

والخجل يجعل الوجه يصاب بالاحمرار.

هناك من يصاب بخبر أليم يصدمه فيموت، وربما لا يموت لكن يصاب بالشلل، وربما لا يُشل لقوة جسمه فيصاب بأمراض في الكبد مثلاً.

ونحن في حالة المدنية التي نعيش فيها الإنسان يحمل مسئوليات وأمامه رغبات، وعندما لا تتحقق يصاب الإنسان بالأمراض، لذلك كثرت الأمراض نتيجة المدنية.

الطالب الغير موفق لو تم تحليل دمه قد نجده مصاب بالسكر، الجسم به غدد اسمها الغدد الدرقية والغدد الصماء وهى التى تربط ما بين النفس والجسم، فبحسب الحالة النفسية تفرز إفرازاتها، قد تكون أكثر من الكمية اللازمة للجسم فتحدث تغيير في كيميائية الدم، عندما



يقول شخص: «فلان عكر دمي» هذا كلام صحيح وعلمي، إذن الإنسان يتغير دمه ويظهر الأثر واضحا على جسمه.

«الخبر المفرح يسمن العظام»، و «الغم في قلب الرجل يحنيه» عملوا تجربة على قطة وضعوها في صندوق مكشوف بأعمدة، وأحضروا كلب ليخيفها، وسلطوا أشعة اكس على معدتها فوجدوا أن الأكل تحجر في معدتها نتيجة الخوف، ثم تجربة أخرى حقنوا فأر بدم رجل كان في حزن شديد فمات الفأر لأنه تسمم من دم الرجل. فالأخبار المفرحة تقوى وتبني والإنفعالات والأخبار الضارة تضر الإنسان، إذن الروح تؤثر في الجسد والجسد يتأثر بالنفس، يشوع بن سيراخ يقول: «من وجه الإنسان يعرف القلب».

والشاعر يقول:

العين تبدى الذى فى قلب صاحبها .∴ من الشناعة أو حب إذا كانا

وكثيرا ما يظهر رياء الآخرين بسرعة «ثوب الرياء يشف عما تحته» فما تنفعل به النفس يظهر على الجسم يقول الكتاب «من فيض القلب يتكلم الفم، ومن كنز القلب الصالح يخرج الصلاح...»

هناك أمراض لا بد أن تشفى النفس أولا ليتم شفاء الجسد، المرأة التى ربطها الشيطان لمدة ١٨ سنة، هذا المرض مع أنه نزيه وتصلب فى الظهر لكن وراءه علل روحية.

المفلوج الذى قال له أتريد أن تبرأ؟ بعد أن يشفيه يقول له: «ها أنت قد عوفيت فلا تخطىء أيضا لئلا يصيبك أشر» فهناك علاقة وثيقة بين المرض والخطيئة، ولولا خطيئة آدم لما دخل الموت إلى العالم، والمرضى يقود إلى الموت، ولذلك رتبت الكنيسة سر مسحة المرضى، وفعلا كما قال الكتاب «دهنوا كثيرين مرضى فشفوهم» وهذا ما نسميه بصلاة القنديل: «أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة...»

فمسحة المرضى أسس فى الكنيسة من أجل الأمراض المتسببة عن علل نفسية أو روحية، والصلاة بصفة عامة نافعة فى كل الأحوال ويشوع يقول «صلى لله وادع الطبيب».

## أسباب الأمراض

قد تكون أسباب الأمراض:

١- **نتيجة لأخطائنا:** وهنا الخطأ غير الخطيئة، الخطأ قد يصدر نتيجة لجهل الإنسان بقوانين الطبيعة، أما الخطيئة فتكون عمل متعمد ضد الله، فالقاعدة أن الطبيعة تحكمها قوانين لا بد أن تنفذ، فهي من الشدة والمضاء والقوة، مثل قانون الجاذبية، أو قانون الإحراق، إنسان يمد يده في النار فلا بد أن تحرق، وسليمان الحكيم يقول: «من يضع النار في حضنه ولا يحترق ومن يمشى على الجمر ولا تكتوى رجلاه». هذه هي القاعدة ولكن المعجزة شاذة على القاعدة فمثلا الثلاث فتية لم يرموا أنفسهم في النار بل الناس هم الذين رموهم، فتدخل الله بقانون آخر مع وجود قانون النار فأرسل ريح خفيفة رطبة، فالنار لم تفقد طبيعتها بدليل أنها حرقت الحبال المربوطين بها وأيضا الذين رموهم، ولكن بالنسبة للثلاث فتية تدخل الله لأنهم تمسكوا بإيمانهم فدخل الله بقانون جديد.

المفروض أولاد الله أول من يحترموا القانون، فلا تخرج في البرد وتصاب بالانفلونزا وتقول لماذا الرب أصابني بالمرض، هناك من يقول: «العمر واحد والرب واحد»، هذه آراء خاطئة، الحكيم يقول: «لماذا تخرب نفسك ولماذا تموت في غير أوانك».

هناك تصرفات كثيرة من أخطائنا تعرضنا للمرض مثل: التعرض لضربة الشمس أو القمر، أو التسرع والاندفاع في الحركة فتؤدي إلى السقوط على الأرض وحدوث كسور، أو تؤدي إلى حوادث السيارات، كثيرا من أمراض الأسنان أو العيون نصاب بها نتيجة تصرفات وأعمال بجهل، وسوء استخدام الجهاز الهضمي نتيجة جهل بأكلات معينة أو كميات كبيرة تصيبنا بأمراض الجهاز الهضمي، وكثيراً من المشروبات تصيبنا بالأمراض نتيجة جهلنا بأضرارها وتأثيرها على الناحية الجسمية وتأثير المنبهات والمخدرات وغيرها.

٢- **نتيجة لخطايانا:** فكثيراً من الخطايا التي نصنعها لها تأثير مباشر على الجسد فتصيبه بالأمراض مثل:

أ- الأمراض السرية والأمراض التي تأتي نتيجة لأخطائنا الفعلية.

ب- أمراض الإنفعالات الضارة مثل الحقد والكراهية - الغضب - الحزن - الشهوة الرديئة - العادات والمكيفات الضارة.

٣- **نتيجة أخطاء الآخرين:** قد نصاب بأمراض نتيجة أخطاء الآخرين مثل

## الأمراض الولادية:

أ- بعض أنواع العمى نتيجة تعذر في الولادة.

ب- بعض أنواع الجنون نتيجة ضغط بألة الطبيب على رأس الجنين.

ج- أمراض نتيجة الحزن والإنفعالات في مدة الحمل.

د- أمراض نتيجة الحزن والإنفعالات في مدة الرضاعة.

فيتغذى الجنين على دم الأم فيصاب بضعف جسمي.

وأيضاً هناك **أمراض بيئية**: يصاب بها الإنسان نتيجة البيئة التي يعيش فيها الإنسان كمنزل أو مدرسة أو مجتمع، وكل هذه الأمراض ممكن أن تكون نتيجة:

الغيظ «أيها الآباء لا تغيظوا أبناءكم..» - المعاملة بمحابة - الخلافات العائلية التي قد تسبب انحرافات الأولاد - القدوة السيئة - السينما - الإعلام - النظافة - الغذاء - السهر والنوم - الملابس - أخطاء تربوية من الوالدين أو المربين وغيرها.

٤- **نتيجة خطايا الآخرين**: وهي العلاقة بين المرض والخطيئة الأصلية (يو ١١: ١)، (لو ١٣: ١٦).

ومنها الأمراض الوراثية «أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضى...» شاب أفقد عفته في حياة الفساد، ماذا يتبقى لأولاده بعد زواجه غير الضعف.

ومن هذه الأمراض الوراثية: الكبد - المرارة - السرطان - الربو - السيلان - الزهري - العمى - العنة.

وكثيراً ما يسبب تدخين الوالدين وشرب الخمر كثير من الأمراض للأبناء، سأل شاب فيلسوف متى أرى ابني؟ قال له: قبل أن تتزوج بعشرين سنة.

٥- **قد تأتينا الأمراض من الشياطين**: وهذه محدودة جداً، وعندنا قصة أيوب الصديق مثلاً واضحاً، لكن لا تحلل لنفسك وتقول أنا مثل أيوب، لا.. ابحث أولاً عن السبب.

٦- **قد تأتينا الأمراض من الله**: وهذه الأمراض قد تكون للتجربة أو ليتدبر عمل الله بها. لكن لا نطلق العبارات الخاطئة وتنسب أمراضك إلى الله على اعتبار أن الله علة للشر، لا.. الله غير مسئول عن أمراضك، الله مسئول من حيث هو ضابط الكون وواضع القانون. فمستولية الله غير مباشرة، لكن المسئولية هي مسئولية خطاياي.

## العلاقة بين الخطيئة والمرض<sup>(١)</sup>

### مقدمة عامة:

خطيئة الإنسان الأول، والموت ومن ثم المرض، خطيئة كل إنسان والمرض.

هذه إبنة إبراهيم ربطها الشيطان منذ ثمانى عشرة سنة. أما كان ينبغي أن تطلق من هذا الرباط (لوقا ١٣: ١٦).

قال للمخلّع يا بُنى مغفورة لك خطاياك... لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك (متى ٩: ١ - ٨)، (مرقس ٢: ١ - ١٢)، (لوقا ٥: ١٧: ٢٦).

«ها إنك قد عوفيت، فلا تخطأ بعد، لئلا يصيبك أعظم» (يوحنا ٥: ١٤).

### ١- المرض يبدأ روحياً ونفسياً وينتهى جسدياً:

العلاقة الوثيقة بين النفس والبدن.

الغم في قلب الرجل يحنيه (أمثال ١٢: ٢٥).

من صوت تأوهى لصق عظمى بلحمى (مزمو ١٠١: ٦).

أثر الغضب والحزن في صحة النفس.

أثر الفرح والسرور في صحة النفس.

«الخبر المفرح (الطيب) يسمن العظام» (أمثال ١٥: ٣٠).

### ٢- الشفاء - شفاء النفس ثم شفاء البدن:

مغفورة لك خطاياك.

سرّ مسحة المرضى - من أجل الأمراض الجسمية المتسببة عن علل روحية نفسية، لذلك

يجب أن يُسبق بالتوبة والاعتراف.

(المرض النفسانى الروحى: القلق، الانزعاج، الخوف، انقسام الشخصية)

(١) عناصر عظة ألقيت بكنيسة القديس مارجرس بالعجوزة - مساء الأحد ١٤/٤/١٩٦٥م - ٢٦ برمهات

١٦٨١ش.

### ٣- الخطيئة مرض، والخطيئة مريض:

نظرة المسيحية إلى الخطيئة أنها مرض، ونظرة المسيحية إلى الخطيئة أنه مريض. «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى»، وأثر هذه النظرة على الفرد والمجتمع. تحويل المرضى إلى أعضاء نافعين. أثر ذلك في فكرة عزل المجرمين كعزل المرضى (السجون وإطراد تحسينها كبيوت إيواء لمرضى لا لمجرمين). فكرة الحكم بالإعدام فكرة غير مسيحية، والدول المسيحية لا تزال تحكم بالإعدام، ومع ذلك فلم تستق تشريعها من المسيحية، بل من القانون الروماني الوثني السابق.

### ٤- الصوم شفاء للنفس والجسد:

تقوية للإرادة ..

تدريب الإرادة على كبح جماح الشهوات.

غريزة الطعام هي غريزة الحياة.

من ينتصر في هذه الجولة يكسب غيرها من الجولات.

اقمع جسدى وأستعبده ....

«تدربت أن أجوع وأن استفضل».

## الأمراض الوراثية وتأثير البيئة

يظهر تأثير البيئة وعوامل الوراثة جلياً على الناس من الأمتلة الآتية:

- ١- عائلة باخ الموسيقية أنجبت موسيقيين في خمسة أجيال.
- ٢- بيتهوفن عزف الموسيقى في السابعة من عمره،  
شوبان عزف الموسيقى في الثامنة من عمره  
ألف موزار السيمفونية الأولى في التاسعة من عمره، وذلك بحكم البيئة التي عاشوا فيها.
- ٣- وفي الجانب الآخر يتوارث المتشردون والأشرار والأشقياء أخلاقهم الشريرة، وبعدهم عن الدين على مدى الأجيال، وبحكم احتكاكهم بالبيئة التي يعيشون فيها.
- ٤- وكذلك السكيرون والمدمنون وضعاف العقول.
- ٥- هناك إحصائية غريبة عن عائلة الشرطي مارتن كاليك في الجيش الأمريكي:  
أ- كان له ابن غير شرعى من فتاة معتوهة. وقد تتبعت الاحصائية ٤٨٠ من النسل العائلى عن طريق هذه الفتاة فوجد الآتى في أجيال متعاقبة.

ضعاف العقول أو معتوهين. ١٤٣

ذوى نكاه مشكوك فيه. ٢٩٢

غير شرعيين. ٣٦

مومسات. ٣٣

سكيرون. ٢٤

مصابون بالصرع ٣

مجرمون. ٣

فقط أفراد عاديون. ٤٦

ب- وفي نفس الوقت كان هذا العسكرى قد تزوج من فتاة سليمة البيئة وطبيعية من جميع الوجوه، ومن عائلة طيبة. فأنجب منها نسلا مسلسلا بلغ ٤٩٦ منها.

١ معتوه.

١ شذوذ خلقى.

٢ سكيرون.

١ أصيب بجنون.

٤٩١ طبيعيون وناجحون في جميع فروع الحياة.

٦- وكمثل شائع وواسع الإنتشار للأمراض التى يظهر فيها عامل الوراثة بوضوح نذكر:

الزهرى: فهو مرض كما يكون مكتسبا تظهر آثاره حالاً على كل من يتعرض لعدواه، يكون أيضا وراثيا ينتقل مع الجنين من جيل إلى جيل، ويؤدى إلى شلل مبكر للأطفال ويؤثر على المخ والعقلية، ثم تبدأ أعراض الشذوذ الخلقى مثل: السرقة، الظلم، الجور، الطمع، الشراهة، وما يتبعها من جرائم مختلفة.

ومن هنا يمكن إدراك قيمة وحكمة الآية التى تشير إلى وراثة الأمراض كنتيجة للخطية، وهى: «أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء للجيل الثالث والرابع من مبغضى» ...

### الأمراض المزمنة:

هذه الأمراض بمرور الزمن تسبب إتلافاً فى بعض أجزاء الجسم مثل:

١- إلتهاب اللوزتين والجيوب الأنفية وتسوس الأسنان:

يتولد عنها فقدان النشاط، والشعور بالتعب لأقل مجهود، والروماتزم المزمن، وخلاف ذلك من العوامل التى تسبب فقد الانسجام بين الجسد والبيئة.

٢- أمراض الأمعاء المزمنة والروماتزم المزمن:

يتسبب عنها عدم الراحة والعصبية والقلق، فتسبب أيضا عدم الإنسجام بين الجسم والبيئة.

٣- بعض الأمراض تسبب حالة الغضب السريع وما يتبعه من مشاكل مثل تضخم الغدة الدرقية.

٤- الدرن (السل) يجعل المصاب به في حالة يأس شديد.

٥- أمراض الكبد والكلى المزمنة: تجعل المريض بها في حالة استهتار وقنوط.

٦- الزهري: مرض مزمن يصيب المخ والأعصاب وأعضاء الحس وجميع أجزاء الجسم، فيؤثر تأثيراً مباشراً على أخلاق الشخص وانسجامه مع بيئته، بينما أن الزهري في الأصل كان نتيجة لإنغماس الجسد في الشهوات والإفراط فيها.

وقد يؤدي الزهري في النهاية إلى الشلل أو الجنون كما كان سبباً في الإجهاض أو العقم.

ومثله أيضاً السيلان: الذي يؤدي إلى مضاعفات رهيبية في العيون والتناسل والمفاصل. ويتسبب عنه أعلى نسبة من العمى، وقد يؤدي إلى العقم.

### الأمراض المتوطنة:

جاء في سفر التثنية: «إذا خرجت في جيش على أعدائك فاحترز من كل شيء ردىء. إن كان فيك رجل غير طاهر من عارض الليل يخرج إلى خارج المحلة، لا يدخل إلى داخل المحلة. ونحو إقبال المساء يغتسل بماء. وعند غروب الشمس يدخل إلى داخل المحلة. ويكون لك موضع خارج المحلة لتخرج إليه خارجاً. ويكون لك وتد مع عدتك لتحفر به عندما تجلس خارجاً وترجع وتغطي برازك، لأن الرب إلهك سائر في وسط محلتك لكي ينقذك ويدفع أعداءك أمامك. فلتكن محلتك مقدسة لئلا يرى فيك قذر شيء، فيرجع عنك» (التثنية ٢٣: ٩ - ١٤).

يفهم من هذه النصوص:

١- تحريم التبول والتبرز في الطرقات وفي مجارى المياه.

٢- التطهر بالماء.

٣- الحث على النظافة الشخصية ونظافة المسكن والبيئة ومحاربة القذارة ..

هذه النصوص التي سجلها الكتاب المقدس في العهد القديم قبل الميلاد بألاف السنين، أليس المفهوم منها هو هو نفسه ما ندعو إليه الآن للوقاية من الأمراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والطفيليات المعدية وهذا يدل على أن العلم الصحيح والدين لا يتعارضان.



## الأمراض المعدية:

أمر الله أن المريض بمرض معدٍ يعزل عن الناس حتى يتم شفاؤه.

«والأبرص الذى فيه الضربة ينادى نجس نجس كل الأيام التى تكون فيه الضربة يكون نجساً. إنه نجس يقيم وحده خارج المحلة يكون مقامة» (سفر اللاويين ١٣: ٢٦) وهذا يؤكد مرة أخرى أن العلم الصحيح والدين متفقان.

الأضرار نوعان: أضرار صحية نتيجة تأثير الأمراض على الجسد، وأضرار روحية تؤدي إلى العذاب الأبدى.

وعلاج الأضرار الصحية بوسائل الطب العلاجى المختلفة.

وعلاج الأمراض الروحية:

- ١- بالتوبة والتحفظ وإنكار الذات.
- ٢- بالإيمان الذى هو مفتاح الصحة العقلية.
- ٣- بالتمسك بالمسيح وتعاليمه ووصاياه.
- ٤- بعدم اليأس والثقة برحمة الله ومحبته.

## قطاع الطب العلاجي

العهد الجديد مفعم بمظاهر الطب العلاجي التي مارسها السيد المسيح نفسه ورسله من بعده.

### أولاً: السيد المسيح

عالج البرص بعد نزوله من الجبل.

عالج الشلل في شخص أخ قائد المائة في كفر ناحوم.

عالج الحمى في شخص حماة بطرس.

عالج الجنون والعمى والخرس بعد إخراج الشياطين منهم، ويلمس أعينهم.

عالج النزيف في شخص المرأة التي مست ثوبه فشفيت لأن المسيح قال لها «إيمانك قد شفاك».

عالج إقامة الموتى.

في إنجيل (متى ٩: ٣٥): كان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يُعَلِّم في مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب.

في إنجيل (متى ٨: ١٦): «جميع المرضى شفاهم».

في إنجيل (متى ٨: ١٧): «لكي يتم ما قيل بإشعيا النبي القائل: هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا»، «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى». وقد تكررت هذه الآية في ٣ مواضع من العهد الجديد: (متى ٩: ١٢)، (مرقس ٢: ١٧)، (لوقا ٥: ٣١).

ثانياً: عندما أرسل المسيح تلاميذه ليبشروا الناس برسالته اهتم بتوصيتهم بشفاء الناس من أمراضهم وبأن يكون ذلك مجاناً.

متى ١٠: ٨ «اشفوا مرضى، طهروا برصاً، أقيموا موتى، اخرجوا شياطين، مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا».

لوقا ٩: ٢١ «ودعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى».

كولوسي ٤: ١٤ «يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب».

كان مار لوقا رسولاً عظيماً من رسل المسيحية، وكان طبيباً بارعاً ومحبوياً. وكان أصحابه الرسل يستشيرونه أحياناً في بعض الأمراض، مثل بولس الرسول الذي استشاره مرة في مرض الإستسقاء الذي ألمّ بتلميذه تيموثيوس فأشار عليه ألا يكثّر من شرب الماء لأن جسمه غير قادر على إخراجها، فيختزن بالبطن ويزيد الاستسقاء وهذا واضح من الآية التي وردت في رسالة ماربولس الرسول الأولى إلى تيموثيوس ٥: ٢٣ «لا تكن فيما بعد شراب ماء، بل استعمل خمراً قليلة من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة» وواضح أن إستعمال الخمر هنا لا للخلاعة بل للدواء بدلاً من الماء. ونصحه بالقليل من الخمر، وذلك لأن الخمر يحرق داخل الجسم مثل باقى الكربوهيدرات لإنتاج الطاقة اللازمة لجميع وظائف الجسم الحيوية، ولا تبقى عنه فضلات فالخمر القليل من هذه الناحية علاج نافع ومحلل لهذا الغرض العلاجي فقط.

٥- نصح الرسول بولس تلميذه تيموثيوس في الرسالة الأولى ٤: ٨ أن يهتم بالرياضة الجسدية كعلاج «لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل، وأما التقوى فنافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة».

وتوضح هذه الآية أيضاً ضرورة الجمع بين العلاج الطبى والعلاج الروحى فى نفس الوقت.

٦- نظام الصوم الموضوع من الكنيسة فيه علاج لكثير من الأمراض: بالامتناع عن اللحوم والدهون الحيوانية - واستعمال الأطعمة والزيوت النباتية فقط. وهذا ثابت علمياً ومعملياً وطبياً - لأمراض عديدة مثل ارتفاع ضغط الدم، إلتهاب الكلى المزمن، تضخم الكبد، تضخم القلب، قرح المعدة والإثنى عشر، إلخ.

## قطاع الطبّ النفسى

لقد عالج الدين المسيحى الأمراض النفسية أيضا وهى لا تقل ضرراً أو خطراً على الإنسان من الأمراض العضوية، وتضر الجسد وتتركه عليلاً. وقد ورد فى الكتاب المقدس ما يثبت ذلك:

١- «الغم فى قلب الرجل يحنيه، والكلمة الطيبة تفرحه» (أمثال ١٢: ٢٥).

٢- «القلب الفرحان يطيبّ الجسم. والروح المنسحقة تجفف العظم» (أمثال ١٧: ٢٢)

٣- «حياة الجسد هدوء القلب»

إنها وغيرها كثير تضمّنت بين طياتها - فى إيجاز شديد - تشخيص المرض وأسبابه ونتائجه وعلاجه ونتائج شفائه فى نفس الوقت.

## الدين والطبّ

ومرض آسا (ملك يهوذا) فى السنة التاسعة والثلاثين من ملكه فى رجليه حتى اشتدّ مرضه، وفى مرضه أيضا لم يطلب الرب بل الأطباء ثم اضطجع آسا مع آبائه ومات فى السنة الحادية والأربعين للملكه (٢، أخبار الأيام ١٦: ١٢، ١٣).

يقول يشوع ابن سيراخ:

أعط الطبيب كرامته لأجل فوائده فإن الرب خلقه. لأن الطبّ آت من عند العلىّ وقد أفرغت عليه جوائز الملوك. علم الطبيب يُعلّى رأسه فيُعجب به عند العظماء. الرب خلق الأدوية من الأرض والرجل الفطن لا يكرهها. أليس يعود تحوّل الماء عذبا حتى تعرف قوّته. إن العلىّ ألهم الناس العلم لكى يُمَجّد فى عجائبه. بتلك يَشْفى ويُزيل الأوجاع ومنها يصنع العطار أمزجة وصنعتة لا نهاية لها. فيجلّ السّلام من الرب على وجه الأرض. يا بنىّ إذا مرضت فلا تتهاون بل صلّ إلى الرب فهو يشفيك. ألق عن ذنوبك وقوم أعمالك ونقّ قلبك من كل خطيئة. قرّب رائحة مَرْضِيّة وتذكّار السميد واستسمن التقدمة وكأنك لست بكائن. ثم اجعل موضعاً للطبيب فإن الرب خلقه ولا يفارقك. فإنك تحتاج إليه. إنّ للأطباء وقتا فيه النّجح على أيديهم. لأنهم يتضرعون إلى الرب أن ينجح عنايتهم بالراحة والشفاء لاسترجاع العافية. من خطيء أمام صانعه فليقع فى يدى الطبيب (ابن سيراخ ٣٨: ١ - ١٥).

## طبيعة المرأة

### آراء من يشجعون عدم العمل للمرأة:

- ١- طبيعة المرأة الذهنية والتشريحية خلق لعمل واحد وظاهر وهو خدمة المنزل أو أن تكون أماً.
- ٢- إذا كان الغرض الأول من الزواج المقدس هو البنين، فالعمل الأولى للمرأة يجب أن يكون تربيتها للأولاد.
- ٣- الصفة المميزة للأم هو العطف والحنان، والنطاق الذي تظهر فيه هذه الصفات هو المنزل.
- ٤- العمل يأخذ إمكانيات الأم فلا تهتم بالمنزل حتى ولو كمبني، والحاجة في المنزل إلى إهتمام الزوجة.
- ٥- العمل يأخذ وقت الأم ويجعلها لا تهتم بزوجها، بل أحيانا تكون العلاقة بين الزوجة والزوج علاقة الموظفة بموظف عندها.
- ٦- يعطيها العمل فرصة التشامخ في يوم من الأيام على الزوج، ويجعل الأسرة مفككة وعلى أبواب الإنحلال لمعاملة الزوجة القاسية مستندة على مرتبها.
- ٧- يعطى العمل أحيانا مكاناً للشك في قلب الزوج من ناحية زوجته، لتصرفها تصرف معين من ناحية العمل مثل التأخير، وإذا دخل الشك في حياة زوجين انقلب البيت إلى العذاب.
- ٨- يكون نتيجة العمل تعب الزوجة وإهتمامها بنفسها وعدم إهتمامها بزوجها، الذي يرى أحيانا أن البعد عن بيته ربما يجد فيه الراحة والسكينة والإهتمام أكثر من المنزل.
- ٩- طبيعة العمل تدعو المرأة إلى إهمال تربية ابنها أو عدم الاتصال به، وخاصة أن الطفل في أشد الحاجة إلى حنان أمه وخاصة أن الثلاث شهور الأولى تعد التقويم الأساسي لحياة الطفل.
- ١٠- الطفل يأخذ صفات الرجولة والشجاعة ... من الرجل، والعطف والحنان والرقّة من المرأة.. فإذا فقد الطفل هذه الصفات فهو يعتبر يتيم من أحد الأبوين لعدم أخذه صفاته.

١١- لا تستطيع الخادمة (الشَّغَالَة) أن تشبع الطفل بالحنان كأمه، حتى وإن أهتمت به وهي لا تهتم غالباً.

(قصة زوجة رجعت فوجدت الخادمة نائمة على سريرها وفي يدها جريدة تقرأها وصباح رجلها في فم الطفل كبزازه ليسكت).

حتى مراكز الحضانة لا تستطيع أن تكون بديلاً عن الأم.

١٢- هذا على أن العمل لطبيعة جسم المرأة يكون مرهقا، عكس الرجل الذي عنده المقدرة على تحمل المشاق.

١٣- كيف يكون للمرأة الوقت للإهتمام بالبيت وهي في العمل معظم الوقت، والوقت الآخر تجهز نفسها للعمل في اليوم الآخر كالمدرسة مثلا، ومن زاوية أخرى ربما تحتاج إلى راحة لجهداها.

١٤- الدراسات النفسية والتربوية تؤكد أن الطفل يتأثر كل تأثره بالطفولة بين يدي أمه وتؤكد احتياجه لمثل هذا العطف والحنان.

### آراء من يشجعون العمل للمرأة:

١- المرأة تعمل عمل إضافي بجانب تربية الأولاد، وإن كان هذا العمل في البيت كالإهتمام به أو في الخارج في محيط العمل فهو عمل على كل حال. وليس في كل وقت الطفل بين يدي أمه، بل أحيانا يبكي الطفل وأمه تكون مشغولة عنه، فهل معنى ذلك أن الطفل بإستمرار يأخذ إهتمامها.

٢- كما أن طبيعة العمل في المنزل ربما أصعب من طبيعة العمل في محيط دائرة العمل الخارجية.

٣- في ترك الطفل بترك أمه له تحمله المسؤولية من الصغر، وإعطائه الشعور بالعمل والإعتماد على الذات.

٤- في عمل المرأة كسب مادي والكسب المادي مفيد وهو خدمة للأسرة بأكملها.

عندما تعمل المرأة ونعطيها فرصتها فإننا نرفع من شأنها لكي لا تكون ذليلة بإستمرار أمام الرجل، وهذا إعطائها حقها وتكوين لشخصيتها لتكون قوية.

٥- في عمل المرأة حصن لها حتى لا يتركها زوجها عائلة على المجتمع بطلاقه لها فيكون لها مكانتها.

٦- في عمل المرأة حصانة لها ولأولادها بعد موت زوجها فيصير الكسب المادى الكافى للعائلة فتكون ربة أسرة بدلاً من التشرّد.

٧- بجزء من المرتب تستطيع المرأة أن تستعويض عنها في خدمة المنزل والأطفال بخادمة أو مربية، وبهذا يكون بيتها منظم ومستقبلها أيضاً مضمون.

٨- العمل ليس فيه تعب بالنسبة للمرأة لأنها هى أرادت بنفسها ذلك. وهى مع ذلك تراعى خدمة ابنها فى الأوقات التى لا يكون فيها عمل بالنسبة لها.

### البعض الثالث يرى أن:

+ الدولة يصدر قانون ستصدره بتحديد نصف مدة العمل للمرأة، أى بدل عمل يوم كامل يصير نصف يوم.

+ إذا مرض طفل وأمه كانت موظفة فى العمل، ولو أخذت مدة إجازة ١٥ يوم ولم يشفَ الطفل فما العمل؟ هل يأخذ أبوه إجازة ويجلس بجواره؟!

قصة (انجروى) (اسم بلده) فيها سيدات كثيرات بمعدل ١١ : ١ السيدات بالنسبة للرجال، فكل رجل يأخذ ١١ زوجة، فكانت الطريقة أن ١١ امرأة تخرج للعمل والرجل يبقى فى المنزل، خوفاً أن يموت فتترمل النساء الإحدى عشر)

+ فى روسيا أرادوا تطبيق النظام الإشتراكى، فقرروا إخراج الرجال والنساء إلى ميدان وإطفاء الأنوار، وتعاشر الرجال السيدات، وتكون نتيجة ذلك حمل ووضع الأطفال، وبعد ذلك تأخذهم الدولة لكى ما تكون هناك إشتراكية فى الزواج، ولا يعمل الإنسان من أجل صالح نفسه وأبنائه وهنا تظهر الأنانية. ولكن أخيراً عدّلوا عن ذلك فعلاً، وما يقره العقل أن العمل تجاه واجب معين مثل تربية الأطفال يكون بدافع قوى وبجهد. وذلك لأن العمل منصب نحو رسالة.

+ فى الخارج يقرون العمل للفتاة حتى الزواج، وبعد الزواج تمتنع عن العمل للتفرغ لعمل أقدس فى المنزل، وفى إمكانها فى حالة موت زوجها رجوعها للعمل لإحتفاظ الدولة بحقها فى العمل.

+ حقيقة إن دافع المرأة للعمل ليس لحبها فى العمل ذاته، ولكن بدافع الغيرة أو العدوى وتسع وتسعين فى المائة بدافع الزواج.

من مصلحة الدولة كناشئة أجيال أن ترى شيئاً صالحاً للأسرة فتقره أمام المشاكل الكثيرة، التى يكون سببها دخول المرأة إلى ميدان العمل.

## العالم قبل المسيح (١)

بسم الأب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

فلتحل علينا نعمته وبركته الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

الأستاذ محمد عبد القدوس: فلنبدأ بالسؤال الأول: هل يمكن أن تعطينا صورة واضحة عن المفاصد التي كانت موجودة في العالم قبل ظهور المسيح عليه السلام؟

### الجواب:

الواقع المسألة لها جانبان: أولاً جانب اليهود الذين ظهر المسيح بينهم ويُعدّ منهم، لأنه نشأ في فلسطين، أما الجانب الآخر هو على المستوى الأوسع، أو العالم خارج دائرة اليهود، والذي كانت تحكمه أكثر ما تحكمه الدولة الرومانية، أما من جهة الثقافة فكانت الثقافة اليونانية هي الغامرة على الخصوص، ولو أنه من الناحية الثقافية بدأت الإسكندرية شيئاً فشيئاً تأخذ مكانة أثينا وبلاد اليونان، وأصبحت الإسكندرية في هذا الوقت هي مدينة عالمية، وأصبحت مقراً لأكثر عدد من الفلاسفة والمفكرين والعلماء، وأيضاً كانت مركزاً تجارياً عالمياً، شيئاً فشيئاً بدأت الإسكندرية تكبر من الناحية العلمية والفلسفية وتتضاءل أثينا أمام الإسكندرية.

وإذا تكلمنا من جهة اليهود، فهم نسبياً كانوا أرقى أخلاقياً بصفة عامة من غيرهم من الشعوب، التي انحدرت إلى مستوى بعيد في الإباحية والشر والفساد والخطيئة، ونتيجة ذلك شاء الله أن يعزلهم عن سائر الشعوب إبتداءً من إبراهيم، وهذا هو أساس ما عُرف فيما بعد بأنهم شعب الله المختار، أنا أعتبر أن الإنسان كإنسان بغض النظر عن ثقافته أو ديانته فهو خليفة الله، ولا بد أن يكون هناك نوع من التعامل بين الله بصفته القوة العليا، وبين الإنسان خصوصاً إذا كان هذا الإنسان يتمتع بشيء من الصفاء والاعتدال في تصرفاته، وعدم الإنزلاق إلى الطياشة والشهوات وما إلى ذلك.

سؤال: الله شاء في عهد إبراهيم أن يجمع سائر الشعوب فأراد أن يعزلهم أو يميزهم؟

### الجواب:

لا . أولاً أراد أن يعزلهم لأنه أمر أبانا إبراهيم أن يخرج وينعزل عن هذه البيئة، لكي يحفظه من مفاصد العالم المحيط به، ويتعامل معه مباشرة فيجعله أباً لجمهور من الأمم،

(١) حديث صحفى مع الأستاذ محمد عبد القدوس - صباح الخميس ٢٧ من ديسمبر ١٩٨٤م - ١٨ من

كبهك ١٧٠١ ش - بمبنى الأنبا رويس.



فهنا نوع من العزل فعلاً لكي يحفظه من الفساد، لأن الشعوب كانت في ذلك الوقت فيها مفاسد وفيها شرور.

أريد أن أعود إلى نقطة الأمة اليهودية بصفة عامة، لأنه كان المفترض أنهم يكونوا أسمى أخلاقياً، لأن عندهم أنبياء وعندهم كتاب مقدس وعندهم الكهنوت الذين يشعرون بمسئوليتهم في تعليم الشعب إرادة الله، فكانت عندهم الإمكانيات والإمكانات ليكونوا في حالة أسمى وأرقى من الشعوب الأخرى، وأنهم لا يتبدلون كما يتبدل غيرهم، وأيضاً عندهم ناموس ونظام، وقانون إلهي للعبادة وللأخلاقيات والوصايا العشر وما إليها، مما يصونهم ويكفل لهم نوعاً من الإنضباط الأخلاقي والروحي، أكثر من الشعوب الأخرى التي لم يكن لها ما كان للأمة اليهودية، فكان الله يرببهم على مبدأ أن الله واحد، لأن تعدد الآلهة كان معروف في العالم المحيط بهم، وكان هناك من يعبدوا إلهين، لكن مبدأ التوحيد كان عند اليهود، وكان هناك إلحاح مستمر من جانب الله والأنبياء على مبدأ التوحيد وأن الله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون واحداً. ومن الخطأ أن يكون هناك أكثر من إله واحد، وذلك يتضح ليس فقط من النصوص الكثيرة جداً التي نطق بها الوحي الإلهي على أفواه جميع الأنبياء بالإلحاح على مبدأ التوحيد وأن الله واحد.

**سؤال:** «ممكن سعادتك تعطينا فكرة عن تعدد الآلهة الذي كان منتشر في الشعوب الأخرى؟»

**الجواب:** كان هناك في هذا الوقت من يعبد إلهين، وكان هذا واضحاً على الخصوص عند ديانة الشراكسة في بلاد الفرس، التي هي حالياً إيران، فكانوا يعبدون إلهاً للخير، وإلهاً للشر، وهناك شعوب أخرى تقول بتعدد الآلهة، فالآلهة كثيرة.

الحقيقة أنا أخشى أن نستطرد في هذا، لكن أريد أن أشير إلى نقطة معينة، وهي أن الأمة اليهودية أو بنى إسرائيل، الله عزلهم عن بقية الشعوب ليحفظهم في تربية خاصة إلهية، ويضع لهم ناموس أو شريعة أو قوانين إلهية، وكتاب مقدس وتشريع إلهي لكي يحفظهم ويصونهم من مبادئ وتصرفات وأعمال الشعوب الأخرى، وذلك لا بالنصوص المقدسة فقط وإنما أيضاً بالطقوس والنظم، فجعل لهم هيكلأ واحداً، ومعبدأ واحداً. وأهمية أن يكون الهيكل واحد فهذا من جهة مبدأ التوحيد، فهي عملية تعليمية المقصود بها أن يكون لهم هيكل واحد وهذا الهيكل مكانه الموضع أو الجبل الذي قدم فيه إبراهيم ابنه ذبيحة لله،

لأن وجود هياكل كثيرة لله تساعد على التشتت، إنما عندما يكون لهم هيكل واحد يتجهوا إليه جميعاً، ولذلك عندما كان بنى إسرائيل في أرض فلسطين ولأسباب أخرى خرجوا عن أرض فلسطين، فكانوا لابد أن يحجوا مرة في السنة إلى هذا البيت، وهنا نرى الفارق في النظرة المسيحية والإسلامية من جهة، والنظرة اليهودية إلى مبدأ الحج، فالمسيحية لا تجعل الحج فريضة وإنما أمر مندوب إليه، ولكن إذا لم يتمكن الإنسان منه فمعذور في هذا بشرط أن حياته الأخلاقية والروحية تكون سليمة، إنما الحج في ذاته مندوب إليه لسبيل الفائدة والبركة لكنه ليس فرض. أما عند إخواننا المسلمين حضرتك تعلم هذا أكثر منى، أن الحج مرة في العمر، وإذا أضاف الإنسان إليها مرات أخرى يكون له أجر. لكن اليهود لابد أن يكون عندهم الحج كل سنة في عيد الفصح، ففي الإسلام أعتقد أن الحج فريضة مرة واحدة في العمر، فإذا أضاف إليها الإنسان يكون له أجر أكثر، لكن اليهودي الحج عنده لازم وضروري كل سنة.

هذا الإصرار على مبدأ أن يكون هيكل واحد، وأن هذا الهيكل يكون قبلة الأنظار باستمرار في العبادة يخدم مبدأ التوحيد، والحقيقة أن هذا يساعد الشعوب خاصة في المراحل الإبتدائية من الناحية العلمية والذهنية، وذلك بالوسيلة الطقسية أو النظامية أو الترتيبية أو العبادية على فكرة التوحيد، كما أنه كان يساعد على توحيد أنظار اليهود أو بنى إسرائيل إلى مكان واحد بإعتباره بيت الإله الواحد.

الهيكل الذى بناه سليمان هدم قبل المسيح بحوالى ٥٠٠ سنة تقريباً، في أيام غزو الملك نبوخذنصر ملك آشور، وحدث شتات لعدد كبير من اليهود ثم عادوا مرة أخرى إلى أرض فلسطين، وبنى الهيكل من جديد، في أيام موسى النبي لم يكن يوجد هيكل بل كان هناك خيمة وكانت تسمى خيمة الإجتماع في أرض سيناء، ولكن عندما إنتقلوا إلى أرض فلسطين، بنى سليمان الهيكل وقضى في بنائه سبع سنين، وكان عهده عهد سلام وكان يوجد تحالف بينه وبين كثير من الملوك المجاورين، ولكن هذا الهيكل هُدم في غزو نبوخذنصر، لأنه كان عداء بين هذه الشعوب وبين شعب بنى إسرائيل، لكن جُدد بناءه في نفس الموضع مرة أخرى في عهد نحميا، وكان نحميا خادم عند ملك الفرس، وهو الذى أقنع الملك أن يحقق أمانهم بأنهم يرجعوا إلى أرض فلسطين.

سؤال: لكن الهيكل الجديد كان موجود وقت ظهور المسيح؟

الجواب:

نعم، أكملوا بناءه وإعداده في ٤٦ سنة، وهو الذى كان وقت ظهور المسيح. سُمى هيكل هيروُدس، وكلمة هيروُدس تعنى الذى فى عهد هيروُدس، وكلمة هيروُدس اسم عائلة وليس اسم فرد، مثل كلمة فرعون فى مصر، ليس معناها ملك واحد اسمه فرعون، وكذلك كلمة نبوخذنصر عند بابل وأشور ليس معناها نبوخذنصر واحد بل هناك عدد من الملوك يسموهم نبوخذنصر، فكلمة فرعون، معناها البيت العالى، وكما هو معروف فى تركيا يسموه الباب العالى.

والحقيقة تاريخياً حدث كثير من صور التهدم للهيكل، وآخر شيء كان سنة ١٥٠ قبل الميلاد، لأنه كان يحدث اعتداءات، وآخر مرة انتيوخوس أبيفانيوس من ملوك اليونان، وهو من أسرة من سلالة الإسكندر المقدونى هجم على الهيكل وقدم خنزيرة، وهذا عند اليهود يعد تنجيس للهيكل، كونه يذبح خنزيرة على المذبح اليهودى فتعد نجاسة، فقام بعض من اليهود أو من بنى إسرائيل يسموا المكابيون وقاموا بتطهير الهيكل، فإله بحكمته العالية أراد أن يحفظ بنى إسرائيل، فعمل لهم عملية العزل، وكلمة شعب الله المختار ترجع فكرتها إلى أن الله لم يجعل اليهود يختلطوا مع الشعوب الأخرى، حتى لا يقود الإختلاط إلى فسادهم فعزلهم عن بقية الشعوب، ولهذا السبب منع الله التزاوج لبنى إسرائيل من شعوب الأمم غير اليهودية، حتى يصاب هذا الشعب وتحدث عملية انضباط لى يحفظوا من عبادات الآلهة الأخرى للأمم الأخرى، فاليهود كان لهم هيكل واحد، ولكن لهم معابد كثيرة فى كل البلاد، وهناك فرق بين المعبد وبين الهيكل، الهيكل كان يُقدم فيه الذبائح ويُرفع فيه البخور وكل أعمال الكهنوت، إنما المعبد لليهود المقيمين فى أماكن خارج أورشليم، وكل يوم سبت يذكروا فيه اسم الله ويسمعوا كلمة تعليم، وعادة يقوده حاخام، والحاخام ليس كاهن، إنما بمثابة قائد الترتيل أو قائد الصلاة.

وعلى الرغم من أن اليهود نسبياً كانوا أرقى أخلاقياً من غيرهم من الشعوب الأخرى بصفة عامة خصوصاً المتدينون منهم، فكان عندهم من الناس من هم متشددون ويسموهم الفريسيون، وعلى الرغم من ذلك كانت هناك أنواع من الإنحرافات الأخلاقية، وإن كانت لم تصل للمستويات البعيدة، حدثت نتيجة إختلاطهم ببعض الشعوب الأخرى، ولكن

بصفة عامة لم يكونوا كسائر الشعوب عندهم تبذل أو خلاعة، قادة اليهود الدينيون من شدة تزمتهم حوّلوا الشريعة والأوامر الإلهية إلى نصوص متحجرة في المعانى، ففسروا النصوص تفسيراً وحددوا هذا التفسير، ولم يدخلوا إلى أعماق النصوص الإلهية ليفهموا مراميها، وفرضوا على الشعب مفاهيم الضيقة المحدودة، وتحولت الديانة عن طريقهم إلى نصوص جافة لا روح لها، وتحولت إلى قيود حديدية على حرية الإنسان، وحتى على الحرية الدينية المسموح بها للإنسان.

ومن هنا كان للسيد المسيح مأخذه على قادة اليهود في فهمهم الضيق المحدود للشريعة الإلهية، وكيف أنهم حبسوا شريعة الله في كوادر وحدود، رسموها من منطلق فهمهم المحدود، وفرضوا هذا الفهم على الجميع، ولم يسمحوا بغير هذا الفهم المحدود، وحاربوا الآخرين ممن يمكن أن يفهموا الشريعة فهماً أوسع مما فهموه هم.

ولذلك كانت نقطة الخلاف الكبيرة التي جعلت قادة اليهود يكرهون المسيح ويقاومونه ويتآمرون عليه، ويشكونه إلى الحاكم الرومانى ليأمر بصلبه، لأنهم كانوا تحت الحكم الرومانى، ولم يكن مسموحاً لهم أن يحكموا على شخص من دون قرار من الحاكم الرومانى، كان يمكنهم أنهم يحكموا بتجريمه أنه خالف الشريعة مثلاً، ولكن ليس لهم أن يقتلوا أو ينفذوا الحكم باعتبار أنهم تحت الحكم الرومانى، ولهذا السبب حوكم السيد المسيح ست محاكمات، ثلاث محاكمات دينية أمام رئيس الكهنة في ذلك الوقت، وأمام الرئيس السابق، والمحاكمة الأكبر أهمية أمام مجمع السنهدريم وهو أكبر هيئة دينية يهودية، ثم ثلاث محاكمات مدنية، أمام بيلاطس البنطى، ثم أمام هيرودس، ثم رجعوا ثانية لبيلاطس في المرة الثالثة.

فالأزمة التي حدثت كانت بين المسيح وبين قادة اليهود، لأن اليهود العاديين كان الكثير منهم يحبوه جداً وكانوا يتبعوه، عشرات الألوف كانت تتبعه حتى أنهم كانوا يدوسوا بعضهم بعضاً، أما القادة فكرهوه لأنه رأى فيهم أنهم حولوا النصوص الإلهية إلى أحجار، وحجّروا المفاهيم، هذه هي نقطة الخلاف التي دعته بالمطالبة بصلبه، وعلى سبيل المثال حفظ يوم السبت الذى هو يوم الراحة، كلمة سبت في الواقع هي كلمة عبرانية معناها الراحة، وهو اليوم السابع من الأسبوع، وأصبحت تطلق على أى يوم عيد حتى لو جاء يوم ثلاثاء، أو غيره من الأيام يسموه سبت. وهذا هو المعنى الإشتقاقى اللغوى، فالوصية الرابعة من الوصايا العشر تقول: «احفظ يوم السبت لتقدسه، عملاً ما لا تعمل،

لا أنت ولا ابنك ولا إبتك ولا عبدك ولا أمتك ولا نزليك الذى فى داخل أبوابك، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح فى اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقده، المهم كلمة «لا تصنع عملاً ما» فالمفهوم عند اليهود أن الناس لا تعمل الأعمال التى تعملها فى الأيام الأخرى، لكى يمارس العبادة يوم السبت، ويكون فيه راحة من أعمال الأسبوع الأخرى، لكن اليهود وصل بهم الأمر فى حفظ الوصية يوم السبت بأنهم يقولوا أنه حتى عمل الخير لا يجوز فى يوم السبت، فمثلاً لا يجوز لإنسان أن يقود أعمى فى الطريق فى يوم السبت، وكان هناك من يأتوا للمسيح ليشفاهم مثل إنسان يده يابسة، أو أعمى أو أى إنسان مريض، فإذا شفاه المسيح فى يوم السبت يثور قادة اليهود ويعتبروا أن المسيح نقض الشريعة وخالف الوصية، إذن هو ليس المسيح، فكان يقول لهم: إذا أى أحد منكم سقط حماره أو ثوره فى يوم السبت فى حفرة ألا يقيمه؟؟ فكم الإنسان أوليَّ بأن يُصنَع له الخير، إنما جعل السبت لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. فمن هذا المبدأ تفكر أن تدرك أن الله عندما وضع الشريعة لم يضعها لكى تكون قيداً على الإنسان، وإنما جعلت لخير الإنسان، فالله عندما منع الإنسان أن يعمل عملاً فى يوم السبت، لم يكن القصد منه أن يتحكم الله فى الناس، إنما هذا لخير الإنسان لكى يكون عنده فرصة للتعب من جهة، وأنه يصنع الخير، وأيضاً لكى يستريح جسماً من العمل، وذهنياً أيضاً، فإذاً هى لخير الإنسان وليس هو قيد على الإنسان ومنع لحرية، هذه هى نقطة الخلاف الأساسى التى تضخمت ووصلت إلى أن اليهود يقوموا على المسيح كما قاموا على الأنبياء من قبل، لأنه كان يوبخهم بسطان، هذا التوبيخ وهذا التقريع كان من جهة يؤلمهم، ومن جهة أخرى يهز مكانتهم أمام الشعب، فكان هذا يقض مضاجعهم ويزيل مكانتهم. هذا التوبيخ على فهمهم الضيق للشريعة، وعلى تحويلها إلى قيد لحرية الإنسان، بدلاً من أن تكون كما أرادها الله لخير الإنسان ولنفعه الإنسان.

وهكذا فى أمور أخرى كثيرة، مثل شريعة القتل، أو شريعة الزنا أو ما إلى ذلك.

**سؤال:** مَنْ مِنَ الأنبياء الذين قتلوهم وثاروا عليهم، ممكن أمثلة سريعة؟

**الجواب:**

موسى النبى نفسه، حقاً أنهم لم يقتلوه ولكن أساءوا إليه كثيراً، وتَقَوَّلوا عليه كثيراً، وحدث أن قامت ثورة تزعمها بعض الشخصيات ضد موسى النبى وضد هارون، ولكن الله تدخل وأثبت لهم كرامة موسى النبى، ونزلت نار من السماء وأحرقت هؤلاء الناس.

وهناك أنبياء آخريين مثل إشعيا النبي وهذا نشره بالانشار وهو أحد الأنبياء الكبار، وله سفر من أسفار الكتاب المقدس، وآخر اسمه إرميا وهذا رجموه حتى مات، وآخرون كثيرون، وعلى سبيل المثال في أيام السيد المسيح يوحنا المعمدان بن زكريا عندما طلب هيرودس من المجوس أن يذهبوا إلى بيت لحم، وعندما وجدوا المسيح يرجعوا إليه لكي يذهب هو أيضاً ويسجد له، وقال لهم هذا بمكر، ولكن المجوس عندما ظهر لهم النجم مرة أخرى فرحوا فرحاً عظيماً، وبعد أن خرجوا من أورشليم وذهبوا إلى بيت لحم وقف النجم فوق المكان الذي كان فيه المسيح مولوداً، ثم دخلوا وقدموا هداياهم من الذهب واللبان والمر، يقول الإنجيل «أوحى إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس بل يرجعوا إلى بلادهم عن طريق آخر» وهذه أشعر بها أنها إحدى المظاهر لعناية الله بالناس الذين هم خارج دائرة بنى إسرائيل، فهؤلاء الناس أوحى إليهم في حلم، فهناك نوع من الوحي لهؤلاء الناس على الرغم أنهم ليسوا من بنى إسرائيل، ولذلك أقول أن الله تعامل مع الناس بالرغم أنهم ليسوا من بنى إسرائيل، لذلك يلعب من وقت لآخر بعض الشخصيات مثل سقراط، وأفلاطون، وأرسطو وبوذا، وكل منهم نفس إنسانية خلقها الله وهم خليقته، ففي حالات من الصفاء تتعامل هذه النفس مع الله، فيكون هناك نوع من أنواع الوحي، ولذلك هؤلاء الزعماء كانوا يقولون أحياناً كلام فيه حكمة، على الرغم من أنه لم يكن لهم وحي بنى إسرائيل، ولم يكن لهم وحي الأنبياء، وإنما شيء من النبوة لأن أرواحهم أرشدت إلى شيء من الحق، وكان هذا الحق ليس من منهم وإنما من قبل الله القوة العليا التي تتعامل مع الإنسان.

المهم أن هيرودس عندما وجد أن المجوس سخروا منه ولم يرجعوا إليه استشاط غضباً، وأمر بقتل جميع الأطفال الذين في بيت لحم وكل توابعها وتخومها من ابن سنتين فما أقل، لكي يتم قتل السيد المسيح من بين هؤلاء، فطبعاً كان يوحنا المعمدان ينطبق عليه قرار هيرودس لأنه ولد قبل ميلاد المسيح بستة شهور، فمضى العسكر إلى بيت زكريا لكي يأخذوا الطفل، فزكريا الرجل العجوز الكاهن الذي أنجب يوحنا في سن متأخر جداً حوالي مائة سنة، لأن أليصابات زوجته كانت نحو ٩٠ من عمرها، ففزع الأب وأخذ ابنه وقال لهم: «أسلمه لكم من المكان الذي أخذته»، وحضن ولده وجرى إلى الهيكل أو كما يسميه القرآن المحراب، فذهب إلى هناك وصرخ لله وقال له هوذا الطفل الذي أعطيته لي ويطلبون أن يقتلوه، فاخطفه ملاك الرب من بين يديه ومضى به إلى الصحراء، وعاش

يوحنا في الصحراء وكان يرضع من لبن الغزلان، وعندما الجند لم يجدوا يوحنا قتلوا أباه زكريا، لذلك المسيح قال لهم: «سيأتي عليكم كل دم زكى سفكتموه على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن براخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح».

وفي موضع آخر قال لهم: أى الأنبياء لم يقتله أبائكم؟ وأيضاً فى الموعظة على الجبل أشار إلى هذا عندما قال لتلاميذه: «سعداء هم المضطهدون من أجل الحق فإن لهم ملكوت السموات، سعداء أنتم إذا شتموكم واضطهدوكم وافتروا عليكم كل شر من أجل كاذبين»، هنا «افتراء» بمعنى إدعاءات أو يتهموهم إتهامات باطلة من أجل المسيح، «كاذبين» أى اتهامات كاذبة، «افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات. لأنهم هكذا اضطهدوا الأنبياء الذين كانوا قبلكم».

**سؤال:** كيف كان تفسير المسيح عليه السلام للشريعة؟

**الجواب:**

المسيح يفسر الشريعة بمفاهيمها العميقة الحقيقية، هم فسروها تفسيراً خاصاً، ودائماً تفسير مادي وتفسير ضيق محدود، فعلى سبيل المثال: يقول: «سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب حكم القضاء، أما أنا فأقول لكم أن كل من غضب على أخيه باطلاً - أو من غير سبب - يستوجب حكم القضاء»، فهنا القتل عندهم هو إزهاق الروح، فالمسيح أراد أن يعمق الشريعة، بأن القتل ليس فقط أن تقتل واحد بسكينة، إنما هناك أشياء أخرى هى قتل فالمسيح لم يأت بشريعة جديدة قال «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأتمم». «فالحق أقول لكم أنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء». فهو جاء لا لينقض وإنما جاء ليتمم الشريعة، فمثلاً القتل كما هو فى الشريعة لا تقتل، كذلك فى العهد الجديد لا تقتل، إنما الفرق أنهم فهموا لا تقتل بمعنى أن القتل هو فقط بقطع الرقبة للشخص، فبين لهم أن هناك أنواع أخرى من القتل، يوجد قتل نفسى، ويوجد قتل روحى، ويوجد قتل أدبى، الإنسان عندما يسئ إلى سمعة إنسان فهو يقتله أدبياً، أو يشوه سمعة إنسان فهو يقتله، وإن لم يقتله بسكين إنما قتله قتل أدبى، فهناك أنواع أخرى من القتل؟

## سؤال: وهل الغضب أيضاً من القتل؟

**الجواب:** الغضب أولاً يقتل صاحبه ثم يقتل الآخر، لأن الإنسان الغاضب، حضرتك تعرف أن إنفعال الغضب يؤدي إلى تعكر الدم في الغاضب نفسه، ولذلك الحقد والكراهية وما إلى ذلك تقتل صاحبها، تجذ غليان في نفسه وهذا الغليان يؤدي إلى إفرازات الغدد الصماء وهذه تؤدي إلى أمراض وتؤدي إلى النهاية، أحياناً يحدث أن إنسان يغضب ونتيجة الغضب أنه يموت في الحال، آخر يفعل ويغضب فيصاب بمرض السكر، وأخيراً إلى الموت، فكثيراً ما يقتل الغضب صاحبه، الحاجة الثانية أنه يقتل الشخص الآخر، عندما تثير إنسان وتغضب عليه، بلا شك أنك تؤدي شعوره، في بعض الأحيان إنسان كلمة تجرحه، أو واحد يشتمه شتيمة، فيقول له: «يا ليتك كنت طعننتي بسكين»، إنما هذه الكلمة جرحنتي، أنا أعرف أشخاص بسبب إهانة قادته إلى الموت، جرح عميق جداً بهذه الإهانة ثم مرض ومات.

النقطة الثانية الزنا، يقول: سمعتم أنه قيل للأولين لا تزني، أما أنا فأقول لكم إن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه». هي هي نفس الشريعة في العهد القديم وما قاله السيد المسيح لا تزني، لكن هم فهموا أن الزنا هو إرتكاب الفحشاء في الظاهر، رجل وامرأة يرتكبان الفحشاء هذا هو الزنا، المسيح بيّن أن هناك مفهوم آخر أعمق، وهو أن نفس الإشتهاء نوع من الزنا، لماذا؟ أولاً هذا الإشتهاء عندما يحدث لشخص، نتيجته تحرك الرغبة وتكون نتيجة ذلك إفرازات داخلية، لأن الشهوة تحرك الهرمونات في الجسم إلى آخره، وكل ما هنالك أنه بعيد عن الطرف الثاني، لكن عملية الزنا تجري في داخل الإنسان، وهي الرغبة والشهوة وأيضاً التفاعلات التي تحدث في جسم الإنسان.

فهنا السيد المسيح مد أفاق الشريعة، ولفت النظر إلى أعماق الشريعة، الأمر الذي كان يغفل عنه قادة اليهود، فهو لم ينقض الشريعة كما ظنوا هم أو كما اتهموه، وإنما أبان لهم أنهم فهموا الشريعة على نحو ضيق ومحدود ومادى، بينما أن هناك مفاهيم أخرى روحية ومعنوية تدخل في نطاق الشريعة والنصوص المقدسة، لكنهم غفلوا عن هذه وحبسوا أنفسهم والآخرين ممن يفتنون بهم من سائر الشعب، في المفاهيم الضيقة التي صاغوها لأنفسهم واعتبروها الشريعة الحقيقية.



سؤال: ممكن مثل ثالث؟

الجواب: «سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الإنسان الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً. ومن أراد أن ينازحك ويأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً، ومن سخرك بأن تسير ميلاً واحداً فإذهب معه ميلين، من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده».

فهنا عين بعين وسن بسن، أى الذى قلع عين واحد من حقه أن يقلع عينه، فجاء المسيح ليقول أنه من الجائز أن يكون من حقه أن الذى قلع عينك أن تقلع عينه، ولكن هذا ليس من حق الفرد، بل هذا الحق يعطى للقضاء لأن يرد للشخص حقه أو إعتباره، بأن يحكم على هذا الإنسان المسيء وكما أساء يساء إليه، وهنا السمو فى الشريعة وفى النظرة وفى مد أفاق الشريعة.

سؤال: بعد إذن حضرتك: تقول العين والسن بالسن؟

الجواب:

أقول أن الشريعة القديمة أو شريعة العهد القديم أعطت للإنسان إحساساً بالعدل، أن من أساء إلى آخر فيجب أن يُردع، ولكن الردع يجب أن يكون من عمل المجتمع ممثلاً فى هيئة قضائية، افرض واحد قلع عين واحد، لا يأتى هذا الآخر ويهجم عليه ويقتله، وإلا يكون هناك فوضى، لكن إقراراً للحق والعدل أن هذا الإنسان الذى أساء حتى يُردع، وأيضاً حتى يكون عبرة لغيره يجب أن يعاقب، إنما الأمر يقتضى أن حق العقاب لا يكون للفرد وإلا استشرى الشر، إنما يكون لهيئة قضائية، الهيئة هى التى تحكم على هذا الفرد بأنه أساء وبالتالي يجب أن يعاقب، ومن الحق أنه كما هو قلع عين واحد أن تقلع عينه، حتى يرتدع وحتى يكون عبرة لغيره، فلا يعود واحد ثالث ويقلع عين واحد رابع، لأنه يعلم أن هذا الشخص الذى فعل ذلك قلعت عينه فلا يلجأ لهذا الأسلوب، فهذا نوع من أنواع التهذيب للإنسان من الشريعة، نقل الموضوع إلى القضاء، لأن فيه عدل، من الذى يُجرى العدل؟ هيئة القضاء، وهذا مذكور فى الكتاب المقدس، أن يجتمع الشيوخ ويحكموا على الشخص المسيء.

لكن التوجيه الجديد للسيد المسيح، هو أنه من جهة لم ينقض هذا المبدأ لأنه مبدأ عادل، ومن جهة أخرى أنه يقر العدالة فى المجتمع ممثلاً فى القضاء. فمن حق الإنسان الذى

قلعت عينه أن يطالب بأن تقلع عين الذي قلع عينه، من حقه أن يطالب، ولكن يكون أكثر فضيلة لو أنه من أجل الخير والسلام تنازل عن هذا الحق، فإنه بذلك يحسن إلى من أساء إليه ويسببه عاطفياً، ويسببه بمحبته، يسببه أى يأسره بمحبته، لأنه مع أنه من حقه أن يطالب بأن تقلع عينه لكنه تنازل عن هذا الحق محبة في أخيه، ومن أجل أن يكون سلام بينه وبينه، ومن أجل أن تعود علاقتهما بعضهما ببعض علاقة وئام ومحبة وتعاون.

لو فرضنا أن القضاء حكم له بأن غريمه ينبغي أن تُقلع عينه، هل يمكن أن نتصور بعد ذلك وبعد أن ينفذ حكم القضاء، أن يكون هناك سلام بعد تنفيذ الحكم على المسيء، وأن تعود علاقة السلام بينه وبين هذا الشخص؟ طبعاً لا .. أقصى ما فيها أن كل منهما يبعد عن الآخر وتنقطع صلتهم الواحد بالآخر، إنما المسيح يريدنا أن نتحول إلى نماذج في الفضيلة على غرار الله خالقنا، فإله صانع الخيرات، فكلمة ممكن للإنسان أن يصنع الخير، الله صانع الخيرات وهو الخير الأعظم وهو يجعل شمس تشرق على الأبرار والأشرار ويمطر على الصالحين والطالحين.

## حرية الرأي والإختلاف يؤدي إلى الإثراء<sup>(١)</sup>

أرحب بمنطلق الحرية الإقتصادية والسياسية والإجتماعية التي يحرص عليها حزب الأحرار، هذا مبدأ إنساني وحق من حقوق الإنسان، أذكر بهذه المناسبة لقاء مع الأستاذ الكبير مصطفى كامل مراد في وقت من الأوقات، تقابلنا في السفارة الأمريكية في المعادي، وبعد وقفة طيبة مع السفير الأمريكي، استطردهنا بعد ذلك فأخذ يتكلم عن أن العلاج الوحيد لمشكلات مصر هو الحرية، والحقيقة أنني استرحت لهذا التعبير، وكان تكييفه كعلاج أن يكون هناك إطلاق للحريات، وأن يكون كل إنسان حر في بلده ولا يكون هناك تشدد أو إغلاق، الإنسان يغلق على نفسه ولا يستمع لغيره، فهذا حقيقة أساس جميل جدا لو كل واحد في هذا البلد وبهذه الروح يسهم، بل يجب أن يسهم ومن واجبه أن يسهم، ويكون مخطيء ومقصر إذا لم يقدم كل ما يملك من نفسه وقلبه وروحه ودمه وفكره لأجل صالح البلد.

ومن هذا المنطلق أيضاً كلنا نجتمع كأبناء وطن واحد وكأبناء أسرة واحدة، وتزول النزعات التي أعتبرها غريبة علينا جداً، والحقيقة من نشأتى صغيراً، كانت كل المدارس التي تعلمت فيها مدارس حكومية، ابتدائي وثانوي ثم المرحلة الجامعية وما بعدها، كنا نعيش في جو من المحبة والوطنية، حتى في كلمة ألقيتها في نقابة الصحفيين قلت: أنه لم يحدث في أيام تعليمنا في المدارس الإبتدائية والثانوية وهي مدارس حكومية، أن الإنسان سمع أى كلمة مهينة، أو كنا نحس أنه يوجد أستاذ أنصف طالب لأنه مسلم، أو ظلم طالب لأنه مسيحي، كل هذه أشياء جديدة علينا في تاريخنا، وأذكر جيداً في فترة ثانوي كان لي صديق أعتز به جداً، حسن عبد الحميد الشريف الله يرحمه كان من مدينة أحميم، وكلمة الشريف هنا بمعنى أنه ينتسب إلى النبي محمد، وعلى الرغم من ذلك كنا نتفاهم مع بعض في المسائل المسيحية والإسلام، وكنا نتناقش إنما كانت هناك محبة كبيرة جداً تجمع بيننا، وبعد أن أنهينا مرحلة البكالوريا سنة ٣٦، افترقنا كل في طريقه، وفي سنة ٧٤ كان مؤتمر السلام العالمي، وكان السيد خالد محيي الدين ومجموعة منهم الأستاذ فوزي العمدة وهو عضو مجلس الأمة عن احميم وسوهاج، وكنا تسعة أشخاص

(١) كلمة في لقاء مع شباب حزب الأحرار الدستوريين - بمعهد الدراسات القبطية - مساء الخميس ٦ من اكتوبر ١٩٨٣ م - ٢٥ من توت ١٧٠٠ ش.

مسافرين معاً، وفي الطائرة كنت مع فوزى العمدة جالسين معاً نتكلم عن المحبة التي تربطنا دائماً باستمرار، وذكرت اسم علي حسن عبد الحميد الشريف، ووعدني عندما نعود سيحضره ويأتوا لزيارتى، وكان الإجتماع في بلغاريا، وحدث أنى تأخرت هناك لأن بطريك بلغاريا طلب أن أبقى يومين أو ثلاثة، وبعد ذلك أيضاً بطريك روسيا كان حاضر المؤتمر ودعانى إلى موسكو، وعندما رجعت مع بالغ الأسى فى اليوم الذى عدت فيه كان منشور فى الصحف خبر وفاته، فذهبت مع الأستاذ فوزى العمدة نزور الأسرة لتعزيتهم، فاستعجبت لأن السيدة زوجته، على الرغم من أننا كنا شباب صغار ولم يكن تزوج، أحضرت لى صورتى التى كان يحتفظ بها، هذا يبين مرحلة الصداقة والمحبة التى عشنا فيها معاً، عندما نذهب إلى أى بلد خارجية نتكلم ونبين أن بلدنا تختلف عن لبنان، وتختلف عن أى بلد آخر فى العالم، نعيش معاً فى عمارة واحدة، وفى سكن واحد، نتعامل معاً فى المدرسة وفى الجامعة وفى العمل وفى الأتوبيس، ولا يوجد أى فصل بيننا، لأننا ندرك منذ الإبتداء أننا أسرة واحدة.

الحقيقة أنا سعيد أن ألتقى بكم وسعيد أيضاً أن أسمع الخط الأساسى الذى يقوم عليه الحزب، والمنطلق الذى يتصرف منه لكى يقدر أن يخدم البلد، ولا شك أن هذا مهم جداً أن يكون مبدأ الليبرالية، مبدأ يحتضنه الحزب ويربى شباب مصر جميعاً على هذا المبدأ، وبهذه الطريقة فعلاً يتحقق السلام بين الناس. ما المانع أن يكون لكل رأيه وإعتقاده ومع ذلك نحفظ بالمحبة بعضنا البعض.

الشيء الثانى أن هذا الإختلاف يعمل إثراء، دائماً أنا أقول، أن الله كان يمكن أن يخلق الناس نسخة واحدة، لكن لم يعمل ذلك، قال أحد الفلاسفة: أنه لا توجد على شجرة واحدة ورقة مثل الثانية، وأنا مرة كنت واقف بجوار شجرة وأردت أن أتحقق من هذا الكلام، ففعلت وجدت الهندسة لأى ورقة تختلف عن الأخرى. اليوم يقال لا يوجد شعرة على رأس إنسان تشبه الشعرة الأخرى، ولا يوجد قلامة ظفر عصفور مثل الآخر، واليوم أيضاً نبرات صوت الإنسان تختلف، لذلك يتكلموا أمام الميكروفون، ويصل الصوت متميز لكل بقعة على الأرض حتى إلى القمر، دون أن تختلط بملايين الملايين من الموجات الصوتية الموجودة فى الكون، هذا يدل على عظمة الخالق فى التنوع، أنه لم يخلق نبرات صوت إنسان مثل الآخر، كذلك لا تجد شكل عين الإنسان مثل الأخرى، أو الكلية اليمين مثل الشمال، أو اليد اليمين مثل الشمال فى الإنسان الواحد، هذه عظمة الخالق أنه لم يخلق شيء مثل

الأخر، إذن هناك هدف في هذا التنوع، فلا بد أنه يكون هناك إختلاف في الفكر، ولماذا لا يكون هذا؟ مثل نغمات الموسيقى تتألف مع بعضها البعض، وكل نغمة مختلفة عن الثانية لكن تكوّن سيمفونية مع بعضها البعض، فممكّن جداً أن الناس تختلف في الرأى بدون أن يكون هناك إرهاب فكرى، أنت لك رأيك وأنا لى رأىي، وبتفاهم، وقد نتحمس، ولا بد لكل واحد أن يتحمس لرأيه لكن دون أن تكون هناك عداوة، ودون أن تكون هناك كراهية، وكل إنسان يستفيد من الآخر، لأننا كلنا نحيا في مجتمع.

لكن الحيوان يحيا في قطع، لا يوجد نقل للفكر من خروف إلى خروف، أو من حصان إلى حصان، أو من أسد إلى أسد، ولا يوجد تقدم، الخراف كما هى الصغير مثل الكبير، بل بالعكس الكبير يضعف جداً ونجد الحيوان الصغير يقوم على أبوه ويقتله، القردة تقوم على القردة العليا وتقتلها، أما الإنسان كلما الواحد يشيخ يزداد إحترام الناس له، لأنهم يعرفوا أن عنده حكمة وعنده معرفة وعنده خبرة يقدر أن ينقلها إلى غيره من الناس، وحيثما اجتمع إثنان في أى مكان لابد أن يتبادلوا الفكر، الواحد يتكلم والثانى يصغى، قد يكون اللقاء بين إثنين فقط لكن تجدهما خرجا من اللقاء ليس كما دخلا، كل واحد أخذ من الآخر، وهذه طبيعة المجتمع، بهذه الطريقة نترقى ونكبر، وكل هذا نفع يعمل على إثراء للوطن، وللبلد كلها وللإنسانية بصفة عامة، أنت تعطينى فكر وأنا أبادلك الفكر، ومن هنا تظهر الحقيقة، ويكون هناك رقى ونجد أنفسنا تسير في خط صاعد إلى فوق وإلى الأمام، إنما نقوق أنفسنا هذه ليست إنسانية، وبذلك تغيب عنا حكمة الخالق في أنه خلق هذا التنوع في الخليفة.

خصوصاً التنوع الفكرى، لأن ثروة الإنسان وقيمة الإنسان في الفكر، لأن الفكر أرقى ما عند الإنسان، العقل له ملكات كثيرة والفكر أرقاها، فهذا الفكر الإنسان يرتفع ويرتفع ويرتفع، الإنسان الواحد يقول عندما كنت صغير كنت أفكر الموضوع الفلانى كذا، لكن الآن وجهة نظره تغيرت لماذا؟ مع كل مرحلة من مراحل العمر يستفيد، ويأخذ، الدرس لا نأخذه في المدارس فقط، بل عن طريق الصحافة، وعن طريق الكتب، وعن طريق النقاش والجدل. فالواقع أن هذا هو طريق التقدم للبشرية، واليوم أكثر من أى وقت مضى في التاريخ، البشرية متجهة إلى الإنسانية، فتنطوّر نظام القبيلة التى كان فيها العداوة بين الناس وبعضها، ودخلت القبائل فيما يعرف بالمدينة، وتحولت المدينة كما في مصر وإلى إقليم مثل إقليم الوجه البحرى وإقليم الوجه القبلى، ثم صارت دولة واحدة وملك واحد،

واليوم أصبح هناك هيئات عالمية مثل هيئة الأمم المتحدة، أى أننا نتجه نحو الحكومة الواحدة، نحلُّ مشاكلنا بالتفاهم وبالحوار، ويكون هناك عقل كبير مثلاً في هيئة الأمم المتحدة بإعتبار أن الأسرة البشرية كلها أصبحت واحد. فنحن متجهين هذا الإتجاه، ومما يساعدنا على هذا الإتجاه الليبرالية، نعطى فرصة لكل إنسان أن يعبر عن رأيه، حتى كلمة الرؤيا في اللغة العربية، رأى ويرى، طبعاً توجد رؤيا ظاهرة أن الإنسان يرى بعينه، لكن توجد رؤية داخلية أرى رأى معين، أرى صورة في ذهني ثم أنقلها وأعبر عنها، فهي رؤيا أيضاً، وإن كانت رؤيا باطنية ولذلك يقولوا البصر والبصيرة.

البشرية تسير في طريق التقدم كلما كانت هناك فرصة لكل واحد، أحد الفنانين الكبار كان اسمه حبيب جورجي، هذا الرجل فنان عظيم عمل نقلة في الفن، فكان يقول عن الطفل أنه الأستاذ، وكانت طريقته في الفن يقول: أنا لا أفرض على الطفل طريقة الرسم، إنما أحكى له حكاية وأعطيه الطين والصلصال لى يعبر به، هذه المدرسة يسموها مدرسة حبيب جورجي، وعملت إنتاج جميل جداً ورائع جداً، وكان يجوب ليحضر أطفال غير متعلمين من القرى، أولاد وبنات صغار غير متعلمين، كان يقول: عندما نفرض على التلاميذ قواعد الرسم المنظور، الواقع أن الأستاذ أو المعلم أو الرسام يحد من نشاط وخيال الطفل، فقال أن هذه طريقة تميت الطفل أو تميت الكائن الحى الفنى الموجود والمغروس والموروث في نفس الطفل، فكان يعتقد أن الطفل المصرى فيه روح فنية موروثه من أيام مصر القديمة، هذا الكائن الحى عندما أعامله بالطريقة الحديثة للفن، طريقة الرسم المنظور، أنا بذلك أحدُ خيال الطفل لأنى أفرض عليه حاجة معينة، فالكائن الحى الفنى يختفى من الداخل، لا.. أنا أغير الطريقة، وأقص على الطفل القصة من الطبيعة ثم أتركه يعبر، وأعطيه مادة للتعبير وهى الطين، والصلصال، فتجد أطفال عملوا قطع جميلة، بقرة، سيدة تحلب البقرة، إنحناءة البقرة، لا يمكن أن تصدق أن طفل يعمل ذلك، ولد أو بنت غير متعلم يعمل هذا العمل، ولذلك هذه القطع عرضها في كثير من الدول حول العالم كله.

أريد أن أقول أن مبدأ الحرية، مبدأ أنك تترك كل واحد يعبر بطريقته عما بداخله، حتى لو إختلف معك في الرؤيا، وحتى لو حدث إحتكاك إنما يكون ذلك بروح المحبة، ونحن نعلم أن كل هذا يدخل في إطار الصالح العام لإثراء البشرية، لأن كل إنسان عندما يأخذ فرصة للتعبير عما بداخله يساهم في الخير العام للبشرية.

أنا مسرور وسعيد أن يكون هذا المنطلق هو الجوهر أو نقطة الإرتكاز في تفكير الحزب وتربية الشباب، وأنا كنت مسرور أن أسمع هذا الكلام من الأستاذ مصطفى كامل مراد، وهذه طريقة تفكيره وهى طبعاً طريقة تفكير الحزب كله، ونحن نرحب بها ونشعر أنها هى الطريقة البناءة التى تبني الإنسان المصرى، وبهذه الطريقة فعلاً نترقى ونكبر. ولا نعمل أبداً حواجز على الفكر الإنسانى، ولا نعمل أسوار وكوادر، إنما نترك الإنطلاق للروح وللعقل، كل هذا لخير مصر أولاً التى هى أمنا كلنا، وخير للبشرية لأننا لا بد أن نأخذ من بعض.

أتذكر كانت توجد ندوة ربما فى مارس سنة ٨٠، فى هذه الندوة كان الدكتور عبدالله عبد الشكور وكيل وزارة الأوقاف للدعوة ممثلاً للأزهر، وكانت الندوة فى نقابة الصحفيين ودعت إليها منظمة التضامن للشعوب الآسيوية والأفريقية، والحقيقة جاءت فكرة الندوة بعد أن تزامننا فى رحلة إلى لبنان لمد الأصول مع منظمة التحرير برئاسة السيد ياسر عرفات، فطلبوا أن نصحبهم فى هذه الرحلة، لكى تكون الكنيسة ممثلة، الحقيقة كانت رحلة سعيدة جداً وموفقة جداً وأفادت كثيراً، وكان لقاء مع السيد ياسر عرفات وكان سعيد بنا جداً جداً، المهم نبنت الفكرة مع الأعضاء عندما كنا معاً بمحبة كبيرة جداً، وكانت الندوة عن الوحدة الوطنية وكانت ستعمل فى لبنان ثم أُرجئت فأصبحت فى القاهرة، فى الحقيقة فى كلمتى أظهرت الروح التى كنا نحياها طوال عمرنا فى التعليم، وأنه كان لا يوجد أى تمايز بين مسيحي وبين مسلم، حتى مدرس اللغة العربية ما كان أبداً فى يوم من الأيام يجرح شعور واحد مسيحي، ويقول كلمة كافر أو الكافر أو ما إلى ذلك من التعبيرات التى نسمعها اليوم، ولا سمعنا أستاذ اللغة العربية يقول أن الدين عند الله الإسلام ومن ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وفى الآخرة من الخاسرين، على الرغم من أن هذه الآيات موجودة فى القرآن لكن لم نسمع أحد من أساتذتنا فى يوم من الأيام قال نص من هذا القبيل، لكى يجرح شعورنا بل كنا فى محبة لدرجة أنه أحياناً نجد واحد مسيحي يصحح لآخر مسلم فى اللغة العربية ويعجب به الأستاذ، لم نحس أبداً بهذه الحساسية أو هذه التفرقة الموجودة، أو أن واحد يأخذ درجات أكثر لأنه مسلم، أو طالب يأخذ درجات أقل لأنه مسيحي، هذه الفكرة لم تكن موجودة إطلاقاً، هذه الأمور أتت متأخرة، اليوم نسمع أشياء لم نسمعها طوال عمرنا.. كل هذا بسبب التطرف الذى ظهر أخيراً وهو غريب على روحنا المصرية.

أنا الحقيقة في الآخر عاتبت في كلمتي على الروح الجديدة التي بدأت تنشأ وبدأ أولادنا يسمعوها، الأولاد والبنات في المدارس والجامعات يسمعون كلمة كافر كافر، وأن الكتاب المقدس كتاب مُحَرَّف، أقول عاتبت على التليفزيون وعلى المتحدث الديني، والطريقة التي يتكلم بها والإثارة التي عملها، وأنا أعتبر أنه المسئول الأول والكبير عن جماعة التكفير والهجرة أو على الأقل أبوهم الروحي، لأن الطريقة التي يتكلم بها أثارت المسيحيين بشكل غير عادي، وطبعاً كل هذا سبق على القرارات الأخيرة التي صدرت وخلقت جو من التوتر، حتى قلت وقتها أن المتحدث الديني في التليفزيون يشرح للمسيحيين إنجيلهم، لو كان يشرح الإسلام هذا جميل، إنما أنه يدخل ويشرح المسيحية، وشرحه فيه مغالطات ولنا على أقواله ردود، ولكننا نشفق على هذا البلد من هذا الجدل الديني العقيم الذي لن يفيد منه الإسلام ولن تفيد منه المسيحية، إنما يفيد منه أعداء البلد الذين يتفرجون علينا فيشمتون، إنى لا أستطيع أن أصدق أن هذا دين كله، إنه دين وراءه سياسة، والسياسة تلعب بالدين، وإنى من هذا المنطلق أوجه كلمة عتاب للتليفزيون. المهم أن الدكتور عبد الشكور قال من ضمن كلامه، أن فلان يقول أنهم يسمعون الآن كلمة كافر، ما رأيك أننا أنفسنا يقال عنا أننا كفرة، فصفق كل الموجودين.

في شعبة الثقافة في المجالس القومية المتخصصة، الدكتور حسين فوزى وهو من كبار المثقفين في البلد وأعظمهم، مسلم وولد في الحسين ويفرضوا عليه الكفر، هذه كلها أشياء جديدة، وقف وقتها الدكتور إبراهيم صقر وهو صديق قديم، وهو أستاذ في كلية التجارة ورجل في السلك الدبلوماسي، رأيت في رئاسة الجمهورية في وقت ما، ورأيت مرة ثانية في أديس أبابا، تكلم ومن ضمن ما قال: أننا نحن الأغلبية في هذا البلد لابد أن تكون منها المبادرة، فواجب على المسلمين كأغلبية في البلد أن يظهرُوا التسامح والمودة. وقال: أنا أعتب على كلمة سيادتك لأنه لماذا يحدث ذلك؟ لأن فيه نوع من التقوقع من جانب الأقباط، وأنا عقيبت على ذلك فقلت: أذكر مرة السيد خالد محيي الدين من عدد من السنين في الأوائل وكنا نحكى أنه في أيام قيام الثورة، حدث فعلاً أن الأقباط تقوقعوا لأنه بدأت شكوك في نفوس رجال الثورة ضد الأقباط، وأيضاً في أيام جمال عبد الناصر حدثت تصرفات معينة، فأنا أشير أو أعقب على كلام سيادتك أن هذا التراجع في بعض الأحيان أو ما نسميه بالتقوقع أو الإنحصار كما نقول، في الإتحادات الجامعية أو غيرها، الأقباط مصريين والمصريين فيهم طبع مصرى أو خصائص مصرية قديمة، عندما يجدوا شيء لا يعجبهم يتراجعوا



ويغلقوا على أنفسهم حتى يأتي الوقت المناسب، فهذا نوع من الإعتراض بطريقة التقوقع، هذا خلق مصرى قديم فينا كلنا، وهذا كان موقفنا دائماً من الغزاة، تاريخ مصر كله مع الغزاة كان جزء كبير من المقاومة، وكانت مقاومة من هذا النوع الصامت، الإنسان يغلق على نفسه رغم أنه لا يقبل أبداً المستعمر، هذا خلق مصرى قديم.

المهم أن الدكتور إبراهيم صقر كان محق في أنه يطالب أن تكون المبادرة من الأغلبية، أي أن يفتحوا صدورهم أولاً، وعندما يرحبوا تجد الأقباط يتحركوا لأن الإخلاص المصرى موجود، لكن يوجد نوع من الخوف نتيجة ما يحدث، بهذه المناسبة دعينا سنة ٥٦ إلى مؤتمر في لبنان في بلدة اسمها بن حمدون، وكان اسمه مؤتمر التعاون الإسلامى المسيحى، فكان يوجد قيادات إسلامية ومسيحية من الشرق الأوسط جميعاً وأيضاً من باكستان والهند وإلى آخره، وأيضاً من بلاد أوروبية لكن كانت قليلة، وكل بلاد الشرق الأوسط سوريا ولبنان وإيران، كنا ثلاثة مسيحيين الأنبا صموئيل وأنا وواحد آخر، وإخوانا المسلمين في مصر لم يقبلوا الدعوة، فأشيع أن هذا مؤتمر صهيونى، وفعلاً قامت مظاهرة وجاءت إلى الفندق، فجاء السكرتير العام للمؤتمر وعمل مؤتمر صحفى لى يشرح أعمال المؤتمر، صحفى من القاهرة كتب في صحيفة الأهرام يرد على السكرتير العام للمؤتمر، يقول له إننا لم نحضر لأن الحركة الصهيونية وراء هذا المؤتمر. ولم يُطلب منا موضوعات معينة لهذا المؤتمر، كان من ضمن الأشخاص الحاضرين الأستاذ السعيد رمضان، وكان هارب من مصر وهو من الإخوان المسلمين، وكثير من المسلمين من سوريا ومن لبنان وأيضاً رئيس الدراسات القرآنية في الجامعة السورية، ورئيس الفلسفة الإسلامية في إيران وهكذا من كل البلاد الهند، وباكستان إلى آخره. وجاءنى السكرتير وقال لى قل كلمة، فعملت تعليق بسيط ابن وقته، وكان رئيس الجلسة الشيخ البيطار وهو رئيس الدراسات القرآنية في الجامعة السورية في دمشق، فقلت نحن هنا القيادات المسيحية والإسلامية، وأكد أن القيادات هى التى تؤثر على الشعوب، وتوجد كلمة قالها أحد الفلاسفة أن الناس العاديين يميلوا إلى السلام فيما بينهم وبين بعض، لكن يحدث أحياناً أن بعض القيادات الصغيرة تقوم بعمل حركات وتخلق المصادمات بين الشعوب، لكن الشعوب بطبيعتها تميل إلى المحبة والتفاهم والتعاون لأنهم أبناء شعب واحد، ونحن القيادات المسيحية والإسلامية حوالى ٨٠ على الأقل، فقلت لو نحن نجحنا أن نتفاهم مع بعض سنقدر أن نؤثر على شعوبنا، وقلت أنا عندى إقتراحين، الإقتراح الأول: أن القيادات الكبيرة التى تفسر

وتوجه الناس والشباب ومن إليهم، عندما يكون في ذهنها شعور عدائى تستطيع أن تؤثر في الناس، فأنا أقول بلغة واضحة، توجد نصوص قرآنية تتحدث عن الكفار، وهذه النصوص توجه ضد المسيحية ويقال إن المسيحيين كفار، فلو أن القيادات الإسلامية تقدم تفسيراً متسامحاً أو واسعاً لعبارات الكفار، بحيث أنه لا يُنظر لأبناء الوطن على أنهم كفار، لأن هذا يعطى فرصة للصغار وللغوغاء أن يقوموا ليقتلوا هذا الكافر، فلو أن القيادة نفسها تقوم بتبصير وتوضيح أن كلمة الكفار هذه التي جاءت في القرآن، تقصد عباد الأوثان، فنكون بذلك أدينا خدمة كبيرة جداً لأن هذه مهمة جداً.

الإقتراح الثانى، أنا من رأيى أنه في المدارس اللاهوتية المسيحية لابد للطلبة الذين يتخرجوا قادة للدين المسيحى أن يدرسوا الإسلام، ويدرسوه لا على مسيحي وإنما على مسلم، ليقدم ويشرح الإسلام لا من منطلق مسيحي، وإنما يقدمه من منطلق إسلامي فيكون هناك أمانة في التعليم.

وأيضاً في المدارس الأزهرية قبل أن يتخرجوا قادة للدين الإسلامى، يفهموا الدين المسيحى ويدرسوه لا على مسلم وإنما على مسيحي، وبعد أن إنتهيت من الكلمة التي قلتها بالعربى وبالإنجليزية، كان الشيخ البيطار هو رئيس هذه الجلسة، وكان الجو حار وكان خالع العمامة، فلبس العمامة على رأسه ووقف، وقال: أنا وضعت عمامتى على رأسى لأبرهن على أن ما سأقوله باسم الإسلام، يقول الأستاذ أنه يوجد نصوص قرآنية تتكلم عن الكفار، وتطبق على المسيحيين، وأنا أريد أن أطمئن الأستاذ أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون المقصود به المسيحيين، وبدأ يأتى بنصوص جميلة جداً من القرآن ومن السنة ومن غيرها كلمات مرطبة جداً، ولم يرد على الإقتراح الآخر الخاص بالدراسة.

وفي فترة الراحة قال لى مفتى لبنان الشيخ خالد: طرقت على وتر حساس جداً، وما قلتة في غاية الأهمية، لكن يؤسفنى أن ما قاله الشيخ البيطار لا يعبر عن وجهة نظر الإسلام، ثم جاءنى رئيس الفلسفة الإسلامية في طهران، ولم يعرف ما قاله الشيخ خالد وقال لى: النقطة التي أنت تكلمت فيها كلمة في الصميم، وبدون هذه النقطة كل كلام المؤتمر لا قيمة له، إنما ما قاله الشيخ البيطار لا يعبر عن وجهة نظر الإسلام.

والشئ بالشئ يذكر، في جريدة الأحرار في تاريخ ٦/٦ سنة ١٩٨٠ وأتذكر كان وقتها صوم رمضان، المهم في الصفحة الدينية أحد الكتاب وضع النصارى مع الكفار

والمشركين، وأخذ يتكلم ويقول كيف يقولوا أن للإله إبناً، كما لو كنا بهذه الغباوة نقول أن الله يلد، ولم يقل أحد هذا الكلام أبداً إطلاقاً، لكن حضرته شوه العقيدة المسيحية، كلمة المسيح ابن الله شوهها بهذه الصورة، كيف يكون الله له ولد؟ ومن قال ذلك؟ بكل بساطة كل إنسان له أب، والمسيح عندما ظهر كإنسان من أبوه؟ المهم أنا أرسلت للأستاذ مصطفى كامل مراد عتاب على ما نشر، وأرسلت له كتاب كنت كتبتة: لماذا سمي المسيح ابن الله؟ وقلت له أن المسيحيين لم يصلوا إلى الغباوة لدرجة أنهم يقولوا أن الله يلد كما يلد الإنسان، وأن البنوة هنا بهذا المعنى التافه الحسى الجسدانى الذى فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان، لكن هذه صحيفة عامة، لماذا تهاجم وهى صحيفة كل المصريين مسيحيين ومسلمين، لماذا جريدة عامة مثل الأحرار التى يقرأها المسيحي ويقرأها المسلم نُشتم فيها بهذه الصورة ونوضع مع الكفار ومع المشركين؟، وبلغنى أن الأستاذ مصطفى كامل مراد أثار الموضوع ... فأنا أعود مرة أخرى لكلمة الدكتور إبراهيم صقر وأقول هذا التعقيب، أنه إذا كان هناك تفوق من الجانب المسيحي فى إتحادات الجمعية أو ما إلى ذلك، فالسبب أن الأقباط يغلب عليهم الطابع المصرى، عندما لا يجدوا ترحيب ويجادوا شكوك حولهم أو شىء من هذا القبيل يتفوقوا ويتراجعوا وهذا ما حدث، أنا شرحت للسيد خالد محيى الدين السبب فى أن الثورة عندما قامت تبنت بصورة واضحة جداً الإتجاه الإسلامى، أنا رأيت بنفسى مقال لمحمد التابعى الذى يكتب فى يوميات الأخبار، وأنا كنت وقتها خارج مصر، وبعد أن عدت من إنجلترا وجدت كتاب على سور الأزبكية تحت عنوان من هم الإخوان؟ وفيه مقال من ضمن المقالات لمحمد التابعى فى الأخبار سنة ١٩٥٢م بعد قيام الثورة، تحت عنوان «خيار وفقوس» يقول فيه: قولوا لنا يا رجال الثورة من أنتم؟ وما علاقتكم بالإخوان المسلمين؟، هل نفهم أن لكم علاقة بهم؟ ثم لماذا طلبتم من حسن الهضيبى أن يعمل بيان يؤيد به الثورة، ولماذا حسن الهضيبى بالذات؟ وعندما تباطىء حسن الهضيبى أرسلتم له رسول فى الإسكندرية، ولما تباطىء مرة أخرى أرسلتم له رسول ثان حتى جاء وألقى البيان ليؤيد به الثورة، كان وقتها لا يوجد كترول على الصحافة، هذا مقال لمحمد التابعى وموجود فى كتاب من هم الإخوان؟ نقلاً عن جريدة الأخبار.

الحاجة الثانية أن جمال عبد الناصر بعد قيام الثورة، عملوا حفلة تأبين لحسن البنا، فذهب جمال عبد الناصر، وذكر أن حسن البنا رائدنا ومعلمنا وأستاذنا وزعيمنا وقائدنا، خمس كلمات، وأيضاً عندما قامت هيئة التحرير حدث نوع من الشكوك فى الجانب

المسيحي، لدرجة أنه عندما عمل مؤتمر في لندن، أوعز إلى الأقباط أن يعملوا مؤتمر هنا في القاعة المرقسية كي يعبروا عن رأيهم، فأنا دعيت في جريدة وطنى لكى ألقى كلمة عن الشباب في ذلك الوقت فقلت لهم ما هذا؟ هذه قضية وطنية عامة، لماذا الأقباط ينفردوا بها ويعملوا مؤتمر؟ المهندس مع المهندسين، المحامى مع المحامين، الطبيب مع الأطباء، الصيدلى مع الصيادلة، رجل الأعمال مع رجال الأعمال، لماذا الأقباط ينفردوا بمؤتمر، أنا رفضت وقتها أن أتكلم في مؤتمر للأقباط لأن هذه قضية وطنية عامة، لماذا الأقباط؟ هل نحن جالية؟ لا ... فلماذا هذه الصورة؟ لكن ما حدث أن رجال الثورة في مبدأ الأمر كان هذا هو اتجاههم، ولذلك عندما تكلم خالد محيى الدين في وقت من الأوقات عن توقع الأقباط، شرحت له الأسباب، وقلت له أن ساعة قيام الثورة، الصورة التى أحس بها الأقباط أنهم ليسوا من نسيج هذه الأمة، فعندما ظهرت وجود شكوك حولهم تراجعوا.

لكن انظر إلى عظمة سعد زغلول، كيف نقل سعد زغلول القضية الوطنية، وكان الأقباط مع سعد زغلول ونفيوا معه، لذلك استطاعت مصر أن تحقق أعظم نصر، ثورة شعبية حقيقية وطنية كاملة، لماذا؟ لأن هذا الإحساس كان غير موجود، ووجد الإحساس بأن البلد بلد الكل، فاسمح لى في هذا التعبير أن أكرر ما قاله الدكتور إبراهيم صقر، المبادرة ينبغى أن تكون من الأغلبية، أن يشجعوا الأقلية ويحسسوهم أنهم معهم، إنما دائماً الشخص الذى من جانب الأقلية يكون عنده نقطة ضعف، فيجب أن الأغلبية تطمئن الأقلية فتجد الإخلاص والمحبة تنطلق، لأن البلد بلد الكل، الحقيقة أنا أجد سياسة الرئيس الحاضر حسنى مبارك أنه واضح جداً ولذلك أنا لم أكتف نفسي، من أول خطاب وثانى خطاب أرسلت له تهنئة على الطريقة التى يعالج بها الموضوعات، وكيف يتكلم عن مصر وعن المصريين جميعاً، وحتى كلمته في الأزهر يتكلم عن ما قبل المسيحية والإسلام، كيف أن مصر عرفت التوحيد، وهو يتكلم في الإحتفال الألفى للأزهر، فأنا مسرور جداً بإتجاه الرئيس، هذا الإتجاه العام الذى يشعر الإنسان أنه فعلاً عملياً وليس كلام أو شعارات، يجعل كل الناس تشعر أننا أسرة واحدة ولا فرق بين مسلم ومسيحي في الوطنية، يوجد إختلاف في العقيدة نعم، لكن في الوطنية البلد بلد الكل، نحن عائلة واحدة، يصادف في العائلة الواحدة أن يختلف أخين في الفكر، كان على ماهر وأحمد ماهر أخين، لكن كان كل واحد له إتجاه، ما المانع؟ في عائلة واحدة، أخ وأخوه مختلفين في العقيدة السياسية، لكن عائلة واحدة، فنحن أشقاء ونحن أبناء بلد واحدة، لنختلف في العقيدة.. نعم، هذا شيء

مشروع، نختلف فكرياً .. نعم، لكن لا يصل الإختلاف لدرجة أنه يرفع المحبة أو يوجد حواجز أو كراهية بيننا وبين بعض، ونحن عشنا كذلك، كل واحد فينا مسيحي له صديق مسلم قد يحبه أكثر من المسيحي، ومرة سمعت من الرئيس يقول أنا غير متعصب، أنا لي أصدقاء من المسيحيين أكثر من المسلمين، فكل واحد منا له أصدقاء، إن كل مسيحي له أصدقاء مسلمين يعزّهم ويعزوه جداً ويحترمهم ويحترموه قد يكونوا أكثر من أسرته، والعكس أيضاً من المسلمين عندهم أصدقاتهم من المسيحيين.

تحضرنى قصة في أيام الخديوى عباس الأول، كان الحكيمدار والباشكاتب في شين الكوم، تقريباً كان وقتها العاصمة في المنوفية، الباشكاتب كان مسيحي والحكيمدار كان مسلم، وكانت محبة وصداقة بينهم عظيمة جداً، وما حدث إنه في عهد عباس الأول كما يقول المؤرخين أنه كان عنده كراهية شديدة للمسيحيين، فصدرت الأوامر من أفندينا وكانت سرية بأن الشرطة وكان وقتها يسموهم البوليس، يمكنوا المسلمين من إبادة المسيحيين، وجاءت الأوامر سريعة وسرية، فعندما جاءت للحكيمدار، أول ما فكر فيه هو في صديقه الباشكاتب، لأن هناك محبة شديدة بينهم وبين بعض، فكان مهموم وحزين على صديقه، فاستمر يفكر في أثناء النهار، كيف يُعلم صديقه وفي نفس الوقت هو خائف من انتشار الخبر، لكنه يريد أن ينقذ أخوه القبطي، وقال في نفسه أن الصداقة تقتضى أنى أقول له وأحميه وأبحث عن طريقة بها يهرب، وأخذ يفكر متى أقول له وكيف وأين؟ وضاع الوقت، وذهب إلى بيته والأوامر ستنفذ في الصباح، وصل به الأمر أنه قال أذهب له متخفى، فلبس ملابس امرأة وغطى نفسه بغطاء امرأة، وذلك بالليل والإضاءة ضعيفة جداً، وطرق على الباب ففتح الباشكاتب فوجد امرأة تقف على الباب، فتنحى لينادى زوجته لتقابلها، فإذا به صديقه الحكيمدار، فأغلق الحكيمدار الباب، وأخذ يضحك الباشكاتب وتصور أن هذا نوع من أنواع التمثيل، وقال له أنت تنفع امرأة والحكيمدار متجهم، قال له أنا حضرت لك في موضوع مهم لكن أوعدنى أن ما أقوله لك لا يصل لأحد آخر، وإلا ستضيع فيه رقبتى وروى له القصة، وشاء الله أن عباس الأول في تلك الليلة يُقتل، ولا يُعلن حتى اليوم من الذى قتل عباس الأول، قيل أن إثنين دخلا عليه وقتلاه، وقيل في التاريخ أنهما جاءا من تركيا.

أنا أروى هذه القصة لتدل على الصداقة التى كانت بين الحكيمدار والباشكاتب، وفي تاريخنا كل واحد فيكم أكيد نشأت بينه وبين مسلمين صداقة، وتوجد محبة بين المسيحيين

والمسلمين، ممكن واحد مسلم يحب مسيحي أكثر مما يحب قريبه المسلم، وممكن واحد مسيحي يحب صديقه المسلم أكثر من أى إنسان آخر، هذا واقع عشناه فى تاريخنا.

هذه النقطة نريدها تنمو وخصوصاً مع الشباب، هذا الشعور وهذا الإحساس بأننا يد واحدة وأسرة واحدة وعائلة واحدة، وأن الخلاف الفكرى الذى بيننا وبين بعض لا يصل أبداً لدرجة أن نكره بعض أو نقتل بعض، إنما نعتبر أن هذا إثراء لمصر ولصالح الإنسانية كلها، والناس تعيش مع بعض فى محبة ووثام كأسرة واحدة، وكما قلت كلمة الدكتور إبراهيم صقر، كلما كان من جانب الأغلبية نوع من الأريحية والتشجيع، يعطى فرصة للأقلية أن يتقدموا ولا يتراجعوا ولا يتفوقوا، نمد أيدينا أكثر لننزع الروح التى ضد طبيعة بلدنا وضد طبيعة مصر.

أيضاً نقطة صغيرة أريد أن أضيفها، لاحظت أن جريدة الأحرار حذفت التاريخ القبطى، علما بأن التاريخ القبطى هو التاريخ الفرعونى، تقويمنا هو تقويم فرعونى، نحن سبقنا كل شعوب العالم، ولزال الفلاح المصرى يسير على هذا التقويم فى النظام الزراعى، فلا أقدر أن أفهم الحكمة من إلغاء هذا التاريخ، مع العلم بأن فى الجرائد الأخرى كلها موجودة.

رغم أنه لم يحدث لقاء بينى وبين الأستاذ مصطفى أمين مراد، إنما حضرت بعض الجلسات فى أيام وضع الدستور، وأنا كنت أحد خمسة من الأساقفة دعوا سنة ١٩٧١ للإشتراك فى وضع الدستور كله، فأتذكر كان يوجد جلسات اسمها جلسات استماع، وكان الأستاذ أبو زيد هو المدعى الإشتراكى، فأتذكر الأستاذ مصطفى كامل مراد والطريقة التى كان يعبر بها عن فكره بالشجاعة والفصاحة والبلاغة وبالوطنية، لم يكن بينى وبينه صلة شخصية، كان أول لقاء بينى وبينه فى القنصلية الأمريكية فى المعادى، إنما أنا كنت معجب به من جلسات الإستماع، لأنى كنت أرى الشجاعة والقوة والوضوح فى الفكر وبلاغة التعبير، أنا أتابع أسبوعياً صحيفة الأحرار، فمن خلالكم أوجه التحية لكل الحزب ولجنة الشباب على الخصوص، وأشكركم على مجيئكم وأهلاً وسهلاً بكم فى أى وقت آخر، وأؤكد مرة أخرى أنه ما يسمى بالحساسيات غير موجود. إنما نحن أسرة واحدة ومحبة واحدة طول عمرنا.

أنا كنت فى المرحلة الجامعية فى قسم الفلسفة فى كلية الآداب جامعة القاهرة، وكنا جميعاً أخوة متحابين، أحد أصدقائنا والده توفى فذهبت لأعزيه، فمن فرحه بذهابى إليه

أخجلنى، أنا ذاهب أعزیه فى هذه المناسبة الحزينة، لكن فرحه بلقائى أخجلنى، الفرح الذى كان على وجهه وإبتسامته، وأحضر لى مشروب بارد وهذا غير مناسب.

كان من ضمن زملائنا فى قسم الفلسفة واحد اسمه كمال مهدى، الله يرحمه، كان ابن شيخ فى المنيا، وكانت صداقة عظيمة بيننا، عشنا بمحبة كبيرة وإنطلاق وإنفتاح وكل واحد منا يعبر عن رأيه، هكذا كنا وسنظل باستمرار، كل المشاكل التى ظهرت فى وقت ما نعتبرها غيوم تنقش ويرجع لمصر طبعها، والمصريين يرجع لهم إحساسهم بالأسرة الواحدة والعائلة الواحدة والمحبة الواحدة التى تجمع الكل، كلنا نسيج واحد، كلنا مصريين، والبلد بلدنا كلنا، كل منا ينبغى أن يبذل دمه وفكره فى البناء بالطريقة التى يراها، لكن مع الإخلاص القلبى والنية الصادقة للخدمة بلا خبث وبلا إنحراف وبسلامة القصد وسلامة النية، إنما نبنى كُلُّ بموهبته، كُلُّ بقدراته، كُلُّ بإمكاناته وإمكانياته العلمىة والمهنية وخصوصاً الشباب، نحن فى خريف العمر، إنما الشباب هو كل شىء، شباب اليوم هو الذى سيتسلم البلد، فإعداد الشباب هو أهم شىء، فعندما يكبر شبابنا بهذه الروح الطيبة الجميلة، هذا يغسل وجه مصر مما لحق بها فى الظروف المتأخرة من أشياء ليست من طبيعتها، ولكنها مفتعلة، ويعود وجه مصر المشرق الوضاء، والحضارة القديمة التى غمرت العالم.

واحد من علماء السويد الأثريين قال: أنا لا أصدق أنه يوجد شعب من الشعوب فى هذه الحقبة الزمنية المحدودة، يقدر أن يعمل ما صنعته مصر من حضارة، إلا إذا كان من كوكب آخر، الله يقويكم ويسندكم بيمينه وينجح طريقكم، وتكونوا أنتم أدوات فاعلة لخدمة البلد، الكل بإمكاناته وكل فى موقعه، أنا سعيد بهذا اللقاء، ونحن نرحب بكم ونحن يد واحدة وروح واحدة. شكراً لكم وشكراً لمجيئكم ومرحباً بكم. فرصة سعيدة مباركة ونرجو لكم كل التوفيق.

قبل أن يكون فيه حزب وطنى، كان فيه حزب مصر أسسه ممدوح سالم، طُلب منى أن انضم لهذا الحزب، فقلت لا. أنا رجل دين وأنا للكل، ولا آخذ لون معين، نحن للبلد كلها ولصالح الكل، وجميع الأحزاب بالنسبة لنا إخواناً وأصدقاء سواء من حزب مصر أو من حزب غير حزب مصر، لأننى أنا رجل دين ولست رجل سياسة. الحقيقة اعتذرت عن هذا الموضوع، فأنا أقول أن هذه الحساسية غير موجودة لأننا نشعر أن حزب الأحرار أو الحزب الوطنى، حزب له منهج والهدف واحد فى الآخر وهو صالح البلد، ممكن أن

يختلفوا في طريقة التفكير أو المنهج الذى يخدموا به البلد، فأنا من جانبى كرجل دين أرحب بكم ولا أحس بأى حساسية من هذه الزاوية، لأنكم تعملوا لصالح البلد ولخير البلد، وأنا لا أكتممك أننى عندما أطلع جريدة الأحرار يعجبني الإتجاه الذى أعتبره نسبياً معتدل، حتى فى النقد، فأجد حتى كلمة الأستاذ مصطفى كامل مراد بإستمرار وهو رأى المعارضة، أقرأها بإهتمام فأجد إنسان معتدل فى طريقة التفكير، ومنهج التفكير، والنقد الذى يوجهه بأدب وبلياقة، فمن يرفض هذا؟! ولا بد أن أقرأ هذا الكلام وأنا لا أحس أبداً بهذه الحساسية، لأن هذه خدمة فعلاً هو يؤديها من وجهة نظره، النقد مادام يُؤدى بأدب وباحترام وبلياقة، والنقط التى يكتبها فيها فكر ويدافع عن هذا الفكر فلا بد أن الإنسان يرحب بهذا، لا يوجد تصيد للأخطاء ولا يكتب بروح حزبية بل هى مكتوبة بعقل وبتوازن، وفيها تسبيب، وفيها فلسفة فكرية، ليس مجرد واحد يريد أن يعترض، يوجد فكر ويدافع عن هذا الفكر ويسبب لهذا الفكر لصالح البلد كلها، فإذن هذه مساهمة ومساهمة محترمة ولا بد أن نرحب بها .. شكراً لكم وشرفتم. فرصة جيدة وسعيدة جداً. الله معكم وتحياتنا لكل.



# إجابات على أسئلة

## ١- تأييد ودعاء (١)

فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك.

رئيس جمهورية مصر العربية.

تحية طيبة مع الدعاء.

استمعت، وكنتُ آنذاك خارج القاهرة، إلى خطابكم الرائع الذى استجبتم فيه لرغبة وقرار مجلس الشعب، ورغبة المواطنين بالإجماع فى ترشيحكم لمدة رئاسة ثانية.

وأعترف لكم أننى تأثرتُ جدَّ التأثرُ بلهجة حديثكم وصدقته وعمقه، واهتزَّ قلبنى وشعورى بمحبتكم أكثر من أى وقت مضى. وكادت الدموع تنهمر من عينىَّ تأثراً مع شعورك بالمسئولية الكبيرة فى قبولكم للرئاسة للمرة الأولى، وقبولكم لترشيحكم للرئاسة للمرة الثانية.

إن خطابكم الجميل فى معناه ومبناه نموذج رائع ونادر فى زماننا للشعور الصادق بثقل المسئولية، والزهد فى بهرج هذا المنصب السامى الرفيع العالى، والتردد فى حمل المسئولية الضخمة إلاَّ من حيث هو السبيل الذى لا مفر منه للعطاء والبذل من أجل مصر وبنائها وإستقرارها وسلامها وخيرها وازدهارها.

إننى أكتب لسيادتكم هذه الكلمات ليس لمجرد الشكر والتحية، وإنما لشكر الله أولاً على أن لنا رئيس جمهورية بهذا النبُل وهذه العظمة الروحية، وهذه المشاعر الغنية الفياضة بالطهارة والزهادة والشهامة والحرارة الوطنية، ولكى أدعو العزيز القدير وحده أن يحفظكم لمصر ولجميع المصريين، مثلاً أعلى يُحتذى به فى الوفاء والعطاء والبذل والجهاد المقدس للخير والسلام العالمى.

إننى أصلى مع كل العابدين أن يكافئكم ربَّ السماوات والأرض بالجزاء المبارك ،

الأنبا غريغوريوس

أسقف البحث العلمى، والثقافة القبطية

العباسية

(١) كتب فى ٨ من يوليو - تموز لسنة ١٩٨٧ م

## ٢- يارب أعطني القوة لأقف بجانب كل مظلوم

إلى الأستاذ الكبير مصطفى أمين.

العزیز المبارک الأستاذ الكبير جداً والمحترم جداً اللائق به كل تقدير وإكبار ...  
مصطفى أمين.

أحييك أجمل تحية، وأقبلُ وجنتيك وقلبك وعقلك بكل الحب والإعزاز.

لقد تأثرت كثيراً وبعمق القلب والروح بمقالك تحت «فكرة» بتاريخ ١٩٩٢/٢/٢١  
ومطلعه: «يارب أعطني القوة لأقف بجانب كل مظلوم»..

إنني دائماً أقرأ منذ سنوات وسنوات مقالاتك «فكرة» بكل تمعن وإهتمام وأجده دائماً رسالة إنسانية عالية القيمة، بل أجرؤ وأقول رسالة سمائية. وكثيراً ما أقتطع مقالاتك لأحتفظ به. ومع ذلك وجدتنى مدفوعاً بعاطفة روحية أن أكتب لك وكأننى أكلمك وجها لوجه، لأشكرك على هذا المقال الأخير، وعلى مقالاتك الروحية السابقة، بل أجرؤ أن أقول، لأشكر الله من أجلك الذى وهبك كل هذا الجمال الروحى، بل ألهمك دائماً هذه الروعة. وعلى الرغم من أننى لم أتقابل معك شخصياً، وجهاً لوجه، لكنى أراك فى مقالاتك، وأرى بروحى قلبك وفكرك، وإيمانك.

ماذا أقول؟ أدعو الله أن يطيل حياتك، وينفعنا وينفع كل المصريين وغير المصريين بأدبك وقلمك، وعواطفك النبيلة وقلبك النابض بأعلى وأعلى القيم الروحية والأبدية.

واليك، الشكر من غير نهاية.

مرة أخرى أقبلك، وأقبلُ قلبك وروحك وفكرك، وأصلى أن يحفظك الرب الإله ويديم نعمته عليك، ويجعل ملائكة السماء فى حراستك، ويحطم قوات الشر والشيطان تحت قدميك، ويبارك بفضله كل جهودك للخير والرحمة والعطاء الدائم.

الأنبا غريغوريوس

٢٤ من فبراير لسنة ١٩٩٢ م.

أسقف الثقافة القبطية والبحث العلمى

١٦ من أمشير لسنة ١٧٠٨ ش.

مؤسسة أخبار اليوم.

مكتب مصطفى أمين.

القاهرة في ٩/٣/١٩٩٢.

عزيزى نيافة الأنبا غريغوريوس.

أسقف البحث العلمى.

تحية طيبة.

تلقيت خطابكم الكريم وكان له أعظم الأثر فى نفسى، ولا يسعنى إلا أن أشكر لكم  
مشاعركم الصادقة النبيلة، وأن أتمنى لكم كل صحة وسعادة وتوفيق. وأدعو الله سبحانه  
وتعالى أن أكون دائما جديرا بثقتكم وعند حسن ظنكم.  
مع خالص تحياتى.

المخلص

مصطفى أمين

## ٣- تهنئة لحزب الوفد (١)

السيد الأستاذ الكبير فؤاد سراج الدين المحامى.

ورئيس حزب الوفد الجديد.

تحية طيبة مع صادق التهنئة القلبية بقرار المحكمة الإدارية العليا، بحق حزب الوفد الجديد فى إستئناف ظهوره على الساحة الوطنية وإسهامه فى خدمة الوطن المصرى، إمتداداً لتاريخ الوفد الطويل العريض، وكفاحه وجهاده ونضاله منذ قيامه بثورة ١٩١٩ المجيدة الخالدة، بقيادة الزعيم الخالد سعد زغلول، ومن بعده خليفته العظيم مصطفى النحاس، تلك الثورة المجيدة الرائدة التى كان ولا يزال لها الفضل الأول فى نهضة الشعب المصرى وحصوله على حقوقه الوطنية، بالعمل والنضال المخلص الجاد وتضحياته بالروح والدم، وكان شعاره الجاد الصادق الأمين الذى لم يتزحزح عنه أبداً - مصر للمصريين - ومصر هى كل مصر، مسلمين ومسيحيين، ولم يكن أحد يحس بتاتاً بأى فارق، ظاهر أو باطن، بين مسلم ومسيحى. فالدين لله والوطن للجميع. ولذلك لم يتفوق الأقباط على أنفسهم، وإنما برزوا على الساحة الوطنية، وبذلوا أرواحهم وقلوبهم بكل التفانى والإخلاص بغير حدود أو قيود لخدمة البلد، إذ أحسوا تحت قيادتهم الوطنية الصادقة أن مصر هى لهم كما لمواطنيهم وإخوتهم فى الوطنية من المسلمين سواء بسواء.

وشكراً لله والمجد لإسمه تعالى أن الوفد الجديد بزعامتكم، سيسير على ذات الخطى الموفقة السعيدة التى جمعت ولم تفرق، فوحدت قلوب المواطنين جميعاً على مطلب واحد، ونحو هدف، وهم يلمسون، قولاً وعملاً، بأنهم أسرة واحدة تجمعهم أبوة واحدة وأمومة واحدة - أبوهم بعد الله هو زعيم الأمة المناضل خير الأمة كلها، وأمهم هى مصر، ومصر ..... يفدونها بأرواحهم وقلوبهم ويعملون من أجلها، ليتحقق لها الأمن والأمان، والإستقرار والإزدهار والسيادة على أرضها من غير أطماع توسعية، حتى تحيا مع جيرانها القريبين والبعيدين بالسلام والأمن والحب والتعاون. كنت معتزماً بأن أرسل لسيادتكم برقية تهنئة، فقد هزنى الخبر بفرح عظيم جداً، لأن تاريخ الوفد حافل بالأمجاد وحافل بروح السلام والتضامن الإجتماعى والوحدة الوطنية الحقيقية الصادقة نظراً وعملاً، ولم تكن مجرد شعارات لكسب رضى الجماهير.

(١) كتب الخميس ١٣ من يناير لسنة ١٩٨٤م.

مرة ثانية وثالثة أهنتكم وأهنتى الحزب كله بقيادتكم وزعامتكم وأهنتى مصر بكم وبحزبكم. ومع أننى رجل دين، لا أشاء أن أقحم نفسى فى السياسة، لكنى بصفتى مواطناً أشارك بلدى أفرأحها، بحزب أعلم من تاريخه الطويل أنه جمع وألف قلوب المصريين جميعاً، فأختفت به نكرة التعصيب المقيت الذى كلما أطل برأسه، عادت إلى مصر متاعبها وآلامها.

أسأل الله أن يحفظكم وأن يبارككم وأن يقويكم، ويشد من أزركم لتأخذوا دوركم فى خدمة بلدنا الأمين مع الأحزاب الأخرى جميعاً التى نتمنى لها بالمثل كل التوفيق. وعلى الله الإتكال وبه التوفيق، وله وحده المجد والإكرام والعبادة والسجود إلى كل الدهور.

## ٤- تحية وتقدير (١)

السيد اللواء حسن أبو باشا.

وزير الداخلية.

تحية طيبة مع الإعزاز والتقدير.

أكتب لسيادتكم مدفوعاً بمشاعر الإحترام، مقدراً من أعماق قلبى الجهد غير العادى الذى تبذلونه سيادتكم، تعاونكم أجهزة الوزارة ورجالها الساهرون، فى سبيل الأمن، والإستقرار.

إننى أتابع بإنبهار وإعجاب يقظتكم وسهركم على استتباب الأمن والنظام، ومتابعة العابثين بأمن مصر والمواطنين، الذين مازالوا يعملون بغير هواة على فرض إرادتهم بالقوة، لتعكير صفو المجتمع المصرى وسلامه، وتحويله إلى غابة تسيطر عليها شرعة القتل وسفك الدماء، غافلين ومتغافلين عن المعنى الأساسى لرسالة الدين. وهى ترويض الناس على الحب والإخاء والسلام الإجتماعى، وبذلك يسيئون إلى رسالة الدين فى المجتمع البشرى، مما يخدم الإلحاد ويعطى سلاحاً قوياً فى أيدي أعداء الله، لمحاربة الإيمان والدين وكل قيمه الروحية لإسعاد الإنسانية.

(١) كتب فى ٢٩ من أبريل لسنة ١٩٨٤م.

يحدث ذلك على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتوها في الحوار البناء مع هذه الجماعات الهدّامة، والشروح والدروس التي ألقاها عليهم أئمة شوامخ في الدين، تابعناها في الصحافة والإذاعة والتلفزيون ووسائل الإعلام المختلفة - وشكراً لوزارة الداخلية برئاستكم وحسن قيادتكم لأنها صاحبة هذه المبادرة البصيرة، التي كانت خير وسيلة لمعالجة هؤلاء المرضى لا بالأساليب القمعية، بل بالهداية والنصح والإرشاد والموعظة الحسنة.

السيد اللواء حسن أبو باشا.

لقد رأيت من واجبي الوطني أن أكتب لسيادتكم هذا الخطاب، معبراً لكم كمواطن مصري عن تقديري الكامل، وإحترامي العميق للجهد الوطني الممتاز الذي تقومون به على كافة الصُّعد، جهداً متواصلًا مضميناً في مهمة عسيرة، من أجل خير مصر، لمواصلة مسيرتنا المقدسة نحو الإزدهار والنمو والتقدم والإستقرار والسلام الإجتماعي.

مرة أخرى أحبيكم يا سيادة الوزير الساهر اليقظ، وأصلى أن يحفظ الله حياتكم، ويجزيكم خير الجزاء عن أتعابكم، ويقويكم ويوفقكم، ويحفظ الرئيس المحبوب المجاهد محمد حسنى مبارك ويلهمه ويحوطه وإياكم برعايته.

وتفضلوا سيادتكم بقبول خالص التحية والشكر وصادق الدعاء،،،

## ٥- ليس مسيحياً من يدعو إلى الصراع والعنف<sup>(١)</sup>

المحترم الأستاذ الدكتور أحمد شلبي.

الأستاذ بجامعة القاهرة.

تحية طيبة في الله الواحد الأحد.

اليوم فقط فضضت خطابكم المرسل من وقت مضى، وأعتذر عن هذا التأخير. وأشكركم على ما جاء في خطابكم من مشاعر طيبة، وعلى ما عبّرتم من إحترامكم لحرية الأديان، وإشادتكم بصدافتكم لعدد كبير من المسيحيين، الذين تربطهم بكم رابطة الإنسانية فضلاً عن رابطة الوطن الواحد.

(١) كتب في ٢٥ مارس ١٩٩٢ م.

وإننى أتمنى على الله أن تدعو سيادتكم، وأنتم الأستاذ المرموق في جامعة القاهرة، ولكم مكانتكم العلميّة والأدبية، إلى إشاعة السّماحة والحب بين المواطنين على إختلاف عقائدهم ومذاهبهم الدينيّة والفكريّة، ورفع الشعار (لكم دينكم، ولى دينى) وإلى وقف حملات الهجوم على من لا يدين بالإسلام، والسخرية بعقائدهم وممارساتهم، وإتهام كتابهم المقدس بالتحريف والتزييف، ووصفهم بالكفار وغير ذلك من التعبيرات التي تغذّي التطرف والإرهاب.

أتمنى على الله أن ينهج من يكتب في الإسلام نهجاً إيجابياً في شرح الإسلام وفضائله، والإلحاح على ما فيه من قيم روحيّة وعلميّة وأدبية وإجتماعية. فهذا المنهج أدعى إلى خدمة الإسلام ممن يكتبون عن (أعداء الإسلام)، ويتشدّدون في تكفير غير المسلمين ووصفهم بأنهم (حزب الشيطان).

إنّ الذين يكتبون إيجابياً عن إيجابيات الإسلام هم الذين يخدمون الإسلام. أما الذين يهاجمون عقائد غير المسلمين، فهم في حقيقتهم أعداء الإسلام، بل وأعداء الإيمان والدين، بصفة عامة. إنهم يخدمون الإلحاد والشيوعية واللا دينية.

أكرر الشكر لكم والتحية مع الإعزاز والتقدير.

في ختام خطابكم تقول سيادتكم (سمعتُ من يقول إنّ الكنيسة تشجع على الصراع بين المسلمين والمسيحيين وأنها تموّل هذا الصراع، وصدّقتُ ذلك).

ولقد دهشت جداً من هذا الإتهام الذى سمعتموه وهو من قبيل الإشاعات والشائعات التي يُطلقها بعض الناس من غير المسيحيين، ليبرروا بها تشدّدهم ضد المسيحيين. وليس ثمّت دليل على الإطلاق على أنّ الكنيسة تشجع على الصراع بين المسلمين والمسيحيين. العكس هو الصحيح على طول الخط.

وإنى لست في حاجة إلى أن أبرهن على أن هذه المقولة هي محض إفتراء. ويكفينى أن أقول لك إنه ليس مسيحياً من يدعو إلى الصّراع والعنف. كيف يصدّق هذا الإفتراء على ديانة يوصى فيها المسيح له المجد تلاميذه والمؤمنين (أحبُّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يُسيئون إليكم ويضطهدونكم) (متى ٥: ٤٤).



(من لطمك على أحد خديك فاترك له الآخر أيضاً. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً) (لو: ٦: ٢٩).

مع تحياتي، أرجو لكم من الله موفور الصحة وكل التوفيق،،،،

## ٦- من الخطر ربط الدين بالعلم<sup>(١)</sup>

السيد / الدكتور خالد منتصر.

تحية طيبة وبعد -

قرأت بإعجاب مقالكم المتمع المنشور بمجلة طبيبك الخاص في عدد مارس ١٩٨٧ تحت عنوان «هناك فرق بين الوجد الديني والبحث العلمي» صفحة ١٠٤-١٠٧.

ولقد أعجبنى قولكم بحق «فالخطر على الدين يأتي من محاولة ربط العلم المتغير بطبيعته، بالدين القائم على المطلق، ومحاولة إيجاد رابطة بين العلم القائم على التجريب والبحث، وبين الدين القائم على الغيبيات والإذعان للأوامر والنواهي. فالعلم بطبيعته نقدي والدين بطبيعته تسليمية».

ونحن أيضاً كمسيحيين نقول بالنسبة للدين المسيحي قولكم. لذلك أكتب لكم شاكراً شجاعتكم وجرأتكم.

على أنني أضيف بأن من علمائنا البارزين من يؤيدونكم.

فالأستاذ الدكتور محمد توفيق الطويل وهو أستاذ الفلسفة السابق بكلية الآداب - القاهرة. قال نفس القول بمعناه في ورقة قرأها منذ بضعة شهور في شعبة الثقافة بالمجالس القومية المتخصصة.

وقال نفس المعنى أيضاً الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبو العزم وهو رئيس الأكاديمية سابقاً، والحاصل على جائزة الدولة التقديرية في العام الماضي، وهو بالمثل عضو بالمجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة).

وقال نفس القول بمعناه الأستاذ الفيلسوف الدكتور زكي نجيب محمود.

مع التحية والتقدير ندعو لكم بالتوفيق.

---

(١) كتب في ٢٤ من يوليو ١٩٨٧ م.

## ٧- نصائح طبية عامة (١)

العزیز السید ی. ب. ع.

سلام ومحبة ونعمة من ربنا يسوع المسيح، وأرجو لكم موفور الصحة والقوة، وأصلي أن يهبكم الرب الإله صحة سابعة غامرة للروح والنفس والجسد-

أيها العزيز - لقد قرأت خطابك أكثر من مرة، قرأته بقلبي وروحي وشعوري ومحبتى مع عيني ولساني وفكري وقد فهمت مشكلتك، وأحس إحساسك وأعطف على ظروفك، وأقدر كل التقدير حالتك وشعورك.

وأصح لك بأن توقف إستعمال كل أنواع الدواء، فما من دواء إلا يحمل بعضاً من السم لبعض أعضاء الجسم. وإذا لم تستطع أن توقف إستعمال هذه الأدوية مرة واحدة، فيمكنك أن تقلل منها تدريجياً حتى تتخلص منها نهائياً، وتبدأ أن تعيش طبيعياً ما أمكنك.

١- خذ في الصباح الباكر أوكسجين الهواء من نافذة البيت، ومارس التنفس العميق من الأنف، إملأ به صدرك كاملاً، واحتجزه بضعة ثوان على قدر ما تستطيع، ثم اطرده من أنفك ببطء حتى تفرغ صدرك منه تماماً، وعد إلى ذلك عشر مرات على الأقل صباحاً - ومثلها مساءً.

٢- خذ قسطاً وافراً من النوم، لا يقل عن ٨ ساعات. وإبدأ نومك قبل منتصف الليل ... ويحسن أن يكون ذلك في العاشرة مساءً أو الحادية عشرة على أكثر تقدير، ولا تتأخر عن ذلك حتى لو كنت تعاني الأرق.

٣- اشرب كوباً كبيراً من الماء البارد صباحاً ومثله مساءً قبل النوم. وعندما تشرب الماء مصه مصاً ولا تعبه عباً.

٤- اشرب ماءً أيضاً أثناء النهار، وامنع شربه أثناء الأكل، وبعد كل وجبة بساعتين - ولكن فيما عدا هذا اشرب من الماء ما استطعت. وإذا كنت تشكو شيئاً في الكليتين - رملأ أو حصى - اشرب قبل تناول الإفطار ٤ كوب ماء - بين كل كوب وآخر ربع ساعة - أي اشرب ٤ كوب ماء على مدى ساعة قبل الإفطار، فإن الماء أحسن غسيل للمعدة والأمعاء.

(١) كتب في ١٦ من يونيه ١٩٧٥م - ٩ من بؤونه ١٦٩١ش.

٥- اشرب مشروبات أخرى مثل النعناع والليمون، والحلبة، والأنيسون، والحرمل وغيرها. خذ منها بتنوع، ولا تقتصر على واحد منها ليستفيد جسمك منها جميعاً، ومن دون أن تعتاد على واحد منها. وقلل ما استطعت من الشاي والقهوة، والمشروبات الغازية. احذر كل مركبات الكولا والتدخين. إن شراب النعناع مفيد جداً لو كنت تعاني خصوصاً من المصران الغليظ، وهو نافع للقلب. وأما عصير الليمون المخفف بالماء فهو صيدلية صغيرة نافع لكل شيء ... خذ منه كثيراً وبغير حساب.

٦- حاول أن تقلل ما استطعت من السكر الأبيض، واستعض عنه للتخفيف بعسل النحل أو بالعسل الأسود.

٧- اجتهد أن تجعل ٧٥٪ من كل وجبة من الخضروات والفواكه. ابدأ كل وجبة بطبق كبير من السلطة الخضراء. وخذ كمية وافرة من الفاكهة. وأكمل بعد ذلك وجبتك.

٨- في أيام الإفطار . استعمل اللبن الزبادي، ويحسن أن تصنعه بالمنزل لتضمن نظافته وليكن ذلك صباحاً ومساءً. وأما في الصوم فخذ جزءاً من بليلة القمح، واخلط بها جزءاً من العسل.

٩- خذ حقنة شرجية ٣ مرات في كل شهر . ولا تستخدم المليينات والمسهلات، ويحسن أن يكون ذلك على مدى ٦ أيام بحيث تستريح يوماً بين حقنة وأخرى. ولتكن كمية الماء في الحقنة الثانية أزيد من الأولى، والكمية في الحقنة الثالثة أكثر من الثانية.

١٠- خذ حماماً يومياً، البارد في الصباح والساخن في المساء قبل النوم.

١١- اجعل وجبة المساء قبل النوم بأربع ساعات . فإذا كنت تنام ١١ مساءً اجعل وجبة العشاء السابعة مساءً . وقبل النوم مباشرة خذ بعض ثمر الفاكهة أو زبادي.

١٢- لا تنس أهمية المشي يومياً - ساعة على الأقل في كل يوم. ويحسن أن تكون في الصباح قبل الإفطار، وقبل سطوع الشمس الشديدة ... وإذا كان مساءً فليكن ذلك بعد الأكل بنصف ساعة.

والخلاصة - إن كثيراً من الأمراض يجيئنا نتيجة طبيعية لتخطينا قوانين الطبيعة، وبسبب حرماننا من الهواء النقي والشمس والماء القراح، وبسبب تعاطينا للأدوية أى العقار الذى نأخذه من الصيدليات . كن طبيعياً في حياتك وعد إلى الطبيعة . ويجب أن تخرج إلى

الطبيعة من وقت إلى آخر حيث الخضرة والماء والبعد عن ضوضاء المدينة وصخبها .. إن الإنسان - بجسده - ابن الطبيعة، فبينه وبين الطبيعة صلة .. فإذا باعد بينه وبين الطبيعة توترت أعصابه وأدركته الأمراض شيئاً فشيئاً ... قم برحلة خلوية بين وقت وآخر ... وجرب أن تعود إلى البلدة التي خرجت إلى الحياة فيها، وهي مسقط رأسك ... ولو بعض الوقت.

ومن الخطأ الاعتقاد أن المرض ينزل مرة واحدة ... إنه نتيجة بطيئة لتراكمات الأخطاء من سنوات طويلة .. لذلك يذهب تدريجياً وتصحيح الأخطاء السابقة بالعودة تدريجياً إلى الحياة الطبيعية.

جرب أن تبدأ بتنفيذ هذه النصائح فوراً، ولسوف ترى بنعمة الله تحسناً تدريجياً. على أن تبدأ أيضاً بالإمتناع عن العقار الذي تشتريه من الصيدليات، وتستخدم ما وهبته لنا الطبيعة مجاناً من هواء وماء ثم الأعشاب والحبوب والفواكه مع نصيب وافر من المشى ومن النوم.

أما أحوالك النفسية فهي متسببة عن إرتباكك الصحى، وأن المرض يزداد، وطال مداه .. ولسوف تتحسن هذه الأحوال النفسية بالعودة إلى الصحة إن شاء الله ... علماً بأن المشى يفيد جداً في حل التوتر النفسى .. أما الصلاة فلا أظنك في حاجة أن أطيل لك في فوائدها للروح والنفس والذهن والجسد، فإن فيها بركات مستورة خفية، ولكن بشرط أن يكون الجسم - وهو زميلها في رحلتها - في وضع طبيعى عندئذ تكون فوائد الصلوات مضاعفة، ورضا الله أعظم. ونعمة الرب تشملكم، وبركته تهبكم الصحة والعافية.

## ٨- يشكو ارتفاع ضغط الدم<sup>(١)</sup>

الابن المبارك ف . ع . د .

سلام ونعمة وبركة -

رداً على خطابكم الذى لم أتمكن من الإجابة عليه فى حينه، أفيد بأن زيت النخيل الذى يباع على قولكم عند البقالين، يجوز إستخدامه فى الصوم، لأنه مصنوع من زيت النخيل على ما جاء فى خطابكم.

هذا، وكل أنواع الزيوت يجوز إستخدامها فى أيام الصوم.

ومادتم مريضاً بإرتفاع فى ضغط الدم، فالزيوت النيئة عموماً مفيدة لكم، وتناسبكم صحياً.

والنصيحة التى تقال لمن يشكو ارتفاع ضغط الدم، هى الإمتناع عن المقلبات بالزيت أو السمن. فالزيت المقلى أو المغلى لا يناسبكم. كذلك يلزم الإمتناع عن الملح وعن القهوة.

ويكفيكم الملح الطبيعى الذى يوجد بالخضروات وبالفاكهة، ولا داعى بتاتاً ملح إضافى من الملاحه . فكل شئ به ملح طبيعى، الخبز والطماطم والجرجير والبصل والبرتقال، والليمون حتى البطيخ به ملح طبيعى. فلا داعى ملح إضافى.

ومن المشروبات المفيدة للمرضى بضغط الدم شراب الأنيسون، والكاركاديه، وسائر المشروبات من أمثال هذه الأعشاب.

كذلك يفيدك كثيراً البصل النيىء والثوم النيىء.

ونعمة الرب تشملكم.

(١) كتب فى ٢٤ من أبريل ١٩٨٧م - ١٦ من برمودة ١٧٠٣ش.

## ٩- يشكو من إلتهاب في الكليتين (١)

العزیز السید ی . ٥ . و .

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم ولشقيقكم موفور الصحة، بفضل نعمة ربنا محب البشر وصانع الخيرات.

تسألون عن الإلتهاب المزمن في الكليتين، وهل يمكن أن يختفى، نقول حسب علمنا المحدود إن أكبر عدو للكليتين.

(١) أكل اللحوم .

(٢) قلة السوائل .

وعلى ذلك فالنصيحة الأولى هي منع أكل اللحوم، بكل أنواعها.

ثانياً - يُنصح بشرب أربعة أكواب ماء على الريق لمدة طويلة، عشرين يوماً مثلاً، حتى إذا كانت هناك حصوة في الكلية أو الحالب، فإنها بفعل الماء تنزل بدون عملية - وذلك إعتماًداً على المبدأ «الماء مع رفته ينحت الحجر مع شدته»

على أن يكون من المستحسن أن تشرب أكواب الماء على الريق بحيث تمر فترة خمسة دقائق على الأقل بين كل كوب وآخر، وبشرب الماء على مهل (مُصّاً مَصّاً ولا تعبّوه عباً)

على أن يكون الماء دافئاً - أى ليس سَحْناً ولا بارداً - وبعد تناول الإفطار بساعتين تشرب أكواب من سوائل الأعشاب بحيث لا تقل مجموعها عن ٧ أكواب في اليوم الأنيسون - الكاركاديه - النعناع - الحرجل - الحلبة، اليمونادة الطبيعية ..... إلخ

إن هذه النصيحة مع المواظبة عليها يمكن أن تخفف الالتهاب تدريجياً. والمشروبات كلها تؤخذ دافئة (لا ساخنة ولا باردة).

ثانياً - هناك إجماع من الإخصائيين يزداد يوماً بعد يوم على أن أكل الثوم نيئاً هو أفضل علاج:

١- للضغط العالى.

٢- لتصلب الشرايين.

٣- للحساسية - مرض الربو - والكحة وما إليها.

(١) كتب في ٢٨ من يونيه ١٩٩٤م - ٢١ من بؤونه ١٧١٠ ش.

ويقولون إن البلع مفيد لكن الأكثر فعالية هو الأكل بشرط أن يكون بمضغ الأسنان جيداً جداً،

واليوم يُقدمونه في الصيدليات باسم (توماكس) ويقولون إنه ليست فيه كيميائيات- على أنه أيضاً يمكن أكل الثوم نيئاً في الزبادى أو مع الطحينة ... إلخ

- كذلك زيت حبة البركة مفيد، ويمكن أخذ ملعقة منه مع ملعقة صغيرة من عسل النحل هذه بعض إجابتنا على أسئلتكم على قدر علمنا المحدود ونحن ندعو أن يمنح شقيقكم موفقور الصحة

ونعمة الرب تشملكم جميعاً مع أطيب تمنياتنا،،،،

## ١٠- الإنفتاح من كافة نواحيه

### السياسية والاجتماعية والدينية<sup>(١)</sup>

**سؤال :** من الأب المحترم يوسف مظلوم «رؤية نيافتكم لكلمة الإنفتاح» من كل نواحيها السياسية والاجتماعية والدينية ...

**الجواب :**

الإنفتاح تعبير إنسانى جميل مضاد للإنغلاق. والإنغلاق هو إنحباس الإنسان فى ذاته، وإغلاقه النواقد والأبواب على نفسه، فلا يرى غيرها فى هذا الوجود، ولذلك فهو نذير بالأناية والذاتية.

أما الإنفتاح فهو خروج الإنسان عن أنانيته وذاتيته لينظر الوجود خارجاً عن ذاته وينفعل بوجود غيره، ويتفاعل مع الغير، ويؤثر فيه ويتأثر به، ويدرك أنه جزء من الكون، وليس هو الكون كله، فيرتب علاقته بالكون وبغيره من المخلوقات، ناطقة وغير ناطقة، ويتحرك فى نطاق الكل، ويحسب لغيره حساباً. ويعمل على أن تكون علاقاته بغيره من الكائنات علاقة تواؤم وإنسجام وتوافق، وأن يحيا فى مجتمع، تربطه بهذا المجتمع وشائج وروابط، وتشده إليه وبه جوانب ومصالح، وأنماط من التعاون.

(١) نشر بجريدة وطنى فى عددها الصادر فى ٨ مايو (أيار) لسنة ١٩٧٧م - ٣٠ من برمودة لسنة ١٦٩٣ش.

إنَّ الإنفتاح بتعبير آخر هو الإشتراكية الإنسانية، والشركة الروحية والذهنية والعاطفية التي تجعل للوجود الإنساني معنى، إذ يدرك أنَّ لوجود كل واحد من الناس قيمة وأهمية، وأنَّ كلَّ فرد ليس وسيلة لغيره، ولكنه غاية في ذاته، وأنه ما من إنسان امتلك كل شيء، وما من بشر صار في غنى عن غيره، بحيث يستطيع أن يغلق على ذاته، ويوصد دونه الأبواب والنوافذ التي تنفتح على غيره. فكل إنسان له مواهبه وامكانياته وقدراته، لكنه تنقصه أشياء لا يجدها في نفسه، ومن ثم يحتاج إلى غيره. وفي المجتمع الإنساني أخذ وعطاء. كل إنسان يأخذ من غيره، ويُعطى لغيره. وبهذا تجرى العلاقات الإنسانية الطبيعية، ويكْمَلُ الناس بعضهم بعضاً، ويتقدمون إلى الأمام في خطى ثابتة إلى الحياة الأفضل والأكثر إرتقاءً وإزدهاراً، والأزيد علماً ومعرفة، والأعظم عملاً وإنتاجاً.

إنَّ الإنفتاح مبدأ إنساني، روحي وإجتماعي وسياسي، يؤمن به جداً ويسعى إليه كل إنسان مثقف متحضر، وكل عالم متبحر، وكل مصلح إجتماعي، وكل سياسي مخلص لوطنه وبلده وللمجموع الإنساني.

## ١١ - الإنفتاح يقود إلى الحوار (١)

سؤال : من الأب المحترم يوسف مظلوم صاحب ورئيس تحرير جريدة الميساجي :  
حتماً الإنفتاح يقود إلى الحوار، والحوار في جيلنا الحاضر أصبح ضرورة ملحة على جميع مستويات الحياة .. لا سيما وقد تغيرت سمات المجتمع في كل علاقاته العائلية والإجتماعية والنفسية.

الجواب:

نعم، إنَّ الإنفتاح يقودُ حتماً إلى الحوار ذلك لأنَّ الإنفتاح يقتضى أن يخرج الإنسان عن ذاتيته وأنانيته، ويدخل في حسابه غيره من النَّاسِ. وإدخال الآخرين في حسابنا معناه أن نسمع لهم، ونُصغى إليهم، ونتلاحم معهم في أفكارهم وآرائهم، فيحتدم النقاش وتصطدم النظريات، كُلُّ يدافع عن وجهة نظره، وكلُّ يشحذ فكره ويدخل إلى أعماق نفسه، ليعبر عن رأيه ويبرهن على صحة معتقده. ولكنه إذ يواجه آراء غيره ليردَّ عليها، لا بدَّ أن يُصغى ويسمع ويَعى، ولا مفرَّ من أن يأخذ من غيره، ويتأثر به حتى لو بدا أنه

(١) نشر بجريدة (وطني) في عددها الصادر صباح الأحد ٢٦ من يونيو (حزيران) لسنة ١٩٧٧م - ١٩ من يونيو لسنة ١٦٩٣ ش.



يُعارضُ ويقاوم وَيصُدُّ ويدفع، وهكذا يكون الإنفتاح سبيلاً إلى الحوار، وطريقاً يقود إليه. ولما كان الحوار مفيداً لأنه بإصطدام الآراء تنبلج الحقائق، كما ينفجر النور والنار من اصطدام الأحجار، كان الإنفتاح هو مفتاح تلك الفوائد التي يجنيها المجتمع من وراء الحوار ... بل إنَّ الإنفتاح هو سبيل التقدّم والإرتقاء في سُلّم الحضارة، ولولاه لظلَّ الإنسانُ حبيس أفكاره وآرائه المحدودة ونظراته القاصرة، فياسن فكره كما ياسن الماء ويتعفن، إذا أدركه الركود وعدم الحركة .. وليس ينفع فكر الإنسان وعقله قدر ما ينفعه الحوار مع غيره ممن يختلفون معه فكراً ونظراً، فإن مناقشة الأفكار واحتدامها تصقل قدرات العقل على التفكير، وتوسع من إمكاناته على الإيغال في الأنظار العقلية، وفي هذا لذة عقلية تفوق جميع اللذات الحسية، لا يعرف قيمتها إلا من دخل في حوار جاد بنأ مع غيره من أصحاب العقول الراجعة. وإنَّ فالحوار نافع لا للمجتمع فقط، ولا للبلوغ إلى الحق والخير فحسب، بل إنَّ الحوار نافع لعقل الإنسان ذاته، يزيده نكاء وفطنة، ويُنميه، ويجدد أحكامه في الأمور، ويهذبه، ويُنقِّيه، ويطهره.

على أنَّ الفضل بعد هذا كله، أو قبل هذا كله، يرجع إلى فضيلة الإنفتاح على أفكار الآخرين الروحية، والأدبية، والعلمية، والإجتماعية، والسياسية.

## ١٢- هل هناك خلاف بين الدين والعلم في نشأة الكون ونشأة الإنسان؟

سؤال : من السيد أنطون ولسن تادرس - معهد بحوث وقاية النباتات - الجيزة.

يطالعنا علماء الجيولوجيا والحفريات بين الحين والآخر بأنباء وإكتشاف عظام وجماجم وهيكل ومخلّفات، يرجع تاريخها إلى عدة ملايين من السنين، فكيف يكون ذلك، رغم أن بدء الخليقة نفسها لم يمر عليها ثمانية آلاف عام، فهل ثمة تعارض بين الكتاب المقدس والعلم؟

### الجواب:

ليس هناك نص صريح في الكتاب المقدس ينص على أن بدء الخليقة يرجع إلى أقل من ثمانية آلاف عام، بل إنه من الخطأ أن ينسب إلى الكتاب المقدس أنه قال: أن بدء الخليقة يرجع إلى ثمانية آلاف عام أو أقل.

إن هذا التقدير المزعوم هو تقدير إنسانى بشرى، قال أو يقول به بعض الباحثين والمجتهدين، وذلك بإحتساب المدة الزمانية المستندة بين آدم أبى الجنس البشرى وبين ميلاد المسيح يسوع، يضاف إليها عدد السنين منذ ظهور المسيح إلى الآن، وتقدر جميعها بنحو سبعة آلاف عام.

وعلى الرغم من أن هذا التقدير يمكن أن يكون أقل من الواقع، فإنه مما تجدر ملاحظته أن هناك فرقاً هائلاً في الزمن، بين خلق الطبيعة الكونية وبين خلق الإنسان الأول وهو آدم، فرقاً يمكن تقديره بملايين السنين...

فالموضح من الكتاب المقدس أن الله خلق الإنسان بعد أن خلق السماوات والأرض بزمن طويل. فالإنسان خلقه الله تعالى في آخر الحقبة السادسة من الخليقة، وهى الحقبة الأخيرة في الخلق، فبينما خلق الله النور في اليوم الأول، خلق الإنسان في اليوم السادس. على أن الله لم يخلق الإنسان وحده في اليوم السادس، وإنما خلق كذلك، وقبل خلق الإنسان، البهائم والدبابات والوحوش «فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها، والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها» (التكوين ١: ٢٥) وبعد أن خلق الله هذه الحيوانات البرية من تراب الأرض، ورأى الله ذلك أنه حسن «قال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا وليتسلط على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض.

فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: «أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض» (التكوين ١: ٢٥ - ٢٨).

وإذن فقد خلق الله الإنسان في آخر حلقة زمانية في سلسلة الحقبة السادسة. والحقبة السادسة هى آخر حقبة في تاريخ الخلق. وبذلك يبين الفرق الهائل والفارق الضخم بين زمن خلق الكون وبين زمن خلق الإنسان الأول. هذا الفرق الزمنى يمكن أن يبلغ ملايين الملايين من السنين، خصوصاً وأن كلمة (يوم) كما هى في لغة العبرانيين التى كتب بها سفر التكوين، تحتتمل زماناً غير محدد بالنظام الشمسى، فضلاً عن أن كل حلقة من حلقات الخليقة السابقة على خلق الإنسان، وصفت بأنها (يوم) بينما لم تظهر الشمس ولا القمر قبل الحقبة الرابعة (التكوين ١: ١٤ - ١٩)، وهذه قرينة دامغة تدل على أن أيام الخليقة الستة هى حقبات تاريخية يمكن أن يمتد كل منها في الزمن إلى ملايين السنين...

على أننا لا نميل إلى الجزم بأن خلق الإنسان الأول آدم يرجع إلى سبعة أو ثمانية آلاف سنة، فإن هذا التقدير تقريبي، ويقوم على أساس إحتساب سلسلة الأسماء المذكورة في الكتاب المقدس، في شجرة العائلة البشرية، إبناً عن أب عن جد إلى الأب الأول، آدم. وحقاً إن الرجوع إلى هذا السجل أساسى في تتبع السلم النازل من آدم إلى ميلاد يسوع المسيح حسب الجسد، أو الصاعد من يسوع المسيح إلى آدم، لكنه غير كاف في حساب السنين، نظراً لأن هناك من الناس من أسقطت أَسْمَاؤُهُم في سجل الإنساب بسبب شرهم ... فمثلاً قايين كان هو أول ابن لآدم، ولكن اسمه قد أسقط في الحساب وحلّ محله شيث (التكوين ٤: ١، ٢٥)، (٥: ٣-٦)، (لوقا ٣: ٣٨).

وعلى الرغم من إسقاط بعض الأسماء المتوسطة، يبقى الإنتساب صحيحاً سليماً إلى الأب أو إلى الجد القريب أو البعيد . وعلى ذلك فيسوع المسيح حسب الجسد هو ابن داود وهو أيضاً ابن إبراهيم وهو أيضاً ابن آدم.

وإذن فتقدير الزمن من آدم إلى اليوم بسبعة أو ثمانية آلاف عام، يمكن أن يوصف بأنه تقدير تقريبي مبني على إحتتمالات وفروض تقبل الجدل والمناقشة، وبلغه أخرى هو تقدير غير يقيني، وهو عرضة للتغيير في مستقبل الزمن بحسب ما يطرأ على معلوماتنا من إضافات يأتينا بها علماء في أزمنة آتية.

هذا إلى أنه لابد أن يكون ثمت فارق في تقدير الزمن بالنسبة إلى عظام الحيوانات العجماوات وبين عظام وجماجم الإنسان، فالحيوانات العجماوات تسبق ظهور الإنسان بملايين السنين.

وإذا كانت كل تلك التقديرات - علمية أو غير علمية - تقديرات تقريبية وغير يقينية، فإن الحقيقة على ما يبدو - في مثل هذه المسألة - ستظل إحتمالاً بين تقديرين، أحدهما غالباً متواضع، وثانيهما مُبالغ فيه، وهو إذن طريق مفتوح أمام المجتهدين في البحث العلمى. يقول النبي داود في مزاميره : علم عجيب، فوق طاقتى. أرفع من أن أدركه (مزمور ١٣٨: ٦)، (أيوب ٤٣: ٣).

ويقول الرسول القديس بولس «لأننا نعلم بعض العلم ... الآن أعرف بعض المعرفة» (١. كورنثوس ١٣: ٩، ١٢).

وفي جميع الأحوال ينبغي أن نكون على يقين من أن تاريخ نشأة الإنسان على كوكب الأرض أحدث عهداً بكثير من تاريخ نشأة الكون.

## ١٣- الحب الخاص والحب العام<sup>(١)</sup>

سؤال : هل تعترف المسيحية بما يسمى وطنية؟

الجواب:

هدف المسيحية أن تسمو بالإنسان حتى يتحد بالله الذى هو أبو جميع الناس، والذى هو حب محض. فالمسيحى الحقيقى إنأ هو الذى يحب جميع خليقة الله ولا يبغض أحداً. وقد علمتنا المسيحية أن المحبة لا تكون باللسان أو الكلام وإنما بالعمل. فالمسيحى الحقيقى هو الذى يعم خيره الناس أجمعين.

بيد أنه بجانب الحب العام، يوجد حب خاص لا يتعارض مع الحب العام . فكما أن المصباح ينير للجميع ولا سيما للقريبين منه، هكذا يتاح لكل واحد - بجانب خيره العام- أن يخدم القريبين منه بنوع خاص . فالمرء يتكفل بإحتياجاته المادية والروحية ويهتم بإصلاح نفسه والسمو بها، وهو يهتم ببيته وأقاربه، ولا يدل ذلك على أنانية أو عدم محبة للآخرين وإنما المسألة مسألة فرصة، بمعنى أن الإنسان يحب الجميع، ولكن له القدرة على إصلاح نفسه مثلاً أكثر من القدرة على إصلاح الآخرين، كما أن الفرصة تساعد على تقديم الخيرات المادية والمعنوية لبيته وأصحابه أيسر مما يستطيع تقديمه لسكان المدن البعيدة عنه.

ولكن لا يجوز أن يتعارض الحب الخاص مع الحب العام. فلا يجوز أن أحب نفسى على حساب غيرى فأسرق ما للغير لأعطي نفسى أو أقتل جيرانى وأسلبهم لأخذ لبيتى.

على هذا النحو ينبغى أن نحب جميع الشعوب والأمم والأجناس، غير أن الفرصة قد تساعدنا أن نقدم لبنى وطننا أكثر مما نقدم للآخرين، لأن اتحادنا فى اللغة والظروف المختلفة تسهل بيننا التفاهم والتعاون. هذه هى الوطنية بمعناها المقبول. ولكن لا يعنى ذلك أن ندعو أحياءنا فى البلدان الأخرى أعداء فنبغضهم ونقتلهم ونسرق ما عندهم، ثم نتغنى بهذه الجريمة الدنيئة ونسميها وطنية.

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد - السنة الثانية - العدد ٤ - سبتمبر ١٩٤٨ م.

## ١٤- الأرض أصلح كوكب لبشر في مثل تركيبتنا<sup>(١)</sup>

الابن المبارك والأب المحترم القس قزمان القمص جرجس - جزيرة شارونة.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح -

رداً على إستفساركم عن الأطباق الطائرة، كتبنا مقالاً نشر بجريدة (وطنى) في عددها الصادر صباح الأحد الحادى عشر من شهر نوفمبر - تشرين ثان لسنة ١٩٩٠ - الثانى من هاتور لسنة ١٧٠٧.

أما سؤالكم: هل توجد كائنات حيّة بشرية على كواكب أخرى غير كواكب الأرض؟

وإذا كانت توجد فما هى عقيدتهم؟ وما هو موقفهم من الدينونة عندما يأتى السيد المسيح فى مجيئه الثانى.

### الجواب:

فجوابنا على هذا السؤال، أنه بحسب معلوماتنا حتى الآن، نعلم أنّ الأرض التى نحيا عليها هى أصلح كوكب لبشر فى مثل تركيبتنا ومثل ظروفنا. فالأرض، أرضنا، مزوّدة بالنباتات التى تفرز لنا الأوكسجين وهو مالاغنى لنا عنه. فإن حياة الناس تقوم على التنفس بالأوكسجين. ومن غير الأوكسجين فلا حياة للإنسان على هذه الأرض. ولذلك فإن رواد الفضاء الذين سافروا بسفن الفضاء إلى القمر لابد أن يحملوا معهم فى سفينة الفضاء قدراً من الأوكسجين يكفيهم لمدة رحلتهم فى الفضاء. فإذا انعدم الأوكسجين كان عليهم أن يعودوا إلى الأرض، وإلاّ تعرضوا للموت والهلاك. وهذا ما حدث فعلاً لرواد انقطع عنهم الأوكسجين فاضطروا إلى العودة، وحدث لثلاثة منهم أنهم ماتوا قبل أن يصلوا إلى الأرض.

أما أن تكون هناك فى الكواكب الأخرى كائنات لها طبيعة أخرى غير طبيعة أهل الأرض، فهو أمر مقبول ومعقول . لأنه ليس معقولاً أن تكون تلك الكواكب خالية تماماً من كائنات أخرى. وإن كانت من غير طبيعتنا البشرية. وقد تكون تلك الكواكب خالية تماماً من كائنات أخرى . وإن كانت من غير طبيعتنا البشرية وقد تكون مقاراً لكائنات أخرى حية، مختلفة عن البشر الذين على الأرض.

(١) كتب فى ٣ من ديسمبر ١٩٩٠ م - ٢٤ من هاتور ١٧٠٧ ش.

أما ما هي عقيدتهم ، فليست لدينا في الوقت الحاضر معلومات عن هذه الكائنات أكثر مما روته بعض الصحف نقلاً عن أشخاص شاهدوا هذه الكائنات، وتحدثوا عنها.

وأما الخلاص والقداء فهو لأهل الأرض، لأن الخلاص هو لآدم وحواء وذريتهما من البشر، حيث أن آدم وحواء عَصِيَا الرب الإله فأكلا من الشجرة التي نهاهما الرب عنها. ومن ثم فلا داعي للبحث عن الخلاص والدينونة بالنسبة للكائنات الأخرى التي من غير طبيعتنا ومن غير تركيبتنا الجسدية التي من تراب الأرض.

## ١٥- الأطباق الطائرة (١)

سؤال: من الابن جورج عزيز كندس - سوهاج.

مديرية التنظيم والإدارة بمدينة ناصر.

يقول: (نشرت الصحف عن الأطباق الطائرة وما بداخلها من كائنات بشرية، وقيل إنهم يُشبهون الناس ولكنهم يختلفون عنهم في بعض الأوصاف. فمثلاً لهم ثلاثة عيون بدلاً من إثنين، كما أنهم يتمتعون بطول القامة، إذ يبلغ طول الواحد منهم حوالي مترين أو ثلاثة أمتار.

(وفي يوم الجمعة الموافق ١٤ / ٩ / ١٩٩٠ أذاع التلفزيون في برنامجه الأسبوعي على القناة الأولى بعد نشرة الساعة التاسعة مساءً، ما حدث مع أحد الشبان إذ قال (كنت أحب الرياضة وتسلق الجبال. وفي إحدى المرات صعدت إلى هضبة عالية، فوجدت بالقرب مني طبقاً طائراً. ثم يكمل حديثه قائلاً: تم (شفطى) إلى داخل الطبق، فوجدت ثلاثة أشخاص، كل منهم له ثلاثة عيون، وطول الواحد منهم يتراوح بين مترين ونصف وثلاثة أمتار، ويقول ثم قام أحدهم بالكشف على ذراعى بجهاز يُشبه جهاز الراديو الصغير، وله شاشة، ووجد أن صورته ظهرت على عدة شاشات موجودة داخل الطبق، ثم أحضر أحدهم أنبولا به مادة شبه فوسفورية، وكسر الأنبول داخل فمه. فوق أسنانه، ثم أدخلوه بعد ذلك في حجرة يقول عنها إنها مليئة بالكشافات ذات الإضاءة القوية جداً. وأخيراً يقول وجدت نفسي ملقى في الصحراء على الرمال مجرداً من جميع ملابسى. بعد ذلك بدأت تحدث لى أشياء مثيرة للدهشة، منها مثلاً عند وقوفى إلى جوار أجهزة التلفزيون

(١) كتب في ٢٥ من أكتوبر ١٩٩٠م - ١٥ من باه ١٧٠٧ش.

أو الراديو تحدث لها تشويش. والغريب في الموضوع - كما يقول - بدأت أكل أشياء لا يمكن للإنسان العادي أن يأكلها مثل الزجاج والحديد والأمواس ولا تؤذيني - ثم طلبت المذیعة - السيدة نجوى إبراهيم - أن تشتري كوب زجاج من أحد المحلات. وفعلاً قدمت له كوب الزجاج للتحقق من صدق ما يقوله. وفعلاً بدأ يأكل الزجاج حتى أكل حوالى نصف الكوب وبلعه بالفعل.)

(فأرجو التكرم بالإفادة في صحيفة (وطنى) عن:

١- حقيقة الأطباق الطائرة؟ ما هي وما هو مصدرها؟

٢- حقيقة الكائنات التي بداخلها؟

تفسير ما تعرض له هذا الأخ وما اكتسبه من إمكانية لأكل الزجاج وغيره من دون أن يضره؟

**الجواب:**

أما عن حقيقة الأطباق الطائرة؟ ما هي وما هو مصدرها، فلم يتبين بعد حتى اليوم - وذلك على حسب المعلومات المتاحة لنا في الصحافة وفي الكتب التي عالجت الموضوع - لم يتبين بعدُ بصفة قاطعة واضحة ما هي هذه الأطباق الطائرة، وما هو مصدرها.

ونحن نعلم أنه قد تألفت بالفعل هيئة عالمية لتجميع معلومات عن هذه الظاهرة التي بدأ الإهتمام بها منذ بضع سنوات .. وهم يتلقون معلومات من رجال وسيدات، جماعات أو منفردين، يلتقون بهذه الأطباق الطائرة، وما يظهر منها من أحداث-

وقد قيلت حتى الآن ثلاثة تفسيرات أو تعليقات لهذه الأطباق الطائرة:

التفسير الأول - قيل، لعلها أسلحة متطورة صنعتها بعض الدول العظمى ولم تعلن عنها بعد.

ويبدو اليوم هذا التفسير ساذجاً. إذ لم تعلن حتى الآن دولة من هذه الدول العظمى مسئوليتها عن هذه الأسلحة المتطورة ...

التفسير الثاني- قال به الأديب ويلز H. G. WALES، ومؤلف كتاب (حرب العوالم) The War of the Worlds وقد أخرجه إحدى الشركات السينمائية في فيلم سينمائي.

ويرى (ويلز) أنه عندما بدأ الإنسان أبحاث الفضاء، وبدأ يزج بأنفه في عالم الفضاء، انزعج سُكان العوالم الأخرى، خارج الأرض، ورأوا فيه إقلاقاً لهم وتدخلاً من الإنسان فيما لا يعنيه، وقرروا لذلك أن يعاقبوا الإنسان على تعدياته وتدخله في شئون الفضاء- ومن هنا بدأ سكان العوالم الأخرى تحركهم في هذه الأطباق الطائرة، وهي أسلحة متطورة يظهر فيها تفوق سُكان العوالم الأخرى، علمياً وتكنولوجياً، على سُكان الأرض.

وعلى ذلك فالأطباق الطائرة، تبعاً لهذا التفسير والتعليل هي أسلحة حديثة متطورة يظهر بها تفوق سُكان العوالم الأخرى - وإذا تمادى الإنسان في أبحاث الفضاء، فسيتوالى إرسال هذه الأطباق الطائرة ونظائرها، لقهر الإنسان ووضعه عند حده وحجمه، ومصيره النهائى هو الهزيمة أمام التطور الهائل الذى أحرزه سُكان العوالم الأخرى ...

ومن الأخبار المثيرة والتي نشرتها مصادر أمريكية في بعض الكتب والمجلات العلمية، أنه وجدت في بعض البقاع الأمريكية غير المأهولة كثيراً بالسكان، أعداد كبيرة من الماشية والحيوانات ميتة، ومما يثير النظر والإهتمام أن أعضاءها الجنسية بالذات وجدت منزوعة منها ...

والتفسير الثالث - نشرته مجلة تسمى (سانت مايكل) الأمريكية، تروى على لسان سيدة تدعى فيرونیکا لويكن Veronica Leuken وهى تقيم في ضاحية بالقرب من نيويورك اسمها (باى سيد) Bayside وتزعم هذه السيدة أنّ القديسة العذراء مريم تظهر لها وتنبئها عن علامات الأيام الأخيرة قبل المجيء الثانى للمسيح له المجد، وكلّها تُؤكد ما أنبأ به ميشيل نوستر ادموس في منتصف القرن السادس .. وتضيف هذه السيدة ما لم يقل به نوستر ادموس أنّ الأطباق الطائرة، تجيء من باطن الأرض، من الجحيم، وهى من أسلحة الشيطان في حربه ضدّ سكان الأرض، حيث أنّ الشيطان قد فُكَّ، وحلَّ من سجنه وأطلق سراحه في هذه الفترة الزمانية السابقة على المجيء الثانى للمسيح له المجد ... (سفر الجليان - الرؤيا ٢٠: ٧).

على أنّ من العلماء من يذهب إلى أنّ الأرض مجوّفة من داخلها، وأنّ لها مداخل من القطب الشمالى والقطب الجنوبى، وأنّ هناك مداخل أخرى أقلّ حجماً على سطح الأرض ..



وهذه المداخل على شكل أنفاق، ولهم على ذلك أدلة مادية علمية على أن الأرض، ودون أدنى شك مجوفة. ومن بين هؤلاء العلماء، العالم الفرنسى برنسى لوبير ترنش BRINSLEY LE POER TRENCE، فى كتابه (سرّ الدهور) SECRET OF THE AGES - UFOS From Inside the Earth. وقد ذهب إلى أن الأطباق الطائرة خرجت من باطن الأرض.

تلك هى التأويلات الثلاثة التى قيلت حتى الآن فى تفسير ظاهرة الأطباق الطائرة، ومازال البحث مستمراً، ولا يزال العلماء يجمعون المعلومات التى ترد إليهم فى الموضوع ..  
وليس ثمة رأى قاطع بعدُ فى هذا الصدد.

### ثانياً - حقيقة الكائنات التى بداخل الأطباق الطائرة.

الواضح من كل ما قيل فيها حتى الآن، أنها كائنات لها طبيعة ومواصفات مغايرة لطبيعة البشر الذين على الأرض، من جهة الطول والعرض والعيون، وسائر الأعضاء ... فضلاً عن إمكانياتهم الجبارة بالنسبة لإمكانات أهل الأرض.

وعلى العموم، ينبغى أن نقول إننا نحن لسنا وحدنا فى هذا الكون الواسع المترامى الأطراف، كما أنه يصعب علينا أن نتصور الكواكب الأخرى والنجوم من دون كائنات أخرى عاقلة، أو أنها مجرد فراغ كامل ...

ثالثاً - تفسير ما تعرض له الأخ وما اكتسبه من إمكانية لأكل الزجاج وغيره من دون أن يضره.

ونحن لا نزعم أنه فى مقدورنا أن نعطى تفسيراً دقيقاً أو تأويلاً لما قيل. إنه من الحكمة أن نتوقف عند هذه الرواية، وأن نعلّق الأحكام إلى أن تتضح معلومات جديدة تساند هذه الرواية أو تضيف جديداً .

وعلى كل حال، إنها قضية مثيرة، وهى مفتوحة لمستقبل الأيام، ولسوف نرى ونسمع فى الأيام القادمة القريبة أو البعيدة أشياء جديدة تُضيف أو تُعدّل من الصورة التى وصلت إلينا حتى الآن فى شأن الأطباق الطائرة، والكائنات التى بداخلها، وإمكاناتها وأدواتها وأجهزتها، وقدرتها على إحداث تأثيرات فى أجهزة الإنسان الحاضر- وتركيب أعضائه وقدرة جهازه الهضمى والغدّى والعصبى ...

## ١٦- هل هناك عالم آخر غير عالمنا؟ (١)

سؤال:

هل توجد آية في الكتاب المقدس تشير إلى وجود عالم آخر غير عالمنا؟

الجواب:

لا نقدر أن نقول بطريقة مباشرة أن هناك آية في الكتاب المقدس تقول أن هناك عوالم أخرى، الموجود أن الله خلق الكون والكون كبير جداً، وأن الله خلق الشمس والقمر والنجوم، حتى مسميات الكواكب عطارد وزحل و..و.. غير موجودة في الكتاب المقدس، هذا الأسماء جاءت من نمو العلم ونمو المعرفة البشرية، لكن نقدر أن نجيب على هذا السؤال بطريقة أخرى، لا يوجد عندنا ما يمنع من وجود عوالم، لا يوجد دليل يمنع، لكن في الغالب إذا وجدت كائنات أخرى فهي ليست كائنات من نوعنا، لأنه تبين من أبحاث الفضاء أن الأرض أصلح كوكب يعيش فيه الإنسان، من جهة لأنه متوفر فيه الأوكسجين وهو أهم عنصر للحياة بالنسبة لكائنات في مثل ظروفنا، وهذا الأوكسجين موجود في النباتات وهي التي تزودنا به، أحد العلماء يقول أن كل شجرة عبارة عن مصنع لتخريج الأوكسجين الذي يكفى لحياة عشرة آلاف إنسان، ولذلك كل من يقتل شجرة يكون متسبب في حرمان العالم من كمية أوكسجين تكفى لعشرة آلاف إنسان، حتى أن علماء الفضاء الذين يذهبوا إلى القمر أو كواكب أخرى لابد أن يأخذوا معهم أوكسجين يكفيهم للرحلة، وإذا انتهى الأوكسجين منهم، إما أنهم يرجعوا قبل فقدان الكمية الموجودة معهم، أو أنهم يموتوا، وهذا ما حدث بالنسبة لثلاثة من رواد الفضاء الروسيين عندما رجعوا أموات، فحتى اليوم لم يتضح أبداً أن هناك أى كوكب آخر غير الأرض فيه الأوكسجين اللازم لحياة الإنسان، فإذا وجد كائنات أخرى في العوالم الأخرى، لابد أن تكون هذه الكائنات ليست من نوع الكائنات البشرية مثلنا، لأن أى كوكب آخر لا يوجد به الصلاحية بالنسبة للإنسان أولاً بالنسبة للأوكسجين، وثانياً بالنسبة لما نسميه بالغلاف الجوى، الذى سُمى في الكتاب المقدس بالجلد، وهو ما بين الأرض وما بين السماء، هذا الغلاف يحيط بالأرض ليحميها من الشهب والنيازك التى تتساقط باستمرار من النجوم والكواكب الأخرى. واتضح أهمية هذا الغلاف أكثر في مركبات الفضاء، عندما تدخل المركبة من الغلاف الجوى

(١) أُجيب عليه في محاضرة في ٧ من مارس ١٩٨٤م - بمقر معهد الدراسات القبطية بالأبنا رويس.

لابد أن تدخل من زاوية معينة محسوبة وبسرعة محسوبة حتى لا يحدث إحتراق لها، وبحسب معلوماتنا حتى الوقت الحاضر لا يوجد كوكب آخر من جميع كواكب المجموعة الشمسية فيه هذا الغلاف الجوى، ولذلك كل الكواكب مملوءة بالحفر، واتضح أن القمر الذى نصفه بالجمال فنقول فلان جميل كالقمر، هذا الجمال الذى نراه هو نتيجة الضوء القوى الذى ينعكس عليه من الشمس، إنما فى واقع الأمر القمر مملوء بالحفر والشقوق نتيجة سقوط الشهب والنيازك، رجال الفضاء قالوا أنه يوجد حفرة واحدة طول قطرها ٥٠٠ كيلو، فالقمر مملوء بالحفر، الأرض لا تجد عليها حفر ولكن قد تجد كرمشة نتيجة الحرارة والبرودة، فالميزة الأولى فى الأرض وجود الأوكسجين بكمية لا يوجد نظير لها أبداً فى أى كوكب آخر.

إذن كل الذى نستطيع أن نقوله إنه ممكن أن يكون هناك كائنات أخرى، لكن ليست كائنات فى مثل ظروفنا، نحن مركبين تركيبية معينة، هذه التركيبية شاء الله أن تكون الأرض أصلح كوكب أعده لهذه الكائنات التى نسميها الكائنات الإنسانية، وحتى اليوم لا يوجد أى معلومات علمية تشير حتى مجرد إشارة، إلى احتمال أن يكون هناك كوكب آخر أو قمر آخر يناسب الإنسان، فإذا كانت هناك كائنات فى كواكب أخرى لابد أن تكون كائنات من نوع آخر، وهذا الإحتمال موجود بل موجوداً جداً، لأنه من غير المعقول أن الله خلق هذا الكون العظيم فارغ، الشمس عبارة عن نجم بالنسبة لمجرتنا، أنا رأيت صورة فى أحد المتاحف فى بلجيكا أو فى سويسرا بالنسبة للمجرة، الشمس فيها أقل من حجم حبة العدس بالنسبة للمجرة، أما الأرض فلا وجود لها فى الرسم، لا الأرض ولا أورانوس ولا المريخ، هذه أشياء محسوبة جداً، لكن الشمس التى هى مركز المجموعة فى هذه المجرة عبارة عن حبة عدس فقط، بالنسبة لهذه المساحة الضخمة لهذه المجرة، هذه المجرة يسموها طريق التبانة، فى يوم من الأيام الغير قمرية وعندما تكون السماء صحو وليس فيها سحب، وخصوصاً عندما تكون فى الصحراء أو فى مكان مثل الأديرة، فى مكان منطلق ترى المجرة عبارة عن سحابة كبيرة جداً، هذه المجرة تحوى الملايين من النجوم، وكل نجم له كواكب، وكل كوكب له أقمار، و يقال أنه يوجد ملايين المجرات، هل معقول أن الله خلق هذا الوجود كله فارغ؟ هذه النجوم وهذه الكواكب وهذه الأقمار بالملايين، مستحيل أن نصدق أن هناك هذه النجوم وهذه الكواكب وهذه الأقمار وهى لا يوجد فيها شىء أبداً، لابد أن تكون فيها كائنات أخرى ليست من تركيبية الإنسان، نحن على الأرض عندنا كائنات كثيرة، ليس لها عدد، الحشرات اليوم ما تم إكتشافه يقال ٥٠٠ مليون

نوع، وهناك حشرات كثيرة جداً موجودة وتحتاج من يفحصها، ولذلك فيه علم اسمه علم الحشرات، يوجد أشخاص يعملوا رسائل علمية عن حشرة لم يسمع عنها أحد للماجستير أو الدكتوراه، حشرة موجودة ولكنها جديدة بالنسبة لمعرفة الإنسان بها، ٥٠٠ مليون نوع من الحشرات، وهناك أنواع من الحشرات لم يكتشف بعد، فعالم الحشرات عالم لوحده كبير جداً، وهكذا أيضاً عالم الحيوان وعالم الطيور والدواجن، وعالم البحار، لدرجة أن هناك من يقول: نحن نصرف الملايين من الدولارات على أبحاث الفضاء، بينما البحار فيها ملايين الملايين من الكائنات وأنواع من الأسماك وأنواع كثيرة جداً من الكائنات البحرية تحتاج إلى أبحاث، أما عالم الميكروبات وهى الكائنات الصغيرة جداً بحيث كل مليون يُكوّنوا مليمتراً واحداً، أى الميكروب واحد على ٢ مليون من المليمتر، هذه الميكروبات ملايين الملايين الملايين وأنواع مختلفة، اليوم يقال أن الأنفلونزا حوالى ٤٥ مليون نوع ميكروب من الأنفلونزا، وأن الـ ٤٥ مليون تتطور وتخرج ميكروبات متطورة ومختلفة، عالم الميكروب لا يرى بالعين المجردة إطلاقاً، فلا تصدق بتاتا إن القاعة التى نحن فيها فارغة، ما نسميه بالفضاء ليس فراغاً بل هو مملوء بالكائنات الأخرى! لا نريد أن نستطرد أكثر من هذا، لكن المهم أنه يوجد احتمال بل الإحتمال الكبير أن هناك عوالم أخرى، لكن ليسوا بشر في مثل ظروفنا، نحن لنا تركيبة معينة، كما يوجد عالم الملائكة، وعالم الشيطان وعالم البشر وعالم الحيوانات وعالم الطيور وعالم الحشرات وعالم الميكروبات، وعالم النبات، كل هذه عوالم، لا يمكن للإنسان أن يتصور أن الله بحكمته الكبيرة خلق كل هذا الكون العظيم فارغ، لا نستطيع أن نتصور إن الله يخلق شىء بدون حكمة، الله كلمنا عن الشمس أنها لحكم النهار، والقمر لحكم الليل، هذا تعبير بالنسبة لنا نحن، لكن بالنسبة لله هل هذه الكواكب العظيمة جداً هى مجرد الإنارة، لابد أن تكون هناك كائنات لكن هذه الكائنات لابد أن تكون لها تركيبة غير تركيبة الإنسان، وأيضاً لا نستطيع أن نقول أن هناك كوكب آخر يصلح للإنسان أصلح من الأرض.

إنما ممكن أن تكون هناك على الأقل مقار للأرواح، لأن الروح ممكن تحيا في مستوى غير مستوى الجسد، فالكون لابد أن يكون مملوء كائنات ونحن لسنا في حاجة أن نبحث عن آية في الكتاب المقدس لهذا، لأن كل الأشياء خلقت بحكمة، وهذا ينفى أن تكون كل هذه العظمة في هذا الكون الواسع عبارة عن كواكب خاوية، لابد أن لها وظيفة، والله عودنا على ذلك، لا يوجد مليمتراً واحداً فارغ في الهواء الذى لا نرى فيه شىء، لكن الله الحكيم لم يخلق شىء إلا وله وظيفة.

## ١٧- الأطباق الطائرة والدين

سؤال: هل ظهور الأطباق الطائرة يؤثر على الدين؟

الجواب:

موضوع الأطباق الطائرة لازال حتى اليوم موضوعاً تحت الدراسة، ولم يُكشف عنها الآن أو هي في دائرة السرية. وهذا أدى لبعض المؤلفين أن يكتب فيها روايات، فيها شيء من الخيال وفي نفس الوقت فيها شيء من إعداد الإنسان ذهنياً لعالم جديد، يحدث فيه حرب ما بين هذه الكواكب وكوكب الأرض. والكتاب الإنجليزي (اتشى جى وليز) وهو رجل مشهور ومتدين، وضع رواية أو كتاب يسمى the war of the world «حرب العوالم» وأعتقد أنه تم إخراجه كفيلم سينمائي، وقصد من هذا الكتاب أنه يبين أن هناك احتمالات أنه لو تطفل الإنسان للدخول في الفضاء، والبحث وراء الفضاء، ووضع أنفه في عالم آخر خارج عن دائرة الأرض، لابد أن يكون له إنتقام من جانب العالم الآخر. ونتيجة لهذا سيحدث أن الكائنات الموجودة في العالم الآخر تستخدم وسائلها المتقدمة حتى لا يمتد الإنسان أكثر من هذا، على كل حال هذه فكرة لازالت في ذهن هذا المؤلف، لكن حتى اليوم من الناحية العلمية لم يسبق أن حدث شيء من جهة هذه الأطباق الطائرة، فنحن نترك هذا الموضوع لأنه تحت الدراسة. إنما نحن من الناحية الدينية إذا ثبت هذا أو لم يثبت لا يضرنا في شيء. لا شيء يزعجنا، وما المانع لو كان هناك كائنات أخرى في العالم الآخر، لكن الشيء الذي نؤكد أنه لا يوجد كائنات في مثل ظروفنا، لأننا كائنات لها جسد يحتاج إلى أوكسجين، والأوكسجين حتى اليوم تبين أنه غير موجود في أى كوكب آخر غير الأرض، لا في القمر ولا في المريخ أو غيره، ورجال الفضاء يحتاجوا أن يأخذوا معهم أوكسجين في رحلاتهم إلى عالم الفضاء وإلا يموتوا.

والله خلق النباتات بحيث أن كل شجرة عبارة عن معمل، عبارة عن مصنع دائم تأخذ ثانی أكسيد الكربون وتشغله بطريقة معينة وتخرجه أوكسجين والإنسان يحتاج للأوكسجين. ففي أثناء النهار نخرج ثانی أوكسيد الكربون وهناك عادم السيارات وما إليها فالجو يفسد، والنبات يأخذ كل هذا الفساد ويرجعه لنا في اليوم الثانی أوكسجين في الصباح، لذلك دائماً في الصباح يكون الهواء نقي جداً بالنسبة لأثناء النهار، نشكر الله على هذه الميزة العظيمة، وجود النبات على الأرض ميزة كبيرة جداً، لأنه عبارة عن معمل

مستمر، لدرجة أن أحد العلماء يقول أن كل شجرة تخرج أوكسجين يكفى ١٠٠٠٠ عشرة آلاف نفس، حتى أنه يقول إذا ذبحت شجرة وتم استئصالها فهذا الإنسان يُعَدُّ قاتلاً، لأنه قضى على كمية أوكسجين تكفى لعشر آلاف نفس. فنحن نشكر الله جداً لأن الأرض هي الكوكب الوحيد الذى يصلح للناس»

## ١٨- الكون والمجرة<sup>(١)</sup>

سؤال: هل هناك فراغ في الكون؟ وما هي المجرة؟

الجواب:

هناك حقيقة لا بد أن تكون واضحة في أذهاننا، أنه من المستحيل أن تكون هذه العوالم خاوية أو غير مستغلة، مستحيل، لا بد أن الله يستغلها، ليس هناك ما يسمى بالفضاء، كلمة فضاء بمعنى فراغ وهذا غير موجود إطلاقاً، ولا ذرة في الكون فارغة، ولا ذرة فضاء موجودة في الكون، كلها مشغولة بوجودات أخرى لكن في غير مستوانا، لا يوجد ما يسمى الفضاء المطلق كما يتصوره الناس، الفضاء بمعنى الفراغ من الوجود، هناك وجود لكن على مستويات مختلفة، سأضرب لك مثل بسيط جداً، افرض أن عندك سلة وملاؤها بالبرتقال حتى النهاية، لدرجة أنك لا تستطيع أن تضع فيها برتقالة واحدة، ومع ذلك ممكن أن تضع فيها شيء غير البرتقال، فمثلاً تضع فول سودانى حتى تمتلئ، ولا تستطيع أن تضع فيها واحدة أخرى من الفول، لكنك تقدر أن تملأها حمص حتى النهاية، وبعد ذلك ممكن أن تضع سمس، وبعد ذلك ممكن أن تملأها ماء، أريد أن أقول أن البرتقالة لها حيز معروف، وبعد أن ملأها بالبرتقال لكن هناك فراغ بين البرتقالة والأخرى ممكن أن تملأ بموجودات أخرى لها أحجام أقل تشغل هذا الفراغ، وممكن وضع أحجام أخرى أصغر وأصغر، وفي الآخر ممكن نضع الماء، فالفراغ بمعنى الفراغ المطلق هذا غير موجود. هذا كلام نسبي، نحن نقول فراغ بالنسبة لنا، لأننا في عالم المادة، فمستحيل تصور أن الكون فيه مكان فارغ أو تصور أن الشمس وهي مليون مرة قدر الأرض بدون فائدة أخرى غير فائدتها للأرض، والكواكب الأخرى مثل كوكب المريخ أو كوكب المشترى أو عطارد أو زحل وهي تمثل مجموعتنا الشمسية ثم المجرات الأخرى كيف يكون هذا الكون كله في فراغ،

(١) أحيب عليه في مساء الأربعاء ٢٢ من فبراير ١٩٧٨م بمقر معهد الدراسات القطبية بدير الأنبا رويس بالعباسية.

مستحيل، لابد أن الله يستغله، لكن نحن لا نعرف إذا كان هناك كائنات أخرى وما هي ظروفها، المعلومات في الكتاب المقدس خاصة بنا نحن على الأرض، لا نقدر أن نعرف أكثر من أنه يوجد ملائكة أو كائنات روحانية، وأنه يوجد شياطين، هذه معلوماتنا هنا الآن، مثلاً على سبيل المثال من هم الجان؟ الجان مذكورين في الكتاب المقدس، لا نقدر أن نقول أنهم شياطين، عندما ذهب شاول إلى العرافة ذكر الجان في الكتاب المقدس، هم كائنات ليست ملائكة ولا هي بشر، فنحن هنا لنا بعض المعرفة ولكن هناك ستكون لنا معرفة أوسع، فهناك احتمال أن الكواكب الأخرى تكون مملوءة بكائنات أخرى، لكن ليست من نوعنا، وليست في مثل ظروفنا، نقول احتمال، نحن لا نستطيع أن نقطع أو نحسم الأمر، لكن هناك أمر واحد وهو أنه مستحيل أن يكون هذا الكون فاضى بمعنى أن الله غير مستغله، مستحيل، لن أتصور هذا، نحن نجاوب على سؤال هل هذه الكواكب فاضية؟

الأرض لا تساوى ذرة من الكون، فمستحيل الله يستغل الأرض فقط، وكلمة السماوات بالجمع، سماوات، إذن ليست سماء واحدة، ويقول عن المسيح اجتاز فوق السموات، إذن الملكوت أيضاً فوق السموات، الملكوت الذى فيه الله، ومرة أخرى يقول سماء السموات، إذن هناك سموات وسماء السموات، فإذن الكون واسع، وكبير جداً، مجرتنا التى نعيش فيها هي مجموعة نجوم متكاتفه جنب بعضها البعض، وهي على شكل سحابة تروها في الليالي غير القمرية، في هذه المجرة الذى أمكن رصده حتى اليوم ١٠٠٠٠ مليون نجم، وشمسنا واحد من هذه النجوم، وهي التى تستحق أن تذكر في المجرة لأنها مركز الكواكب، فالأرض كوكب، والمريخ كوكب، وعطارد كوكب، ونبوتون و... إلى آخر الكواكب العشرة كلهم حول نجم واحد وهو الشمس، الشمس نجم فقط والباقي كواكب وهي أصغر من الشمس، الأرض واحد على مليون من الشمس، بل الشمس مليون مرة وثلاث قدر الأرض، وكل كوكب له أقمار، نحن لنا قمر واحد، المشترى له ١٣ قمر، كل هذا غير محسوب في المجرة، المحسوب في المجرة الشمس فقط، والشمس في المجرة عبارة عن حبة عدس في مساحة هذه الحجرة، الشمس التى هي حجم الأرض مليون وثلاث مساحتها في المجرة عبارة عن حبة عدس، إذن ما هي مساحة الأرض بالنسبة للمجرة، أو اقسام حبة العدس على مليون مرة وثلاث، ثم أن هذه المجرة توجد مثلها ملايين المجرات في الكون، إذن ماذا تساوى الأرض، وما هو وضع الإنسان في هذا الوجود؟

الخلاصة أنه مستحيل أن يكون هذا الكون العظيم فارغ وغير مستغل ولا يوجد في هذا الكون إلا نحن.

تم إكتشاف نوع من الأصوات آتية من الفضاء، وأمكن تسجيل هذه الأصوات، لكن لا يوجد لغة من لغات البشر أمكن حتى اليوم أنها تعرف لغة هذه الأصوات، هي عبارة عن أنغام موسيقية منظمة، تدل على أن هناك لغة يسمعوها من الفضاء البعيد. هي ليست أصوات متفرقة بل هي أصوات منظمة، تدل على أن هناك شيء أشبه ما يكون باللغة، ولذلك أمريكا أرسلت من قريب رحلة فضائية لهذا الغرض، لكي تذهب إلى الفضاء البعيد وهو أبعد من القمر وأبعد من المريخ، لعلها تستطيع أن تصل إلى معرفة هذه الأصوات وإلى ترجمة هذه الأصوات. لمحاولة التحدث مع هذه الأصوات وطريقة التعامل معها. وأرسل علماء في سفن فضائية لهذا الغرض، على أي الأحوال هذا الموضوع لا نقدر أن نتكلم عنه بإعتباره حقيقة مؤكدة أو حاسمة.

## ١٩ - تكوين الجبال والحركات الإلتوائية

**سؤال :** ماهو سبب تكوين الجبال والحركات الإلتوائية التي حدثت في الأرض، وكونت الجبال، وسفر المزامير نفسه يصف هذه الحقيقة، ويسميتها ولادة الجبال من الأرض، وهو وصف رائع وصحيح، مارأى نيافتكم؟

**الجواب:**

أنا لا أرى أن هذا الكلام فيه مشكلة أبداً، الحركات الإلتوائية تكونت نتيجة أن المطر عندما ينزل على الأرض وهي سخنة لابد أن تحدث كرمشة، اعمل ورقة بشكل دائرة وأنزل عليها ماء ساخن، أو كرة وصب عليها ماء ساخن، ستجد أن الكورة تتكرمش، وتصير منطقة عالية ومنطقة منخفضة، والمناطق المنخفضة ينزل فيها الماء وتتحول إلى بحار، والمناطق العالية هي الجبال.



## ٢٠- نظرية النشوء والإرتقاء (١)

سؤال: ما رأيكم في نظرية النشوء والإرتقاء؟

الجواب:

المهم أنها نظرية ولم تتحول بعد إلى قانون، ولكن هذه النظرية اليوم من الناحية العلمية إزداد أعدائها أكثر من أصدقائها، وهناك إعتراضات كثيرة على نفس النظرية من الناحية العلمية، نحن يمكن أن نقول بالتنوع وفعلاً التنوع موجود في الطبيعة، وهذا نظراً لعظمة الخالق، فلا يوجد شيء مثل الثاني أبداً. الله لم يخلق شيئاً كالآخر وهذا نوع من التنوع وليس تطور، أى أن الله إبتداءً خلق من كل شيء أنواع مختلفة، بحيث لا يوجد شيء مثل الآخر، فمثلاً الإنسان، لا يوجد إثنين إخوة ولدا من بطن واحدة وفي وقت واحد مثل ما يسموهم بالتوأم وتجدهما مثل بعضهما تماماً، بل والإنسان نفسه لا تجد العين اليسرى مثل العين اليمنى، وكذلك اليد اليسرى مثل اليد الأخرى، وكذلك الأذن والكلية... إلخ فالإنسان نفسه لا يوجد فيه شيء مثل الثاني، فمن باب أولى لا يوجد إنسان مثل الآخر. بل العلماء يقولوا أنك لا تجد على شجرة واحدة ورقة مثل الأخرى لأنك تجد الهندسة الخاصة بهذه الورقة اختلفت عن هندسة الورقة الثانية، في الشرشرة، والمنظر والحجم تجد إختلاف، ولا تجد قلامة ظفر عصفور مثل قلامة ظفر عصفور آخر أبداً،ذبذبات الصوت في الإنسان تختلف من واحد لآخر، قد تتشابه ولكن لا تنطبق تماماً ولذلك نجد الأصوات متميزة عن بعضها في التليفون، لو تكلموا من أمريكا أو استراليا أو أوربا أو روسيا يصل الصوت متميز ولا تختلط ذبذبات صوت إنسان بذبذبات صوت إنسان آخر ولا بملايين الملايين الملايين من الذبذبات والموجات الصوتية الموجودة في الكون. هذا سر عظمة الخالق لأنه لم يخلق حاجة مثل الأخرى أبداً. أتكلم من الناحية العلمية وليس من الناحية الدينية، ثم لوحظ أنه يمكن أن يكون هناك ما نسميه بالتكيف، الكائن يتكيف، عندما إنسان يُستأصل له كلية للضرورة، هذا الإنسان لا يموت، إنما تقدر الكلية الأخرى أن تقوم بالعمل، وهذا يرجع أيضاً لعظمة الخالق. أحد العلماء يقول أن الإنسان توجد فيه طاقات، عادة لا يستغل واحد على ثمانية منها. وتظل السبعة أثمان معطلة إلى أن تجد ما يثيرها، فإذا أُصيب إنسان بعاهة في موقف معين، نجد هذا الشخص لا يموت

(١) سؤال أجيب عليه في محاضرة في ١٠/١١/١٩٨٢م.

بل يتكيف مع الظروف الجديدة، ومع ذلك يعيش ولا يحدث له موت بسبب هذه العاهة، فهذا ما نسميه بالتكيف، قدرة الكائن على أن يتكيف مع الظروف الموجود فيها. فنحن إذن نقول أولاً: بالتنوع، وثانياً: بالتكيف، وثالثاً: أن أقدم ما سجله الإنسان عن الحيوانات وعن الحشرات لازال موجوداً ويحدث حتى الآن، فما كتب عن النحل أو النمل هو بعينه ما نلاحظه اليوم، لم يحدث فيه تطور ولم يتغير، فما يدل على النشوء والإرتقاء من الجهة الطبيعية ليس صحيحاً، حقاً إن الخالق خلق أنواعاً مختلفة، ومن كل نوع أصناف قد تكون بالآلاف وقد تكون بالملايين، ومع ذلك أيضاً لكل كائن القدرة على التكيف مع الظروف الجديدة، أما نظرية النشوء كما علم بها دارون بحسب المفهوم، فنحن الآن من الناحية العلمية نجد أن أعداء هذه النظرية أكثر جداً من أصدقائها، ولا زالت في حيز النظرية، لم تتحول إلى قانون من قوانين الطبيعة، فنحن نتكلم عن قانون الجاذبية أو قانون التمدد بالحرارة، أو قوانين الضغط، أما فيما يتصل بنظرية النشوء والإرتقاء فلا زالت المسألة أنها نظرية، معنى نظرية أنها مجرد رأى لم يتحول إلى قانون من قوانين الطبيعة، بل تزداد أعدائها، أكثر من أصدقائها، ثم أنهم وجدوا خصوصاً بالنسبة للإنسان ما يسمى بالحلقة المفقودة، لأنه لو فرضنا أن الإنسان تطور من دودة حتى وصل للقرد، تعتبر القردة العليا أعلى الكائنات الحيوانية، مع ذلك لم يوجد ما بين أعلى أنواع القردة وبين أحط أنواع الإنسان، الوصلة التي تبين وتدل على أنه حدث هذا التطور، هناك فراغ وهو ما يسموه الحلقة المفقودة. هذه الحلقة المفقودة لازالت إلى الآن، ولم يعثر أبداً على ما يمثل هذه الحلقة، ما تسموه أو تقرأوه أحياناً عن عظام إنسان وجدوها في شمال أفريقيا. هم لم يجدوا الإنسان نفسه كإنسان، إنما وجدوا عظامه، أى الهيكل العظمى لهذا الإنسان المزعوم، وفي بعض الأحيان قَدَرُوا لهذه العظام ١٠٠٠٠ سنة، وأحياناً قَدَرُوا لها ٣٠٠٠٠ سنة، على أى الأحوال لم يثبت بعد أن هذه العظام هى لأقدم إنسان، تكلم عنه العلماء الباحثون في الأنتروبولوجيا ولم يثبتوا أنه هو الإنسان الحقيقى، فمن ناحية الهيكل العظمى يوجد تشابه، لكن لم يثبت بعد أنه هو نفسه كان من طبيعة البشر، إنما تسميته بإنسان من حيث ما يظهر، أو من حيث ما يبدو. فالواقع أنه يوجد فراغ من الناحية العلمية لم يملأ بعد، هذا من الناحية العلمية، وطبعاً يوجد كلام كثير يحتاج إلى محاضرة مستقلة لكى نقول الاعتراضات على هذه النظرية، والاعتراضات على أنه يوجد فراغ أو حلقة مفقودة، وهو أنه لا يمكن أن يكون الإنسان الحاضر أرقى أنواع القردة، أو أرقى أنواع القردة العليا.

ومن الناحية الدينية سنفرض فرضاً أنه أمكن أن يثبت علمياً أن الإنسان متطور من أرقى أنواع القرود، فلنفرض فرضاً جديلاً. هذا أمر من الناحية الدينية لا يزعجنا أبداً. لماذا؟ لأن المهم في تكوين الإنسان، أنه بعد أن تكوّن الجسد نفخ فيه الله نفخة الروح الإنسانية، وهذا ما يميز به الإنسان عن أرقى أنواع الحيوانات، هذه الروح، النفخة التي نفخها الله في آدم، أما أن الجسد كان يشكل قرد أو كان دودة، هذه المسألة لا تهم في القضية، المهم في القضية الروح الإنسانية، النفخة التي نفخها الله في الإنسان والتي بها يتميز عن الحيوان، بل المعقول أن الكتاب المقدس ردنا إلى أبسط صورة وهي التراب، جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، فلو فرضنا أن من الناحية العلمية كان كلام داروين صحيحاً، لكان التراب تطور حتى وصل للقرود العليا، وهذا أمر لا يزعجنا من الناحية الدينية، المهم الروح الإنسانية هي التي تميز الإنسان عن الحيوان. أنا سأضرب مثل بسيط، أنت قبل أن تحضر هنا في هذه القاعة، أين كنت؟ ذهبت لصديقك أو إلى مكتب البريد أو إلى البنك أو ذهبت لشراء حاجة معينة ثم حضرت هنا، فلو واحد سألك أين كنت؟ فتقول له أنا كنت في البنك، هذا صحيح، لو قلت له أنا كنت عند واحد صاحبي، هذا أيضاً صحيح، ولو قلت له أنا أتيت من المنزل هذا أيضاً صحيح، فأى حلقة من الحلقات المتوسطة ممكن أن تكون الإجابة بها صحيحة، فهكذا الكتاب المقدس ردنا إلى الصورة الأولى للإنسان، قال: جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، فلنفرض أن كلام داروين صحيحاً، لو فرضنا أن هذا التراب تطور وأصبح دودة ثم حاجة ثانية ثم سمكة ثم حيوان حتى وصل إلى القرود العليا، من الناحية الدينية هذا لا يزعجنا ولا يوجد فيه أي تعارض إطلاقاً، فهو لا يتعارض مع الدين إطلاقاً، لو فرضنا أن هذا صحيحاً. لكن المسألة أولاً من الناحية العلمية ليست مقبولة، وأن هناك إعتراضات على هذه النظرية، الأمر الثاني ما يهمنا نحن بالذات من الناحية الدينية دخول الروح الإنسانية في آدم، لا يهمنا ماذا كان آدم قبل دخول الروح الإنسانية فيه، المهم الروح الإنسانية التي خلقها الله على صورته وعلى مثاله.

## ٢١- مما تتكون المجرة ومما يتكون السديم؟<sup>(١)</sup>

**سؤال:** مما تتكون المجرة؟ من نجوم وكواكب أم من نجوم فقط؟ ومما يتكون السديم وهل يدور حول نفسه شأنه شأن الكواكب والنجوم؟ أم أنه ثابت لا يتحرك؟

**الجواب:**

معلوماتنا في تكوين الكون، أنه عندما قال الله ليكن نور فكان نور، ومذكورة في سفر التكوين، فكان النور العظيم الكبير وهو ما يسمى السديم وهو النور الأول، الذي خلقت منه كل النجوم، هذا النور العظيم ممكن يتحرك بحركة دائرية، فيدور حول نفسه، ولكن الحركة الأولى التي طبقاً لها يتحرك كل نجم وكل كوكب وكل قمر هي من الله، لذلك أرسطو وصف الله وقال أنه المحرك الأول، فمن ضمن صفات الله أنه المحرك الأول، ما معنى المحرك الأول؟ يعنى أنه خلق النور ثم دفع النور بهذه الحركة الدائرية. وكل الكون يدور منذ بدء الخليقة، من بداية الحركة الأولى حتى اليوم، المجرة بحسب معلوماتنا عبارة عن ملايين من النجوم، وتبين اليوم أنه يوجد ملايين من المجرات، فشمسنا تابعة لمجرة، وهي تُرى كسحابة كبيرة جداً، فنحن نقدر أن نراها، كل الناس تراها كسحابة، هي عبارة عن نجوم مرصوصة بجوار بعض، النجوم بالملايين والشمس نجم واحد بحسب الرسم المقدم في أحد المتاحف، وهي في حجم حبة عدس صغيرة بالنسبة للمجرة، أما الكواكب فهي غير واضحة في الرسم، لكي تظهر أنها ضئيلة جداً، وكل نجم يدور حوله ما يعرف بالكواكب، نجمنا هو الشمس وحولها كواكب يسموها المجموعة الشمسية، حتى اليوم توصلوا إلى أنهم عشرة مجموعات، قبل ذلك كانوا يقولوا أنهم ثمانية ثم عشرة، والأرض يسموها كوكب والزهرة كوكب، والمريخ كوكب، والزحل كوكب، وعطارد كوكب، والمشتري كوكب وكذلك أورانوس ونبتون، هؤلاء الثمانية كواكب، العلماء المختصين في هذه الناحية يقولوا أنهم اليوم عشرة، وكل كوكب لأنه خرج من النجم فهو يدور أيضاً بطريقة دائرية، في نفس الاتجاه الأصلي لايوجد إختلاف، السديم الأول أو النور العظيم يدور أيضاً، والنجوم عندما دارت بالسرعة الأصلية السرعة الأولى الهائلة، تناثرت منها الكواكب، وكل كوكب أيضاً يدور بنفس السرعة ونفس الإتجاه تتناثر منه الأقمار، فهنا الشمس نجم، والأرض كوكب، الكوكب يدور ويخرج منه القمر، فالقمر متناثر من الأرض، والأرض

(١) سؤال أجيب عليه مساء الإثنين الموافق ٦ من أبريل ١٩٩٢م - ٢٨ من برمهات ١٧٠٨ ش.

خرجت من الشمس بالتناثر نتيجة السرعة، يقولوا أنه يوجد في المجموعة الشمسية عندنا، الأرض هي كوكب فيه قمر واحد، وهناك كواكب أخرى لها قمران مثل زحل على ما أعتقد، المهم أن المشتري له ١٣ قمر، يشرح العلماء المختصين الأبعاد بين الكواكب المختلفة ثم يقولوا أن هناك ملايين المجرات، وهنا عظمة الكون، والمجرة ملايين الملايين من النجوم التي لا يمكن إحصاءها، التي فيها كل نجم مثل الشمس عبارة عن حجم حبة عدس، يا لهذه العظمة الكبيرة، ثم الحقيقة الجديدة لعلمكم قرأتم عنها أن الكون يتسع، فهناك نوع من الإتساع والإنتشار، أى أن هناك تكوينات جديدة من النور، أى هناك مجرات أخرى جديدة تتكون، فالكون واسع جداً جداً، ثم يمتد ولا يفنى، «كلمة الشمس والأرض تزولان» ليس بمعنى الزوال بالنسبة لنا نحن، ولا بمعنى الزوال النهائي، إنما بمعنى أنها تتسع وتدخل في تركيبات أخرى جديدة، وهذه عظمة الخالق، وكما درستم في الطبيعة أن المادة لا تفنى، لا يوجد فناء بمعنى فناء، إنما تدخل في تركيب جديد، أو تتحول أو تمتد إمتداد آخر، حتى بالنسبة للموجودات يقول: «ترسل روحك فتخلق وتتجدد»، وهذا ما أشار إليه المسيح في بعض المواضع، وأيضاً في مواضع أخرى وهو عصر التجديد، التجديد أى تتكون حياتنا من جديد، أى لا فناء كما نتصور بل تجديد، يبدو أنه حتى الحيوانات التي هي ليست خالدة مثل العصافير والطيور، وما إليها، صحيح أنها تموت وترجع إلى ترابها، إنما يبدو أنه يقول: ترسل روحك فتخلق أى يحدث خلق لها من جديد، هكذا يقول المزمور: ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض (مز ١٠٤: ٣٠)، فالعصافير مثلاً والطيور جميلة فلماذا يحرم العالم الآخر من هذا الجمال؟ صحيح ليس لها خلود بروحها، لكن كما هي تموت تخلق من جديد وتتجدد، هذا الكلام موجود في المزمور، هي ليس لها روح الخلود مثل البشر لأن أرواحنا خالدة، فهي كالنور تنطفى مثل الشمعة، ليس لها خلود، لكن يبدو أنها ستخلق من جديد حسب ما يرى الله، يصوغها من جديد ويخلقها من جديد بما يتناسب مع العالم الجديد. نقول السموات تذوب، لكن نحن موعودون بسموات جديدة وأرض جديدة بعد أن تنظف، مثل الصائغ عندما تعطيه قطعة ذهب بها أوساخ فيذيبها بالنار، ثم يصفوها من العوالق ثم يصوغها من جديد، من نفس المادة، وفي هندسة جديدة، فهي تبدو جديدة ومن نفس المادة، هناك مايقطع من أن هذا الوجود سيفنى، لكن موعودون بسموات جديدة وأرض جديدة. فممکن نفس الأرض تحرق «تحترق السموات بضجيج وتحل العناصر وتذوب تماماً». يوجد هناك

حريق كبير، هذا هو الحريق العام، لكن هذا لكي تنظف الأرض وتُنظف السموات، يجدد وجه الأرض، هو الصائغ الأعظم، فهناك أشياء لماذا لا تبقى؟ هذه المجرات هل عبثاً خلقها الله؟ شيء له وظيفة، فحسب معلوماتنا أن السديم الأكبر خلق أول شيء ثم أخذ يدور ثم بفعل السرعة تتناثر منه النجوم؛ وكل نجم يدور وتتناثر منه الكواكب، وكل كوكب يدور ويتناثر منه الأقمار.

أيضاً يقول في موضع آخر «هيئة هذا العالم تزول» «هيئة» أى شكل لكن ليس بمعنى الزوال النهائى، أو الزوال التام.

## ٢٢ - صبغة الشعر<sup>(١)</sup>

سؤال: هل صبغة الشعر خطيئة؟ حيث أن شعرى كله أبيض؟

الجواب:

لا .. أبداً ، واليوم ينصحوا بالحنة بالذات أكثر، أما الكيمياءيات خطأ، اليوم يعودوا لفكرة الحنة وهى الحاجة الطبيعية، فوجدوا أنها أحسن من الكيمياءيات التى تؤدى إلى تدمير الشعر. والحنة أيضاً نافعة للجلد، فالأشياء الطبيعية التى خلقها الله مفيدة جداً، هذا الجسد والنباتات خلقها الله من التراب، فالخالق يعرف طبيعتنا وماذا يصلح لنا، فكلما اقتربنا من الطبيعة تصح أجسامنا وتصح عقولنا أيضاً، اليوم عد إلى الطبيعة بقدر الإمكان، واليوم يعودوا إلى الأعشاب لأنها أفيد للإنسان. أحد الأطباء يقول أن بصلة فى اليوم بالنسبة للإنسان الذى عنده سكر أفضل من حقنة أنسولين، فكلما عدنا إلى الطبيعة تصح أجسادنا.

---

(١) سؤال أجيب عنه فى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالمنصورة- صباح الجمعة ١٦ من يوليو ١٩٨٩م - ٩ من يؤونه ١٧٠٥ش.

## ٢٣ - طبقة الأوزون

سؤال: ماهى طبقة الأوزون؟

الجواب:

طبقة الأوزون هى الطبقة التى تحمى الأرض من الشهب والنيازك التى تتساقط من النجوم الأخرى، وفى هذه الطبقة جزء كبير جداً متمزق فى حجم قارة، وهناك أخبار جديدة عن تمزق جديد من ناحية القطب الشمالى، وهذا معناه تعريض الأرض لكوارث أخرى نتيجة للشهب والنيازك، الأمر الثانى يقال أن هذا يعطى فرصة للأشعة فوق البنفسجية أنها تنزل فوق الأرض، والأشعة فوق البنفسجية قاتلة للإنسان، وتسبب أمراض منها سرطان الجلد، وأيضاً أمراض تصيب العيون.

الأمر الثالث: أن هناك كمية من الثلج فى القطب الجنوبي يقدرها بـ ٤٠٠٠٠٠ قدم، فبسبب الأشعة فوق البنفسجية ستذوب، ٤٠ ألف قدم جبال من الثلج فعندما تذوب ترتفع مياه البحار وتغطى مساحات كثيرة من الأرض، وقد تغرق كثير منها وهذا ما يعرف بالطوفان، فالفلكيين يتوقعوا حدوث طوفان يشمل مدن فى دول كثيرة، اليابان واستراليا، والبرازيل، إنما توقعوا أكثر من هذا فى إنجلترا، أن مدينة لندن ستقع مستقبلاً على البحر، ومعنى هذا أن الجنوب سيختفى، وأيضاً فى أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية، لكن البلد الوحيدة التى تكون أكثر بلاد العالم أماناً هى مصر. والدكتور مصطفى طلبة قال أنه سيحدث مثل ذلك فى أفريقيا، المحيط سيمتد ٦٠ كيلو من الجانبين، وحتى فى مصر هناك احتمال أو توقع أن الدلتا ستغرق، لكن غرق الدلتا نتيجة السد العالى، لأن السد العالى منع الطمى الذى كانت تحمله المياه إلى الدلتا، وواضح لو نظرنا إلى أطلس نجد أنه يوجد سبعة فروع للنهر، ولكن الموجود حالياً فرعين فقط هما دمياط ورشيد، وحالياً مياه البحر تآكل فى الشواطئ، والذين لهم شاليهات على البحر يحسوا بذلك.

## ٢٤ - تحول الرجل إلى امرأة

**سؤال:** ما رأيكم من حيث المبدأ في تغيير الرجل إلى امرأة وبالعكس، وخاصة تلك العمليات التي تجرى لأناس كاملين في نوعيتهم، سواء كانوا من الرجال أو من النساء، فهل من توافق في هذا وروح الديانة المسيحية؟

### الجواب:

ما التعارض في هذا؟ افرض أن واحد من الناحية البيولوجية اقتضى الأمر أن تعمل له عملية جراحية لينقلب إلى امرأة، أو امرأة تنقلب إلى رجل، ماهو التعارض في هذه المسألة، هي مثل أي عملية جراحية أخرى، أحياناً يوجد بعض الأشخاص يكون تركيبهم الجسماني غير واضح فلا يعرف هل هو رجل أو امرأة، فيحدث له إضطرابات بعضها صحية وبعضها نفسية سيكولوجية وتسبب له إرتباك في التصرفات نفسها، فلا يوجد أي غضاضة أبداً إذا اقتضى الأمر إجراء عملية جراحية لتغيير الرجل إلى امرأة أو الإمرأة إلى رجل، إذا روى أن ذلك ضروري فلا يوجد أي تعارض مع الديانة المسيحية، أو مع روح الديانة المسيحية، هذه مسألة بيولوجية تشريحية صرفة، فالمرأة والرجل الله هو الذى خلقهما، فإذا حدث نوع من الإرتباك أو الإضطراب الخلقى أو التشريحي في أثناء الولادة، أو ما قبل الولادة، وحدث عدم تمييز للجنس بين الذكورة وبين الأنوثة، وحدثت عملية جراحية لا يحدث شئ، ليس هذا خطأ ولا يعد هذا تعارض مع الديانة المسيحية. لأن الجسد مجرد وظيفة وشكل خارجي، فالرجل يقوم بوظيفة والمرأة تقوم بوظيفة فهذه فروق يسموها الفروق الثانوية، وهذه العملية تدل على أن الفرق الحقيقي بين الرجل والمرأة هو فرق وظيفي، فلا يوجد فرق بين الرجل والمرأة في الطبيعة، وفي القيمة البشرية، وفي الجزاء الأخرى.



## ٢٥ - ما موقف المسيحية من صيد الطيور (١)

**سؤال:** ماهو موقف المسيحية من صيد الطيور؟ وهل يليق بنا كمسيحيين أكل هذه الطيور بمجرد إطلاق القذيفة عليها ودون ذبحها؟

**الجواب:**

ممكن أن نقول أن صيد الطيور يدخل ضمن نطاق السلطان الذى أعطاه الله للإنسان، فالله يقول «وليتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل دابة تدب على الأرض» فالإنسان أعطى السلطان على الأسماك وعلى الطيور.

أما من جهة صيدها لأكلها، فأيضاً في الأصحاح التاسع من سفر التكوين سمح الله للإنسان أن يأكل اللحوم، كان قبل ذلك الإنسان يأكل النباتات إلى أيام الطوفان، فإذا كان صيد الطيور بقصد أكلها فهذا يدخل في النطاق المسموح به للإنسان.

هل يليق بنا كمسيحيين أكل هذه الطيور بمجرد إطلاق القذيفة عليها؟ هنا توجد نقطة مهمة لابد أن نضعها في الاعتبار، أنه مفروض أن تذبح هذه الطيور ذبحاً، لكن إصابتها ثم أكلها معنى ذلك أنها ماتت في شيء أقرب إلى الإختناق، أو إلى الموت، وفي الأصحاح الخامس عشرة من سفر الأعمال الذى يشير إلى إجتماع الآباء الرسل أو المجمع الرسولى، منع أكل الجيفة والمخنوق وهذا يدخل من ضمن الخلافات التى بيننا ككنيسة أرثوذكسية وبين الكنيسة الكاثوليكية التى أباحت أكل المخنوق في أوروبا، فنجد في الغرب الطيور مسلوخة لكنها غير مذبوحة، والناس يأخذوا الطيور ليأكلوها، وحتى المواشى والعجول لها أماكن تكون فيها معلقة ومسلوخة ولكن غير مذبوحة، نحن ككنيسة أرثوذكسية تمشياً مع قرار المجمع الرسولى الذى صدر سنة ٥١٠م لا نبيح أكل الحيوان أو الطيور إذا كانت مخنوقة، إنما يجب أن تكون مذبوحة. والحكمة في موضوع الذبح ترجع إلى خروج الدم من الحيوان أو الطائر، لأننا نحن ممنوعين أن نأكل الدم، لأن غريزة الحيوان وقوة الحيوان وشهوات الحيوان والطائر موجودة في دمه. فالكتاب المقدس يمنع منعاً باتاً أكل الدم بل يقول أنه نفس الحيوان هى في دمه، وأصدر قراراً بالحرم في العهد القديم على من يأكل الحيوان بدمه، فلا بد من عملية الذبح، فالهدف الكبير والهدف الإلهى من وراء

(١) أجيب عليه في ٤ أبريل ١٩٧٩م.

عملية ذبح الحيوان هو أن الدم يخرج من الحيوان ولا يأكل الإنسان الدم، لأن قوة الحيوان هي في دمه، فإذا كان الله سمح بأكل اللحوم، إنما لم يسمح بأكل الدم، فالطائر المخنوق أو الطائر الذى لم يسفك دمه معناه أن دمه فيه، فهذا بالنسبة لنا ككنيسة أرثوذكسية ممنوع. وعلي ذلك ممكن أن نقول أنه يمكن صيد الطيور على أن تذبح قبل أن تؤكل.

## ٢٦- اللقيط

سؤال: ما ذنب الإنسان إذا ولد لقيطاً؟

الجواب: لا ذنب للقيط في ذلك ولا يلحق به إثم والديه.

فالخطيئة هي خطيئة الوالدين، أما اللقيط فبريء مما صنع والداه. ولا شك أن اللقيط يشقى في حياته، ويعانى الحرمان من رعاية الأب وحنان الأم مما يتمتع به الأطفال الآخرون. لذلك فإن من واجب المجتمع أن يعوض اللقيط بعض ما فقدته من رعاية الوالدين وعنايتهم. ولقد تنبعت إلى هذا الواجب هيئات دينية إجتماعية في بلاد الغرب، وبعض بلاد الشرق، فأنشأت دوراً لإيواء اللقطاء يشرف عليها رهبان وراهبات مملوءة قلوبهم بالرحمة، وقد اتخذوا من رعاية اللقطاء رسالة روحية يبذلون من أجلها جهوداً مضنية. وهذه الدور لإيواء اللقطاء تجد تشجيعاً وتعصيماً معنوياً ومادياً من أصحاب القلوب الرحيمة. وبفضل هذه الجهود المعنوية والمادية ينعم اللقطاء برعاية يحسداهم عليها كثير من الأطفال الذين يتربون في أحضان آبائهم وأمهاتهم..

ففى دور الإيواء يجد اللقطاء محبة المشرفين عليهم وحنانهم، ورعايتهم وسهرهم على تربيتهم وتهذيبهم وتنشئتهم تنشئة مثالية للروح والنفس والذهن والجسم فيشبون أصحاب أقوىاء وعلى مستوى مرتفع من الأخلاق القوية والحياة الروحية السليمة. وهكذا يتحول الشر إلى خير، فكأن شر الأب والأم المستهترين سبب خير ورحمة للقيط، وذلك عن طريق دور الإيواء للقطاء التى يقوم على إنشائها وخدمتها ملائكة رحمة، يتخذون من هذا العمل الإنسانى رسالة لهم يخدمون بها الرب، كما يخدمون البائسين من اللقطاء الذين يلفظهم آبائهم وأمهاتهم هرباً من تبعة جريمتهم المنكرة.

## ٢٧- معنى أسماء الشهور القبطية؟<sup>(١)</sup>

سؤال: ماهو الأساس الذى بنيت عليه التسمية المعروفة للشهور القبطية (توت، بابة، هاتور، كيهك، طوية، أمشير ... الخ)؟

### الجواب:

أسماء الشهور القبطية هى فى الغالب لآلهة مصرية كان يعبدها المصريون القدماء. ولكن من بينها أسماء أخرى لأعلام أو لأحداث هامة.

فشهر «توت» وهو الشهر الأول من شهور السنة القبطية، سمي كذلك تخليداً للعالم القبطى الأول الذى وضع هذا التقويم القبطى ورصد النجوم، وينسب إليه أنه هو الذى اخترع فن الكتابة، وقسم الزمن إلى تقسيماته المعروفة، أى أنه هو الذى قسم السنة إلى إثنتى عشر شهراً، وكل شهر إلى ثلاثين يوماً..

فتوت إذن سمي كذلك نسبة إلى الإله المصرى «تحت» إله العلم والكتابة، والعلامة المصرى الذى وضع التقويم القبطى.

وأما «بابه» فهو الشهر الثانى، ويرتد اسمه فى الغالب إلى هابى أو جعبى إله النيل.

و«هاتور» هو اسم الآلهة المصرية هاتور إلهة الحب والجمال.

وأما «كيهك»، فقليل إنه نسبة إلى إله الخير، وقيل إنه اجتماع أكا مع ألكا (القرين مع القرين).

و «طوية»، قيل أنه نسبة إلى إله المطر، ومنه أخذ اسم بلدة «طيبة» وهى المعروفة الآن بقرب مدينة الأقصر فى الصعيد الأعلى.

و «أمشير» ويقال إنه اسم إله الشياطين، سمي بإسمه نظراً لكثرة الزوابع فى هذا الشهر.

و «برمهات» سمي كذلك نسبة إلى إله الحرارة.

و«برمودة» قيل أنه نسبة إلى إله الموت، وهو رموته الأفعى المقدسة.

و«بشنس»، ويسمى أيضاً باخون نسبة إلى الإله خونو ابن الإلهة موت.

(١) نشر بمجلة الكرازة - السنة الأولى - العدد ١٠ - ديسمبر ١٩٦٥م.

أما «بؤونة» فمعنى اسمه «الحجر» وقيل إنه إله المعادن، وسمى الشهر باسم إله المعادن نظراً لأن المعادن تستوى في هذا الشهر بسبب شدة الحرارة فيه.  
و«أبيب» قيل أنه اسم إله الفرح.  
و«مسرى» ومعناه «ابن الشمس» فيه كانوا يحتفلون بولادة الشمس.  
وأما النسئ فيعرف بالقبطية بالشهر الصغير.

## ٢٨ - أهمية تعلم اللغات الأجنبية

**سؤال:** لقد بلبل الله السنة الناس حتى لا يعرف الناس لغة واحدة، هل معنى ذلك أن محاولة الإنسان أن يتعلم لغة أجنبية فيها عقاب إلهي؟

**الجواب:**

هذا السؤال فكاهى أكثر منه جد، فتعلم اللغات في غاية الأهمية وفي غاية الفائدة، لذلك الإنسان يقدر أن يتفاهم مع الآخرين، فالمسألة أصبحت واقع، هناك لغات مختلفة، فلكي يقدر الإنسان أن يتصل بالآخرين. لابد أن يعرف أن يتكلم بلغتهم، ولا بد أن ندرس اللغات، وعلى رأى الشاعر يقول:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه

وتلك له عند الشدائد أعوان

فبادر إلى حفظ اللغات مسارعاً

فكل لسان بالحقيقة إنسان

## ٢٩ - الشعوب تميل إلى الصداقة

**سؤال:** يطلب التعليق على مقال للدكتور زكى نجيب محمود نشر في الأهرام، ينسب إلي البابا كيرلس الأول المعروف بعمود الدين، أنه تسبب في قتل واحدة اسمها هيبياتيا.

**الجواب:**

هذه القصة وردت في بعض كتب التاريخ، أنا قرأت المقال والرجل مر على القصة بسرعة، وهو في الواقع يذكرها مما ورد في بعض كتب التاريخ. أنه نسب إلي البابا كيرلس الأول عمود الإيمان أنه تسبب في قتل فيلسوفة اسمها هيبياتيا، هذا الكلام ورد في بعض الكتب، إنما هل هو حقيقي أم لا؟ نحن نستبعد أن يكون البابا كيرلس بطريق مباشر تسبب في قتل هذه الفيلسوفة أو هذه المفكرة أو هذه الإنسنة. وإن كان من الصعب أن يرجع الإنسان إلي التاريخ، فبالتالي من الصعب أن يُقِيم الإنسان الأحداث التاريخية، ويعرف ظروفها وملابساتها، ومن الصعب أيضاً أن الإنسان يتحقق من أى إتهام يكتبه بعض المؤرخين أو بعض الناس، إنما بصفة عامة، الرجل كان يتكلم عن الناس المتشددين أو الذين يتعصبون بأفكارهم، ونتيجة لهذا لا يعطى فرصة لآخرين منا يرون رأياً آخر غير الرأى الذى يكون في أزمئتهم، هو يتكلم عن قضية إنسانية عامة، وأشار إليها إشارة خفيفة لأنه في الواقع لا يقصدها، لا يقصد هذه المسألة في ذاتها، إنما قصد أن يعالج الأمور الحاضرة في مصر وذكر هذه القصة في أثناء ذلك، إنما في الواقع الذى يقرأ سلسلة المقالات التى يكتبها الدكتور زكى نجيب محمود، يعرف أن الرجل يعالج قضية عامة في مصر، وهى قضية التطرف الدينى، وما أصابه شخصياً من إتهامات، فالذى قرأ عدد من هذه المقالات يلاحظ أن الرجل يمس نفس قضية التطرف الدينى الخاص في مصر، وتشدد بعض الشخصيات الدينية القيادية وأنهم هم المسئولين في تصريحاتهم عن تأييد الجماهير، وهذا الكلام واضح وتستطيع أن تفهم لماذا قال هذا الكلام، فهذه الإشارة في موضوع البابا كيرلس الأول عمود الإيمان وإلي هيبياتيا جاءت في بعض كتب التاريخ، لكن ليست طبعاً مؤكدة، مجرد أنها وردت كما يرد غيرها من أحداث، وممكن أن يقال أنه إذا كانت هذه السيدة أو هذه المرأة كما كان يحدث في العصور القديمة الأولى، أن المسيحية كانت تهاجم وتعرضت لمهاجمات من الوثنيين كثيرة جداً، ولذلك وجدنا أن آباء الكنيسة الأوائل كتبوا كتباً، كلها في هذا الوقت بالذات، كانت عبارة عن ردود ودفاع عن المسيحية ضد الإتهامات التى كانت تتهم بها، ولذلك تجد عدد من الدفاعات كثيرة، فنجد

أثيناغوراس كتب كتاباً يدافع فيه عن المسيحيين، ويوستينوس كتب كتاباً، وأوريجينوس كتب كتاباً ضخماً موجود الآن في ثلاثة مجلدات كبيرة، يرد على فيلسوف اسمه كلسس الأبيقورى، والحمد لله استطاع أن يصمت صوت كلسس، بل زاد على ذلك أن كلسس نفسه اقتنع بما قاله أوريجينوس، وتحول إلى الديانة المسيحية وألف فيها كتاباً، وكان يرد على أمونيوس السقاص. طبعاً المسيحية كانت ديانة ناشئة، وطبيعى أن تكون هناك تيارات فكرية تهاجمها، وكانت تسخر منها، ومن ضمن الموضوعات التي كانوا يسخرون بها على المسيحية موضوع قيامة الأموات، خصوصاً في زمن كان فيه العلم وصل لمرحلة، يشعر المراقبون أنه من المستحيل علمياً أن الجسد بعد أن يتحلل ويعود إلى عناصره الأولية يقوم من جديد، هذه الفكرة اليوم عندنا ردود عليها وهى واضحة في أذهاننا، لكن في العصور القديمة كانت موضع نقد وسخرية، وموضوع هجوم على الديانة المسيحية، اليوم نحن نردها في قانون الإيمان وأصبحت حقيقة، خصوصاً أن جميع المصريين يؤمنون بقيامة الموتى، سواء كانوا مسيحيين أو غير مسيحيين، إنما في هذا الوقت كان موضوع قيامة الموتى موضوع مجال للسخرية، يقولون كيف يبلغ بالمسيحيين من الغباء، بحيث يمكن أن يتصوروا أن الجسد، بعد أن يتحلل إلى عناصره الأولية ويتحول إلى تراب يقوم من جديد. فكتب واحد مثل أثيناغوراس كتابه الثانى فى الأهمية سنة ١٧٦ ميلادية، وفيه أخذ يرد على الإتهامات وكل الأسانيد التى كان يستند إليها الساخرون من الديانة المسيحية، على موضوع قيامة الموتى، عاشت المسيحية كل هذه الحروب ليس فقط قبل عصر قسطنطين وقبل المنشور الذى قرر فيه قسطنطين الاعتراف بالديانة المسيحية، وإعتبارها إحدى الديانات التى تعترف بها الدولة، بل بعد الإعتراف بها أيضاً لأن المسيحية لم تكن هى الديانة الوحيدة أو ديانة الدولة، لا.. كل ما هنالك أنه بعد أن كانت الديانة المسيحية غير معترف بها، أصبحت إحدى الديانات التى تعترف بها الدولة، وبعد أن كان المسيحيين يمارسون عباداتهم فى الخفاء، وتحت الأرض. وكانوا يطاردون، أصبحت الدولة تعترف بأن هناك ديانة اسمها الديانة المسيحية، ومن حق المسيحيين أن يعبدوا إلههم بالطريقة التى يرونها. لكن حتى بعد قسطنطين كانت هناك مناقفات كثيرة، فمثلاً كل حياة أثناسيوس الرسولى، ٥٠ سنة من حياته قضاهها كلها فى الدفاع ضد مذهب الأريوسيين، وأثناسيوس فى مقاله كان يرد على الأريوسيين، وفى نفس الوقت تجند له أناس آخرون وهم اليهود وأيضاً الوثنيون، ومشكلة هذه الأيام ليس فقط أن الأريوسية قامت اعتماداً على فهم خاطئ لبعض نصوص فى الكتاب المقدس، وإنما فى نفس الوقت انضم إلى أريوس أناس من اليهود، وكان اليهود جالية ضخمة جداً فى مصر، وأيضاً كان

لهم شأنهم في مصر، وكانوا ضد مبدأ التثليث، لأن اليهودية تعتد بالتوحيد، فظنوا أن مبدأ التثليث مبدأ يتعارض مع التوحيد، فانضم اليهود إلى آريوس وإلى الأريوسيين ضد الديانة المسيحية و ضد أثناسيوس الرسولى و ضد الكنيسة الأرثوذكسية، ثم انضمت أيضاً الوثنية وكانت لا تزال قوية جداً في أيام أثناسيوس الرسولى، لا تتصوروا أن القرن الرابع للميلاد كانت مصر كلها مسيحية، أبداً كانت المسيحية لا تزال قليلة جداً، لأن شعبنا خصوصاً في الصعيد كان تمسكه بديانة الآباء تمسكاً شديداً جداً فكان أكثر الصعيد وثنيين أيام أثناسيوس الرسولى وهو البابا العشرين من بطاركة الاسكندرية، ويعتبر أثناسيوس في التاريخ مؤسس المسيحية الثانية، لم يكن الجو الذى أمامه جواً سهلاً، فالأريوسية اجتذبت كثيراً من المسيحيين أنفسهم، ولذلك أثناسيوس الرسولى كانت أمامه المشكلة صعبة جداً، لا تستطيع وأنت في القرن العشرين أن تُقدِّرها أبداً. الكلام الذى نقوله اليوم على المنابر، أن أثناسيوس قالوا له أن العالم ضدك. هذه الكلمة الصغيرة التى نقولها بكل بساطة، لا تعرف عملياً كيف عانى أثناسيوس الرسولى، هذا الرجل الذى وصف بأنه الرأس العنيد، التى وقفت ضده كل هذه التيارات العظيمة حتى أنهم قالوا له العالم كله ضدك.

فمن الصعب جداً أن نغير التاريخ. وصعب جداً أن تحيا التاريخ، أنت في القرن العشرين ومن غير المعقول أبداً أنك تقدر أن تعيش هذه الحقيقة في القرون الأولى، ولا تقدر أن تُقدِّر مدى الكفاح والنضال، لذلك سمى أثناسيوس الرسولى لأنه كافح كفاحاً غير عادى، أمام تيارات مختلفة لمدة خمسين سنة، أتذكر مرة في أوائل الخمسينات وأنا في إنجلترا جلست أتأمل ماذا أقول في هذا الرجل الذى استطاع أن يقاوم هذه الإتجاهات، فكتبت كلمة صغيرة قلت له: «هل أنت حديد؟ هل أنت نحاس؟ هل أنت رصاص؟ كيف أمكن أنك تصمد أمام كل هذا». فالواقع أن أثناسيوس الرسولى تعرض لأمر كثيرة، وليس أثناسيوس فقط بل والآباء الذين أتوا بعده، لا أتصور أن المسألة كانت من البساطة ومن السهولة، أريد أن أقول أنه يصح جداً أن هيباتيا كإنسانة فيلسوفة وكمفكرة، كانت من ضمن الناس الذين هاجموا المسيحية أو تكلموا ضدها، فالبابا كيرلس الأول عمود الإيمان وكان أيضاً أمامه تيارات كثيرة جداً، منها تيارات نسطور، وأنتم تعرفون أنه كان هو البطل في زمن نسطور، وهو الذى قضى على البدعة النسطورية، وكانت أيضاً هناك تيارات مختلفة، وكانت لا زالت الوثنية موجودة، فقد يكون في ردوده كما يحدث، أنه رد على هيباتيا هذه، فكان نتيجة ذلك أنها تعرضت لغضب الجماهير، لا يمكن أن يكون البابا كيرلس نفسه أمر بأن تقتل... هذا أمر مستبعد تماماً، إنما كل ما هنالك أنه رد عليها، فتهيج بعض

الجماهير وهي التي قامت بهذا العمل، وهذا يحدث في كل وقت من الأوقات، وفي كل عصر من العصور، القيادة الكبيرة تقول كلمة فيحدث أن تندفع الجماهير، وطبيعي جداً أن يحدث تطرف وخطأ من الأفراد، وينتج عن هذا فعلاً أن هذا الإنسان يقتل أو يعذب أو ما إلى ذلك، لكن هذا ليس معناه أن كيرلس الأول هو الذي قتلها. إنما الناس المؤرخين السطحيين ينسبوا إلى الرأس ما يمكن أن ينسب إلى الناس، مثل كلمة «بنى الأمير المدينة» الأمير لا يمكن أن يبني المدينة. الأمير يأمر ثم يعمل المهندسين والبنائين، إنما دائماً الرئيس هو الذي ينسب إليه كل شيء، يقول الملك الفلاني عمل كذا وكذا وكذا، في الواقع ليس الملك نفسه هو الذي عمل إنما رجال كثيرين، نظام طويل عريض على رأسه الملك. ونحن عندنا مثلاً في قوانين الكنيسة يقول «قوانين البابا أثناسيوس الرسولي» هي ليست قوانين البابا أثناسيوس الرسولي لكن هي قوانين المجمع برئاسة البابا أثناسيوس الرسولي، فيستبعد أن كيرلس الأول هو نفسه الذي قام بتعذيب هذه السيدة، ربما في ردوده عليها كما كان يحدث في العصور القديمة، نتج عن هذا أن أحد من الشعب تطرف واندفع وأصاب هذه السيدة. وهذا يحدث في كل وقت من الأوقات.

لذلك في الحقيقة القيادات عليها مسئوليات كثيرة جداً. أنا حضرت مرة مؤتمر كان سنة ١٩٥٦ وكان هذا المؤتمر في بحدون في لبنان، وكان اسمه مؤتمر التعاون بين المسلمين وبين المسيحيين، لم يكن لي كلمة، ف جاء لي سكرتير المؤتمر وقال لي قل أي تعليق. فقلت تعليق بسيط، قلت : توجد عبارة يقولها بعض المفكرين والفلاسفة أن الشعوب شعوب تميل إلى التجانس وإلى التفاهم وإلى التعاون، لكن عندما يحدث في وقت ما من الأوقات إنقاسامات بين الناس، يكون السبب فيها عادة إثنين أو ثلاثة من القيادات هم الذين يهيجوا الجماهير، فالجماهير تتهيج، لكن فيما عدا ذلك الشعوب نفسها تميل إلى التصادق وإلى المحبة بينهم وبين بعض، بدليل أننا في مصر أو في أي بلد آخر يعيش المسيحي مع المسلم في المدرسة وفي الأتوبيس وفي الشارع، وأحياناً تنشأ صداقات عظيمة جداً ومحبة شديدة جداً، وثقة متبادلة بين المسيحيين وبين المسلمين، وليس هذا مجال أن نتكلم في تفاصيل طويلة وكثيرة، وكل واحد منا في تاريخ حياته قصص طويلة جداً عن الصداقة التي بينه وبين واحد مسلم. إنما بين وقت وآخر يحدث نوع من الهياج، وعندما تبحث عن هذا الهياج تجد هناك شخص أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة من القيادات، هم الذين يتسببوا في هذه العملية، فالجماهير الدهماء بسرعة تندفع وراء هذه القيادات، وهي التي تعمل هذه العملية كلها، وقتها قلت نحن الآن حوالي ٨٠



أو ٩٠ شخص من بلاد مختلفة من مصر، ومن السودان، ومن الهند، ومن سوريا، ومن الصين، ومن إيران... الخ، هذه القيادات يمثلون المسلمين والمسيحيين، فنحن كقيادات لو استطعنا أن نتعاون وأن نضع أساس لهذا التعاون، يكون خدمة كبيرة جداً للجماهير، لأن القيادات هي أولاً، ووقتها قلت توجد عبارة معينة ترد على أفواه القيادات الإسلامية، وهي كلمة «الكفار» فهذه العبارة بعض القيادات توجهها على أنها تنطبق على المسيحيين، فلو نجحنا في أن القيادات الإسلامية تفسر كلمة الكفار تفسيراً، بحيث يظهر فيها أنها لا تنطبق على المسيحيين، هذا يؤدي إلي خدمات كبيرة جداً، الأمر الثانى أنا أقترح أن الناس الذين يتهيأوا للقيادات وهم طلبة المدارس القرآنية في الأزهر وما إليه، وطلبة المدارس اللاهوتية المسيحية، المسيحيين مفروض أن يدرسوا الإسلام، لكن لا يدرسه على مسيحي وإنما يدرسه على مسلم، لأن المسلم يستطيع أن يشرح ديانته بحسب أصولها، ولا يشوهها الإنسان المسيحي. وفي مقابل هذا في المدارس الأزهرية يكون هناك تدريس للمسيحية، والذي يقوم بتدريس المسيحية مسيحي لكى يقدر أن يقدم المسيحية في صورتها الصحيحة غير مشوهة، وأنا كإنسان مسئول عن مدرسة مسيحية لاهوتية، أعد بأننا نأتى بشيخ من شيوخ المسلمين لكى يشرح الإسلام للطلبة الإكليريكيين ، لكى يكونوا على بينة حقيقية من الإسلام ولا نخاف من هذا. فهذه المناسبة الذى حدث كان رئيس الجلسة يسموه تشيرمان، واليوم كان ينقسم إلى أربع جلسات، فكل جلسة يكون لها تشيرمان، فكان في هذا الوقت بالذات تشيرمان أو رئيس الجلسة، كان رجل اسمه الشيخ البيطار، وكان رئيس الدراسات القرآنية في الجامعة السورية في دمشق، وكان الجو حار، فكان يضع العمامة على المنضدة بجواره، فبعد أن إنتهينا من الكلمة وقف الشيخ البيطار وقال: وضعت عمامتى على رأسى، لأقول أو لأبين أن ما سأتكلم به الآن سأتكلم به باسم الإسلام، أن هناك نصوص تتكلم عن الكفار في القرآن، وهذه النصوص تفسر على أنها تنطبق على المسيحيين، وأنا أريد أن أطمئن حضرة الأستاذ - (أنا كنت وقت ذلك ألبس بدلة) أنه لا يمكن أبداً أن تكون هذ التعبيرات تنطبق على المسيحيين، كيف يكون المسيحيين كفاراً. واستمر يتكلم كلام كثيراً جداً، وأتى بنصوص من القرآن ونصوص من السنة، وتكلم كلام جميل جداً ومريح، توجد كلمة قالها مفكر اسمه جفيتسر، وأنا أشرت إليه في هذه الكلمة، قال أن الشعوب دائماً تميل إلى التصادق، وإلي حسن التعامل بين الناس وبعضها، فالناس في البيوت وفي العائلات والجيران يسكنوا معاً ويعيشوا معاً وهم يعتنقون أديان مختلفة، ومع ذلك لا يحدث شيء، إنما ما يحدث أن يكون فيه ثلاثة أو أربعة قيادات دينية تقول كلام تهيج

الجماهير، ويحدث ما يحدث ثم ترجع المسائل نفسها تهدأ، ولذلك في أيام الرئيس عبد الناصر عندما حدثت النكسة في ٥ يونيو سنة ١٩٦٧، حدث أن بعض الناس قالوا أن الأقباط كانوا مسئولين عما حدث، كما يحدث في أى وقت من الأوقات، نieron مثلاً قال أن المسيحيين هم الذين تسببوا في حرق روما وكان هو الذى حرقها، ولكن ثبت أن الأقباط أعظم من دافعوا عن مصر في سنة ١٩٦٧، وتبين حقيقة أنهم من أحسن وأعظم وأخلص العناصر التي كانت أشد وطنية، في سنة ١٩٦٧ م، وأيضاً في سنة ١٩٥٦ م. وهذا أمر تبين للدولة تماماً. كان الأقباط في مقدمة المخلصين، وفي الحقيقة لا أنسى جملة قالها الرئيس مبارك في مقابلة معه، قال: «أنه لا غبار على وطنية الكنيسة القبطية»، فعندما حدث في سنة ١٩٦٧ أن بعض المسلمين قاموا على المسيحيين وقتلوا البعض في الشوارع والأتوبيسات، وحدث بعض إحتكاكات في الصعيد، ولكن توجيهات الرئيس عبد الناصر وقتها في أن ينتهى هذا الموضوع، فتحرك أشخاص من الأزهر وذهبوا إلى البطريركية في عهد البابا كيرلس السادس، وفريق منا ذهب إلى الأزهر وكان وقتها شيخ الأزهر اسمه الشيخ شلتوت، أتذكر أنه كان الأنبا شنودة، والأنبا صموئيل الله ينيح روحه، وكان الأنبا دوماديوس أسقف الجيزة، والأنبا بولس أسقف حلوان وأنا كنت مرسوم أسقف جديد، ذهبنا نحن الخمسة لأن الدولة كانت مهتمة لإيجاد السلام، وذهب التلفزيون والإذاعة لكي يصوروا لقاء رجال الدين المسيحيين مع رجال الدين المسلمين في الأزهر، وألقيت كلمة وطنية على الهواء ثم بعدها انصرفوا رجال الإذاعة والتلفزيون، وجلسنا جلسة مغلقة عاتبنا فيها بعض الأمور، لأن وقتها كان شيخ الأزهر ألقى كلمة معينة سببت بعض المشاكل، فالمهم عاتبناه واتفقنا أخيراً على أن يصدر بيان مشترك يوقع عليه شيخ الأزهر والبابا كيرلس السادس، والله يرحمه الشيخ عبد الحكيم سرور كان وقتها مدير العلاقات العامة للأزهر، وتوثقت بيننا وبينه علاقة ومحبة كبيرة جداً. وجاء الرجل هنا بمبنى الأنبا رويس وكتبنا البيان، وتلقفته الصحافة، ونشر في جميع الصحف العربية، كل ذلك ليكون هناك سلام وفعلاً حدث السلام، أنا نشرت هذا الكلام في كتاب الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط، (موجود بموسوعة الأنبا غريغوريوس رقم ٢٥) فكان هناك إتجاه من الدولة أن نتقارب، أن القيادات الدينية تتقارب وهذا أمر يشكر للدولة، لأن فعلاً هذه التوجيهات أفادت. ونحن نسير بالتوعية، فعندما تعمل القيادات الدينية توعية طيبة، ستجد الشعوب الصغيرة تنقاد إلى القيادات العليا، كيف عشنا مع إخواننا المسلمين ١٤ قرن في سلام، وقبل ذلك مع غيرهم، ما يحدث أن الشعوب تميل إلى الصداقة وإلى المحبة وإلى التعاون. كان الرجل المسلم يطمئن إلى جاره القبطى أكثر من

قريبه المسلم، فعندما يكون مسافر إلى الحجاز، وكان في القديم السفر إلى الحجاز كانت له أخطاره الكبيرة، من جهة كانت طرق المواصلات بالسفن وكانت حوادث إنكسار السفن كثيرة، وكانت تحدث أوبئة وكان يموت كثيراً من الناس، وكثيراً من البعض كان يذهب إلى الحجاز ويقيم هناك عدد من السنين قد يصل إلى ١٥ سنة، لا يعود بسبب صعوبة المواصلات أو بسبب المرض أو بسبب الموت و ما إلى ذلك، كان في الأزمنة القديمة يوجد صعوبات شديدة، فكان قليل من الذين يذهبوا إلى الحج يعودون، ورغم ذلك لو كان عنده مبلغ من المال أو المجوهرات أو ما إلى ذلك، كان من الظاهر والمعروف أن المسلم يطمئن إلى صديقه القبطي، ويضع عنده ممتلكاته وأمواله وكان وقتها لا يوجد نظام الإيصالات. إنما مجرد الإطمئنان، وأحب أن أقول لكم قصة لطيفة نشرها واحد من الكتاب المسلمين الطيبين أيام الفتنة الطائفية التي حدثت سنة ١٩٨١م. وقال أنه عندما فشل عرابي ونفى، وكانت الحكومة تبحث على عائلة عرابي، لكي يمسكوهم ويقتلوهم وكانت حددت مكافأة مالية كبيرة للإنسان الذي يدل على مكان عائلة عرابي، زوجته وأولاده، فهذا الكاتب يقول أنه روى هذه الرواية عن حفيد لعرابي لازال موجود - قال أن عائلة عرابي استضافتها عائلة قبطية متواضعة ست سنوات كاملة، ولم تدل أبداً الحكومة على عائلة عرابي رغم إحتياجها للمال. الحقيقة هذه قصة أمجاد، والسيد أنور السادات في ظروف معينة استضافته عائلة كاهن قبطي، القمص بولس غبريال لمدة ٣ سنين، وعاش أنور السادات في وسط هذه العائلة، ولذلك كان دائماً يردد هذه العبارة: «أنا لحم كتافي من الأقباط»، أريد أن أقول أن الشعوب تميل إلى ما قاله جيفيتسر إلى الصداقة، كل إنسان منا يستطيع أن يروى قصص عن صداقته مع إخوانا من المسلمين، قصص طويلة كثيرة جداً ليس مجال ذكرها الآن بل هي محتاجة إلى عدة محاضرات، توجد قصص مكتوبة في التاريخ، وقصص كثيرة غير مكتوبة عن الصداقات بين الناس وبين بعضها مسيحيين ومسلمين، إنما بين وقت وآخر يحدث أن بعض القيادات يكونوا عادة إثنين أو ثلاثة يتسببوا في التهيج، الذي ينتج عنه الإثارة وينتج عنه هذه الحركات. أعود للسؤال عن هيباتيا، أكيد أن البابا كيرلس الأول عمود الإيمان في ذلك الوقت، كان تحت ضغوط كثيرة وكانت توجد تيارات كثيرة جداً من الوثنيين، وغير الوثنيين ومن النساطرة ومن غيرهم، فإذا كانت هيباتيا وهي امرأة وثنية نقدت المسيحية في موضوع من الموضوعات، وكانوا يسخرون من المسيحية سخرية شديدة جداً، أنا قرأت اليوم في المصور واحد من إخوانا يقول: عندما كنا صغار كنا نجرى وراء القسيس المسيحي ونقول: يا قسيس يا قسيس، هو نفسه يروى هذا وينقد نفسه، لكن يقول أنه كان

يحدث هذا في الأقاليم، لكن عندما يكون هناك واحد مسلم معتدل ويطلب أن يصمت هؤلاء الأطفال، هذا يكون له تأثير جيد، توجد قصة لطيفة جداً في أيام الملك فاروق، في البدارى حدثت مشكلة أن بعض إخوانا بسبب موضوع رياض غالى، الذى تزوج من فتحية أخت الملك فاروق، فحدث هياج في البدارى فأحرقوا كنيسة البدارى، فمدير المديرية كان اسمه عزيز أباطة، وكان أخوه محافظ القاهرة في وقت من الأوقات في أيام عبد الناصر، المهم أن عزيز أباطة هذا عمل حفلة أو لقاء في سرادق جمع فيه المسيحيين والمسلمين، لكى تصفو المشاعر بينهم وبين بعض، فوقف يقول كلام طيب جداً، قرأته يومها في بعض الصحف، قال نحن طول السنين مع بعض وشعب واحد وعائلة واحدة وأسرة واحدة، وسأقص لكم قصة من حياتى الخاصة، تبين كيف أننا نحترم إخوانا المسيحيين ونحترم رجال الدين فيهم، قال : عندما كان سيدنا البابا الكبير ويقصد البابا كيرلس الخامس، قائم برحلة في وجه بحرى خرج له والدى لإستقباله ونحن عائلة معروفة في الشرقية اسمها عائلة الأباطية - وهى عائلة مشهورة وعظيمة على محطة السكة الحديد - ليرحب به وطلب إليه أن ينزل في بيته، فيقول على الرغم من أن برنامج البابا لايقدر أن ينزل، لكنه غير البرنامج فعلاً إكراماً لأبى، ونزل وإستضافه أبى في البيت، ثم نحر الذبائح فالبابا استكلف الأمر، وكنا أنا وإخوتى الخمسة أطفال، وأحضرنا أبى وقال لنا اركعوا وقال للبطيريك باركهم يا سيدنا، فركعنا نحن الخمسة أمام سيدنا البابا، وباركنا، وأحب أن أقول أمام الله وأمامكم أن الله وفقنى في حياتى، ووصلت إلى ما وصلت إليه الآن ببركة هذا الرجل، انظروا مثل هذه الكلمة عندما يقولها عزيز أباطة مدير مديرية أسيوط، ما مقدار أثرها النفسى؟. أيضاً عندما زار البابا كيرلس السادس الصعيد وكان من ضمن البلاد المنيا، فكان هناك فرح شديد به، وللموم باشا دعاه إلى بيته، وهو شخصية إسلامية معروفة وشخصية كبيرة، فذبح إثنين من العجول عند دخول البابا، فالبابا كيرلس السادس استكلف، فالرجل أقسم بالله العظيم قال له: لو أباح الشرع لذبحت ابنى، هل دخولك بيتى شىء هين، أنت تستكثر أنى أذبح إثنين من العجول، انظروا هذا الشعور الجميل، وسمعت من سيدنا المتنيح الأنبا تيموثيئوس مطران الدقهلية الله ينيح نفسه وينفعنا ببركاته، يقول: أنا في إيبارشيتى بالدقهلية، الإستقبال الذى أجده من إخوانا المسلمين، أفضل مما ألقاه من المسيحيين، هذا هو شعبنا، وفي الدير المحرق النذور التى تقدم هناك باسم السيدة العذراء من إخوانا المسلمين قد تكون أكثر من المسيحيين، وهذا بإستمرار في كل الأديرة. فمن وقت لآخر يوجد كثير من بلاد الريف، الكاهن القبطى إخوانا المسلمين ليس فقط يحترموه، لكن أيضاً يقفوا عندما

يروه، ويحتكموا إليه في قضاياهم، يحتكموا للكاهن القبطى لكى يصلح بين رجل وزوجته. ونحن نرى أمثلة أن هناك بعض من المسلمين يأتون في كنائسنا ويطلبوا الصلاة، مرة حضر لى واحد من حلوان وطلب منى أن أذهب لأصلى لوالده، ورغم ضيق وقتى وبعد المسافة في حلوان، لم أستطع أن أرفض فذهبت ودخلت البيت ووجدت الرجل العجوز الكبير مريض، فصليت على الرجل وأنا رجل دين بملابسى هذه، والرجل لم يمانع بتاتاً أنى أضع يدي على رأسه وأصلى، وقبل الصلاة وشكرنى، ثم طلبت السيدة زوجته أنى أصلى لها فصليت لها، ولها بنت شابة تدرس في قسم اللغة العربية في كلية الآداب، وقالت: صلى لى أنا عندى مضايقات ومعاكسات فوضعت يدي على رأسها وصليت، ثم الشاب نفسه ابن الرجل الكبير قال: أنا عندى معاكسات في المحل فأرجوك تأتى وتصلى، فذهبت إلى هذا المحل وصليت على ماء وتجمع أطفال الشارع مستغربين، رجل دين مسيحى يدخل محل رجل مسلم ويصلى على ماء ويرش الماء. منظر غريب والله تفضل وأكرم هذا الرجل من أجل إيمانه، ومن أجل أبوه، والحمد لله وكلمنى في التليفون وتشكر كثيراً، وأناس آخرين ليس مجال ذكرهم الآن، أريد أن أقول أن الإعتداءات التى تحدث مثل ما حدث في الزاوية الحمراء وغيرها، كل هذه تكون مثل الموجة تحدث في وقت من الأوقات، وبعد ذلك تبرد وتنتهى، ثم تجد الشعوب تميل إلى الصداقة وإلى المحبة، إنما الإثارة تكون من بعض الشخصيات.

### ٣٠ - الإكتفاء عند الحيوان

**سؤال:** ما رأى نيافتكم في أن بعض الحيوانات مثل القطط والكلاب، تتناول الأطعمة بنهم لدرجة القئ في النهاية، دون أن تعرف حداً للإكتفاء؟

**الجواب:**

الحمد لله أنك تقول بعض الحيوانات. هذا السؤال يسأله صاحبه لأننا كنا نقول أن الحيوان تحكمه غريزته، فيأخذ من الطعام والشراب بقدر ما هو في حاجة إليه ولايزيد. فهذا السؤال تعقيب على هذا الكلام الذى قلناه، إذا وجد حيوان كما تقول مثل القطط والكلاب، تتناول الأطعمة بنهم لدرجة القئ في النهاية، دون أن تعرف حداً للإكتفاء، لا بد أن يكون هذا الحيوان في حالة مرضية وليس في حالة طبيعية، وهذا يحدث، فمثلاً القطة التى تأكل أطفالها هذه حالة غير عادية لكن تحدث، لا يوجد حيوان يأكل أطفاله، لكن

يحدث في بعض الأحيان أن تصاب القطة بمرض كخلل في الجهاز العصبي، كما يحدث مع أى كائن سواء كان إنسان أو حيوان أو نبات، فممكّن أن يحدث هذا الخلل فهذه حالة إستثنائية.

الأمر الثانى ربما صاحب السؤال يخلط بعض المفاهيم ببعضها، فأحياناً إذا جاع الحيوان بدرجة غير عادية، عندما يجد الطعام ينهال عليه بهذا النهم، نتيجة أنه في حالة غير طبيعية، ولهذا السبب عندما كانوا يطرحوا الشهداء للأسود كانوا يجوعوا الأسود مدة طويلة. لكن أيضاً نقول ليست هذه هى القاعدة العامة. القاعدة العامة أن الحيوان يأخذ من الطعام والشراب بقدر ما هو في حاجة إليه.

حالة الشراهة التى تصيب بعض الحيوانات، هذه حالة نعتبرها مرضية بالنسبة للحيوان، تعتبر حالة شاذة كما قلنا في حالة القطة التى تأكل أطفالها، هذه ليست حالة عادية لأن ليست كل قطة تعمل ذلك، بالعكس نحن نرى مظاهر الحنان في الحيوان نحو أولاده، وتكون صورة جميلة جداً ومؤثرة أيضاً.

وهذه الأمثلة الشاذة لا تعد قاعدة عامة. إنما القاعدة العامة معروف أن الحيوان في الأحوال العادية إذا أكل فياكل على قدر ما هو في حاجة إليه. وإذا شرب يشرب على قدر ما هو محتاج إليه، وبعد ذلك حتى لو ضرب لا يمكن أن يأخذ أكثر مما هو يحتاج، وكذلك في الناحية الجنسية له مواهب معينة، فإذا حملت الإنثى فقد حملت ولا يمكن أن تسمح أبداً بمزيد.

ثم يقول هذا الأخ أن هذه الحيوانات تميز أنواعاً من الأطعمة دون الأخرى حتى لو كانت غير مفيدة لها، ولكن لمجرد أنها جذابة، فما هو وجه الإختلاف بينها وبين الإنسان من هذه الناحية؟

الواقع أنه عندما تكون مثلاً قطة جائعة وتقدم لها لبن، فطبعاً بغريزة الحيوان الجائع تريد أن تشرب، ولكن ممكّن جداً أنها بعد أن تقبل على هذا اللبن، تنفر منه إذا وجدت أن هذا اللبن في مذاقه يختلف عن النوع الذى شربته من قبل أو التى إعتادت عليه. هذه كلها مسائل شاذة ولها أسبابها.

### ٣١ - هل للحيوان عاطفة؟! (١)

سؤال: يقال أنه ليس للحيوانات عواطف بل غرائز، فما هو تفسير حب الحيوان لصاحبه، رغم تأديب صاحبه له أو ضربه أو عدم إعطائه طعام؟

الجواب:

ربما يكون صاحب هذا السؤال يقرأ الكلام الذي في الجرائد الذي يكتبوه الصحفيين عندما توفي طبيب حديقة الحيوان فحزنت القردة ورفضت أن تأكل، لأنها عاشت مع هذا الطبيب ١٨ سنة وهو يتردد عليها، وهناك قصص أخرى مثل قصة قرأناها عن كلب في إحدى بلاد ألمانيا، وكان صاحبه يأخذه معه حتى محطة السيارات، وعندما الرجل يركب السيارة يعود الكلب إلى البيت، أو كان الكلب يذهب يحضر اللحوم والخضار، بأن يربطوا سلة في رقبته وفي السلة ورقة مكتوب فيها الطلبات، ويتعود الكلب أن يذهب إلى شخص معين الجزار أو بائع الخضار، فيذهب للرجل فينظر الورقة داخل السلة ويجد النقود موضوعة فيأخذها ويضع له المطلوب، ويضع له الباقي، فكان الكلب متعود على ذلك، كما هو متعود أن يعود مرة أخرى الساعة الرابعة بعد الظهر لمحطة السيارات لينتظر صاحبه، ويرجع معه وهو فرح ويهز ذيله وهكذا، ففي يوم من الأيام حدث أنه بعد أن ودع صاحبه، أن هذا الرجل حدث له حادثة فقتل أو توفي سواء في محل عمله أو في الطريق، المهم أن الكلب ذهب في الميعاد الساعة الرابعة بعد الظهر وانتظر صاحبه في محطة الأوتوبيس فلم يحضر، فظل الكلب واقف في مكانه وهو حزين واستمر ساعات طويلة حتى اليوم التالي، المنظر في الأول قد يكون غير ملفت للنظر، لكن ابتداء الناس يلاحظوا أن الكلب استمر هذه الساعات الطويلة، ويقولوا أن هذا الكلب ظل لمدة ١٥ سنة يذهب لنفس المكان ويستمر، وأصحابه يعيدوه مرة ثانية، هذا الكلب بعد وفاته عملوا له مقبرة إلى آخره، هذه قصة من القصص التي نقرأها في الكتب، هناك أشياء من هذا القبيل، ويضرب بها المثل على وفاء الكلب، فالكلب حيوان مشهور بالوفاء، لكن لكي نحلل هذا الكلام هل الكلب عنده عواطف أو غرائز؟ هذه القصص تحدث فعلاً، توجد قصة ثانية أيضاً قرأناها، أنه يوجد رجل كان خارج من بيته مستعجل، والظاهر أنه مرتبط بموعد مع واحد آخر في صفقة تجارية، وأخذ المحفظة الخاصة به وفيها مبلغ كبير من المال لكي يسلمه لهذا الآخر، فالظاهر أنه

(١) سؤال أجيب عليه في ٣٠ من مايو ١٩٧٣ م.

تأخر في النوم فخرج مستعجلاً استعجال كبير جداً، ففى أثناء ركوبه الحصان وقعت منه المحفظة وبدون أن يدري بذلك، وجرى بالحصان، ولكن الكلب رأى المنظر فجرى أمام الحصان وأخذ يلعب لكي يوقف صاحبه ويحس بأنه فقد المحفظة، ولكن صاحبه تصور أن هذا نوع من أنواع الدجاجات التي يعملها عادة الكلب أو كنوع من أنواع التحية، فالرجل انتهر الكلب بأن يعود، فلم يعد واستمر فيما يصنع أمام الحصان والحصان يثب لأعلى حتى كاد أن يسقط الرجل، والرجل يتصور أن الكلب يعطله وهو مستعجل، وعندما تضايق الرجل لعدم سماع كلامه ورجوعه ضربه بالسدس وجرى بالحصان، وأصيب الكلب وأخذ يصرخ صرخات الأئين والألم وهو عائد حيث المحفظة ونام فوقها ومات، وبعد أن وصل صاحبه إلى المكان الذي يريده اكتشف عدم وجود المحفظة، فتنبه إلى ما كان يصنعه الكلب ليعيده عن طريقه، فرجع إلى حيث المكان ووجد الكلب ميت، وعندما قلبه ليتأكد من موته وجد المحفظة تحت الكلب، فأخذ الرجل في الندم والبكاء على هذا الكلب، وأقام له مقبرة تخليداً لذكرى هذا الكلب ولوفائه.

هنا السؤال الذى يقال هل للحيوانات عواطف أو غرائز؟ وما هو تفسير حب الحيوان لصاحبه؟ نحن سبق أن تكلمنا في هذا الموضوع في أحد محاضراتنا وقلنا أن الحيوانات ليس لها عواطف وإنما لها غرائز، لأن العاطفة على ما يقول علماء النفس لا تتكون إلا في مجتمع، والحيوان يحيا في قطيع ولا يحيا في مجتمع، إنما الإنسان فقط هو الذى يحيا في مجتمع، والفرق بين القطيع والمجتمع أن القطيع مجموعة حيوانات ليس بينها تراسل أو تخاطب بالصورة التى بين البشر، فالإنسان منا يقدر أن يكلم الآخرين وفي كلامه للآخرين يتفاهم معهم وينقل إليهم خبرات ومعلومات جديدة، وهم ينقلوا إليه مشاعر أو خبرات أو ما إلى ذلك، فيحدث تبادل وتفاعل بين الناس وهذا ما يسموه المجتمع، إنما الحيوانات تحيا في قطيع، حقاً قد يكون فيه شيء من التراسل البسيط بين الحيوانات لكن لا تصل إلا أن تكون حركات خارجية من دون أن يكون هناك تفكير أو هناك نقل فكري، بدليل أنه لا يوجد معلومات جديدة ينقلها حيوان كبير إلى حيوان صغير، ولذلك يظل الحيوان هو بعينه الحيوان، فالحمار الكبير هو هو بعينه الحمار الصغير، لا يوجد فرق في الخبرات أبداً إطلاقاً، كل حمار يتصرف تصرف الحمار الآخر سواء كان كبيراً أو صغيراً، رغم مرور الزمن من خلقة الحيوانات حتى الآن. النمل هو بعينه النمل من يوم الخليقة، ومن يوم ما كتب الإنسان عن طبائع النحل وعن صفات النحل هى بعينها نفس الصفات والطبائع،



لكن الإنسان يتغير نتيجة الإتصالات والتقدم المتواصل، وبناء على ذلك يُغَيَّر في تصرفه، وأحياناً التغيرات تكون سريعة وواضحة، فرق بين الطفل وبين الشيخ، وكما قال بولس الرسول «لما كنت طفلاً كنت أفطن وكطفل كنت أتكلم، ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل» أى يحدث تغيرات في حياة الإنسان ويوجد نقل خبرات، فلو قارنت بين إنسان القرن العشرين والقرن الماضى ستجد فرق ضخم جداً وتجد تغيرات واختراعات وكشوف وصورة مختلفة، فالتغيير في جانب الإنسان تغيرات كبيرة جداً إذا قارناها بالجمود في مملكة الحيوان، من هنا العواطف لا تحيا إلا في مجتمع، فالحب والكراهية هذه عواطف لا توجد في عالم الحيوان، إنما توجد فقط في عالم الإنسان، إنما ما يحدث عند الأم مثلاً في عالم الحيوان مثل الجاموسة أو إنثى السيد قشطة عندما تلمس صغيرها وتحنو عليه ويرضع منها وتترك له ضرعها ولسانها تمسح على جسمه وتلحق فيه، كل هذه المظاهر نراها ونقول كيف هى تحبه وتحن عليه، ولكن المسألة لا يتبين فيها الحنان الذى نتصوره، مانقوله يسموه إسقاط، نحن نسقط ما في أنفسنا وما في طباعنا على الحيوان، لكن كل هذه المظاهر هى حركات غرائزية، وبلغة أخرى أن الجاموسة مثلاً يتجمع اللبن في ضرعها كعملية طبيعية موجودة في الطبيعة، وهذا التجمع للبن يضايقها، فالصغير عندما يسحب اللبن من ضرع الإنثى، هذا السحب يحدث لذة مؤقتة عند إنثى الحيوان، وهذا شبيه بعملية الإخراج أو وظيفة الإخراج عند الإنسان، عندما يكون أى إنسان عنده حصر بول أو إمساك شديد، فما يحدث أن رواسب الطعام تكون متجمدة في المعدة أو في الأمعاء، ويكون لها مضايقات شديدة جداً ومتاعب عظيمة، وكذلك عندما يكون البول محجوز تحدث ضيقة شديدة جداً، وعندما ينزل البول الإنسان يستريح وتحدث عنده لذة، هذه اللذة اسمها وظيفة الإخراج، وهى إحدى الوظائف البيولوجية في الإنسان، كمثل إنثى القرد عندما تخرج من جسم الذكر الحشرات العالقة بجسمه، فيكون مستكين لها، هذه ليست عاطفة ولكن لأن هذه الحشرات كانت تضايقه فهو يلتذ بإخراجها من جسمه، هذه ليست عاطفة كعاطفة الرجل نحو إمرأته أو المرأة نحو زوجها في عالم الإنسان، والدليل على ذلك أنه مجرد أن تقف وظيفة الإرضاع لا تعود الأم تتصرف بأى تصرف نحو صغيرها مما كانت تصنعه أثناء الإرضاع، هذه كلها أشياء وحقائق علمية، فبمجرد أن ينقطع الصغير عن أمه لا يوجد أى مظهر من مظاهر الأمومة التى نسميها أمومة، تنقطع هذه الصلة نهائياً، ويصير هذا الحيوان الصغير كأي حيوان آخر لا صلة له بها، لا يوجد ما نسميه عاطفة

الأمومة بالمعنى الموجود عند الإنسان، الإنسان منا عندما تكون أمه سنها ١٠٠ سنة، وهو طبعاً غير محتاج إلى أمه لأنه لا يرضع منها، لكن تظل الأم في مركزها كأم نحو هذا الولد، قد يكون سنه ٧٥ سنة وهي سنها ١٠٠ سنة وهي أيضاً تحنو عليه كأم، بل بالعكس تزيد عاطفة الأمومة لأن مع الأيام ومع العشرة تزيد تعلقها بابنها ومحبتها له، هذا غير موجود عند الحيوان، مجرد أن ينفطم الحيوان عن أمه تنقطع الصلة الخاصة التي كانت بين الأم وبين رضيعها، لذلك نقول في نهاية هذا الكلام العَلْمِي والمعروف في علم النفس وفي دراسات علم الحيوان، أن الحيوانات ليس لها عواطف وإنما لها غرائز، تتحرك بموجب هذه الغرائز، لكن الإنسان منا يسقط ما للإنسان على الحيوان، كما يحدث عندما ترى عصفور يشرب ثم يرفع رأسه إلى فوق فتقول أنه يشكر الله، هذا نوع من أنواع الإسقاط لكن الحيوان ليست عنده عواطف، كما قرر بذلك العلماء المختصون سواء في علم النفس أو علم الحيوان، وإنما الحيوان يتحرك بالغرائز، إنما كلمة حب الكلب لصاحبه هذا ليس حب بل هي عبارة عن نوع من الألفة البحتة، اعتاد، نوع من العادة، تعود الطريق، تعود أن يسير يمين أو يسير شمال بدون تفكير، عبارة عن حركات آلية وعادات، هذا الحيوان ألفت هذا الشخص الذي يحضر إليه كل صباح في وقت معين ويعطيه الأكل ويلمس جسمه، هذه الألفة شيء آخر غير العاطفة، هذه مجرد أشياء غرائزية بحتة.

### ٣٢ - الحسد (١)

سؤال: هل يوجد حسد في العالم؟

الجواب:

الحسد له معنيان في كتب القواميس يقول: «الحسد هو تمنى زوال نعمة الغير»، كما يقول أن قايين حسد هابيل، أو قالوا عن المسيح: أن بيلاطس علم أن المسيح أسلموه حسداً (مت ٢٧: ١٨)، أو يقول: بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم، وهذه نقولها نقلاً من سفر الحكمة، (٢: ٢٤)، هذا هو الحسد الذي يسموه في الكتب «تمنى زوال نعمة الغير».

لكن يوجد نوع آخر من الحسد وهو ما يسموه «نظرة العين»، وقد يكون صاحب السؤال يشير إلى هذا؟ وهذا طبعاً موجود أيضاً، لأنه يوجد بعض الناس من كثرة ما يتمنى شر

(١) سؤال أجيب عليه بكنيسة الشهيد مارجرس بإمبابية الجيزة - مساء الأحد ١٤ من أغسطس ١٩٨٨م - ٨ من مسرى ١٧٠٤ ش.

لإنسان، يتحول إلى مُؤَلد ينفث حسداً مثل الكهرباء، وإذا كان المحسود أضعف منه فعلاً يمكن أن يصيبه، والكلام الذى يقال أن العين تؤثر فى الحجر أو شيء مثل ذلك، نفس الكتاب المقدس يقول: «لا تأخذ خبز ذى عين شريرة... اللقمة التى تأكلها تتقيأها» (أم ٢٣: ٨). فهذا نوع من أنواع الكهرباء وهذا موجود طبيعى، فعلاً يوجد أشخاص من كثرة الغيظ عندهم يتحول القلب بشره إلى مُؤَلد، وأنتم تعلمون أن الإنسان كله مملوء كهرباء ويؤثر على الشخص الذى قدامه إذا كان ضعيف. مثل عيون القطة عندما تنظر للفأر تشله، هذا ليس نتيجة الخوف بل نتيجة الكهرباء، هذه ظاهرة طبيعية وليست ظاهرة ميتافيزيقية، نحن كلنا فينا كهرباء، جسم الإنسان فيه كهرباء، والعلماء علمياً يعرفون أن الإنسان فيه كهرباء ما هو التيار العصبى؟، هو كهرباء، فبعض الناس من غله الشديد من أحد الناس ممكن أن يسلط عليه نظره فيصيبه، وهذا النوع من الحسد معروف فى العالم كله، ليس فقط العالم القديم، بل فى العالم اليوم، فى ألمانيا موجود، وفى إنجلترا موجود، ولذلك كلمة: Tuch wood «تتش وود» امسك الخشب، موجوده اليوم فى كل بلاد العالم، فى روسيا، وفى الصين واليابان والبلاد القديمة، حتى البلاد الحديثة فى كل بلاد العالم، فى ألمانيا الشخص بعد الزواج يحمل زوجته ويعبر بها صخرة، ثم يضعوا على الباب شيء مثل الحدوة أو قطعة خشب حتى تتفرغ فيها شحنة الكهرباء، وهذا مبنى على ظاهرة طبيعية وليست خرافات، هذا كلام سليم ومرجعه إلى الكهرباء، ولذلك إذا كان الواحد أقوى من الآخر يقدر أن يؤثر عليه، لكن إذا كان الثانى قوى لا يتأثر منه، مثل التنويم المغناطيسى، لا يقدر أحد أن ينوم واحد إلا إذا كان أقوى منه. لذلك نقدر أن نتغلب على الحسد من هذا النوع لو كنا محصنين، لو كان الواحد منا محصن يقدر على الأقل لا يؤثر عليه حسد الإنسان الشرير، يقف قدامه ويمتنع التأثير الكهربائى عليه. لذلك يجب أن نكون محصنين بالأسرار المقدسة ومنها الميرون بالذات. ولذلك نحن نقول أن الميرون درع البر، ما معنى درع البر؟ يعنى أن الميرون مثل الدرع الذى عندما يلبسه الإنسان لو أن أحداً ضربة بسهم يرتد إليه مرة ثانية ولا يصيبه، فهذا الكلام صحيح لكن يحتاج أن الإنسان يتحصن. أن نكون محصنين بإستمرار بالميرون وبالأسرار المقدسة وبالصلوات والعبادة، كل هذه العبادات تصنع طوق يحمى هذا الإنسان من سهام الشيطان الشريرة.

### ٣٣ - هل باطن الأرض مجوف؟

سؤال: طالعتنا جريدة وطنى من مدة عامين تقريباً أن العلماء يقومون بحفر الكرة الأرضية في بلد ما بعمق ١٤ كيلوا متراً تقريباً لأنهم اكتشفوا أن الأرض مفرغة؟.

الجواب:

ليس في وطنى فقط، هذه حقيقة نُكرت في مصادر أخرى كثيرة، أن باطن الأرض فارغ وليس مملوء، فالأرض فيها تفريغ، والعلماء اكتشفوا عند القطب الشمالى سحب حمراء، استدلوا من هذه السحب الملونة على أن هناك إنعكاسات من باطن الأرض، إذن باطن الأرض مجوف، ليس كله صلب أو مملوء أو متماسك، لكن فيه فجوات.

هل يوجد بها نباتات وأشجار وبشر أيضاً؟

حكاية النباتات والأشجار والبشر هذه صعبة جداً، لعلك تعلم أن النباتات التى دفنت في جوف الأرض، مع الحرارة لمدة زمنية طويلة وعدم وجود الأوكسجين تفحمت وتبلورت وتحولت إلى ألماظ، فلا أتصور أنه يوجد نباتات تحت الأرض لأنها تحتاج إلى أوكسجين، ولا يوجد أوكسجين تحت الأرض. وحتى لم يتبين أنه على سطح القمر أو أى كوكب من الكواكب فيه نباتات من نوع النباتات الموجودة عندنا، لأنه لا يوجد أوكسجين، رواد الفضاء لابد أن يأخذوا أوكسجين معهم، ولذلك لو حدث أن الأوكسجين نفذ منهم فإما أن يعودوا أو يموتوا، وهذا ما حدث بالنسبة لثلاثة في روسيا ماتوا لأن الأوكسجين نفذ منهم.

## ٣٤ - للبراكين والزلازل وظيفة (١)

سؤال: تحدثتم عن الطبيعة ونظامها البديع ودقتها البالغة في كيف أنه ١٣ تتحدث عن الله؟ بماذا تفسر حدوث بعض الإضرابات في الطبيعة مثل البراكين والزلازل؟ وهل هي تتنافى مع كون الله ضابط الكل وممسك كل شيء؟

الجواب:

لا يا ابني، لا يسقط على الأرض شعرة بدون إذن الله، وبدون سماحه، لا يسقط على الأرض عصفور لا ثمن له، الذي يعطوه على البيعة، عصفوران يباع بفلس وخمسة عصافير يباعان بفلسين، فكان المفروض أن يكون الأربعة بفلسين، لكن يوجد واحد زيادة على البيعة، هذا العصفور الزيادة على البيعة الذي لا ثمن له، لا يسقط على الأرض من دون إذن أبيكم.

فالزلازل والبراكين لا تحدث إلا بأذن الله، هذه الزلازل والبراكين لها وظيفة في الكون، ممكن إنك تجهلها، ولكن لها وظيفة ولها عمل في الكون، فهي تدخل في التدبير الإلهي، أحياناً لصالح الأرض نفسها، وأحياناً لأنه من طبيعة الأرض كلما بردت أن تتقلص، لا نريد أن ندخل في تفاصيل لأنه أمر يطول شرحه، إنما المهم أن هذه الزلازل والبراكين لا تنظر إليها على أنها شذوذ أبداً، أنت تعتبرها شذوذ إنما هي لها وظيفة بالنسبة للطبيعة، وأيضاً عن طريقها يتكلم الله للإنسان، وأحياناً تكون وسائل ردع وتأديب وعقاب ولفت نظر، وهي صورة أيضاً من تمرد الطبيعة على الإنسان بعد أن تمرد الإنسان على الله.

---

(١) سؤال أجيب عليه في كنيسة الأنبا أنطونيوس بالترعة البولاقية بشبرا مساء الأحد ٢٥ من يناير ١٩٨١ م - ١٧ من طوبه ١٦٩٧ ش.

## ٣٥ - الديانة المصرية القديمة

**سؤال :** أرجو مزيداً من الإيضاح حول موقف قدماء المصريين من الله وموقف الله منهم؟

**الجواب:**

الواقع إننا درسنا الديانة المصرية القديمة، نجد أنها دخلت إلى أعماق بعيدة، فكتاب الموتى يصف الله، وأيضاً على الآثار، المصريين القدماء عرفوا الله الواحد الأحد، المصريين القدماء وصلوا إلى روحانية عالية. الديانة المصرية القديمة فيها عمق جميل جداً، وأنا أشكر الله اليوم لأننا نجد إخواننا علماء الآثار يشهدوا بأن إتهام الديانة المصرية القديمة بالوثنية إتهام ظالم. ومعروف إن تعدد الآلهة عند قدماء المصريين هو تعدد أرباب، فالله عندهم واحد ولكن غير منظور، ولكن يعبر عن نفسه أو عن وجوده بقوة الطبيعة، فقوة الطبيعة هنا هي قوة الله غير المنظور. فهل معقول إن المصرى القديم الذي وصل إلى علوم يحتار فيها اليوم العلماء، بالرغم من أن علماء الآثار يقولوا: لا نصدق أن شعباً من شعوب العالم يمكن في هذه الفترة الصغيرة من الزمن، يصل إلى ما وصل إليه المصريون، إلا بمساعدة كائنات من العالم الآخر. كل يوم تتكشف أعماق العلوم في الطب، وفي الهندسة وفي الروحانيات، وفي كل شيء فهل معقول أنهم عبدوا الجعران؟ لا... هم رأوا في الجعران صفة من صفات الإله، رأوه يحرك البيضة في شروق الشمس بشكل دائرة، ولما كانت الدائرة من النظام الهندسى تشير إلى الأزلية والأبدية، فاعتبروا أن هذا يعبر عن صفة الإله الأزلية والأبدية، ولذلك دخل في مصر القديمة (فعل الكينونة) الذى يقابل (Verb to be) في الإنجليزية، و (Verb Êter) بالفرنساوى، وهو يشير إلى المضارع الدائم وهى الأزلية والأبدية، الله كائن وكان وسيكون، وأصبحت هذه «شوبى» بالقبطى التى هى فعل الكينونة، يكون في المضارع، الله كائن دائماً، فهم لم يعبدوا الجعران، وإنما قدسوه، كلمة تقديس ليس معناها الإله الأكبر لا... هم رأوا أن الإله يُعبر عنه بهذه الأمور، مثلاً النيل فمن غير المعقول أنهم عبده كإله أكبر، لكن رأوا فيه أنه ينبع من عند الله، لأن النيل حياة مصر كلها، والنبات والحيوان والإنسان، وفعلاً النيل هو أحد أنهار الجنة الأربعة، لأنه عندما نرجع لسفر التكوين نجد الأنهار الأربعة دجلة والفرات، وجيحون وفيشون، دجلة والفرات موجودين اليوم في العراق، مفروض الإنسان الأول كان في منطقة

دجلة والفرات، أما جيحون فهو النيل، والنيل مر بخمسة عصور، نحن الآن في العصر الجيولوجي الخامس، لأنه يقول في سفر التكوين جيحون يمر على أرض كوش وهي الحبشة، فجيحون هو النيل، وكلمة النيل. ليست الإسم الشخصي، النيل هي «نيارو» بالقبطى أى المياه، لكن جيحون هو الإسم الشخصي، كما نقول أنه يوجد فرق بين الإنسان وبطرس، وبولس، ومرقس... الخ، كلمة إنسان هي الجنس، فالنيل يرجع لكلمة نيارو تعنى المياه، إنما الاسم الحقيقى هو جيحون بالعبرانى، لذلك القطمارس الخاص بعيد الغطاس مذكور كلمة: جيحونس دائم أحد أنهار الجنة الأربعة. فأمن المصريون القدماء أن النيل جاء من عند الله. فهنا كلمة إله ليست بمعنى الإله الأكبر، لكن قدرة أو قوة جاءت من قبل الله، وهكذا. أنا سعيد جداً إنى أسمع اليوم من علماء الآثار غير المسيحيين أن يقولوا أن إتهام الديانة المصرية القديمة بالوثنية كلام غير صحيح، مصر القديمة عرفوا الإله الواحد قبل أن يتصوره أفلاطون، قبل ذلك بكثير، فهذا تشويه، فالمصرية القديمة فيها إدراكات رفيعة جداً جداً للعلوم والمعارف، ولليانة المصرية القديمة أعماق كبيرة جداً، ولذلك يجب أن يُدرّس ذلك وخصوصاً فى الإكليريكية، لأنه حتى اليوم المفهومات سطحية لديانة قدماء المصريين.

## ٣٦ - التفكير عند الإنسان

سؤال: هل التفكير مرتبط بالجسد؟ وهل مصدره المخ؟

الجواب:

المخ نستطيع أن نعتبره مركز التفكير، لذلك عندما يكون المخ معطل يكون التفكير معطل، وعندما تكون أسلاك المخ والتي يسموها الأعصاب معطلة أو فيها معوقات، يكون التفكير نفسه معطل والذاكرة ضعيفة. مع العلم بأن التعلم هو خبرات، والخبرات تأتى عن نتيجة التجارب، والتجارب تأتى نتيجة الحواس. وُجد إنسان فى جنوب أفريقيا يحبو فى الأدغال، وظنوا أنه قرد، مما يدل على أنه أخذ خبرات من الحيوان. وليس له أى علاقة بالتفكير فهو يقلد الحركة مما يراه.

## ٣٧ - الطب والعلاج

**سؤال:** لو كانت مناعة الانسان أو مناعة الجسم في حد ذاته كافية، لإنعدام ظهور المرض، ولو كانت العلاجات الطبيعية الموجودة كافية، ما كنا نحتاج إلى أدوية من الخارج أو إلى مضادات حيوية أو خلافه؟

**الجواب:**

نحن لا ننكر الإحتياج إلى الدواء أحياناً، أنا أتكلم في ناحية المغالاة التي يقع فيها بعض الأطباء، حينما ينظروا إلى الإنسان المريض ويرصوا أنواع كثيرة من الأدوية، يوجد أطباء آخرين تجدهم يقتنعوا بدواء بسيط، وبمجرد أن المريض يتحسن تجده يوقف الدواء، فبعض الأطباء يهتموا بعدد الأدوية، لكن أنا أقول بقدر الإمكان نعود إلى التخفيف من الأدوية، وهنا أقول ما قاله ألكسندر جريجوف على ضوء الإكتشافات الحديثة، والنظرة الجديدة للأمراض، وهيئة الصحة العالمية، تحذر من بعض الأدوية والتي استمرت تتعاطى مثل حبوب منع الحمل وما إليها، هذه الأدوية التي تنكشف اليوم أكثر من أى وقت آخر مضى. أنا أقول أن نقلل منها بقدر الإمكان. وبقدر الإمكان العودة إلى الطبيعة، وهناك أمثلة عادت إلى الطبيعة وشفيت مثل رجل ساءت حالته جداً وذهب إلى أطباء كثيرين وساءت حالته، ثم عولج بالحنة وشفى هذا الإنسان.

يوجد كتاب صاحبه اسمه بنجامين هربرت، يقول أنا إنسان ساءت صحتي جداً، وقررت أننى أوقف الدواء، لأنى استمررت على الدواء كثيراً ولم أستفد أبداً، ولا يوجد أى تحسن فقررت أنى أوقف الدواء، ويقول أنه عن هذا الطريق تم شفاؤه وبعد ذلك أصبح يركز بهذا الموضوع، أنشأ معهد وكتب سلسلة كتب في هذا الموضوع، ومن القصص الموجودة بالكتاب، قصة فتاة تقول: أنها مرضت وسنها سنتان، وتابعتها المرض وكلما تشفى من مرض تمرض بمرض آخر وهذا أثر على الناحية العلمية ولم تكمل دراستها، وحاولت أن تعمل ولم تستمر بسبب المرض المتواصل، واكتشفت صدفة، كما تقول أن تمتنع عن الفطائر والحلويات والأكل والمسبك، وتبدأ في أكل الخضروات والكرنب وغيره وكذلك الفاكهة بصورتها الطبيعية فوجدت تحسن، واستمرت على هذه الحالة فكان التحسن واضح جداً وتم شفاؤها وأستأنفت حياتها العلمية.. وعملت وأصبحت طبيعية، هذه صور موجودة في الواقع، أن الأدوية توصل بعض الناس إلى حالة مرضية سيئة، بينما



التخلص من الأدوية، والعودة بقدر الإمكان إلى الأغذية الطبيعية وإلى الحياة الطبيعية يكون أفيد، وأنا أقول بقدر الإمكان نقل الدواء، لا أقول نرفض الدواء نهائياً، إنما بقدر الإمكان يُقنع بالقليل من الدواء، وإن استطاع أن يجد بديل عن هذا الدواء بشيء طبيعي يكون أحسن وأفضل. هذا مجرد رأى. أنتم كأطباء المستقبل أريد أن تفكروا في قيمة هذا الكلام، وتعرف أن تنفذه بطريقتك، وقد يضع الله بين يديك مسئولية تقدر أن تعمل فيها أكثر وأكثر، الطب مهمة إنسانية وما أريد أن أقوله ليس بالدواء يحيى الإنسان أو يُشفى الإنسان، فهناك أشياء أخرى، نحن كرجال دين نلمس أن كثير من الأمراض عندما يشفى المريض روحياً أو نفسياً يختفى المرض الجسدى، فيجب أن نأخذ الإنسان ككل وليس كجسد فقط، فأنت بسماحتك وبلطف وبنظرتك إلى المريض وإهتمامك به، عملية الإهتمام والإصغاء إلى شكواه مهمة جداً، ليست مهمتك أنك أعطيته الروشتة والعلاج فقط، أنت كطبيب تعلم كيف تعامل المريض على أنه إنسان وليس على أنه جثة، فتعطى له الإهتمام والرعاية والحب الذى هو فى حاجة إليه أكثر من إحتياجه للدواء، المفلوج قال كلمة مؤلمة جداً للسيد المسيح «ليس لى إنسان» فكن أنت هذا الإنسان للمريض.

نحن هنا نفرق بين الطبيب وبين وسيلة العلاج، فرق بين الطبيب وبين مهمة إنسانية ممتازة لإنسان يأخذ إختصاصات الله. فرق بين الطب والدواء، الطب شيء والدواء شيء آخر.

## ٣٨ - التنازل عن المبدأ

**سؤال:** هل يمكن أن يتنازل الإنسان في أيامنا هذه عن جزء ضئيل من مبادئه ويحتفظ بالجزء الأكبر وذلك لتيسير الحياة؟

**الجواب:**

لا نقدر أن نتنازل عن جزء ضئيل من مبادئنا، وإلا يكون معنى ذلك أن الإنسان يساوم بأن يبيع مبادئه في سبيل أنه يعيش في سلام. لا نوافق على ذلك أبداً، ولو كان آباؤنا ساروا على هذا المبدأ لكنا ضعنا من القديم، ولا كان وجد منا أحد الآن، أنت نفسك كنت لا تكون مؤمن بالمسيح. فنحن لا نستطيع أبداً أن نقر مبدأ التنازل عن أى شيء من الإيمان. «الذى عندكم تمسكوا به إلى أن أجيء» فمطلوب منا أن نتمسك وأن نكون ثابتين، لكن أريد أن أقول أنه هناك البعض يتطرفوا في طريقة التعبير، فمثلاً يكون طالب أو موظف في عمله ثم يتصرف تصرفات تعتبر تبشير، فإذا كان التبشير ممنوعاً. فلا داعى أبداً أن الإنسان ينقلب إلى واعظ وإلى مبشر، طالما أنك لست رجل دين، إنما تعظ بسيرتك وقودتك، وإذا سئل الإنسان يجيب، لكن لا يحاول أن يستغل صفته كطالب في كلية أو في مدرسة، أو صفته كموظف في عمل، أن يبشر بالمعنى الإيجابي للكلمة، إنما إذا سئل يجيب، كما قال الكتاب «كونوا مستعدين لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وطهر»، على كل حال نحن لا نقدر أبداً أن نقر مبدأ التنازل عن جزء من معتقداتنا في سبيل أن الإنسان يعيش في الحياة، بذلك نكون أيضاً بعنا المسيح وبعنا مبادئنا، ولكن كما قال المسيح «كن أميناً إلى الموت فأعطيك إكليل الحياة».

## ٣٩ - لعنة الفراعنة

يوجد سؤالين يتكلموا على حاجة واحدة:

سؤال ١: ما رأى نيافتكم في لعنة الفراعنة؟ وهل هى حقيقة بالرغم من أن هناك أمثلة على صحتها؟ وما هو رأى الدين فيها؟

سؤال ٢: ما سر القوة الكامنه فى هؤلاء الفراعنة التى جعلتهم يقومون بأشياء تصبح اليوم من الإعجاز القيام بها، مثل الأنفاق التى يبلغ طولها عشرات الكيلو مترات، والأهرام والمعابد والتماثيل والتحنيط؟ وهل سر هذه القوة كما يزعم بعض العلماء أنهم ليسوا من أجناس الشر العادية؟

### الجواب:

هذا الموضوع خارج عن دائرة النصوص المباشرة للكتاب المقدس، فلا يوجد نصوص تتناول هذا الموضوع، ولكن من خلفية علوم قدماء المصريين وليس الخلفية الدينية، المفروض أن يكون المقصود من لعنة الفراعنة، هو أن أرواح الموتى من قدماء المصريين، تنتقم ممن يعتدى على الجثمان. لأن قدماء المصريين كانوا يؤمنون بالخلود ويؤمنون بالبعث لكن لم يكونوا يؤمنوا بالقيامة كما نؤمن نحن بها.

وهذا هو الفرق بين عقيدة المصريين القدماء فى البعث، وبين عقيدتنا نحن المسيحيين فى موضوع القيامة، بالنسبة للمصرى القديم أن هذا النائم سوف يستيقظ، أى أن الروح تعود لتدخل فى الجسد فيحيا الإنسان فيما وراء الموت، هذه الحياة الأخرى شبيهة جداً أو هى إمتداد لحياته الأولى. فهو يأكل ويشرب ويواصل هذه الحياة المادية تقريباً بنفس الصورة التى كان يعيشها قبل ذلك. لذلك يحتفظوا له بأشياء معينة حول الجثة، يستخدمها ويستعين بها فى حياته الأخرى، وكانوا يضعوا مايعرف بمائدة القرابين ويرسفوا عليها أنواع من المأكولات العادية، لحوم وخضروات من طماطم إلى فجل إلى كرات إلى غيرها، وكان المصرى القديم يعتقد أن الجسد إذا فنى لا يعود مرة أخرى، ولأصبحت الروح تائهة، ومن هنا نشأت أهمية التحنيط وأبتكر المصرى القديم التحنيط لحفظ الجثة، وطالما أن الجثة محفوظة فحقها فى الحياة الأخرى محفوظ، لذلك المصرى القديم عندما كان يدفن الميت، كان يحوطه بكل أسباب المحافظة عليه، بالتحنيط من جهة، وأيضاً بإخفاء الجثة

في مخابيء عن اللصوص، لأنه كان هناك لصوص يعتدوا على الجثث، ويسرقوا متعلقاتهم ويتركوا الجثة فتتعرض للفساد وحينئذ يضيع حق الإنسان في الحياة الأخرى.

أنا أعتقد أن اللعنة عند الفراعنة صحيحة، وهناك بيانات وبراهين كثيرة نتبين منها أن هناك لعنة الفراعنة، لكن بأي معنى لعنة الفراعنة؟ بمعنى أن التحنيط للجثث فيه تحوطات لصيانة عملية التحنيط بوسائط روحية، فهذه الوسائط الروحية تشحن المومياء بشحنة كهربائية من نوع معين، بحيث أنه ممكن جداً أن الواحد يتأذى إذا لمس هذه المومياء، وإذا عرّضها لأنواع من الإيذاء ينعكس عليه أضرار معينة. وعلى سبيل المثال يوجد قصة معروفة، أن عند اكتشاف مقبرة توت عنخ امون سنة ١٩٢٢، كانت بعثة أجنبية أتفق عليها واحد أسمه كارتر، وهو الذى قام بالحفريات، المهم أنه عندما أُكتشفت مقبرة توت عنخ امون وبدأ الحفر، خرجت ناموسة وثعبان، كان الرجل الأجنبى يحمل بيغاء على كتفه، فالرجل كان معه مسدس فضرب به الناموسة التي لدغته، وداخ الرجل وأصيب بحمى في الحال فوق، فنقلوه على الفندق، فتصاعدت الحمى بدرجات عالية جداً، وفي هذه الحمى رأى المنظر الآتى: أخذه أحد من يده بقوة، وقال له تعالى، وأحضر إلى المحاكمة، فأخذه وأدخله إلى قاعة كبيرة فوجد الملك على رأس القاعة متوج وجالس على العرش، ووجد كل القاعة قواد وعظماء.. فالملك قال له: كيف تجاسرت على فتح مقبرتى؟ فلم يعرف بما يجاوب، فقال له: لذلك حكمنا عليك بالإعدام وعلى رئيس الجند التنفيذ، فرئيس الجند طعنه في بطنه بالحربة، هذه الطعنة كانت مؤلة فاستيقظ هذا الشخص ووقع من على السرير من هول الطعنة، والألم الشديد جداً في بطنه، وروى هذه الرواية ومات.

وهناك عشرات القصص والوقائع من هذا القبيل، تستغربوا أن الأديرة المسيحية مع العلم أنها مبنية في العهد المسيحى، كان لايدخلها عقرب أو ثعبان، فعندما بعض هذه الأديرة تداعت مبانيتها ورمموها دخل الثعبان ودخلت الحشرات، وهذا كانوا يعرفوه بالرصد أى هناك أشياء معينة يسيطروا بها على الحشرات، وهذه هى حكمة المصريين القدماء التي كانوا يدرسوها. يوجد ماتسمعوا عنه مايسمى بالسحر، والسحر نوعين: يوجد سحر أبيض، ويوجد سحر أسود، السحر الأسود هو من عمل الشياطين، لكن المصريين القدماء عرفوا السحر الأبيض، والسحر الأبيض علم وكان له مدرسة وهذا ليس من عمل الشياطين، بل هو إستخدام الطاقات البشرية، فنحن عندنا قوة فوسفورية في

الجسم، لو تجمعت تكفى لقتل ١٤ رجل، فعن طريق تدريبات معينة يسيطر الإنسان على هذه القوة الفسفورية، وهذا هو سبب القوة الطبيعية لقدماء المصريين، لذلك التنويم المغناطيسى قائم على هذا الأساس، فنظرة القطة للفأر، تجعله يتصلب في الحال. وذلك بالقوة المغناطيسية التى فيها، فالإنسان فيه مغناطيسية وفيه كهربية، والحيوانات فيها مغناطيسية، فالقطة فيها مغناطيسية فى عيونها، لو أن أحد فيكم رأى القطة بالليل وعيناها فظيعة تكون عبارة عن نار، كأن أشعة من نار خارجة من عينيها، عندها قوة عجيبة جداً فى النظر، بمعنى أن عندها مقدرة كبيرة أن تسيطر بهذه القوة على الفأر، بمجرد أن تنظر له يقف مشلول، وهكذا التنويم المغناطيسى قائم على هذا الأساس، هؤلاء النومين يدرّبوا أنفسهم تدريبات معينة بحيث يقدر أن يسيطر على القوة الفسفورية التى فى جسمه، ثم يركّزها عن طريق العيون، قدماء المصريين كان عندهم هذا العلم، ولذلك العين جبارة فالإنسان بنظرة العين يربع أو يسيطر، ولذلك توجد نظرة اسمها نظرة إعجاب، ونظرة اسمها نظرة إحتقار، وتوجد نظرة اسمها نظرة حب، ونظرة سخرية ونظرة... والعين واحدة، إنما بحسب العوامل النفسية التى وراءها تشكل نظرة العيون، أنا أعرف بعض الآباء لا يعرفوا أن يضربوا أولادهم، لكن ينظر إلى ابنه فقط، مجرد نظرة أبوه كافية لردعه، وهكذا المعلم أو الرئيس فالنظرة ليست حاجة قليلة أو هينة.

المهم أن قدماء المصريين أحبوا أن يستغلوا الطاقات الموجودة، فكانوا يختاروا شباب يتميزون بالصفات الآتية: الطهارة، وضبط النفس، والقدرة على الأصوام الطويلة وكانوا يعلموهم طقس يعرف باسم طقس الإدخال، أى يدخل فى هذه المدرسة أو فى هذا الطريق وهو مثل المعمودية، ثم ينزلوه تحت الأرض أربعين يوم، يرى فيها أهوال تكون تمرين لصبره ولقدرته على ضبط نفسه وأنه لا يخاف، وإذا خاف يرجع من هذا الطريق، فيجد بوابات حوالى ١٢ بوابة يمر منها، وعلى كل باب حراس يسيئوا إليه ويسألوه أسئلة سخرية وأصوات مرعبة، ويأكل أكل صعب جداً عبارة عن أنواع من الحبوب التى تعفاها النفس، ويعيش عليها أربعين يوماً. وفى الوقت نفسه هو تحت الأرض فى ظلام حالك ومناظر مرعبة ومخيفة وأشخاص... فإذا نجح بعد أربعين يوم يقيموا له حفلة إستقبال هناك فى الناحية الثانية وهذا معناه أنه أصبح تلميذ الحكمة أو تلميذ لرجل حكيم ويسمونه أنه يسير فى طريق الحكمة، كما قال الكتاب: «وتهذب موسى بكل حكمة المصريين»، فهناك أنواع معينة من الدراسات والخبرات، توجد مدرسة وجامعة، ولذلك سميت جامعة عين شمس

على أساس مصر القديمة كان فيها جامعة، وكان كل من في الجامعة كهنة، لأن العلم كله كان محصور على الكهنة وكان الكهنة هم الأطباء وهم الذين يحنطوا وهم الذين يفهموا في كل أنواع المعرفة، لأن الدين كان يحتضن كل أنواع العلوم والمعارف. المهم أنه بعد أربعين يوم يصبح التلميذ عالم أو حكيم، ففي الأربعين يوم نوع من الإختبار والإمتحان لصلاحيته لهذا الطريق، وإن لم يثبت وجوده يطردوه، فإذا ثبت صلاحيته يدخل المدرسة ويكون هناك تمارينات عن طريق التنفس، لكي يتحكم في القوة الفوسفورية التي في جسمه، يقدر أن يفهم عن طريق التنفس، يعمل تنفس بطيء ثم بعد تمارينات شاقة طويلة وأشياء تأخذ أيام وسنين ينمو بالتدرج، يبدأ قليلاً وبالتمرين يكبر حتى يقدر أن يحتجز النفس لمدة طويلة، ففي الأول يقدر أن يحتجز النفس لخمس ثواني مثلاً، ثم يصل إلى خمس دقائق إنما بالتمرين يصل إلى عشر دقائق أو خمسة عشر دقيقة حتى يصل لمراحل بعيدة... هذا النوع من السحر قد يسموه قدماء المصريين بالسحر الأبيض، أى أنه ليس من عمل الشياطين، إنما هو نوع من صقل المواهب الطبيعية. فكان القدماء المصريين لكي يحرسوا الجثة، لأنه يهمه جداً أن هذه الجثة تبقى، لأن فكرتهم في الحياة الأخرى مبنية على بقاء الجثة، فإذا هلكت الجثة أو أكلها حيوان، فقد فقد الإنسان نصيبه في الحياة الأبدية. ولا تجد الروح جسد تحل فيه، ففكرة القدماء المصريين أنه لا بد أن يحتفظ بالجثة فهذا السبب ظهر فن التحنيط؟ وذلك لحفظ الجسد. فلما لاحظوا أن هناك حيوانات تهلك الجثث ومنهم ابن آوى، الذى حولوه إلى اسم آنوبيس، فابن آوى هذا نوع من أنواع الثعالب، فكان يأكل الجثث. وكان هناك لصوص يسرقوا المقبرة، لأن الواحد كان يدفن بالذهب وما يمتلكه، وخوفاً من اللصوص كانوا يعملوا ما يعرف بالباب المخفى، فلكى يحافظ القدماء على الجثة كان يعين حراسات عليها، فيعين مثلاً ثعبان لى يحرس الجثة خوفاً من السرقة، فيقوم بقراءات معينة بطريقة روحية مخصوصة فيصبح الثعبان خاضع لإرادة من صلى عليه، ويسير تبع إرادته مثل النوم عندما يكون تحت التنويم المغناطيسى، لو قال له اقتل يقتل، ولو قال له اقفز من على الحائط يقفز. فيسيطروا على الحيوانات بهذا الشكل، وهذا معني الرصد، أى أنه يسيطر على حيوان معين بطريقة التمتمة التي يسموها التمايم، كتابات معينة يكتبها على حائط أو ورق، فتجد النمل لا يدخل البيت. كان عند الوالد فص يسموه فص العقرب، وهو عبارة عن فص على شكل الجعران. هذا الجعران عليه كتابة معينة ورسوم مخصوصة، إذا لدغ أحد بالعقرب، في يده أو رجله، صار السم إلى جسمه كله ووقع في الأرض، فإذا استطاعوا أن

يلحقوه ويضعوا الجعران محل المكان الذى لدغ فيه، تجد السم تجمع من كل الجسم وأصبح تحت الجعران.

فالجعران أصبح له سيطرة بالتمائم وبالكتابة التى عليه أن يجمع السم فى الجسم، فياتى واحد ويشترط مكان الجعران بالمشروط فينزل السم كله فيخف الرجل وينجو من الموت، كذلك مثلاً يوجد فص اسمه فص النزيف وكان يسمى بالخرزة، هذه الخرزة عجيبة الشكل، تجدها من ناحية منحنية ومن ناحية أخرى مبططة، تجد فيها كمنظر «دمل» هو غير مرسوم لكن تتعجب كيف فى قلب الخرزة دمل، دمل ومتقيح فى الناحية المنحنية، هى خرزة لا يوجد فيها رسم لكن لها فتحتين ويوجد خيط بها، عندما يكون الواحد عنده خراج ويكون هذا الخراج به صديد، أو واحد عنده لوز مثلاً أو عنده دفتريا، لم يكن عندهم الأمصال الواقية، لكن الآن توجد أمصال، فالطريقة كانت أن يحضروا الخرزة ويربطها على الدمل مادام تقيح. فتجدها فى ظرف ثوانى انفتح الخراج، وإذا كان دفتريا فى ثوانى يتفل على الأرض مرات وينزل الصديد، أما إذا كان مجرد شيء من الألم لكن لم يتحول بعد إلى صديد، أى فى مرحلة التكوين فتربط الخرزة على الناحية الأخرى الأفقية فيضيع الألم فى ثوان، فهذا شيء عجيب وأنا رأيتها بنفسى، بل أذكر أنى كنت فى سن ست سنين وكان عندى لوز وفى ثوانى نزل الصديد. فحاجات عجيبة جداً جداً.

بهذه الأشياء وبكتابات معينة كانوا يسيطروا على النمل، فلا يدخل المنزل، وكذلك العقرب والثعبان وكان هناك جعران لنزيف السيدات، كل هذا كانوا يسموه السحر الأبيض، هو ليس سحر شياطين لكنه نوع من أنواع الصلوات المعينة مع الفاعلية أصبح لها سيطرة على أشياء كثيرة.

كان عندهم كهنة كانوا يسموهم الكهنة الجنائزين، كانوا ينظموا الكهنة أربع فرق: كاهن يسموه الكاهن المطهر - والكاهن المبخر - وكاهن يسموه الكاهن القراء - وكاهن يسموه الكاهن الجنائزى كان عندهم تخصصات، اليوم الكاهن عبارة عن كشكول. والكاهن الجنائزى كانت مهمته فقط فى الجنازة، فى المعبد الذى يسموه المعبد الجنائزى، عندما يكون مثلاً الملك مدفون أو أى أحد من العظماء مدفون، يوجد كهنة موقوفين على خدمته؟ عمله عبارة عن تلاوات مستمرة من الصلوات، وهذه التى تطور منها ألحان أسبوع الآلام، لأن ألحان أسبوع الآلام هى ألحان مصرية قديمة، الألحان الحزائنى هى الألحان الجنائزية، والجلجثة التى نقولها فى ساعة دفن المسيح، هى نفس الموسيقى التى

كانت تقال في ساعة التحنيط، لا أقصد الكلمات نفسها إنما الموسيقى نفسها. هذه الأنغام أنغام مصرية قديمة، وهى التى كان يباشرها الكهنة الجنائزيين عندما كانوا يحنطوا الأجساد، لأن التحنيط عندهم ثلاث أنواع: - يوجد تحنيط الملوك وكانوا يأخذوا فيه سبعين يوم، والناس المتوسطين أربعين يوم، والناس الفقراء ثلاث أيام. لأن التحنيط كان مكلف، فمن يقدر على تحمل التكاليف يأخذ وقت أطول، وهناك فقراء حتى الثلاث أيام كانت كثيرة لأنها كانت مكلفة، فمن يقدر على تحمل التكاليف يأخذ وقت أطول، وهناك من كانوا يدفنونهم فى الحلفاء وفى الرمل فيعمل لهم شئ من التحنيط. ومن هنا جاءت كلمة جبل قسقام فى الدير المحرق، لأن قسقام كلمة مصرية قديمة معناها مدفن الحلفاء، فكان الأهالى يدفنون فى الرمل وفى الحلفاء، لأنهم فقراء لأنه ليس لهم مقدرة على التحنيط، والرمل عنده خصائص الحفظ، لأنه يمتص الرطوبة التى فى الجسم، إنما الملك كان يأخذ سبعين يوم. ولذلك لو قرأتم فى العهد القديم فى الأصحاح الخمسين تجدوا يعقوب أبو الآباء عومل هذه المعاملة، الجنازة كانت سبعين يوم، يقول مناخة ثقيلة للمصريين وبكى عليه المصريون سبعين يوماً، هذه مدة التحنيط التى كانت بالنسبة للملوك. ويعقوب عومل معاملة الملوك سبعين يوماً - الناس المتوسطين أربعين يوم والناس الفقراء ثلاث أيام والفقراء جداً كانوا يدفنونهم فى الحلفاء. والكاهن الجنائزى كان يتلو الصلاة فيؤمن المصرى القديم أن الصلاة تحول المأكولات إلى أشياء حقيقية يعيش عليها، هذا مجرد رسم، وهذا ما جعلنا نقدر أن نفهم فكرة التحول فى السر المقدس وهو سر القربان، أن الصلاة تحول الخبز إلى جسد المسيح وإلى دمه، فالمصرى القديم توصل أنه عن طريق الصلاة يحول الرسوم التى على المقبرة إلى مأكولات حقيقية يعيش عليها الميت فى العالم الآخر، لذلك الكاهن الجنائزى مهمته موقوفة على هذا العمل، ليس له عمل آخر، عمله تلاوات مستمرة حتى تتحول الرسوم التى على المقبرة إلى مأكولات حقيقية يعيش عليها الملك أو الميت فى العالم الآخر. أريد أن أقول أن المصريين القدماء كان عندهم روحانية وعن طريق هذه الروحانية وصلوا إلى نوع من السحر الأبيض الذى به يسيطروا على الحيوان ويسيطروا على الحشرات، فكرة الرصد وما إليها هذه الفكرة موجودة فى التراث المصرى القديم، وهى جزء من الحكمة المصرية، هى دراسة فى طريقة استخدام الطاقات وصقلها بتمرينات معينة، يصل بها الإنسان إلى المقدرة فى السيطرة على الطبيعة، والإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، والله دعانا أن نستغل الطاقات الموجودة عندنا للسيطرة على الطبيعة وعلى الحيوان وعلى سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل دابة تدب على الأرض.



## ٤٠ - التبشير عند قدماء المصريين

سؤال: هل كان قدماء المصريين يبشروا بديانتهم مثل اليهود؟

الجواب:

لا... الديانة المصرية القديمة لم يكن فيها فكرة التبشير بالمعنى الحديث، بل كانوا بالعكس، العلم المصرى القديم كان يسموه (كريبتون) أى لا يقال لكل واحد، إنما للناس الذين يستحقوا، لذلك مبدأ التسليم لا يعطى العلم لكل واحد، اليوم يوجد ما يسمى العلم للملايين، فى مصر القديمة لم يكن كذلك، فالكهنة خصوصاً كانوا يسمونهم الواقفين على أسرار العالم المجهول، فكان هناك معلومات كثيرة جداً يحبسها الكهنة، لأنه يقول هذه المعلومات لو أخذها من لا يستحقها يتلفها، وقد تكون هذه الفكرة صحيحة، وهناك بيت شعر يقول:

فأرشدنى إلى ترك المعاصى

شكوت لوقيع سوء حفظى

ونور الله لا يُعطى لعاصى.

وعلمنى أن العلم نور

ففى مصر القديمة لم يكونوا يخطبوا أو يعظوا أو هناك علم للجماهير مثل الآن، كان الأستاذ أو المعلم يختار التلميذ، فكان العلم تسليم من معلم لتلميذ، لم تكن هناك طريقة التبشير لأنهم يؤمنوا أن هذه المعلومات فيها أسرار لا تُعطى لكل واحد، ويوجد مثل إنجليزى معناه أن المعرفة القليلة تكون خطيرة. فالمبدأ العام فى مصر القديمة هو مبدأ التلمذة، المعلم يختار التلميذ، يوجد عندنا كتاب باللغة القبطية، هو وثيقة طبية باللغة القبطية الصعيدية وطبعه واحد اسمه شاسناه فى المعهد الفرنسى، هذه الوثيقة عبارة عن طبيب كاتب هذا الكتاب، لكن تجد أن الكلام ينقطع ويعطى رموز، هذا معناه أنه لا يريد أن الكتاب يقع بين أيدي أناس لا يستحقوه فيتلفوا المعانى، وهذه نقطة شكوى يعبر عنها بعض العلماء، لذلك كان المعلم يتطلب صفات معينة فى الشخص الذى يأخذ منه العلم حتى لا يتلف المعلومة.

## ٤١ - التوحيد عند قدماء المصريين

سؤال: يوجد كثير من الآلهة عند قدماء المصريين، فما موقفهم من التوحيد؟

الجواب:

الآن بعض إخواننا من الأثريين مسلمين، ويقولوا كلام جميل جداً، أن هذه ليست آلهة كما هو في المفهوم الحديث إنما هي أرباب. فما سُمى بالآلهة في مصر القديمة كانت أرباب، مثل قوة، وطاقات، نحن أحياناً نُعَبِّرُ بذلك عندما نجد طبيب مشهور نقول إله الطب، وهنا كلمة إله تعنى طبيب ممتاز، أو يقول إله الكلمة وهكذا.. فنعبر بتعبيرات من هذا القبيل إشارة إلى تميز هذا الإنسان في علمه، فنسميه إله الطب لكن هو ليس إله بمعنى الله نفسه، طبعاً لا... إنما يملك طاقة أو علم أو معرفة متميزة عن الباقين، كما قال الله لموسى: «جعلتك إلهاً لفرعون»، وموسى نبياً، كل هذه صفات نسبية، جعلتك إلهاً لفرعون، هنا ليس بمعنى الإله الأكبر فكلمة إله في اللغة العربية من أله يُأله «أى ما حير العقل»، أن الشخص الذى يكون متميز في بعض الأحيان نسميه إله لكن ليس بمعنى الإله الأكبر، فمصر القديمة كان فيها هذه الآلهة إنما هذه رموز للإله الأكبر، فالإله له صفات، هذه الصفات تتميز أو تتمثل في أشياء موجودة في الطبيعة، فالنيل مثلاً ليس هو الإله الأكبر، لكن كون النيل مرسل من قبل الإله وتتوقف عليه حياة مصر كلها، وأنتم تعرفون الكلمة التى قالها فرعون «مصر هبة النيل» أى لولا النيل لم تكن مصر، فمثل هذه المفهومات لا تتعارض مع فكرة التوحيد إنما معناها طاقات وقدرات موجودة في الطبيعة يعبر بها الإله عن وجوده، الإله غير منظور، إنما يعبر عن وجوده في هذه القوة، القمر، الشمس، الثور الذى هو رمز القوة، البقرة التى تحلب وتأتى باللبن، والجعران الذى يمثل الأزلية والأبدية، والتمساح لأنه فعلاً كان خطير فكان الناس يتوقوه ويؤمنوا أن فيه قدرة.

## ٤٢ - القوة الخارقة للروح

سؤال: في الهند والصين لهم مبادئ وطقوس استطاعوا أن يصلوا إلى قوة خارقة بالروح.

الجواب:

الفكرة أن الروح الإنسانية لأنها خلقت على صورة الله ومثاله، فيغض النظر عن الدين وعن اللون وعن الجنس، عندما يحدث الصفاء النفسى للروح وأن تكون في مكان هادئ ويحدث تسكيت للحواس، ويحدث تأمل ويدخل الإنسان إلى داخل نفسه، فهنا في هذه الحالة الروح الإنسانية يحدث لها إشراق نتيجة التواصل بينها وبين القوة العليا وقوة الله، نضرب مثل بذلك، في دراستك للطبيعة في أيام ثانوى، تجد أن العدسة عندما تثبتها تحت الشمس، تدخل الأشعة في البؤرة وتتجمع ويمكن أن تحرق ورقة، فيقولوا أن النفس البشرية بالمثل مع التأمل الباطنى والتركيز، والإنسان يعمل إستبعاد للشواغل، وفي حالة الصفاء مع الهدوء وتسكين الحواس، النفس البشرية يحدث لها تواصل بينها وبين القوة العليا، فالنفس نفسها تضىء ويعرف الإنسان أشياء لم يكن يعرفها من قبل، وهذه ترجع إلى عظمة الروح الإنسانية المخلوقة على صورة الله وهى قبس الألوهة، لكن عندما تعيش في هذا الهدوء ممكن أن تتواصل، فيغض النظر عن كونه هندي أو صيني أو مصري، أيضاً إخوانا المجوس مثل زرادشت أنبأ بالمسيح من ٧٥٠ قبل الميلاد، وقال للمجوس: أنتم أول شعوب العالم تعرفوا أنه يوجد بكر تحبل بجنين هو الكلمة مقيم السماء، فإذا رأيتم نجمة فانهبوا وقدموا إليه هداياكم لئلا يصيبكم بلاء عظيم. وبناء عليه المجوس عرفوا قبل اليهود، وظهر النجم وكان يتقدمهم حتى أورشليم ثم اختفى، والمجوس كانوا من إيران وكانوا بالنسبة لليهود يعتبروا وثنيين، لكن أمكن أن يوجد بينهم نبوءة وأيضاً وحى إلهى، ثم عندما هيرودس دعى رؤساء الكهنة وقال لهم أين يولد المسيح، وقالوا له في بيت لحم، قال للمجوس إذا وجدتموه تعالوا وأخبرونى لكى أنا أيضاً أذهب وأسجد له، وخرجوا من أورشليم وظهر لهم النجم مرة أخرى ففرحوا فرحاً عظيماً جداً وساروا والنجم يتقدمهم حتى وقفوا حيث الموضع الذى فيه الصبى، فقدموا له هداياهم ذهباً ولباناً ومرأ، واللبان لأنه إله والذهب لأنه ملك وأيضاً المر لأنه الفادى، كيف عرف المجوس هذه الصفات للمسيح، أنه إله وأنه ملك وأنه الفادى والمخلص، هذا يدل على أنه ليس لديانتهم، وإنما لهذه الروح الإنسانية، الجوهرة الغالية الموجودة في كل إنسان، بغض

النظر عن جنس ودين إلى آخره، فهذه الروح عندما يُخلَى بينها وتُعطى هدوء وسكون والصفاء النفسى ممكن تصل إلى معلومات كثيرة وإلى معرفة، ثم يقول «أوحى إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس وإنما يذهبوا إلى بلادهم من طريق أخرى»، إذن المجوس لهم وحى، أوحى إليهم في حلم، فالأحلام والرؤى وسائط الإتصال بعالم الروح، إنما نُسب إلى المجوس أن لهم وحى، أوحى إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس وفعلاً لم يرجعوا إلى هيرودس وهذا ما جعل هيرودس استشاط غضباً وقام بقتل الأطفال.

وما أقوله كيف لهؤلاء المجوس هذه المعرفة؟ وأن الله يتعامل معهم بالنبوءة والإيحاء؟ إذن ممكن في أى شعب من الشعوب، أيا كانت لغته، أيا كان مكانه، لأن فيه الروح الإنسانية، هذه العطية الإلهية والجوهرة الغالية التى خلقها الله على صورته ومثاله موجودة في كل إنسان، فممكن لو أُتيح للإنسان الهدوء والسكون والصفاء النفسى تصل، وتشرق وهذا ما يسموه الإشراق الباطنى، نفسيته وداخله ينير ويعرف أشياء ما كان يعرفها، هذا هو العلم الإلهى الذى ينزل إلى هذه النفس البشرية. الإنسان يتعامل مع الله، وهذا هو السبب أن الإنسان هو الكائن الوحيد أو الحيوان الوحيد المرفوع الرأس، كل الحيوانات العجماوات على أربعة إلا الإنسان واقف، هذا العقل يتعامل مع الروح العليا، وكلما حقق الإنسان لهذه الروح الإنسانية الصفاء والنقاء والبعد عن الشواغل وعن الشهوات وما إليها، شمس تشرق وتضىء ويعرف أشياء ما كان يعرفها قبل ذلك، ولذلك عالم النبوءة ممكنة في هذه الشعوب المصطلح عليها أنها وثنية وأنها غير يهودية، أمكن أن يكون عندهم نبوءة وعندهم وحى، كونفشيوس، سقراط أنبأ عن مجىء المسيح، وقال لا سبيل إلى معرفة الحقيقة، إلا إذا ظهر الرب الحقيقة وأعلن نفسه للبشر، هناك شخصيات حقاً قليلة العدد، إنما هذه النفوس بالذات لأنها لامعة ولأنها حققت الصفاء أمكن لله أن يتعامل معها وأن يكون عندها نبوءة.

فرعون رأى حلم، وكان هذا الحلم أكيد أنه إعلان إلهى، نبوخذ نصر رأى حلم وفسره له دانيال وكان التفسير سليم، كيف يتعامل الله مع نبوخذ نصر؟ بالرؤى، تعامل ليس من حيث أنه وثنى ولكن من حيث هذه العطية وهذه الروح الإنسانية المخلوقة على صورة الله. وتجد أيضاً بين إخوتنا المسلمين مثل ذلك.

## ٤٣ - السحر الأبيض

سؤال: هل عرف قدماء المصريين السحر؟

الجواب:

مصر القديمة عرفوا ما يسمى بالسحر الأبيض، وهو غير السحر الأسود، السحر الاسود هذا عمل الشياطين، السحرة عملاء الشيطان، إنما مصر القديمة عرفوا السحر الأبيض الذى منه خرج التنويم المغناطيسى. هذا علم لأن الإنسان فيه كهرباء وطاقة، لكن تختلف القوة من شخص لآخر، توجد لمبة ٥٠، ولمبة ١٠٠، ولمبة ألف، ولمبة مليون، كل إنسان منا فيه كهربة وفيه إشعاع وفيه مانسميه بالهالة، ومع الروحانية تزداد الهالة، فالأشخاص الذين يمارسوا ممارسات روحية سليمة يصلوا إلى قدرات ويُشغلوا الموهبة الطبيعية، وهى الوزنات الطبيعية الموجودة عندهم وهى الطاقة الموجودة فى الإنسان، الكهرباء الموجودة وبهذه الطريقة يحكم الإنسان نفسه وأيضاً يحكم غيره.

ومن هنا العلم الذى به الإنسان يؤثر على غيره، حتى الكلمة يقول: «من البيان لسحر»، أى أن هناك بعض الشخصيات فى أى مجتمع من المجتمعات سواء من الناحية الإجتماعية أو الناحية الروحية أو الناحية العلمة يصلوا إلى هذه الدرجة من المهارة، فالإنسان نفسه عنده قدرات لو شغلها ووظفها يصل إلى هذه المرحلة التى يسموها السحر الأبيض، هذا ليس عمل الشياطين ولكنها توظيف، مثل ما كان يحدث مع الجعران وسم العقرب، قبل الطب المعروف، كان الإنسان عندما يلدغ من العقرب، ينتشر السم فى جسمه كله، لو وضعوا له الجعران المصرى القديم تجد أن له فاعلية أن يجمع السم كله من أنحاء الجسم الذى انتشر فى الدم فى مكان واحد تحته، وبمشرط ينزل السم ويقوم الإنسان صحيحاً، بهذه الطريقة تغلبوا على أشياء كثيرة، فكتابة معينة تمنع دخول النمل إلى البيت أفضل من المبيدات الحشرية الموجودة اليوم، وصلوا إلى هذا؟ هذا هو ما يسمى بالسحر الأبيض.

فالسحر نوعين يوجد السحر الأسود وهو من عمل الشياطين، والسحر الأبيض هو استخدام الطاقة الإنسانية من الناحية الروحانية لكى يصل الإنسان إلى هذه القدرة.

## ٤٤ - ماذا عن نبوغ غير المؤمنين؟! (١)

يسأل الأخ لمعى حنا عشم الله - بشبرا مصر.

لماذا نقول إن إنجلترا وأمريكا وفرنسا أو أغلب بلاد الغرب لا تعرف الديانة الصحيحة التي توصلها للسماء، في حين أنه نبع من هذه البلاد على ممر الأجيال شخصيات جبارة استهانت بالموت في سبيل خدمة الله والإنسانية. أذكر منهم على سبيل المثال: وليم كيرى زعيم النهضة في الهند، وغيره من الإرساليات المبشرة بالإنجيل؛ وباستير وغيره من العلماء الأفاضل في الطب والاختراع؛ فلورانس نيتنجال التي أسست جمعية الصليب الأحمر؛ وفرنسيس ويلارد التي أسست جمعيات الاعتدال المسيحي لتحريم المسكرات؛ وأليصابات فرای مصلحة السجون؛ وچوزيف بتلر التي ألغت البغاء الرسمي في أوروبا.

فما هو الحافز ياترى لهؤلاء؟؟؟

ويسأل الأخ و.س.

مما لا شك فيه أن المسيحية أسمى حياة عرفتها البشرية ويكفى أن ننظر إلى مؤسسها، وإلى إقرار الجميع بإمتهانه وإرتفاعه، لكي ندرك أن التراث الذي خلفه له نفس القيمة والسمو...

ولكنني أجد في بعض أبطال البشرية أعمالاً وأفكاراً سامية، رغم أنهم غير مسيحيين. بل إن الكثير منهم عاش حياة، رويت إلينا، فإذا بها حياة عالية سامية.

فهل من الممكن أن نستفيد من أولئك القوم ونتعلم منهم.....؟

**الجواب:**

يمكن أن نحصر هذين السؤالين في مسألتين: النبوغ عند غير المسيحيين، والنبوغ عند غير الأرثوذكسيين. ونحن نقرأ ونبصر ونسمع عن النوابغ من بنى البشر على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم الفكرية في جميع عصور التاريخ، فمن يجروء على أن ينكر هذا الأمر الواضح؟!

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد - السنة الرابعة - العدد ٩ - في نوفمبر ١٩٥٠ م.

كما لا يسعنا أن ننكر فضل العباقرة في شتى العلوم والفنون وضروب النشاط الفكرى والإجتماعى والسياسى فى كل الأمم: ذلك أن أسباب النجاح قد تكون مثيرات دينية روحية، ولكنها أيضاً قد ترجع كذلك إلى عوامل طبيعية بحتة، أى أنها مفطورة فى الطبع بغض النظر عن التدين بهذا الدين أو ذلك، أو بهذا المذهب أو ذلك.

من هذه المواهب الطبيعية البحتة، العقل بما فيه من ملكات التفكير، والذكاء، والخيال والحافظة، والذاكرة، والاستنتاج والتعليل، وما إلى ذلك. فقد تتوافر لفرد، واحدة أو أكثر من هذه الملكات الطبيعية البحتة، وإذا أُتيحت له ظروف مواتية، وبيئة صالحة، نمت ملكاته وازدهرت، وكان فيها سر من أسرار نبوغه وتفوقه على الكثيرين من أترابه.

وقد تكون هذه المواهب الطبيعية شيئاً آخر غير العقل: قد تكون الصوت الجميل، وقد تكون الجسم الصحيح، أو القوام المشوق، أو جمال التقاطيع، أو وسامة المنظر، أو الجاذبية الشخصية...

هذه كلها صفات خلقية (بفتح الخاء) أو إن شئت فقل فطرية طبيعية لا فضل للإنسان فيها، وليست توهب لشخص مكافأة له على التدين بهذا الدين أو ذلك، ولكنه يولد بها. وتنمو معه من حيث هو إنسان، أو كائن حى يخضع لقوانين طبيعية بحتة ومنها قانون الوراثة، وقانون التكيف وغيرها من قوانين الطبيعة.

وقد تجد بين البشر جميعاً مهما اختلفت دياناتهم مشاعر نبيلة وإحساسات شريفة. وقد تجد بينهم أمثلة فى الفضيلة من كل طراز: أمثلة فى النبلى، والشهامة، والكرم، والإحتمال، والجلد، والكفاح، والشجاعة، وخدمة الآخرين، ولكن لاشك أن مصدر هذه الفضائل جميعاً هو الضمير، هذا الهاتف الباطنى المستور الذى ينادى فى أعماق قلب الإنسان بالخير وينهاه عن الشر، سلطان قوى قاهر ملزم، يمدح على الخير، ويقدر على الشر. هذا الصوت فى الناس جميعاً من حيث هم بشر عاقلون ومن حيث هم كائنات روحية خيرة فى أصلها، حرة مسئولة، وهو سر ما تجده بين الناس من إتفاق على المبادئ العامة فى الخير العام والواجب العام على الرغم مما بينهم من إختلاف فى الثقافة أو الدين. وهو السر كذلك فى إتفاق التشريعات فى جميع البلاد على أصول عامة واحدة عند الجميع، بتمجيد الفضيلة، وإستنكار القتل والزنى والكذب والغدر والخيانة وغيرها من الشرور، على الرغم من تباين العصور وإختلاف البيئات.

وقد يشتهر من بين الناس، من اتصفوا بالحيلة، والدهاء، وبُعد النظر، والمقدرة على تصريف الأمور، والحزم، والعزم، والمضاء، وقوة الإرادة، وضبط النفس، وأشباه ذلك من الصفات النفسية والقدرات الإنسانية التي تبرز بتنمية واحدة من مظاهر الشعور النفساني: الإدراك، والشعور، والإرادة.

وقد تجتمع للفرد إلى هذه الصفات أو بعضها، ظروف أخرى: كالغنى، أو سعة النفوذ، أو علو المرتبة، فتخلق منه علماً من أعلام السياسة أو التجارة أو على الأقل قد تكون من العوامل المساعدة على خلق أو إظهار هذا التبرير بين الناس.

وقد تكون هناك عوامل للنبوغ كامنة فتجد ما يستثيرها، أو يثيرها، أو قد يتوفر الفرد على فنه أو مهنته أو عمله زمناً طويلاً فيكتسب فيه دربة وخبرة، تهيئة لأن يرتفع إلى ذروة الشهرة بين أصحاب هذا الفن أو بين الناس جميعاً، كما يحدث هذا على الخصوص بين النوايغ في ضروب المهارة الفنية واليدوية..

فإذا كان العقل وملكاته، أو كان الضمير بما ينطوى عليه من مشاعر وإحساسات، أو كانت الإرادة وما يدخل تحتها من صفات العزم والثبات والصبر على العمل.. فكلها صفات ليست في الأصل من خلق الدين أو العقيدة، ولكنها صفات طبيعية إلهية وزعت على الناس وفقاً لقوانين طبيعية إلهية، وهي قابلة للنمو والتوقف والكساد وفقاً لقوانين طبيعية إلهية. ومهما يكن من أمر فيمكن أن يستمتع بأسبابها جميع الناس طراً لا فرق بين مسيحي ويهودي ومسلم ووثني، كما يستمتعون بالماء والشمس والمطر وسائر الظواهر الطبيعية والكونية.

وستقول إذن: وما هو دور الدين أو دور العقيدة؟ أقول إن الإنسان خير بطبعه، وقد خلق في مبدأ الأمر طاهراً ومستقيماً، كما خلق له العقل، وزود بالضمير، والإرادة. ولو عاش الإنسان كما أراد له الله لأثمر وأنتج خير الأفكار والأقوال والأعمال، دون أن يتخذ أحد لنفسه ديناً دون آخر، بل كان لابد أن يكون دين واحد. ولكن الإنسان قد سقط بالفعل في الخطيئة، فأفسدت الخطيئة طبيعته الخيرة، فاظلم عقله، وفترت عاطفته وهنت عزيمته. فتاه يتلمس الحق من وسط الظلام فكانت الوثنية. ولكن الله رفق به وشاء أن ينزل إليه ليعود به إلى المجد الذي فقده بالخطيئة، فتخير شعباً من الشعب ليمهد به سبيل ظهوره الإلهي بين البشر، وربطهم بشعائر مؤقته، فكانت اليهودية، ولما اقتنع البشر جميعاً من



يهود ووثنيين بحاجتهم إلى مخلص من السماء يرشدهم إلى الحقيقة الحقبة وبيصرهم بالفضيلة الحقبة، ظهر المسيح، فكانت المسيحية.

فليست الوثنية واليهودية والمسيحية ديانات منفصلة، وإنما هى طريق واحدة للإنسانية فى سبيل عودتها إلى الإله الذى أتاها الخبيثة عنه. وإذا كنا نفضل بينها فمن قبيل التمييز بين محطات مرت بها الإنسانية فى تاريخها الطويل حتى إنتهت بها إلى المسيحية أخيراً.

وفى المسيحية ظهرت بدع وتعاليم غريبة عنها، تَزَعَم القول بها هراطقة أو خوارج، وقد تجسمت إحدى هذه البدع التى تنكر لاهوت المسيح ودعمتها ظروف مواتية فى بعض البيئات، ولبست صورة أخرى وأنتحلت لها اسماً آخر، فصارت ديناً جديداً. وليس فى الحقيقة بدين وإنما هو بدعة فى المسيحية جمعت بين آريوس ونسطور... ولكن الكنيسة احتفظت لذاتها بلقب الأرثوذكسية من حيث إنها سارت على (الرأى القويم) ولم تنحرف عنه بحال، وخلعت على هؤلاء المبتدعين اسم الهراطقة وعنت بهم (الخوارج)، الذين خرجوا عن حدود التعليم الرسولى الذى تسلمته من الرسل وسدنة العهد الجديد.

فماذا ترى؟! أليس ديناً واحداً.. وكل ما هنالك أنه قد ظهر بين أتباع هذا الدين آراء مخالفة. وقد يكون هذا الخروج على الدين مظهراً من مظاهر الشهرة التى اكتسبها هؤلاء الخوارج، فصاروا بارزين، وقد يصدر عنهم شىء من الخير أو مجال من مجالى البطولة الفكرية أو الشعورية أو الإرادية، وهو أمر يرجع إلى صفات طبيعية ومواهب فطرية بحتة، كتلك التى تكلمنا عنها فى بدء الحديث وهى التى يعزى إليها سر نبوغهم وظهورهم.

وإذن فقد تجد بين اليهود، وبين المسلمين، وبين الهنود البوذيين، أو اليابانيين الوثنيين، أو بين البروتستانت بكافة نحلهم، أو بين الشعوب الكاثوليكية، كما بين الشعوب الأرثوذكسية، نوابغ وأفذاذاً وأبطالاً فى كل مناحى العلم والفلسفة والتشريع والاقتصاد، والسياسة والإجتماع والأعمال العامة. ولكن هذا النبوغ ليس مرجعه إلى وحي الدين كما يرجع إلى إستغلال المواهب الطبيعية البحتة.

نعم إن الدين عامل مثير كان له فى كل العصور فضل إثارة عواطف المروءة والرحمة والإنسانية، وقد يكون هناك فرق بين دين ودين فى قوة هذه الإثارة كما هو الحال فى

المسيحية على الخصوص التي يعترف الكل بما كان لها في صميم تعاليمها من إثارة عميقة جارفة لتكريس العواطف الإنسانية وتوجيهها لخير الآخرين، بصورة تستغرق كل إهتمام المسيحي المتدين وهو في هذا كله يطارد مثلاً أعلى فريداً لا يضارع: يجاهد أن يجعل نفسه شبيهاً بالله، وكاملاً كما أن الله كامل.

على أننا نعود فنؤكد أن هذه الإثارة هي عامل متوفر عند جميع من يتسمون باسم السيد المسيح من كافة المذاهب والفرق النصرانية: من حيث أنهم مؤمنون بالكتاب المقدس صاحب هذه التعاليم الحية.

غير أن هناك فرقاً واسعاً بين النبوغ أو العبقرية أو البطولة، وغيرها من صفات التبريز والشهرة بين الناس وبين أن تكون هذه الصفات بين مؤهلات الدخول أو التمتع بملكوت السموات. ونحن هنا نتقدم ببضع أسئلة في سبيل إيضاح هذه المسألة:

١- هل عمل هؤلاء الأبطال، الخير، من أجل الخير في ذاته؟

- فقد يصدر الخير عن بعض الناس بغير قصد منهم، فكثير من الكشوف العلمية قد لعبت المصادفات البحتة فيها دوراً خطيراً (ونحن لا نؤمن بالمصادفات من جانب الله، ولكن من جانب الإنسان من حيث هو لا يقصد إليها).

- وقد يكون هذا الخير بتكليف من هيئة أو من قبل حكومة البلد، كما يحدث اليوم بين العلماء حيث تطالبهم الحكومات بالعمل في ميادين الطب أو الكيمياء أو الفلك....

- وقد يكون هذا الخير، بدافع المنافسة، والانتصار على الآخرين كما يحدث في المنافسات بين الأفراد، والهيئات، والدول.

- وقد يقصد المرء أن يفعل شراً فيصدر عنه خير للآخرين، كما هو الحال بالنسبة إلي إخوة يوسف الذين باعوا يوسف حسداً، فصار مخلصاً لمصر وللعالم، أو كما فعل يهوذا الذي خان سيده، فكان في صلبه خلاص البشرية.

- وقد يصدر عن شخص لم يقصد إليه لذاته ولكنه كان يطلب رزقاً حلالاً أو غير حلال، فهداه بحثه وتفتيشه وسعيه وجهده إلى عمل شيء انتفع به غيره.

- وقد يصدر الخير أيضاً طاعة لحركة طبيعية من حركات النفس الإنسانية، فقد يتجه الإنسان نحو عمل ما لا بدافع الخير، وإنما بدافع الشعور باللذة الصرفة في القيام بهذا

النوع من العمل، كما يحدث هذا نحو أية شهوة أخرى من شهوات النفس مع فارق في سمو هذه الشهوة الأخيرة عن تلك، ومع ذلك فقد تكون هذه الشهوة الأخيرة لمجرد اللذة ومتعة النفس بذلك. لا نتيجة حب للخير أو إهتماماً بتحقيقه بين الناس.

- وقد يصدر الخير عن شخص ما كان يقصد إليه وإنما كان يقصد إلى الشهرة وذيوع الصيت بين الناس.

قد يكون ذلك كله أو بعضه، وقد يصدر الخير عن حب للخير في ذاته، وفي هذه الحالة الأخيرة وحدها يكون الإنسان مؤهلاً لنوال الأجر السمائي لأنه لم يقصد إلى خير من الخيورات الأرضية أو البشرية أو المادية.. فهو في ذلك كله يعمل نظير الله، وهو الخير المحض على ما يقول أرسطو....

٢- هل عمل الأبطال الخير من أجل الله؟

فقد يصنع الأبطال الخير من أجل الخير في ذاته، ولكن من دون أن يعملوا من أجل الله. أجل قد يوجد قوم ملحدون لا يؤمنون بالله ومع ذلك، فهم مقتنعون بخيرية الخير، من حيث هو نافع ومفيد للمجتمع، ومن حيث هو أمر طبيعي، ومن حيث مافيه من قوة وروعة وجمال، ولذة عقلية ومتعة إجتماعية صرفة... «وإن أطعمت كل أموالى، وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليست لى محبة، فلا أنتفع شيئاً» (١ كو ١٣: ٣).

وقد يوجد قوم يصنعون الخير من غير أن يؤمنوا بالحياة الآخرة والحساب والثواب. إن هؤلاء يصنعون الخير من أجل الخير في ذاته، ومن حيث ما يترتب عليه من نفع للأفراد والمجتمعات. حقاً إن هؤلاء نبلاء نظير عظماء المتدينين الذين يفعلون الخير دون أن يترقبوا جزاءً صالحاً أو يفكروا في الأجر. وإذا كان هذا حقاً، فهل حقاً يؤهل للملكوت أناس لا يؤمنون بالآخرة أو الجزاء؟ هؤلاء كفرة وإن كانوا يصنعون الخير، وهم يتمردون على الدين، وإن كان الدين هو الذى جعلهم يذوقون الخير ويستشعرونه دون أن يشعروا فهل ينال الكافرون الجاحدون للملكوت؟

٣- وهل يتق القارىء بأن هؤلاء الخيرين أو هؤلاء الأبطال الذين صنعوا الخير البارز، بأنهم لم ولن يصنعوا شروراً من نواحي أخرى؟ أن يصنع الإنسان خيراً واحداً وإن كان بارزاً ليس معناه أنه قد صنع كل خير، أو أن ذاك الخير هو شقيقه ليرث ملكوت السموات دون أن يحفظ نفسه من أن تُزل في شروراً أخرى.

قد تجد لأبرز الرجال النافعين في المجتمع أخطاء شديدة في حياتهم الخاصة تكفى لأن تفصلهم عن الله.

ولو كان كل من صنع خيراً بارزاً يتأهل للملكوت الله، لما كان كثيرون من الذين كرزوا باسم المسيح ينادون من خارج الباب بعد أن يغلق من دونهم: ياربنا افتح لنا فيجيبهم قائلاً: اذهبوا عنى لا أعرفكم «فإن كثيرين سيقولون لي في ذلك اليوم: يارب، يارب، أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا الشياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرخ لهم إنى لم أعرفكم قط، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم» (مت ٧: ٢٢، ٢٣).

فما أكثر الذين خدموا وضحوا وجاهدوا ولكنهم سيخسرون الجعالة، إما لأن مقاصدهم لم تكن نقية وإما لأنهم لم يحفظوا أنفسهم من شرور أخرى كثيرة، وإلا لما كان يقول الرسول: «اقمع جسدك واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً» (١. كو ٩: ٢٧).

أما أن نستفيد في حياتنا الحاضرة من جهود هؤلاء الأقدان ونتتبع تاريخ حياتهم، ونتعلم من أقوالهم وأعمالهم، ونقتبس من أفكارهم وكتبهم وأقوالهم، فهذا أمر لا شك فيه، إلا إذا كان هؤلاء الناس قد سقطوا في ضلالات فكرية، وابتدعوا تعاليم فاسدة مضلة، فإنه في هذه الحالة وحدها يجب الإمتناع عن قراءة كتبهم ومعاشرتهم. ولا يباح غير ذلك إلا للراسخين كما أنه لا يباح للسليم أن يخالط المريض، ولكن الطبيب وحده هو الذى يمكنه أن يخالط المريض، وإلا لما كان هناك علاج أو شفاء، أو مقاومة للأدواء.

ولسنا نجد غضاضة من أن نقتبس عبارات حكيمة من رجال يخالفوننا الدين إذا كنا لا نخشى على القراء أو السامعين من عقائد هذا الدين، فطالما أن هذه العبارة صحيحة في ذاتها، ومن حيث هى إنتاج فكر إنسانى، والعقل مصدر من مصادر الإلهام لأنه مخلوق من الله. وقديماً تكلم فى الوثنية فلاسفة وحكماء بأقوال غاية فى الروعة والجمال، كانت إلهاماً من الله ونوعاً من الوحي لمثل هذه الشعوب الوثنية. كما قال بهذا الرأى فلاسفة المسيحية من أمثال أثيناغوراس وبنطينوس وأكليمنضس وأوريغانوس ومن إليهم. وقد رأينا القديس بولس الرسول يستشهد بعبارات من شعراء الوثنية عندما كان يخطب فى أريوس باغوس (أع ١٧: ٢٨، ٢٩).

فلا بأس من إقتباس كلمات أو أمثال حكيمة لفلاسفة وعلماء وثنيين أو يهود أو مسلمين، أما الهراطقة فى المسيحية فلا تقتبس أقوالهم، إلا فى مجال الرد عليهم، ذلك

أن آراء الهرطقة أعظم خطراً، ولما كان البسطاء وغير المتعمقين في العلوم الدينية لا يقوون في الغالب على اكتشاف الفروق الدقيقة بين تعاليم الهرطقة وتعاليم الكنيسة، فمن الخطأ أن نورد شيئاً من أقوالهم، لئلا نعثر السامعين أو القراء، ونتلف بساطة إيمانهم، وحتى يكون في موقفنا هذا حيالهم ما يتفق وإستنكارنا لأرائهم المخالفة. على أنه إذا كان أحد العلماء في الطبيعة أو الرياضة أو الطب أو الفلسفة ... الخ ينتسب لتابعي هذه البدع، فيمكن الاستفادة من آرائه العَلَمية من حيث هو عالم طبيعى أو فلكى أو رياضى، لا من حيث هو رجل للدين.

## ٤٥ - كل آلهة الأمم شياطين

سؤال: بالنسبة لقداستكم ذكرتم أن الروحانية المصرية القديمة كانت عميقة، لدرجة أن فيها نبوغات حقيقية، في ضوء هذا تعتبر بريئة من الآية التي تقول: كل آلهة الأمم شياطين؟

الجواب:

لا لا... هذه الإشارة هنا إلى الأمم غير اليهودية، وهذه طبعاً النظرة العامة. إنما مصر القديمة، الحقيقة جازئ يكون ذلك بالنسبة للناس الجهلاء الذين في المستويات الشعبية العادية، إنما الديانة المصرية القديمة كما كانت في أذهان الكهنة والعلماء، وكما كانت أيضاً على الآثار تبين أنهم وصلوا إلى فهم عميق جداً في فكرة الألوهة والإله الواحد، إنما ممكن أن يكون حدث بين الناس إتلاف، كما يحدث عندنا بين المسيحيين أنفسهم، اليوم على الرغم من العلم المسيحى، تجد بعض التصرفات من أشخاص عاديين جهلة يعملوا أشياء خطأ وقد يكون ذلك عن جهل، هناك كثير من التصرفات دون أن ندخل في التفاصيل. على الرغم من أنهم مسيحيين لكن يعملوا تصرفات منها مثلاً فكرة القدرية، كل شيء مقدر وكل شيء مكتوب وهذه مسروقة من مصادر أخرى.

فعل كل حال، كل آلهة الأمم شياطين، إشارة إلى الأمم غير اليهودية بصفة عامة، إنما مصر القديمة بالذات الحقيقة كانوا مسيحيين من قبلنا.

## ٤٦ - الديانة البوذية (١)

سؤال: ماهى الديانة البوذية؟

الجواب:

أول منشآت الديانة البوذية نشأت في بلاد الهند والتبت ومن إليها، والبوذية نسبة إلى بوذا، وبوذا كلمة سكرسيتيه معناها «المستنير» وبوذا هذا الرجل عاش راهباً واعتزل في مكان، واستمر ٧ سنين في تأمل متواصل، فوصل إلى ما يسمى بالإشراق الباطنى، فهذه هى البوذية، ولذلك البوذية تقوم على مبدأ الرهبة وعلى مبدأ الصمت والسكون. السكون يعنى تسكين الجسد، بحيث أنه يبقى صدره ورجليه مربوطة بطريقة معينة، لكى يكون هناك ثبات، ثم يتأمل بالدخول إلى أعماق نفسه، اليوم يسموها في علم النفس الاستبطان الداخلى. فالإنسان يحاول أن يستبعد الأفكار الخارجية وينصرف إلى التأمل في ذاته، وإلى التأمل في الله وفي الكون. لذلك العلاقة بين البوذية والمسيحية عن طريق الفكر والتأمل في الله، فهو نوع من أنواع الرهبة. وبوذا هذا يسمى راهب، لكن الجماعة البوذية احتراموه جداً فحولوه إلى إله. لكن البوذية نفسها نوع من أنواع الرهبة.

## ٤٧ - أكل الفسيخ والبصل في شم النسيم

سؤال: لماذا نأكل يوم شم النسيم فسيخ وبصل؟

الجواب:

هذه مسألة غير دينية، هى مسألة لمواجهة الصيف، فالفسيخ والبصل يُكون مطهر وكاوى وخصوصاً بعد صوم طويل، وبعد ذلك الإنسان يأكل أطعمة دسمة، فممكن جداً أنه يحدث له اضطراب في المعدة والأمعاء، وقد تتسبب عنها أمراض وخصوصاً في مواجهة الصيف، فعادة أكل الفسيخ والبصل أعتقد أنها عادة مفيدة من الناحية الصحية، إنما ليس لها مفهوم دينى.

(١) سؤال أجيب عليه في ٧ أغسطس ١٩٨٨ م - أول مسرى ١٧٠٤ ش.

## ٤٨ - أيام الحسومات

سؤال: ماهى أيام الحسومات؟

الجواب:

الحسوم هى من أول برمهات إلى ١٠ برمهات، وعادة تكون من ١٠ مارس إلى ٢٠ مارس، والحسوم بحسب طبيعة بلدنا هى أيام الإخصاب فيها يودى إلى نتيجة فاسدة، فالنبات إذا أخصب فى هذه المدة يكون فاسد، والحيوان أيضاً إذا حدث له إخصاب فى هذه الفترة فيكون النتاج مريض أو ضعيف أو مصاب أو متخلف، وهكذا فيما يتصل بالإنسان، ولذلك الأقباط دائماً كان الآباء والأمهات ينبهوا أولادهم المتزوجين أن ينتبهوا لهذه المدة، ونشكر الله أن فى ترتيب كنيستنا هذه الفترة تكون الكنيسة فى صيام، فأيام الحسوم ١٠ أيام من أول برمهات إلى ١٠ برمهات وفيها الحيوان والنبات والإنسان إذا حدث له إخصاب يكون الزرع أو النتيجة متلفة، وأنا أعرف حالات معينة حدث فيها أن أولاد وبنات حُمل بهم فى هذه الفترة، فحدث أن البنت لم تكن بنت تماماً، فكان لها ذقن وشارب، والولد بالعكس لم يكن له ذقن ولا شارب، وطبعاً لم يتزوجا البنت أو الولد وهذه نتيجة أشياء موجودة فى الطبيعة فى أيام الحسوم، ينبغى أن يكون هناك يقظة أن لا يحدث إخصاب فى هذه الفترة.

## ٤٩ - وضع البصل على أعتاب المنازل

سؤال: لماذا يوضع البصل على أعتاب المنازل؟

الجواب:

أيضاً هذه مسألة غير دينية، هذه كلها عادات ليس لها أساس دينى، إنما عادات شعبية غير مبنية على قاعدة دينية.

## ٥٠ - العاطفة مكمل للإنسان

سؤال: من يوم أن فقدت والدى أصبحت حساسة جداً فماذا أفعل؟

الجواب:

قد تكون المرأة بطبيعتها رقيقة وحساسة، لكن بعد زمن يتكيف الإنسان عندما يصلى ويضع في ذهنه أن الناس الذين خرجوا من الجسد لن يفنوا، بل هم أحياء وموجودين وممكن أن الإنسان يتصل بهم عن طريق الصلاة، وأن يترحم عليهم وأن يعمل لهم قداسات. إنما هذه الحساسية هي شيء طبيعي، وبدونها لا يكون الإنسان إنسان، لكن مسألة الحساسية درجات، يوجد أشخاص حساسين جداً أكثر مما يجب ويوجد أشخاص الحساسية عندهم معقولة، المسيح إلهنا بكى على قبر ليعازر، وهذا كان برهان ناسوته، والمسيح بكى على أورشليم في أحد الشعانين، لأن هؤلاء أولاده ويرى مصير أورشليم، وقال: «آه لو عرفت ما هو لسلامك ولكن قد أخفى عن عينيك، أنها ستأتى عليك أيام يحيط بك الأعداء بالمطاريح ويدكونك وبنيك فيك ... لأنك لم تعرف زمان إفتقادك»، هذا هو شعور الأبوة رغم أن هذا قضاء عادل لكنه كأب بكى في يوم أحد الشعانين، هذا البكاء صفة طيبة دليل الرحمة ودليل القلب الحساس، فالعاطفة شيء طيب جداً لا نرفضها، أيضاً الإنسان من غير الحساسية لا يكون إنسان، لأن الإنسان بعواطفه، العاطفة جزء مكون للإنسان الكامل، كيف يعيش إنسان بلا عاطفة، من قال هذا؟ فالحساسية مطلوبة لكن لا تكون زائدة عن حدها، وعندما يجد الإنسان نفسه أنه حساس جداً يصلى ويرتل ويطلب معونة من السماء، لكن لا يفقد الرجاء، ولا يفقد الإيمان، لا نحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم، لكن كون الإنسان يحزن بعض الحزن، ويبكى بعض البكاء، كل هذا أمر طبيعي ومطلوب، ومن دون هذا لا تكون إنسانيتنا إنسانية كاملة.



## ٥١ - الصراحة الزائدة خطأ

سؤال: هل الصراحة الزائدة عن حدها خطأ؟

الجواب:

حسناً أنك قلت أنها زائدة عن حدها، ومادام زائدة عن حدها تكون خطأ، لكن هناك أشخاص تبالغ في الكلام، ويقول أنا عندي صراحة غير معقولة، الصراحة شيء طيب بل هي فضيلة، لكن في بعض الأحيان يستخدم الإنسان الصراحة بتعبيرات فيها إنعدام أدب، هو يسميها صراحة، إنما تصل أحياناً إلى ما يسمى بالوقاحة، نعم يوجد ما يسمى بالوقاحة ويقول أنها صراحة، لا.... الصراحة معناها أنك أنت تُصرِّح، لكن ماهو الأسلوب؟ طريقة التعبير عن التصريح ما هي؟ يجب أن تكون بطريقة لا تؤذي الآخرين أو تصدمهم، فالصراحة في ذاتها فضيلة، إنما لا بد أن الاسلوب للتعبير عن الصراحة يكون معقول، لأن الصراحة بطبيعتها مُرة، فما بالك لو كانت الوسيلة أيضاً لتبليغ الصراحة أشد مرارة، الصراحة حسنة لكن لا بد أن الإنسان يراعى اللياقة، إنسان يقول أنا قلبي أبيض، أقول الكلمة وبعد ذلك أنساها، نعم أنت نسيتها، هل هذا دليل على أن قلبك أبيض، الذي حدث أنك أخرجت الشيء المؤلم من نفسك ورميته على غيرك، لا تقول أن قلبي أبيض، والآخر تصفه بأنه حقود.

أريد أن أقول أن الواحد يراعى الآخر، ليس فقط أنك تقول ماتريد أن تقوله، بل لا بد أن تراعى شعور الناس الذين أمامك، لأن الإنسان لحم وشعور، كم من إنسان كلمة قتلته، كلمة قالها لإنسان فجرحه جرحاً أكثر من السيف، يقول : ياليت فلان ذبحنى بسكين ولم يقل لي هذه الكلمة، ثم يمرض والبعض يصاب بالشلل، أو تحدث له أزمة قلبية، وأنت تقول قلبي أبيض. قلبك أبيض لأنك أخرجت ما عندك ورميته على غيرك، ليس فقط أن يقول الإنسان أنى صريح، ولكن يجب أن تراعى شعور الناس، وتدرس وقع الكلمة التي ستقولها على الناس وماذا تؤدي إليه، لذلك يجب الإنسان يراعى هذا.

## ٥٢ - يلزمكم أن تعمل بنصيحة الأطباء

العزیز الابن م. ف. ت.

سلام ونعمة وبركة-

رداً على خطابكم وما يقرره الأطباء بالنسبة لإلتهاب (البروستاتا) الذي تعاني أنت منه، وأنهم ينصحونك بشرب الماء الكثير، بينما أنت تحرص على الصوم الإنقطاعي عن الطعام وعن الماء-

أفيدكم بأنه حيث أن الأطباء ينصحونك بالنسبة للحالة المرضية، أنه يجب أن لا تمتنع عن الماء، فيلزمكم أن تعمل بنصيحة الأطباء من حيث شرب الماء. ففي الأيام التي تمارس الصوم بالإنقطاع عن الطعام يمكنك نظراً لظروفك الصحية - أن تمتنع عن الطعام في أيام الصوم ولا تمتنع عن الماء، إلا في اليوم الذي تتقرب فيه من الأسرار المقدسة. ومع ذلك يمكنك بعد تناول من المائدة الربانية مباشرة، أن تشرب ما ينصح به الأطباء من شرب مالا يقل عن ٨ أكواب ماء يومياً موزعة على ساعات النهار.

وأعلم أن حاجة الجسم إلى الماء كبيرة في الصحة والمرض، فالقلب والكبد والكليتان والشرايين والعيون، كلها في حاجة إلى الماء - لذلك ننصح بالعمل بمشورة الأطباء بالنسبة لشرب الماء - واذكر قول المسيح له المجد (إنما جعلُ السَّبْتُ لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت) (مرقس ٢: ٢٧). كل ما ننبه إليه هو أن تمتنع عن الماء قبيل تناول من الأسرار المقدسة، وأما بعد تناول فاشرب من الماء ما ينصح به الأطباء، فهو لا يتعارض مع الصوم الإنقطاعي. وليكن إنقطاعك عن الطعام لا عن الماء.

أما عن محاربة النوم الذي يهاجمك أثناء الصلاة في المنزل والكنيسة، فربما يكون السبب أنك بسبب ضغط العمل لا تجد ساعات كافية للنوم، فالمفروض أنه يلزمك نحو ٨ ساعات يومياً للنوم.

ثانياً: اغسل وجهك قبيل الصلاة.

ثالثاً: صلِّ بصوت مرتفع على نوع ما.

رابعاً: يمكنك أيضاً أن تصلي بنغم وبشيء من الترتيل حتى يرقق شعورك فتغلب النوم.

ونعمة الرب تباركك.

## ٥٣ - مريض بقصور في الشريان التاجي (١)

الابن العزيز المبارك الشماس : م. ع. و - المنيا.

أقبلك بمحبة أبوية راجياً لكم النعمة والبركة من ربنا يسوع المسيح.

اليوم فضضتُ خطابك، فقرأت فيه أنه تبين لك أنك مريض بقصور في الشريان التاجي بالقلب، فتأملت كما تقول نفسياً.

وإننى أعذرك على هذا الألم النفسى لأنه كما تقول إنه سيقبل من مجهودك في الخدمة.

وإننى أدعو الله أن يمن عليك بالشفاء.

لكننى أريدك أن تعلم أن القصور في الشريان التاجي يشكو منه الآن الملايين، وذلك لطبيعة ما يعانیه إنسان اليوم من ضغوط نفسية وعصبية وكثرة المسئوليات، فضلاً عن التلوث الذي يتحدثون عنه اليوم، التلوث في الهواء، والتلوث في الماء، وتلوث الطعام.. تلوث اللحوم، والسّمك، واللبن والفاكهة، والخضروات..... الخ.

فلا تتضايق، كأنك وحدك في هذا الموضوع. إن القصور في الشريان التاجي يشكو منه اليوم الصغار، وتشكو منه السيدات وحتى الأطفال.. إنه ضريبة العصر، ومرض العصر، وضريبة الحضارة..

وعلى حسب معلوماتي، عليك بالآتى:

(١) يجب تناول ٧ أفصاص توم نيء كل يوم، وأكلها وصحنها بالأسنان أفضل من البلع

(٢) عليك أن تشرب ٧ إلى ٨ أكواب سوائل يومياً من الأعشاب، ومنها الأينيسون، النعناع، الكاركاديه، الحلبة، عرق السوس، الحرجل، التيليو... الخ وكلها مفيدة للقلب.. أولاً من حيث هي سائلة.. والقلب يحتاج إلى الماء، والشرايين تحتاج إلى الماء مضافاً إليه ما في هذه الأعشاب الطبيعية من فيتامينات وقيمة غذائية وعلاجية ودوائية.

لذلك يقولون إن أفضل طريقة للإستفادة منها هي وضع العشب في المصفى ويصب عليها الماء الساخن فوقها - ثم تركها لبضعة دقائق - وبعد وقت تشربها دافئة.. لا ساخنة ولا باردة.

(١) كتب في ٢٥ من مارس ١٩٩٢م - ١٦ من برموده ١٧٠٨ ش.

- عليك أيضاً أن تنام من ٨ إلى ٩ ساعات يومياً . يقولون إن النوم مريح للقلب. ويحسن أن يكون بعد العشاء بثلاث أو أربع ساعات..

- عليك بتجنب المقلبات بالزيت أو السمن.. إنما يؤكل الطعام مسلوقةً.. بالماء وعند الأكل يمكن أن يوضع عليه الزيت النقيء والليمون.

- تجنّب السكر الأبيض، ويمكن تحلية المشروبات بعسل النحل.

- ابدأ كل وجبة بثمرة فاكهة طازجة وبعد ذلك بالخضروات: الطماطم والفجل والبصل والخص والجرجير... وبعد ذلك الطعام الآخر.

- خذ بصلة يومياً.. البصل مفيد للقلب. وهذه وصفة طبية.

- يحسن أن تمارس رياضة المشى لمدة ساعة ونصف إلى ساعتين.

- يحسن ممارسة الرياضة صباحاً أمام الشباك المفتوح. وهى بعض الألعاب على الطريقة السويدية.. وأهمها التنفس البطيء من أحد المنخرين.. حتى يدخل الهواء إلى أعماق الصدر ثم يخرج، وبعد ذلك تأخذ التنفس من المنخار الآخر وهكذا عدداً من المرات.

- وأخيراً لا تتوقف عن العمل، ولكن تجنب الإرهاق..

ثم ابتسم، وتفاءل.. وصلّ واطلب السلام الروحاني الذى يفوق كل عقل وأخيراً.. ثم أخيراً  
تجنّب اقحام قلبك فى السياسة، سياسة الكنيسة العامة وإله كل نعمة يحفظك ويعينك  
ويشفيك. (أنا الرب شافيك). كن مطمئناً وسعيداً وفرحاً بالروح.

ونعمة الرب تشملكم،،،،

## فهرس الموضوعات

٧	مقدمة
٩	إهداء
١١	الآثار الروحية والنفسية لحرب أكتوبر
١٣	برقية
١٤	الثورة الإدارية
١٦	تهانى
١٧	الخدمات الثقافية فى الريف والأقاليم
٢٢	تعليق على وثيقة العلماء فى وقف التسلح النووى
٢٥	بيان القيادات الدينية الصادر فى فيينا عاصمة النمسا
٢٦	رأى الكنيسة ودورها فى سبيل منع الحرب النووية
٣٠	فكرة لمصر، الشائعات والإشاعات
٣٢	برقية
٣٣	الأصالة والمعاصرة
٤٠	علم اللاهوت الشرقى
٤٩	الدين والأخلاق فى بناء الثقافة فى مصر المعاصرة
٥٤	التربية الدينية ودورها فى الثقافة
٥٧	البيت ودوره فى التعليم والثقافة
٦١	الثقافة والسلوك
٦٦	الثقافة والقذوة
٧٠	التربية الخُلُقِيَّة فى المجتمع المصرى
٧٣	التعليم والثقافة فى مرحلة ما قبل الدراسة
٧٥	بعض نصوص تحض على العلم والمعرفة
٧٦	التطرف الدينى
٧٨	الدين فى جوهره لا يعرف التعصب
٧٩	التطرف والإنحراف عند الشباب
٨٢	حق الإنسان المصرى فى غذاء نظيف
٨٦	الكوارث الكونية للتدخل الإلهى
٩٣	نحو الخطة القومية لمواجهة الكوارث الطبيعية

٩٨	الزلازل.. وعبرتها الروحية
١٠٠	الفن والدين
١١٢	السياحة الدينية في مصر
١١٨	اقتراحات للسياحة الدينية في مصر
١٢٠	مصر الفرعونية والكنيسة القبطية
١٣٤	النفاق والشوك
١٤١	ما بين العلم والدين
١٤٣	دور الكنيسة في ميدان الصحة النفسية
١٥٠	الاعتدال في الحياة فضيلة
١٥٣	الإنسان كائن إجتماعى
١٥٦	روح وتاريخ الدين
١٥٩	ما هو عمل رجال الدين في مجال التوعية الدينية
١٦١	حرية النفس البشرية
١٧٨	التقويم القبطى
١٨٠	عباقرة ماتوا صغاراً
١٨١	الشهور القبطية
١٨٩	العادات الفولكلورية المتبعة إبتهاجاً بمولد الطفل
١٩٢	الغرب مدين للشرق بحضارته
١٩٤	براعة المهندسين الأقباط في بناء المساجد
١٩٥	وحده فكرية تربط الشرق والغرب
١٩٨	بمناسبة عيد الأضحى المبارك
١٩٩	الأمراض وأسبابها
٢٠٤	العلاقة بين الخطيئة والمرض
٢٠٦	الأمراض الوراثية وتأثير البيئة
٢١٠	قطاع الطب العلاجى
٢١٢	قطاع الطب النفسى
٢١٢	الدين والطب
٢١٣	طبيعة المرأة

- العالم قبل المسيح - حديث صحفى مع أ. محمد عبد القدوس ..... ٢١٦
- حرية الرأى والإختلاف يؤدى إلى الإثراء ..... ٢٢٧
- إجابات على أسئلة ..... ٢٤١
- ١- تأييد ودعاء ..... ٢٤٢
- ٢- يارب أعطنى القوة لأقف بجانب كل مظلوم ..... ٢٤٣
- ٣- تهنئة لحزب الوفد ..... ٢٤٥
- ٤- تحية وتقدير ..... ٢٤٦
- ٥- ليس مسيحياً من يدعو إلى الصراع والعنف ..... ٢٤٧
- ٦- من الخطر ربط الدين بالعلم ..... ٢٤٩
- ٧- نصائح طبية عامة ..... ٢٥٠
- ٨- يشكو ارتفاع ضغط الدم ..... ٢٥٣
- ٩- يشكو إتهاب فى الكليتين ..... ٢٥٤
- ١٠- الانفتاح من كافة نواحيه السياسية والإجتماعية والدينية ..... ٢٥٥
- ١١- الانفتاح يقود إلى الحوار ..... ٢٥٦
- ١٢- هل هناك خلاف بين الدين والعلم فى نشأة الكون؟ ..... ٢٥٧
- ١٣- الحب الخاص والحب العام ..... ٢٦٠
- ١٤- الأرض أصلح كوكب لبشر فى تركيبتنا ..... ٢٦١
- ١٥- الأطباق الطائرة ..... ٢٦٢
- ١٦- هل هناك عالم آخر غير عالمنا؟ ..... ٢٦٦
- ١٧- الأطباق الطائرة والدين ..... ٢٦٩
- ١٨- الكون والمجرة ..... ٢٧٠
- ١٩- تكوين الجبال والحركات الالتوائية ..... ٢٧٢
- ٢٠- نظرية النشوء والارتقاء ..... ٢٧٣
- ٢١- مما تتكون المجرة ومما يتكون السديم؟ ..... ٢٧٦
- ٢٢- صبغة الشعر ..... ٢٧٨
- ٢٣- طبقة الأوزون ..... ٢٧٩
- ٢٤- تحول الرجل إلى امرأة ..... ٢٨٠
- ٢٥- ما موقف المسيحية من صيد الطيور؟ ..... ٢٨١
- ٢٦- اللقيط ..... ٢٨٢

- ٢٨٣ ..... ٢٧- معنى أسماء الشهور القبطية؟
- ٢٨٤ ..... ٢٨- أهمية تعلم اللغات الأجنبية
- ٢٨٥ ..... ٢٩- الشعوب تميل إلى الصداقة
- ٢٩٣ ..... ٣٠- الإكتفاء عند الحيوان
- ٢٩٥ ..... ٣١- هل للحيوان عاطفة؟
- ٢٩٨ ..... ٣٢- الحسد
- ٣٠٠ ..... ٣٣- هل باطن الأرض مجوف؟
- ٣٠١ ..... ٣٤- للبراكين والزلازل وظيفة
- ٣٠٢ ..... ٣٥- الديانة المصرية القديمة
- ٣٠٣ ..... ٣٦- التفكير عند الإنسان
- ٣٠٤ ..... ٣٧- أنطب والعلاج
- ٣٠٦ ..... ٣٨- التنازل عن المبدأ
- ٣٠٧ ..... ٣٩- لعنة الفراعنة
- ٣١٣ ..... ٤٠- التبشير عند قدماء المصريين
- ٣١٤ ..... ٤١- التوحيد عند قدماء المصريين
- ٣١٥ ..... ٤٢- القوة الخارقة للروح
- ٣١٧ ..... ٤٣- السحر الأبيض
- ٣١٨ ..... ٤٤- ماذا عن نبوغ غير المؤمنين؟
- ٣٢٥ ..... ٤٥- كل آلهة الأمم شياطين
- ٣٢٦ ..... ٤٦- الديانة البوذية
- ٣٢٦ ..... ٤٧- أكل الفسيخ والبصل في شم النسيم
- ٣٢٧ ..... ٤٨- أيام الحسومات
- ٣٢٧ ..... ٤٩- وضع البصل على أعتاب المنازل
- ٣٢٨ ..... ٥٠- العاطفة جزء مكمل للإنسان
- ٣٢٩ ..... ٥١- الصراحة الزائدة خطأ
- ٣٣٠ ..... ٥٢- يلزمكم أن تعمل بنصيحة الأطباء
- ٣٣١ ..... ٥٣- مريض بقصور في الشريان التاجي